د. صالح بن مطر الهطالي

العَمَلُ التطوُّعِيُّ

خُطُواتٌ عَمَلِيَّةٌ للنُّهُوضِ بالأُمَّة

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ – ٢٠٢٤م

العَمَلُ التطوُّعِيُّ

خُطُواتٌ عَمَلِيَّةٌ للنُّهُوضِ بالأُمَّة

د. صالح بن مطر الهطالي

www.alhatali.com
بريد إلكتروني: saleh@alhatali.com
@smalhatali

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الثانية
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

مكتبة رؤى الفكرية
رؤى
+968 90174421 roaw_alfikryah
+968 90174421 roaa alfikryah
roaw_alfikryah info@roaaoman.com
roaa alfikryah www.roaaoman.com
مسقط - المعبيلة الجنوبية - شارع النور

مكتبة السيدة فاطمة الزهراء
92908620- 91789822
www.afabookshop.adam-qs.com


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الكتاب

مُقدِّمة الطبعة الثانية ١٧

مُقدِّمة الطبعة الأولى ١٩

١- صورتان لواقع الأُمَّة ١٩
٢- أسباب تخلُّف الأُمَّة ٢٧
٣- سفينة النَّجاة ٣٥
٤- مُقترحات للاستفادة من هذا الكتاب ٣٩
٥- عرض وطلب ٤١

الباب الأول: مُقدِّمات في العمل التطوُّعي ٤٣

الفصل الأول: تعريف بالعملِ التطوُّعيّ وأهمِّيتِه وحُكْمِه الشَّرعيّ ٤٥
١- تعريف بالعمل التطوُّعي ٤٥
٢- أهمِّية العمل التطوُّعي ٤٧
٣- مجالات العمل التطوُّعي ٤٨
٤- رأيُ الفقهاء في العمل التطوُّعي ٥٠
الفصل الثاني: الحاجة إلى العمل التطوُّعي ٥٣
١- العمل التطوُّعي دعوة إلى ترميم بُنيان الأُمَّة المُتهالِك ٥٣
٢- العمل التطوُّعي وسيلة لاكتشاف الطاقات الكامِنة في الإنسان وتفعيلها ٥٦
٣- العمل التطوُّعي حماية للمسلم من الموت البطيء ٥٦
٤-العمل التطوُّعي وسيلة للاستفادة من الكوادر المُهدَرة ٥٧
أ- المُثقَّفون وحَمَلة الشهادات العُليا ٥٧
ب- العقول المُهاجِرة ٥٨
ج- المُتقاعِدون ٥٨
د- الباحثون عن العمل ٥٩
هـ- المُستقيمون ٦٠
و- الأغنياء وأصحاب الثروات ٦٠

٥- العمل التطوُّعي يُعوِّض دور الحكومات في دعم الأعمال الخيرية..... ٦٢
٦- العمل التطوُّعي في مواجهة المُؤامرات والدَّسائِس الدولية..... ٦٣
الفصل الثالث: العمل التطوُّعي الفردي..... ٧١
الفصل الرابع: العمل التطوُّعي الجماعي والمُؤسَّسي..... ٧٧
١- دعائم نجاح العمل التطوُّعي الجماعي والمُؤسَّسي..... ٧٨
٢- التنظيم ودوره في نجاح المُؤسَّسات التطوُّعية..... ٧٩
٣- أهمية تحديد الأهداف في العمل التطوُّعي المُؤسَّسي..... ٨٠
٤- استقطاب المُتطوِّعين..... ٨١
٥- الاستفادة من طاقات المُتطوِّعين..... ٨٤
٦- المحافظة على المُتطوِّعين..... ٨٦
٧- التقويم ودوره في استمرارية المُتطوِّعين ونجاح المُؤسَّسات التطوُّعية..... ٨٧

الباب الثاني: واقع العمل التطوُّعي..... ٩١

الفصل الأول: مسيرة العمل التطوُّعي في المجتمعات الإسلامية في العقود الأخيرة.. ٩٣
١- واقع العمل التطوُّعي في بلاد الغرب..... ٩٣
٢- واقع العمل التطوُّعي في البلدان الإسلامية..... ٩٥
٣- مُعوِّقات العمل التطوُّعي/الخيري..... ٩٦
٤- العقبات والتحدِّيات في مسيرة العمل التطوُّعي..... ٩٨
الفصل الثاني: نماذج مُشرِّفة للعمل التطوُّعي في عالمنا الإسلامي..... ١٠١
١- أعلام التطوُّع في عالَمنا الإسلامي..... ١٠١
أ- محمد يونس ومصرف الفقراء في بنجلاديش..... ١٠٢
ب- الدكتور عبد الرحمن السميط رائد العمل الخيري في إفريقيا..... ١٠٥
ج- الشيخ سليمان الراجحي والأوقاف المُؤبَّدة..... ١٠٩
٢- مُؤسَّسات الخير والعطاء..... ١١١
أ- الاتِّحاد العربي للعمل التطوُّعي..... ١١١
ب- جمعية الاستقامة الخيرية الإسلامية العالمية..... ١١٣
ج- الجمعية الكويتية لرعاية الأطفال في المستشفى KACCH..... ١١٥

د- الجمعية الإسلامية الخيرية بالدار البيضاء..... ١١٦

الباب الثالث: الأعمال التطوُّعية الفردية ومنافعها..... ١١٩

تمهيد..... ١٢١
الفصل الأول: الأعمال التي تُقوّي صلة المرء بخالقه..... ١٢٥
١- الانكباب على القرآن الكريم..... ١٢٦
٢- المواظبة على النوافل والأذكار..... ١٢٦
٣- قيام الليل..... ١٣١
الفصل الثاني: الأعمال التي تبني الفِكْر وتُقوّي الثقافة..... ١٣٧
١- الاهتمام بالقرآن الكريم..... ١٣٧
٢- الاهتمام بالعلوم الأخرى..... ١٣٨
٣- الاهتمام بالثقافة العامة..... ١٣٨
٤- الاهتمام باللغة العربية..... ١٤٠
٥- تعلُّم اللغات الأجنبية..... ١٤٤
٦- الاهتمام بالإنتاج العلمي والفكري..... ١٤٦
٧- الاهتمام بالتَّرجمة..... ١٤٨
٨- إتقان المهارات المختلفة..... ١٥٠
٩- الاهتمام بنَشْر الكتب والمخطوطات..... ١٥١
١٠- إنشاء مواقع على (الإنترنت) وحسابات في شبكات التَّواصُل الاجتماعي..... ١٥٢
الفصل الثالث: الأعمال التي تُقوّي الجسد وتُعين على كسب قلوب الناس..... ١٥٧
١- حُسْن المعاملة للناس..... ١٥٧
٢- الاهتمام بالصِّحَّة والنظافة..... ١٥٨
٣- الاعتناء بنظافة الأسنان..... ١٦٠
٤- إجراء الفحص الدوري الشامل..... ١٦١
٥- الرياضة والمحافظة على رشاقة الجسم..... ١٦١
برنامج تطبيقي رقم (١): (برنامج يوم كامل)..... ١٦٦
برنامج تطبيقي رقم (٢): (تمارين رياضية مقترحة)..... ١٦٧

الباب الرابع: الأعمال التطوُّعية التي تستهدف الأسرة..... ١٧٧

تمهيد..... ١٧٩
١- مُقترحات لتوزيع المَهام الأُسَرية بين أفرادها..... ١٨٠
٢- الاجتماع الشهري للأسرة..... ١٨١
الفصل الأول: أعمال لخدمة الأسرة..... ١٨٥
١- الاعتناء بشؤون البيت..... ١٨٥
٢- إدارة ميزانية الأسرة والخطة السنوية..... ١٨٧
٣- صندوق الاقتراحات..... ١٨٧
٤- صندوق التبرُّعات..... ١٨٨
الفصل الثاني: أعمال للارتقاء بالأسرة..... ١٩١
١- الارتقاء بالمستوى الإيماني للأسرة..... ١٩١
٢- الارتقاء بالمستوى الثقافي والعلمي..... ١٩٢
٣- الارتقاء بالمستوى المالي..... ١٩٥
٤- الارتقاء بالمستوى الاجتماعي..... ١٩٥
٥- توثيق ما يحدث في الأسرة بالصوت والصورة..... ١٩٦
٦- الاستفادة من (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل الاجتماعي في خدمة الأسرة..... ١٩٧
٧- القيام برحلات عائلية..... ١٩٧
برنامج تطبيقي رقم (٣): (إعداد مُستَلزمات رحلة خلوية)..... ٢٠٣
الفصل الثالث: أعمال لتقوية صلة الأسرة بالأقارب والأرحام والأصدقاء..... ٢١١
١- برنامج لتبادل الزيارات مع الأقارب والجيران..... ٢١١
٢- إقامة الدروس العلمية والثقافية للأسرة الكبيرة..... ٢١٢
٣- إنشاء صناديق ومشاريع مشتركة لخدمة الأسرة الكبيرة..... ٢١٣
٤- تقوية الصِّلات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الكبيرة..... ٢١٣
٥- عقد اجتماعٍ دوريٍّ لمناقشة قضايا الأسرة الكبيرة..... ٢١٤
٦- إنشاء مواقع وحسابات على شبكات التَّواصُل خاصة بالأُسرة الكبيرة..... ٢١٤
برنامج تطبيقي رقم (٤): (مجلس إدارة الأسرة)..... ٢١٧

الباب الخامس: الأعمال التطوُّعية التي تستهدف المحيط الذي يعيش فيه الفرد ٢٢٣

تمهيد ٢٢٥
الفصل الأول: الاهتمام بالأُسَر الفقيرة ٢٢٩
١- إعداد إحصائيات بالأُسَر الفقيرة وبرامج لخدمتها ٢٣٢
٢- توفير حافلة لتلبية احتياجات الأُسَر الفقيرة ٢٣٣
٣- إيجاد مصادر دخل للأُسَر الفقيرة ٢٣٦
٤- توعية الأُسَر الفقيرة ٢٣٨
برنامج تطبيقي رقم (٥): (استبانة لدراسة أحوال الأُسَر الفقيرة) ٢٤١
الفصل الثاني: رعاية شؤون الأطفال ٢٤٧
١- رعاية اليتامى وكفالتهم ٢٤٨
٢- الاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة ٢٤٩
٣- مساعدة الأُمَّهات اللاتي يعمَلْنَ أو يَدْرُسْنَ أو لَدَيْهِنَّ أطفال كثيرون ٢٥١
٤- إقامة رياض للأطفال ٢٥٢
الفصل الثالث: زيادة الترابط بين أفراد الحيِّ أو القرية ٢٥٥
١- برنامج لتبادل الزيارات ٢٥٦
٢- التجمُّع في مكان عام والمشاركة بالقهوة أو بطبق طعام ٢٥٦
٣- إقامة وجبة غداء أو عشاء مشتركة ٢٥٧
٤- يوم ثقافي مفتوح ٢٥٨
٥- إقامة رحلات جماعية ٢٥٨
٦- برنامج لتبادل الهدايا في الأعياد والمناسبات ٢٥٩
٧- ماراثون لأهل الحيِّ أو القرية ٢٦٠
٨- سباق للدراجات الهوائية ٢٦٠
٩- صندوق للتكافل بين أهل الحيِّ أو القرية ٢٦١
١٠- إقامة مشاريع لخدمة الحيِّ أو القرية ٢٦٢
الفصل الرابع: رفع المستوى الثقافي والعلمي والفكري للمجتمع ٢٦٥
١- الاهتمام بتعليم كبار السِّن ٢٦٦

٢-رفع مستوى الثقافة حول التقنيات الحديثة والفنون والمهارات المختلفة..... ٢٦٧
٣- توزيع الكُتيِّبات والمطويات..... ٢٦٨
٤- إنتاج برامج تثقيفية..... ٢٦٨
٥- رفع مستوى الإنتاجية بين الناس..... ٢٧٠
٦- اكتشاف المواهب والاستفادة منها..... ٢٧١
الفصل الخامس: إقامة مُؤسَّسات خيرية لرعاية شؤون المجتمع..... ٢٧٥
١- المكتبات العامة..... ٢٧٥
٢- النوادي العلمية والثقافية..... ٢٧٧
أ- نوادي الحاسوب والتقنيات الأخرى..... ٢٧٧
ب- النوادي العلمية..... ٢٧٨
ج- النوادي الثقافية..... ٢٧٩
٣- مراكز وشبكات المعلومات..... ٢٧٩
٤- مُؤسَّسات لرعاية المُسِنّين..... ٢٨١
٥- مُؤسَّسات لرعاية المُعوَّقين وذوي الاحتياجات الخاصة..... ٢٨٢
٦- مُؤسَّسات لمساعدة المُدْمِنين وأُسَرِهم..... ٢٨٣
٧- مُؤسَّسات لمساعدة العاطلين عن العمل..... ٢٨٤
٨- الصناديق والجمعيات المالية..... ٢٨٧
٩- لجان ومُؤسَّسات لرعاية الأوقاف والأملاك التابعة لبيت المال..... ٢٨٨
أ- أهمية الوقف..... ٢٨٩
ب- مجالات الوقف..... ٢٩٠
ج- الوقف المُبْتَكَر..... ٢٩١
د- دورنا تجاه الوقف..... ٢٩٤
١٠- لجان ومُؤسَّسات لرعاية المَعالِم الأثرية والتاريخية..... ٢٩٦
١١- مُؤسَّسات للارتقاء بالمستوى التجاري المُؤسَّسي في المجتمع..... ٢٩٧
١٢- مُؤسَّسات للاعتناء بالوافدين..... ٢٩٩
الفصل السادس: المشاركة في مُؤسَّسات المجتمع المختلفة..... ٣٠٣
١- المشاركة في إنماء العملية التدريسية..... ٣٠٣
٢- المشاركة في نشر الوَعْي الصِّحِّي..... ٣٠٦

٣- المشاركة في جمعيات المرأة والطفل ٣٠٩
٤- المشاركة في النوادي المختلفة ٣١٢
الفصل السابع: رعاية شؤون المساجد ٣١٥
١- الدروس والمحاضرات ٣١٧
٢- الأنشطة والفَعاليات ٣١٨
٣- لوحة المسجد ٣٢٠
٤- تبادل الزيارات ٣٢٠
٥- نظافة المسجد ٣٢١
٦- صيانة المسجد ٣٢٢
٧- خدمات رائدة ومُبْتَكَرة ٣٢٣
الفصل الثامن: إقامة المعارض ٣٢٧
١- معارض للصور القديمة ٣٢٧
٢- معارض لبيع منتجات البيئة ٣٢٨
٣- معارض لبيع المواد والأجهزة القديمة والمُسْتَعمَلة ٣٢٩
٤- معارض لبيع الكتب والحواسيب والهواتف ومُستَلزمات المدارس ٣٢٩
٥- معارض لإبداعات الشباب والفتيات ٣٣٠
٦- معارض للفرص الوظيفية ٣٣١
٧- معارض لتمويل المشاريع الخيرية ٣٣٢
الفصل التاسع: إقامة المُعَسْكَرات ٣٣٥
١- مُعَسْكَرات للنظافة ٣٣٦
أ- مُعَسْكَرات لتنظيف الطرق وإصلاحها ٣٣٦
ب- مُعَسْكَر لتجهيز مُصلَّى العيد ٣٣٦
ج- مُعَسْكَر لتنظيف المجلس العام للبلدة ٣٣٧
د- مُعَسْكَر لتجهيز التَنُّور ٣٣٧
هـ- مُعَسْكَر لتنظيف الأفلاج والأماكن السياحية ٣٣٧
٢- مُعَسْكَرات لمساعدة المزارعين على أعمال الفلاحة ٢٣٨
٣- مُعَسْكَرات لترميم المساجد ومدارس القرآن الكريم والمواقع الأثرية ٣٣٩
٤- مُعَسْكَرات لإصلاح بيوت الفقراء والمَعُوزين ٣٣٩

الفصل العاشر: المراكز الصيفية..... ٣٤٣
الفصل الحادي عشر: إقامة الفَعاليات الثقافية والاجتماعية في المجتمع..... ٣٤٥
١- إحياء المناسبات الدينية..... ٣٤٦
٢- إقامة المسابقات الثقافية والأمسيات الشعرية والمهرجانات الإنشادية..... ٣٤٧
٣- تنظيم الأعراس الجماعية..... ٣٤٨

الباب السادس: الأعمال التطوُّعية التي تُغطِّي القُطْر الذي نعيش فيه.... ٣٥٥

تمهيد..... ٣٥٧
الفصل الأول: نشر تاريخ وتراث الأئمة والعلماء والمشاهير..... ٣٥٩
١- نشر التراث العلمي والأدبي لأعلام القُطْر..... ٣٥٩
٢- نشر تاريخ القُطْر..... ٣٦٠
٣- التعريف بالمَعالِم الأثرية..... ٣٦١
الفصل الثاني: الاهتمام بأحوال الحُجَّاج والمُعْتَمِرين..... ٣٦٥
١- إعداد الكُتيِّبات والنشرات..... ٣٦٥
٢- تسيير حملات خاصة بالمُسنِّين وذوي الاحتياجات الخاصة..... ٣٦٦
الفصل الثالث: الاهتمام بما يجري داخل القُطْر..... ٣٦٩
١- تحليل المراسيم والقرارات..... ٣٧٠
٢- التعرُّف إلى هُويَّة المُؤسَّسات الموجودة داخل القُطْر..... ٣٧٢
٣- التعرُّف إلى المُؤسَّسات الخيرية والثقافية والعلمية..... ٣٧٤
٤- التعرُّف إلى الفَعاليات الثقافية والعلمية والترفيهية..... ٣٧٥
٥- التعرُّف إلى ما يُعقَد من دورات تدريبية..... ٣٧٦
٦- التعرُّف إلى السُّلوكات غير المرغوب فيها ومحاولة تخليص المجتمع منها..... ٣٧٧
٧- رَصْد تحرُّكات الوافدين وأنشطتهم..... ٣٨٠
٨- دراسة المطاعم والمقاهي والمحالِّ التجارية..... ٣٨٣
الفصل الرابع: دراسة الظواهر المُنْتَشِرة في مجتمعاتنا..... ٣٨٩
١- دراسة حوادث السَّيْر..... ٣٨٩
٢- دراسة الظواهر الطبيعية..... ٣٩٠

٣- دراسة الآفات الزراعية ٣٩١
٤- دراسة التجارة المُستَتِرة ٣٩١

الباب السابع: الأعمال التطوُّعية التي يمكن تأديتها على مستوى العالم... ٣٩٧

الفصل الأول: الارتقاء بمستوى الأعمال والأنشطة التطوُّعية القُطْرية لتستهدف العالم بأَسْره..... ٣٩٩
الفصل الثاني: التفاعُل مع الأحداث العالمية..... ٤٠٥
الفصل الثالث: رَصْد ما يُنشَر في وسائل الإعلام وتحليله..... ٤١١
الفصل الرابع: دَعْمُ لجان الإغاثة والمُؤسَّسات الخيرية..... ٤١٥
الفصل الخامس: الدعوة إلى الله..... ٤١٩
١- وجوب الدعوة إلى الله وفضلها..... ٤١٩
٢- دعوة المسلمين..... ٤٢٠
٣- دعوة غير المسلمين..... ٤٢١
الفصل السادس: الاهتمام بقضايا المسلمين المُعاصِرة..... ٤٢٧

الباب الثامن: أدوات للمُتطوِّعين..... ٤٣٣

الفصل الأول: تمويل المشاريع والفَعاليات التطوُّعية..... ٤٣٥
١- الاستفادة من صناديق التبرُّعات داخل الأُسَر..... ٤٣٦
٢- الاستفادة من الأوقاف وأملاك بيت المال..... ٤٣٧
٣- فرض رسوم على الفَعاليات المختلفة..... ٤٣٧
٤- إقامة معارض لتمويل المشاريع الخيرية..... ٤٣٨
٥- إنتاج مواد مطبوعة أو سمعيَّة أو مَرئيَّة..... ٤٣٨
٦- إقامة دورات وورش عمل مدفوعة الثمن..... ٤٣٩
٧- فرض رسوم عُضْوية للنوادي المختلفة..... ٤٣٩
٨- فرض رسوم على رياض الأطفال..... ٤٤٠
٩- إخراج ألبومات أو حقائب تعالج قضايا مُعيَّنة..... ٤٤٠

١٠- تشجيع الناس على المشاركة في مشروع الصدقة الجارية ٤٤٠
١١- استمتع وادَّخِر ٤٤١
١٢- طرق تمويلية إبداعية ٤٤٢
الفصل الثاني: مَوارِدُ مَعْرِفِيَّة للمُتطوِّعين ٤٤٥
١- إسهاماتي الشخصية ٤٤٥
أ- محاضرات في العمل التطوُّعي ٤٤٦
ب- محاضرات أخرى ٤٤٦
ج- كتب ومقالات ٤٤٧
٢- كتب في العمل الخيري والتطوُّع ٤٤٨
أ- كتب باللغة العربية ٤٤٨
ب- كتب باللغة الإنجليزية ٤٥٤
٣- مواقع تهتمُّ بالعمل الخيري والتطوُّع ٤٥٤
أ- مواقع عربية ٤٥٤
ب- مواقع باللغة الإنجليزية ٤٥٥
٤- محاضرات في العمل الخيري والتطوُّع ٤٥٦
المراجع ٤٥٩
١- كتب ٤٥٩
٢- بحوث ودراسات ٤٦٥
٣- مقالات ٤٦٧

مُقدِّمة الطبعة الثانية

إنَّ الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهدِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلل الله فلا هادي له، وأُصلِّي وأُسلِّم على خير خلقه ومصطفاه المُجتبى محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

أما بعد..

فبعد مرور ما يزيد على تسعة أعوام منذ إصدار الطبعة الأولى من الكتاب في عام ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، رأيتُ الوقت قد حان لإصدار الطبعة الثانية لكثرة ما استجدَّ في مجال العمل الخيري/التطوُّعي، وقد جاءت هذه الطبعة مُعزَّزة بالعديد من الإضافات والتصحيحات، وأُعيدَت صياغة معظم الأبواب والفصول، وأُضيفت فصول جديدة، وحُذفت بعض الفصول التي تجدَّدت المعلومات فيها إلى وِجْهات شتَّى، هذا مع تحديث بيانات معظم محتويات الكتاب وتصحيحها، واستبدال العديد من المراجع الحديثة بالقديمة، واستحداثِ كثيرٍ غيرها، ومراجعة الكتاب وتصحيحه موضوعيًّا ولُغويًّا، إضافةً إلى إخراجه -بفضل الله- في ثوبٍ قَشيبٍ وتصميمٍ رائع جذَّاب.

وفي هذه الطبعة حُذِف فصلان من الطبعة الأولى، وذلك لإخراجهما في كتابَيْن مُستقِلَّيْن؛ إذ أُخرِجَ -بحمد الله- في عام ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م فصل «**المراكز الصيفية**» الذي كان في المبحث الرابع في كتاب بعنوان «**المراكز الصيفية وسُبُل الارتقاء بها**»، ثم أُخرِجَ في عام ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م فصل «**برنامج يوم متكامل**» الذي كان في المبحث الثاني في كتاب بعنوان "**كيف تقضي أوقاتك في ظلال الإيمان؟**"، والكتابان مطبوعان ورقيًّا ومُتوفِّران بصيغة إلكترونية على موقعي (**www.alhatali.com**).





وقبل أن أختم حديثي هنا، أتقدَّم بعظيم الشكر والعرفان لمَن كان لهم الفضل بعد الله -سبحانه وتعالى- في إخراج هذه الطبعة بالصورة التي بين أيديكم، وأخصُّ منهم الأساتذة في مُؤسَّسة التَّواصُل بغرداية بالجزائر، والأستاذ المُحنَّك مُهنَّد ماهر جندية من غزَّة العزَّة الذي تفضَّل بالتدقيق اللغوي للكتاب، سائلًا المولى -جلَّ في علاه- أن يُكرمهم بخَيْرَي الدنيا والآخرة، وأن يرفع قَدْرَهم إلى أسمى المراتب في الدنيا وأعلى الدرجات في الجنة، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صالح بن مطر بن محمد الهطالي

الاثنين ٢٨ من رمضان لعام ١٤٤٥هـ/٨ من إبريل لعام ٢٠٢٤م

مُقدِّمة الطبعة الأولى

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يُحِبُّ ربنا ويرضاه، الحمد لله على نعمائه، الحمد لله على إحسانه، الحمد لله على الإسلام، الحمد لله على الإيمان، الحمد لله على نعمة الأهل والمال والمعافاة.

أما بعد..

فقد أجلتُ النظر في واقع الأُمَّة فرأيتُ عجبًا؛ رأيتُ صورتين تَخْجَلُ كلٌّ منهما من الأخرى، وتزدري إحداهما الثانية، ولم تُفارق هاتان الصورتان مُخَيِّلتي، ولم تُكذِّبني تحليلاتي ولو مرة واحدة؛ فقد زرتُ بلدانًا إسلامية كثيرة، ووجدتُ الصورتين تتكرَّران في عاصمة الدولة أو ريفها، بين شبابها وشيبها، بين علمائها وعامتها، بين حاكميها ومحكوميها، وعندما كنتُ أقارن هاتَيْن الصورتين بالواقع الذي تعيشه بلدان الشرق والغرب غير الإسلامية تزداد الصورتان بريقًا، وتتجلَّى تفاصيلهما إلى أبعد الحدود.

١- صورتان لواقع الأُمَّة

الصورة الأولى: ترسُمها مساحات شاسعة من الأراضي يقطُنها ما يزيد على خُمس سكان الأرض، وخيراتٌ وكنوزٌ تُغطِّي ظاهرَها وباطنَها، ومُقوِّمات وروابط تتشابك لتنسُج أواصر وعلاقات قلَّ أن تجتمع لأمة غيرها.

فمن الناحية الجغرافية، تمتدُّ الدول الإسلامية على رُقعة من الأرض تزيد مساحتها على خُمس مساحة اليابسة، وتجري فيها أهم الأنهار وأطولها، مثل: النيل -وهو أطول أنهار العالم- والنيجر والسِّند وزمبيري ودجلة والفرات وآمو والسنغال، ويُطِلُّ العالم الإسلامي على أهم البحار والمحيطات والمَضايق البَحريَّة، كمضيق هرمز وباب المندب وجبل طارق، وتقع فيه أكبر بحيرات العالم، مثل: بحيرة قزوين وفكتوريا وآرال وتشاد، ويضمُّ بعض أكبر جزر العالم، مثل: جزيرة بورنيو بماليزيا وجزيرة سومطرة بإندونيسيا.

ومن الناحية السُّكانية، يبلغ عدد المسلمين في العالم ما يقارب ملياريْ نسمة، قرابة ثُلُثَيْهِم مُوزَّعون بين الدول الإسلامية السبع والخمسين الأعضاء في مُنظَّمة التعاون الإسلامي، والثلث الباقي (الأقليات) يقيمون في دول غير إسلامية، أو دول يمكن عَدُّها إسلامية ولكنها لم تنضمَّ بعد إلى مُنظَّمة التعاون الإسلامي مثل البوسنة والهرسك، أو دول لا تُعِدُّ نفسها إسلامية رغم أن المسلمين يُشكِّلون فيها أغلبية مثل إريتريا وإثيوبيا[١].

وبتوزيع السُّكان حسب المراحل العُمْرية، نجد أن أكثر من نصف سكان العالم الإسلامي يتركَّزون في الفئة العُمْرية ١٥ – ٦٤ سنة بنسبة ٥٧,٢٪، تليها الفئة العُمْرية دون الرابعة عشرة بنسبة ٣٩٪؛ ما يعني أن مجتمعات العالم الإسلامي شابَّة، تقع أعمار أغلب سكانها بين ١٥ و ٤٠ عامًا[٢].

ومن ناحية الموارد الطبيعية، يتمتَّع العالم الإسلامي بأراضٍ صالحة للزراعة تُقدَّر بنحو ٢,٧٥٪ من مساحته الإجمالية البالغة ٣,٩٣٥ ملايين هكتار، وهي تُمثِّل نصف مساحة العالم القابلة للزراعة[٣]، والكثير من دول العالم الإسلامي غَنِيَّة بالموارد الطبيعية بشتَّى أنواعها؛ فالنفط يتوفَّر في ٣٥ دولة إسلامية ويُشكِّل إنتاجه ٤٧٪ من الإنتاج العالمي، أما الغاز الطبيعي فيُوجَد في ٢٥ دولة إسلامية ويُشكِّل إنتاجه ٨٪ من الإنتاج العالمي، كما أن العالم الإسلامي غنيٌّ بالعديد من الموارد الأخرى، كالمعادن والمياه والأراضي الخصبة، وتنتج دُوَله ٤٧٪ من الإنتاج العالمي من القصدير[٤].

(١) أسماء ملكاوي، (٢٠٠٤م)، حالة العالم الإسلامي: أرقام ومؤشرات، مقال في موقع (الجزيرة).
(٢) المرجع السابق.
(٣) حسن محمد الرفاعي، (٢٠٠٥م)، مدى إمكانية إلغاء مشكلة الفقر في العالم الإسلامي، مجلة (الوَعْي الإسلامي)، الكويت، عدد ٥٢٣، ص٢٧.
(٤) أسماء ملكاوي، (٢٠٠٤م)، حالة العالم الإسلامي: أرقام ومؤشرات، مقال في موقع (الجزيرة).

ومن الناحية الاقتصادية، فصندوق النقد العربي قدَّر منذ سنوات رؤوسَ الأموال العربية المهاجرة خارج الوطن العربي بنحو ٢,٤ تريليون دولار، وأن العالم العربي يحتاج إلى ربع هذه الأموال فقط للخروج من كل الأزمات الاقتصادية التي يُعانيها، وتُشير الإحصائيات المُتأخِّرة[١] إلى أن قيمة الاستثمارات العربية في الخارج تُقدَّر بنحو ١٤ تريليون دولار.

أما الصورة الثانية فتتجسَّد في نفوس مريضة، ونَفْسِيَّات مُنْهَزِمة، وسواعد كليلة، وطموحات هزيلة، وإنتاجات متواضعة، وكوادر حائرة، وقُطعان بشرية تائهة، فقد «**انصرف المسلمون عمليًّا عن المُهِمَّة الأولى للدعوة الإسلامية في الأرض، انصرفوا عن دعوة الناس إلى الإيمان والتوحيد وإلى حقائق الإسلام في القرآن والسنة بنقائها وصفائها، وبأمانة وصدق، فمنهم من انصرف عن أمر الإسلام كله، ومنهم مَن انصرف عن أمر الدعوة، ومنهم مَن شغلته دعوة الناس إلى تكتُّله وحزبه، أو إلى فكره ومذهبه، أو إلى زعيمه، ومنهم مَن شغلته الفتن والخلافات، ومنهم -بعد أن تخلَّى عن مُهِمَّة الدعوة الحقيقية- أخذ يتأثَّر بالغرب، ثُمَّ أخذت أفكار الغرب تتسلَّل إليه شيئًا فشيئًا**»[٢].

فإذا نظرنا إلى الحالة الاجتماعية، وجدنا أن «**كثيرًا من المجتمعات الإسلامية تئِنُّ تحت مطارق الفقر والجهل والمرض والبَطالَة والاستبداد، كما أن شروط العيش الكريم فيها تزداد صعوبة يومًا بعد يوم، وكثير من الشباب الذين قذفت بهم الثانويات والجامعات إلى مُعْتَرَك الحياة يشعرون بالإحباط و انسداد الآفاق، وهذا كله لا يُشكِّل الوسط الصالح للاستقامة الخُلُقية ولا لوضوح المُثُل العُليا في أذهان الناس**»[٣].

ففي مجال التعليم، بلغت الأمية ٢٩٪ من حجم السُّكان بالنسبة إلى الذكور و٤٨٪ للإناث، مع انخفاض الإنفاق على التعليم، إذ لا يساوي أكثر من ٤٪ من الناتج المَحَلِّي[٤]، وأما عدد براءات الاختراع المُسجَّلة في الولايات المتحدة خلال الأعوام ما بين ١٩٨٠م و٢٠٠٠م فكانت كما يأتي: ١٧١ من المملكة العربية السعودية، و٧٧ من مصر، و٥٢ من الكويت، و٣٢ من الإمارات العربية المتحدة، و٢٠ من سورية، و١٥ من الأردن.

(١) وكالة الأنباء الأردنية، (٢٠٠٨م)، الطباع يدعو العرب لطرح أدوات مالية جديدة، مقال في موقع (معلومات مباشر).
(٢) عدنان علي رضا النحوي، (١٤٢٥هـ)، زُخْرُف الحضارة الغربيّة، مقال في موقع (المسلم).
(٣) عبد الكريم بكار، عصرنا والعيش في الزمان الصعب، ص٣٥.
(٤) بشر محمد موفق، (٢٠٠٩م)، جامعة الأزهر تُنظِّم مؤتمر التنمية المستدامة في العالم الإسلامي، مقال في (الموقع العالمي للاقتصاد الإسلامي).

وبالمقابل نجد أنه في الفترة نفسها سجَّلت كوريا الجنوبية ١٦,٣٢٨ براءة اختراع، والعدو الصهيوني ٧,٦٥٢[١]، وعندما نشرت الصين في عام ٢٠٠٣م قائمة لأفضل ٥٠٠ جامعة في العالم، لم تتضمَّن تلك القائمة ولو جامعة عربية واحدة من بين ما يزيد على ٢٠٠ جامعة آنذاك في الدول العربية[٢].

وأما البَطالَة والفقر، فيشير التقرير الاقتصادي العربي المُوحَّد لعام ٢٠٠٨م[٣] إلى أن نسبة البَطالَة في العالم العربي لعام ٢٠٠٦م قد بلغت ١٤٪، أي ما يُعادِل ٤٥,٥ مليون شخص من جملة السُّكان البالغ عددهم ٣٢٦,١ مليون نسمة، والنسبة قد تكون أعلى إذا أخذنا في الحسبان تعداد المسلمين في العالم، ويشير التقرير نفسه كذلك إلى أن الذين يعيشون دون خط الفقر قد تجاوز في بعض البلدان ٤٠٪ من عدد السُّكان.

وأما إنتاجية المسلم، فحدِّث ولا حرج، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ فالتقارير تُشير إلى أن إنتاجية العامل العربي في اليوم هو ٢٦ دقيقة فقط، في حين أن إنتاجية كل عامل في الاتِّحاد الأوروبي -مثلًا- تُوازي إنتاجية عشرين عاملًا سوريًّا[٤]، وأما في مصر فإن إنتاجية العامل المصري لا تتجاوز ١٧ دقيقة يوميًّا، والحكومة المصرية تدفع سنويًّا ٤٠ مليار دولار لعاملين لا يقضون في عملهم أكثر من ٣٦ يومًا في العام[٥].

وإذا قارنَّا حالنا هذا بحال غيرنا نجد -مثلًا- أن الطلاب اليابانيين المُبْتَعَثين للدراسة في أمريكا يلبثون في مكتبة الجامعة إلى نصف الليل، وربما ينامون وهم جلوس على كراسيِّهم، ثم يواصلون الدراسة في اليوم التالي من غير ذهاب إلى بيوتهم، وبعضهم قد يعمل ما لا يقلُّ عن ستَّ عشْرةَ ساعة يوميًّا[٦].

وإذا نظرنا إلى الناحية الاقتصادية، وجدنا أن الاقتصاد الإسلامي يُعاني ضآلة الناتج المَحَلِّي الإجمالي، إذ يبلغ ٣٤٩٢ مليار دولار، وهو ما يُعادِل نحو ٦٪ فقط من الناتج المَحَلِّي العالمي[٧]، وأما الديون الخارجية للدول العربية فقط فقد تجاوزت ١٥٠ مليار دولار

(١) برنارد لويس، (٢٠٠٩م)، العالم العربي في القرن الحادي والعشرين: هل أصبح حُرًّا أخيرًا؟، مقال في مجلة (العصر) الإلكترونية.
(٢) المرجع السابق.
(٣) صندوق النَّقْد العربي، (٢٠٠٩م)، التقرير الاقتصادي العربي المُوَحَّد ٢٠٠٨م.
(٤) عبد الرحمن تيشوري، (٢٠٠٦م)، لماذا لا ندرس البَطالَة المُقنَّعة في القطاع العام؟، مقال في موقع (الحوار المُتمدِّن).
(٥) صحيفة المدى المصرية، (٢٠١٤م)، خبراء: مُعدَّل إنتاج المُوظَّف ١٧ دقيقة في اليوم من أصل ٨ ساعات.
(٦) محمد أحمد الراشد، صناعة الحياة، ص١١١.
(٧) بشر محمد موفق، (٢٠٠٩م)، جامعة الأزهر تُنظِّم مؤتمر التنمية المستدامة في العالم الإسلامي، مقال في (الموقع العالمي للاقتصاد الإسلامي).

في عام ٢٠٠٧م[١]، وأما خدمة الديون (**أي الربا المُحرَّم أو ما يُسمى بالفوائد البنكية**) فقد دفعت الدول النامية (طبعًا، غالبيتها إسلامية) ما يزيد على ١٣٤٥ مليار دولار للدول الدائنة بين عامَيْ ١٩٨٢م و١٩٩٠م فقط[٢].

وخلال الفترة من العام ٢٠٠٢م إلى العام ٢٠٠٦م أنتجَت لجنة من المُفكِّرين العرب الذين يعملون تحت إشراف الأمم المتحدة سلسلة من التقارير حول التنمية البشرية في العالم العربي، وبصراحة مُذْهِلة راجع هؤلاء الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي، وقارنوها بتلك التي تسود في المناطق الأخرى.

ما كشفته تلك التقارير ينِمُّ عن نَمَطٍ مُرْعِب من الجهل والتخلُّف السائدَيْن في المنطقة؛ فهبطت حصة الفرد من الناتج القومي الإجمالي في جميع بقاع العالم العربي، ولم يتجاوز الناتج القومي لكل الدول العربية في عام ١٩٩٩م أكثر من ٥٣١,٢ مليار دولار، وهو أقل من نظيره لدى إسبانيا وحدها، وفي الوقت نفسه لم تتجاوز صادرات العالم العربي من غير البترول صادرات فنلندا التي يقطنها خمسة ملايين نسمة فقط، ورغم أنه في عقد التسعينيات نَمَتْ صادرات المنطقة (تُشكِّل المنتجات النفطية منها ما نسبته ٧٠٪) بمُعدَّل يساوي ١,٥٪، ولكنه ما زال أقلَّ بكثير عن مُعدَّل النُّمُو العالمي الذي بلغ ٦٪ لتلك الفترة[٣].

وأما الوضع السياسي للأُمَّة فليس بأحسن من وضعها الاجتماعي والاقتصادي؛ فحقوق الإنسان المسلم أصبحت مُهدَرة، والحريات مُقيَّدة، وتُهَم «**التطرُّف**» و «**الإرهاب**» صارت العملة الرائجة في سوق النخاسة السياسية، ولو اقتصر الحال على كيد الأعداء «**التقليديين**» للأُمَّة لقلنا هذا شأنٌ دَرَجنا عليه منذ عهد نبينا -صلى الله عليه وسلم-، ولكن الأمر يتفاقم عندما يُصبِح اضطهاد المسلم وتكبيله يتولَّى كِبْرَه مَن ينتسبون إلى هذه الأُمَّة أو يتصدَّرون في قيادتها.

(١) صندوق النَّقْد العربي، (٢٠٠٩م)، التقرير الاقتصادي العربي المُوَحَّد ٢٠٠٨م.
(٢) أحمد أبو زيد، (٢٠٠٨م)، الأموال العربية المهاجرة.. عندما تُخاصِم أوطانَها، مقال في موقع (الألوكة).
(٣) برنارد لويس، (٢٠٠٩م)، العالم العربي في القرن الحادي والعشرين: هل أصبح حُرًّا أخيرًا؟، مقال في مجلة (العصر) الإلكترونية.

وبعد أن انفردت أمريكا بالقوة والهيمنة على العالم بعد سقوط الاتِّحاد السوفييتي، رأتْ أنه لم يبقَ أمامها من خطر مناسب -على الأقل من الناحية السياسية- إلا الإسلام، ولذا عمِلتْ جاهدة على تدمير كِيان الأُمَّة من جميع النواحي:

- **العسكرية**، سواءٌ أكان بشَنِّ حروب تقليدية على العديد من الدول كالبوسنة والهرسك وأفغانستان والعراق وفلسطين، وما نتج عن ذلك من تدمير شبه كامل للبنى التحتية لتلك الدول، وإبادة مئات الآلاف من الأرواح، وتلويث صور الحياة المختلفة بالإشعاعات النووية والمُخلَّفات السَّامَّة؛ أم كان بضرب المُنشآت المُهِمَّة لبعض الدول كضرب مصنع الأدوية في السودان والمفاعل النووي في العراق؛ أم كان بخلق الصراعات بين الدول المجاورة كما هو الحال بين مصر والسودان حول منطقة حلايب، ودولة الإمارات العربية المتحدة وقطر حول جزر أبي موسى، وبين المغرب وأهل الصحراء الغربية.

- **والسياسية**، بنزع الحُرِّيات وتعطيل الأنظمة والأعراف الدولية التي تكفُل للإنسان ولو بعض حقوقه، وقد أرادت أمريكا أن تستبدل بكل ذلك أنماطًا جديدة نابعة من «**ديمقراطية**» عرجاء وحُرِّية مُزيَّفة، ولكننا عندما نرجع إلى تاريخ الديمقراطية الأمريكية في مختلف أنحاء العالم، ابتداءً من أمريكا اللاتينية ومختلف أقطارها، إلى إفريقيا وآسيا، لا نجد إلا الفواجع والمآسي والتدمير وقتل الإبادة، حتى «**انتزعت هذه الديمقراطية كلَّ بسمةٍ على وجه طفل، أو فرحةٍ في قلب أُمٍّ، أو كرامةٍ في حياة إنسان، وغرست مكانها الدموع والأنين والدماء والأشلاء والإذلال**»[1].

- **والتعليمية**، بما تُطلِق عليه أمريكا «**إصلاح التعليم**»، وهو في حقيقته تغريب المناهج، وتجفيف المنابع، وطَمْس الهُوِيَّة الدينية في نفوس الناشئة، وإن الغرب كله، وأمريكا خصوصًا، يدركون أنْ لا عِزَّة للمسلمين إلا بالتمسُّك بتعاليم دينهم، وجعله مِنهاج حياة لهم في شؤونهم الخاصة والعامة، ولذا رأوْا أن لا سبيل لتركيع المسلم، وجعله تَبَعًا لهم فكرًا وسلوكًا، إلا بتنشئته منذ نعومة أظفاره على ثقافة الولاء للغرب والانبهار بحضارته الزائفة، وفي الوقت نفسه إقصائه عن المنابع التي يستمدُّ منها عزَّته وثقافته،

(١) عدنان علي رضا النحوي، (١٤٢٥هـ)، مشروع الشرق الأوسط الكبير، مقال في موقع (المسلم).

وهي كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، ولذا فليس واقع منطقتنا وحده الذي يحتاج إلى إصلاح، وإنما واقع البشرية كلها بحاجة إلى إعادة صياغة، لإخراجه من ظلمات الفتن والفساد والصَّدِّ عن سبيل الله التي يغرق فيها، وإعادته إلى جادَّة الصواب والرُّشْد، وخاصة ما يتعلَّق بالهيمنة الأمريكية على عقول الناس ومعتقداتهم وثقافاتهم.

- **والاجتماعية**، بنشر الرذائل والموبقات التي غرق الغرب في أوحالها، وصارت دول الديمقراطية والحُرِّيَّة تتجرَّع مآسي ديمقراطيتها وحريتها، ولذا فقد هالَ أمريكا أن يعيش المسلمون في منأًى عن تجرُّع ويلات الحُرِّيَّة الزائفة، فأَبَتْ إلا أن تنشر سُموم «حضارتها» في بلاد المسلمين، من قبيل الأمراض الفتَّاكة والشذوذ الجنسي والانهيار الأُسَري.

- **والاقتصادية**، بإغراق الأُمَّة في الديون، وفرض شتَّى أنواع الحصار الاقتصادي على بعض دولها، مثل العراق وإيران وأفغانستان، وتحجيم دور الصناعة والإنتاج المَحَلِّي، وفرض سياسة الاستيراد والاعتماد على الغير.

- **والإعلامية**، بدعم القنوات الفضائية الإباحية، أو تلك التي تبثُّ ثقافة الشعوذة من ناحية والتغريب من ناحية أخرى، ونشر المواقع الإباحية والمَجلَّات الهابطة، وبثِّ فكر الولاء والسيادة لأمريكا وعملائها، ومَلء أوقات الشباب والفتيات بالمسلسلات الهابطة والرياضات التافهة.

وأما الجانب العقدي والفكري، فحالُ الأُمَّة فيه لا يخفى على أحد؛ فمع كثرة التيارات الفكرية والمذاهب العَقَدية التي خرجت في محيط هذه الأُمَّة، وصارت تَنْسُب نفسها إلى هذه الأُمَّة زورًا وبهتانًا، أصبح مُثَقَّفو اليوم يتسابقون لجلب صيحات الغرب، مِن عَلْمنةٍ وقومية وإلحاد وشيوعية واشتراكية ورأسمالية وديمقراطية وحداثة، وما شئتَ أن تُسمِّي من التيارات، وجميعُها تدَّعي أنها تريد أن تعيد للأُمَّة عِزَّتها ومَجدها بشتَّى الطرق.

- **فالعَلْمانيون**، رأوْا أنَّ سبب تقدُّم الغرب نبذُه دِينَه، وتطويقه الدين في حيِّز الكنيسة، وجعله شأنًا فرديًّا لا دخل له بالحياة، ومن أجل هذا حسبوا أنَّ وسيلة التقدُّم لأُمَّتنا وسفينة النجاة لها من تخلُّفها أن تُصبِح عَلْمانية، ولذا تراهم جاهدين في سَلْخ الأُمَّة من دينها، وتحجيم دور الدين في حياتها.

- وأما **الحداثيون**، فقد وجدوا أن الحياة قد تقدَّمت، وأن القوانين والنُّظُم والأفكار قد تطوَّرت، ونظروا إلى حال أُمَّتنا، فرأوا أن غالبية المسلمين يزاولون «طقوسًا» بائدة ويجترُّون أفكارًا قديمة، ولذا كان سعيُهم «**المُخلِّص**» هو إخراج الأُمَّة للعيش في زماننا وليس في زمان الرسول –صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين، ورَأَوْا أنْ لا سبيل لذلك إلا بمحاربة كل ما هو «**تقليدي**» و «**قديم**»، والأخذ بكل ما هو «**حديث**» و «**مُعاصِر**»، ولا يخفى على عاقل أن مثل هذا التوجُّه -في حقيقته- سَلْخٌ للأُمَّة من دينها، وجعلها تعيش بلا دين.

نَهْجانِ قد مَيَّزَ الرحمنُ بينهما ... نَهْجُ الضَّلال ونَهْجُ الحقِّ والرَّشَدِ[1]
لا يَجْمَعُ اللهُ نَهْجَ المؤمنين على ... نَهْجِ الفسادِ ولا صِدْقًا على فَنَدِ

- والبعض رأى أن سَلْخَ الأُمَّة من دينها مباشرة، كما تفعل الحداثة أو العلمانية، قد يثير غضب بعض عقلاء الأُمَّة، وقد لا تُعجِب موضة «**العصرنة**» حتى السُّذَّج من العوام، ولذا رأوْا أنهم بحاجة إلى وسائل تُدَغْدِغ مشاعر البُلْه، وفي الوقت نفسه كفيلة بإخراج المسلم من دينه، وإنْ بقي يحمل اسمه الإسلامي وهيئته الإسلامية، فعمل بعضهم بالدعاية والترويج للفكر الصوفي والطرق الصوفية، وأوهموا بسطاء العقول والدين أن سبب تخلُّف الأُمَّة هو خواء قلوب أتباعها من الرُّوحانيات، ولذا فلا بُدَّ للمسلم أن يَشغَل نفسه بها، وأنه لا يُضيره التَّغاضي عن الجوانب التعبُّدية والتطبيق الواقعي للدين في الحياة.

(١) ورد البيتان في أكثر من مقال على الشبكة العنكبوتية، ولكن لم أعثر على قائلهما.

- وأما «القرآنيُّون» و «العَقْلانيُّون» فادَّعَوْا أن سبب تخلُّف الأُمَّة انسياق أتباعها وراء الموروثات الحديثية والروايات التاريخية، وأن الأُمَّة قد ابتعدت عن أصل التشريع والخلاص، وهو القرآن، ومن هنا فهم يُركِّزون على محاربة «الروايات» الحديثية والتاريخية، ويقولون بضرورة الاكتفاء بالنَّصِّ القرآني سبيلًا للخلاص من التناقضات الموجودة في تلك «الروايات».

أُمّةَ الحقِّ ما دَهَاكِ فأصْبَحْـ ... ـتِ شَظايا تناثرتْ في النِّجادِ[1]
كلُّما رُمْتِ مُلْتقًى كُنْتِ في السَّا ... حَةِ أوْهى من حُفْنَةٍ من رَمَادِ

٢- أسباب تخلُّف الأُمَّة

لقد تمنَّيتُ أن أكون مُبالغًا في وصفي هاتَيْن الصورتين، إلا أن الحال الذي وصلت إليه الأُمَّة صار يُقْلِق مَن لديه أدنى اهتمام بشؤونها، وبات نشيد الخَلاص يُدَغْدِغ أحلام الكثيرين، ويُؤرِّق فئة لا بأس بها من الحريصين على مستقبلها، فغالبية أبنائها مُدركون هذا الواقع، وتراهم يَتَشَكَّوْن منه في كل مَحْفِل وعبر كل مَنَصَّة، ولا يكتفون بالأنين من وطأته ومشكلاته، والذُّعْر مما يمكن أن يُخبِّئه المستقبل لهم، ومع ذلك فهم يعيشون حالةً من الاستسلام لهذا الواقع وما فيه من سَلبيات ومشكلات.

ومن المؤسف حقًّا أن المسلمين اليوم يعيشون حالة من التناقض مع الذات؛ فهناك مَن يملك الملايين ومع ذلك تجده يكذب ويغشُّ ويُضيِّع الفرائض والواجبات، فضلًا عن النوافل والمندوبات، وربما ضحَّى براحته وصِحَّته وأسرته فقط من أجل الحصول على المزيد من المال الذي قد لا يحتاج إليه، وربما لن يجد الوقت للاستمتاع به، فهؤلاء غارقون في دَوَّامة من الضَّيَاع والبُعْد عن الله -سبحانه وتعالى-.

وبالمقابل، هناك ثُلَّة من خِيار الأُمَّة أحسُّوا بمرارة واقعهم، ومع ذلك لم يستسلموا له، «لكنهم قِلَّة أولئك الذين لا يقفون عند حدِّ اجترار الأحزان، والنَّوْح على المصائب

(١) عدنان علي رضا محمد النحوي، مَلْحَمة أرض الرسالات، ص١٣٤.

المُتوالِية، بل يَتَعَدَّوْنها إلى الدعوة الخالصة للخَلاص من هذا الو اقع من خلال البحث عن الأسباب الحقيقية لهذا التردّي، ووضع الحلول المناسبة، وبين أيدينا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم»[١].

وقد تفاوتت آراء العلماء والمفكرين المسلمين في أسباب المشكلة، وفي وسائل الخَلاص منها، فمنهم[٢] مَن يرى أن «**الخَواء الرُّوحي والخَراب الداخلي الذي يُعاني منه الإنسان الحديث بعد أن تمَّ شَطْب كل ما يقع وراء إدراكات الحَواسّ أو معظمه**»، هو أحد الأسباب الرئيسة في تخلُّف أُمَّتنا وفقدانها هُوِيَّتها، فقد كان للروح دورٌ أساسٌ في ضَبْط حياة الناس منذ آلاف السنين، ولكنه في القرون المُتأخِّرة صار يُنْظَر إليها على أنها مُجرَّد وَهْم أو خرافة من خرافات الماضي، ورغم أن العالم الإسلامي لم يصل إلى هذا الحدِّ، فإنَّ معظم البلدان الإسلامية صارت لا تُعِير هذه المسألة شأنًا كبيرًا.

وقد تأزَّم هذا الحال عند المسلمين وغيرهم إلى حدٍّ بعيدٍ جدًّا؛ حتى عَدَّ الفلاسفة الغربيون أن واضع القِيَم هو الإنسان، ومنهم مَن أَوْكَل أمرها إلى المجتمع، وجعل العقل البشري الأساس والمرجع لجميع القِيَم؛ وهذا ما يجعل الأخلاق والقِيَم «**أسيرة لأهواء البشر ومُلوَّنة بألوان البرمجات المَحَلِّية ومقولات البيئات الثقافية المختلفة، والمصالح الحيوية**»[٣]، وكانت نتيجة ذلك أن كثيرًا من الناس اتجَّهوا نحو تعويض النقص في جوانب الإيمان والأخلاق عندهم من خلال البذخ والترف في الاستهلاك، وحُبًّا لاكتناز الثروات وامتلاك العقارات والقصور والسيارات الفارهة.

وإبعاد الأخلاق والسلوك والعلاقات العامة عن فلك الدين -بلا شك- سَيَحْرِم الناس من إطارٍ مَرْجِعيٍّ ثابت، ومَن ثَمَّ سيُصبِح كل شيء ممكن الحدوث، وتتحوَّل الأُسُس الراسخة والثوابت الشامخة إلى مسائل فرعية لا وزن لها ولا أثر في تسيير حياة الناس، فتبدَّلت كثيرٌ من الأُسُس التي تقوم عليها العلاقات الاجتماعية، وصارت تقوم على تبادل المنافع، وليس على الحُبِّ والتقدير والوفاء والتناغُم الخُلُقي والرُّوحي.

(١) صالح عبد الله، (١٩٩٩م)، جولة في عقل النحوي، نقلاً عن جريدة «العرب اليوم»، عمَّان – الأردن، العدد (٨٥١)، السنة الثالثة.
(٢) عبد الكريم بكار، عصرنا والعيش في الزمان الصعب، ص٣١.
(٣) المرجع السابق، ص٣٢.

ورغم أن الإيمان -المُتمثِّل في الرُّوح- والأخلاق هما قِوَام سعادة الإنسان في الدارين، والسبب المباشر والأهم لنجاحه، فإن هناك مَن يرى أن الأفكار تُؤدِّي أيضًا دورًا مُهِمًّا في تطوُّر المجتمعات؛ «**فهي إما أن تُؤثِّر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية، وإما أن تُؤثِّر على عكس ذلك بوصفها عوامل مُمْرِضة، تجعل النُّمُوَّ الاجتماعيَّ صعبًا أو مستحيلًا**»[١].

وسبب آخر لأزمة أُمَّتنا هو أن الكثير من المسلمين اليوم صاروا لا يشعرون بالمُثُل الإسلامية العُليا، ولا يعيشون لأهداف سامية يسعَوْن إلى تحقيقها، وإنما شُغْلُهم الشاغل وهمُّهم الأكبر تأمين الحاجات الضرورية فقط، فمَن استطاع منهم أن يمتلك بيتًا يُؤوي فيه عياله، فقد أحرز نصرًا كبيرًا في معركة الحياة المعاصرة الشرسة؛ ما جعل الكثيرين يعيشون تحت وطأة ضغوط المُتطلبات الآنِيَّة والتافهة، «**وصار كثيرون منهم أشبه بالحيوان البَرِّيِّ الذي يقضي حياته في حديقة حيوانات؛ فهو ليس معزولًا عن بيئته الطبيعة فحسب، بل هو معزول عن أعماق ذاته!**»[٢].

ويرى آخرون أن التَبَعِيَّة للأقوى هي التي جعلت أُمَّتنا تلهث وراء الغير؛ فأُمَم الأرض صارت تُنتِج القِيَم والنُظُم؛ ما جعلها تترك أقوى البصمات على العصر الذي نعيش فيه، فوضعت لنا شروط ومواصفات عيشنا وارتقائنا الحضاري، وهَيْمَنَتْ على مُقَدَّراتنا الأدبية والمادية، ولذا فإن مشكلتنا لا تقتصر فقط على ضعف إنتاجنا المادي والفكري والحضاري، وإنما صرنا نعاني عدم القدرة من عرض ما لدينا من قِيَم وخبرات ونُظُم، وصرنا لا نجرُؤ على تسويق ذلك إلى الأمم المُتقدِّمة بسبب عُقْدة النَّقص عندنا، والاعتقاد بأن ما عند غيرنا هو الأقوى والأكبر والأصلح.

(١) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص١٤.
(٢) عبد الكريم بكار، عصرنا والعيش في الزمان الصعب، ص٣٦.

ولا ننسى أيضًا أن السواد الأعظم من المسلمين يُعاني ضعف الإحساس بـ(الواجب)، فصار أغلبهم لا يهمُّه إلا مصلحته المباشرة والفردية؛ ولا يحاولون الارتقاء بذواتهم ليكونوا أقدر على العطاء للغير والتضحية في سبيله، وكذلك فهناك فريق كبير من المسلمين يُعاني ذُبُول روح المَدَنِيَّة لديه، فلا تسمو نفسه ليكون -على الأقل- في مَصَافِّ الأمم على الصعيد الحضاري، وإنما تجده يَنْزع باستمرار إلى الانطواء على ذاته أو أسرته أو قبيلته، وهذا -بلا شك- له أثره السَّلْبي في الشعور بالمصلحة الوطنية والمصلحة العامة.

ورغم أن ديننا الإسلامي يدعونا إلى التفاؤل واستشراف المستقبل، فهناك الكثير من المسلمين مَن ينظر إلى واقع البشرية بعيون سوداوية وكأن صنوفًا من الآلام والإخفاقات الهائلة تنتظر الأجيال القادمة، وهذه الرُّوح التَّشاؤُمِيَّة -التي وُلِدت في بلاد الغرب- قد نُهينا عن الوقوع فيها، فآيات الكتاب العزيز والسُّنَّة المُطهَّرة عامرة ببثِّ روح حُسْن الظنّ بالله والأمل في نصره وعزته، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، ويقول -عليه الصلاة والسلام-: ((إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ أَوْ قَالَ: إِنَّ رَبِّي زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زَوَى لِي مِنْهَا، وَإِنِّي أُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكُوا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ))[١].

ويرى أمير البيان، شكيب أرسلان، حالَ المسلمين أنها لا تُرضي لا من جهة الدين ولا من جهة الدنيا، وأنهم يحملون الرُّوح التَّشاؤُمِيَّة الانهزامية أينما رَحَلوا وحَلُّوا، فتجدهم يشعرون بالدُّونِيَّة لأنفسهم والعُلُوّ والسيادة لغيرهم، ويحاول البحث عن الأسباب، فيجد أن السبب الذي عزَّت به أُمَّة الإسلام في الماضي أصبح اليوم مفقودًا، فيقول: «**كيف ترى في أُمَّة ينصرها الله بدون عمل، ويُفيض عليها الخيرات التي كان يُفيضها على آبائها، وهي قد قعدت عن جميع العزائم التي كان يقوم بها آباؤها؟! وذلك يكون أيضًا مخالفًا للحكمة الإلهية، والله هو العزيز الحكيم**»[٢].

(١) مسند أحمد، (حديث رقم: ٢٢٣٩٥، ج٣٧، ص٧٨) من حديث ثوبان -رضي الله عنه-.
(٢) شكيب أرسلان، لماذا تأخَّر المسلمون؟ ولماذا تقدَّم غيرهم؟، ص١٣.

إن مسلمي اليوم أو أكثرهم قد تخلَّوْا عن نصرة دينهم، وصار أعداؤهم أشدَّ حماسًا لدياناتهم -رغم فسادها- من المسلمين، وصاروا يبيعون في سبيل أوطانهم ودولهم النفوس وينفقون الأموال عليها دون حساب، وأما المسلمون فقد ركنوا إلى الدَّعَة والسِّلْم خوفًا من التضحية بأموالهم وأنفسهم، ويطالبون الله بالنصر والتمكين على غير ما اشترطه عليهم في قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ومن المعلوم أن الله -تبارك وتعالى- غير محتاج إلى نصرة أحد، وإنما يريد بنصرته إطاعة أوامره واجتناب نواهيه، ولكن المسلمين أهملوا جميع ما أمرهم به كتابهم أو أكثره، واعتمدوا في استحقاق النُّصْرة على كونهم مسلمين مُوحِّدين، وظنوا أن هذا سيغنيهم عن الجهاد بالأنفس والأموال، ومنهم مَن اعتمد على الدعاء والابتهال لرب العزة لأنه يجده أيسر عليه من القتل والبذل.

ولو كان مُجرَّد الدعاء يغني عن الجهاد لاستغنى به النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته وسلف هذه الأُمَّة فإنهم الطبقة التي هي أولى بأن يسمع الله دعاءها، ولو كانت الآمال تُبلَغ بالأدعية والأذكار دون الأعمال والآثار، لانتقضت سنن الكون، ولبطل التشريع، ولما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، ولما قال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ولم يقل: ﴿أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ولما قال للمُعْتَذِرين عن القتال: ﴿لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٩٤].

لقد ظنَّ كثير من المسلمين أن الصلاة والصيام والدعاء والاستغفار وكل ما لا يُكلِّفهم بَذْل دمٍ أو مالٍ يكفيهم ليكونوا مسلمين، وتوهَّموا أنهم -بسبب ذلك- جديرون بالنصر من الله، ولكن هيهات أن يمنح الله النصر والتَّمكين لمَن قعد وتخلَّف وكان بوسعه أن ينهض ويبذُل.

وقد استرسل أمير البيان في سرد العديد من أسباب تأخُّر المسلمين، فذكر منها[١]:

- **الجهل**، الذي يجعل فيهم مَن لا يُميِّز بين الخمر والخَلِّ.
- **العلم الناقص**، الذي هو أشدُّ خطرًا من الجهل البسيط، لأن الجاهل إذا قيَّض الله له مرشدًا عالِمًا أطاعه ولم يتفلسف عليه، وأما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري ولا يقتنع بأنه لا يدري.
- **فساد الأخلاق**، بفقد الفضائل التي حثَّ عليها القرآن، والعزائم التي حَمَلت سلف هذه الأُمَّة، وبها أدركوا ما أدركوه من الفلاح.
- **فساد أخلاق الأمراء**، فقد ظنَّ هؤلاء -إلا من رحم ربك- أن الأُمَّة خُلِقت لهم ليفعلوا فيها ما يشاؤون، وقد رسخ فيهم هذا الفكر، لدرجة أنهم إنْ حاول محاول أن يُقِيمهم على الجادة بطشوا به عبرةً لغيره.
- **انتشار علماء السُّوء**، الذين اتَّخذوا العلم مِهْنَة للعيش، وجعلوا الدين مِصْيَدة للدنيا، فسوَّغوا للفاسقين من الأمراء أشنع مُوبقاتهم، وأباحوا لهم بِاسم الدين خَرْق حدود الدين، هذا والعامة المساكين مخدوعون بعظمة عمائم هؤلاء العلماء، وعُلُوِّ مناصبهم، يظنُّون فُتياهم صحيحة، وآراءَهم موافقة للشريعة، والفساد بذلك يعظُم، ومصالح الأُمَّة تذهب، والإسلام يتقهقر، والعدو يَعْلُو ويَتَنَمَّر، وكل هذا إثمه في رقاب هؤلاء العلماء.
- **الجُبْن والهَلَع**، فبعد أن كانوا أشهر الأمم في الشجاعة واحتقار الموت، يقوم واحدهم للعشرة وربما للمائة من غيرهم، فالآن أصبحوا إلا بعض قبائل منهم يهابون الموت الذي لا يجتمع خوفه مع الإسلام في قلبٍ واحِد.
- **اليأس والقُنوط من رحمة الله**، فمنهم فئاتٌ قد وَقَر في أنفسهم أن الإفرنج هم الأَعْلَوْن على كل حال، وأنه لا سبيل لمغالبتهم بأيٍّ من الوجوه، وأن كل مقاومة عَبَث، وأن كل مُناهَضَة خَرْق في الرأي، ولم يزل هذا التهيُّب يزداد ويتخمَّر في صدور المسلمين أمام

(١) المرجع السابق، ص٧٥-١٤٣.

الأوروبيين -والآن الأمريكان- إلى أن صار هؤلاء يُنصَرون بالرعب، وصار الأقل منهم يقومون للأكثر من المسلمين.

- **الشُّحُّ عن الإنفاق في سبيل الله**، فهم لا يريدون أن يبذلوا، ولا أن يقتدوا بالإفرنج واليابان في البذل، بل يريدون النصر بدون سلاح وعَتاد، أو السلاح والعتاد دون بذل الأموال، وإذا تغلَّب العدو عليهم من بعد ذلك صاحوا قائلين: أين المواعيد التي وَعَدنا إيَّاها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]؟ كأن القرآن ضَمِن للمؤمنين النصر دون عمل، وبلا كسب ولا جهاد بالأموال والأنفس، بل بمُجرَّد قولنا إننا مسلمون، أو بمُجرَّد الدعاء والتسبيح!

- **الإفراط في حُبِّ الدنيا**، إذ إن ذلك يَحْرِم الإنسان من التمتُّع بها، وأن الغُلُوَّ في المحافظة على الحياة تكون عاقبته زيادة التعرُّض للهلاك، فالله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، أي إن عدم إنفاقكم في سبيل الله هو التهلكة بعينها، وقد أصابت المسلمين تهلُكة عدم الإنفاق، وصدق فيهم ما حذَّرهم الله منه.

- **التبرُّؤ من الأصل العربي والإسلامي**، فهناك من المسلمين مَن قلَّد الإفرنج، وخرج عن هُويَّته وأنكر ماضيه، وذاب في حضارة أولئك وتاريخهم، وبالمقابل نرى أن غير المسلمين تعلَّموا وتقدَّموا وترقَّوْا وعَلَوْا وطاروا في السماء، ومع ذلك تجد المسيحيَّ باقيًا على إنجيله وتقاليده الكَنَسِيَّة، واليهودي باقيًا على وَثَنِه المُقدَّس، والمسلم المسكين يعتقد أنه يستحيل عليه أن يترقَّى إلا إذا رمى بقرآنه وعقيدته ولغته وتاريخه، وحتى طعامه وشرابه ولباسه وأدبه وطربه، وإن لم يفعل ذلك فلا حظَّ له من الرُّقي.

- **الجمود على القديم**، فكما أن هناك فئة من المسلمين تريد أن تنبِذ كل شيء قديم، القبيح منه والحسن، والضارَّ منه والنافع، فكذلك هناك فئة جامدة لا تريد أن تُغيِّر شيئًا، وهؤلاء قد مهَّدوا لأعداء الإسلام الطريق لمحاربته بحُجَّة أن التأخُّر الذي عليه العالم الإسلامي إنما هو ثمرة لتعاليمه، وأن ما ابتُلِي به المسلمون من فقرٍ وتقهقر هو لأن الإسلام دين آخرة فقط وليس له شأنٌ بالدنيا، مع أننا نعلم أن من أكبر مَزايا

الإسلام على سائر الأديان أنه دين دنيا وآخرة، فلم يُزهِّده في الدنيا ومُلْكها ومَجْدها مثلما يفعل الإنجيل، ولم يحصُر سَعْيَه فقط من أجل المعيشة الدنيوية كما هي المادية الغربية، ولم يُعلِن الحرب على العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية وفنونها وصناعاتها كما كان الحال في عصور أوروبا المظلمة.

إن هذه الفئة التي جَمُد سعيُها وفِكرُها قد حرمت نفسها وأُمَّتها من ثمرات هذه العلوم، وأورثت لأنفسهم وأُمَّتهم الفقرَ والتخلُّفَ الذي هم فيه، فإن العلوم الطبيعية هي العلوم الباحثة في الأرض، والأرض لا تُخرِج أفلاذها إلا لمن يبحث فيها، «**فإن كنا طول العمر لا نتكلَّم إلا فيما هو عائدٌ للآخرة، قالت لنا الأرض: اذهبوا توًّا إلى الآخرة، فليس لكم نصيب مني**»، وحصرُ جهودنا فقط في العلوم الدينية والمحاضرات الأخروية يُمهِّد لغيرها أن يَعْلُوَ في الأرض ونزداد نحن انحطاطًا وتخلُّفًا، إلى أن صار الأمرُ كلُّه في أيديهم، فمَن ليست له دنيا فليس له دين، والمولى -سبحانه- قد وعدنا بالاستخلاف والتمكين في الأرض: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ [النور: ٥٥]، ولذا علينا أن نَجِدَّ ونجتهد، ولا نكون دراويش نتكفَّف أيدي الناس، ولا شُغْل لنا إلا قراءة التعاويذ والتَّراتيل.

أنَّى اتَّجَهْتَ إلى الإسلامِ في بلدٍ ... تجدْهُ كالطَّيْرِ مقصوصًا جناحاهُ[1]
كم صرَّفَتْنا يدٌ كنا نُصرِّفها ... وباتَ يحكُمُنا شعبٌ ملَكْناهُ
ويحَ العروبةِ كانَ الكونُ مسرحُها ... ما بالُها تتوارى في زواياهُ

- **فُقْدان الثِّقة بالنفس**، يعتقد كثير من المسلمين أنهم لا يصلحون لشيء، وأنهم إن اجتهدوا أو قعدوا فهم لا يقدرون على الوصول إلى ما وصل إليه غيرهم كالأوروبيين والأمريكان واليابانيين والصينيين والهنود وغيرهم، ولا يقتصر الحال بالأمور العسكرية أو التجارة والصناعة والاقتصاد، وإنما يرَوْن أنفسهم دون غيرهم في مناحي الحياة

(١) من قصيدة بعنوان "مالي وللنجم» للشاعر المصري محمود غنيم.

المختلفة، وهذا المرض «**من أشدِّ الأمراض الاجتماعية وأخبث الآفات الرُّوحية، لا يتسلَّط على إنسان إلا أَوْدى به ولا أُمَّة إلا ساقها إلى الفَناء**».

والأدهى أن مَن أصيبوا بهذا المرض لا تُجدي محاورات ولا محاولات لتغيير أفكارهم أو إقناعهم بأن الله قد وَهَب لهم عقولًا وأجسادًا ومُقوِّمات كما وَهَب لغيرهم، فهم لا يُقنعهم المنطق ولا المُسلَّمات العقلية، ولا ينتفعون بحوادث الزمان وأحداث التاريخ، فالذلُّ والاستخذاء قد كبَّل عقولَهم وعطَّل حواسهم.

وقد استغلَّ أعداؤهم هذه الحال عند المسلمين، ورأَوْها مُوافِقة لمصالحهم الاستعمارية، فصاروا يُروِّجونها أكثر لتقوى في نفوس المسلمين، مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، وللمرء أن يَعْجَب كيف ينقاد المسلمون لهذه الأضاليل التي مآلها التَّبَعِيَّة لأعدائهم، مع أن الله قد أمرهم ليتَّصِفوا بالعِزَّة ويتَّسِموا بالأَنَفَة ويستوفوا تمام الرجولة!

٣- سفينة النَّجاة

إن الإصلاح الذي نرجوه لا ينحصر في تحسين واقعنا المادي، فهذا قد تتشتَّتُ إليه السُبُل، وتضيع الجهود بين أمواج المصالح والأهواء، ولكن الإصلاح المرجُوَّ هو الذي ننجو به من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة، وننال على أساسه القوة والعِزَّة، ولهذا الإصلاح سبيل واحد فقط، وهو الجهر بدين الله الحقِّ كما أُنزل على نبيِّنا محمد -صلى الله عليه وسلم- دون أيِّ تحريف أو تأويل أو تبديل، وتبليغه للناس كافَّةً وللبشرية عامةً، حتى نعلن أنَّ كلمة الله هي العليا.

إنَّ سبيل الإصلاح واضح مُمْتدٌّ أمامنا، فهو نابع من كتاب الله وسُنَّة نبيه المصطفى -عليه الصلاة والسلام-، والمسلمون لو ساروا وَفْق ما أمرهم به كتابُهم وسُنَّة نبيهم كما كان يفعل آباؤهم، والْتَجَؤُوا إلى الله حقَّ اللُّجوء، وحاسبوا أنفسهم وَفْق ميزان منهاج

الله، لاستطاعوا التعرُّف إلى أخطائهم وسُبُل علاجها، ولم يدَّخروا وُسْعًا في بذل الأموال والطاقات والنفوس للتَّرَقِّي والعُلُوِّ، وعندها سيقطفون ثمار تضحياتهم، وينقلبون بنعمة من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء.

ولا شك أن الإصلاح الذي نسعى إلى تحقيقه لا بُدَّ أن يسبقه تهيئة البيئة المُواتية للاستقامة والرَّشاد والعطاء؛ فكيف -مثلًا- لشابٍّ أن يُبدِع ويُصبِح باحثًا مُتميِّزًا في جوانب العلم المختلفة، ونحن نجده يعيش مع خمسة من إخوته في حُجْرة واحدة، وليس معه ثمن مَرْجِع يشتريه، ولا تكاليف تجربة يُجريها، والبلدة التي يقطُنها لا مكتبة فيها ولا مركز تدريب ولا جمعية خيرية تمدُّ له ولغيره يَدَ العَوْن والمساعدة؟![1]

بالتأكيد، حين نطلب منه ذلك فالاستجابة ستكون صعبة، وإن كانت فستكون هزيلة، وكذلك استجابة الآخرين من الشباب والفتيات، وإن بَذَلْتَ معهم قُصارى جهدك لتحفيزهم على البحث والإبداع، والغالبية منهم سيرضخون للظروف، وسيرضَوْن بأقلِّ القليل من الإنجاز، وهذا هو ما يحدث في كل أنحاء العالم وفي كل مجالات الحياة.

إن المَخْرَج من أزمة أُمَّتنا لا يكون إلا بالإسهام في إنتاج القِيَم والنُظُم والأدوات التي تُسهِّل الحياة وتحلُّ المشكلات وتترك بصماتها على العصر الذي نعيش فيه، ولا يمكن للأُمَّة أن تُسهِم بشيء في الحضارة الإنسانية إلا إذا تمسَّكت بدين ربها، وسارت على نهجه، وجعلت العلم مَطِيَّتها للرُّقي والعطاء؛ فالمسلمون لا ينقصهم شيءٌ مما يُمكِّنهم للنهوض والرُّقي واللَّحاق بالأمم المُتحضِّرة، ولكنهم بحاجة إلى عزيمة وإرادة وتمسُّكٍ بقِيَم وتعاليم دينهم الذي لن يزيدهم إلا بصيرةً وعزمًا وتحفيزًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

لا بُدَّ أن يُوقِف المسلمون جَرْيَهم اللاهث وراء زخارف كاذبة من مُصطَلحات وشعارات الاشتراكية والديمقراطية والعَلْمانية والقومية واللِّبْرالية وغيرها، وأن يُوقِفوا مسلسل التنازلات عن ثوابتهم وقِيَمهم الذي لم يُورثهم إلا المَذلَّة والهوان والصَّغار، ولا بُدَّ لهم من ربط إصلاح واقعهم المادِّي بإصلاح سبيلهم إلى الدار الآخرة في أيِّ تصوُّر أو عمل أو

(١) عبد الكريم بكار، المشروع الحضاري، ص٣١.

موقف، ولا يكونوا كالذين يُؤْثِرون الدنيا على الآخرة: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

لا بُدَّ للمسلمين أن ينهجوا هذا النهج ويبذلوا من أجله الأموال والأنفس كما أمرهم الله -سبحانه وتعالى- بذلك، وعليهم أن يصبروا عليه وإن بدا لهم الطريق طويلًا، فإنه الوحيدُ المأمولُ لِبُلوغ الإصلاح المنشود، وبداية هذا الإصلاح لا بُدَّ أن يكون من داخل ذواتنا، ثمَّ يمتدَّ إلى ميادين الحياة كُلِّها؛ لتُصبِح ساحةَ عبادةٍ لله، ووفاءً بالأمانة، وقيامًا بالخلافة، وعمارةً للأرض بحضارة الإيمان، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

إن المسؤولية الأولى والكبرى تقع في المقام الأول على القِلَّة المؤمنة التي تَنْعَم بالعيش في ظلال الإيمان الراسخ والالتزام الصحيح، وعلى هذه القِلَّة التفكير مَلِيًّا في نوعية الظروف الأكثر ملاءمة لدفع السَّوَاد الأعظم من المسلمين في اتِّجاه العيش على مقتضى الأمر الشرعي والنهج الرباني، وعليها السَّعْي الحثيث ليكون هذا واقعًا ملموسًا يُرحِّب به المسلمون وغيرهم، وما تلك بالمُهِمَّة السَّهْلة؛ ولكن ليست ثَمَّة خيارات أخرى.

إن طرح موضوع العمل التطوُّعي قد يساعد على تشويش الصورة الثانية لواقع الأُمَّة التي ذكرتُها من قبل، وإحلالها بالصورة الذهبية البرَّاقة التي تستهوي خيال المُصلِحين، ولا أَدَّعي أن العمل التطوُّعي وحده كافٍ لإخفاء الصورة القاتمة لواقع الأُمَّة، وإنما -في تقديري- هو سبيلٌ واحد فقط من السُّبُل الكثيرة للإصلاح، وجانب متواضع من طرائق البناء، ولكنه مع ذلك مَطِيَّةٌ بمقدور غالب أبناء الأُمَّة السَّيْر عليها، وسهلٌ على الدعاة والمُصلِحين أن يُحمِّلوها آمالهم وطموحاتهم.

لكن البعض قد يرى أن المال هو العقبة الكؤود أمام التغيير المنشود، ولا ريب «**أن هناك مشكلاتٍ كثيرة لا يحلُّها إلا المال، ولكنْ أيضًا هناك مشكلاتٌ كثيرة جدًّا لا تحتاج في حلِّها إلى أيِّ مال**»[١]، فمجالات التطوُّع لا تكاد تُحصى؛ فهناك «**في المسلمين مظلومون يحتاجون إلى مُناصَرَة، وفيهم جَهَلة يحتاجون إلى تعليم، ومُنحرفون يحتاجون إلى إرشاد، ومَهْمومون يحتاجون إلى مُواساة**»، ولو أن كل مسلم بَذَل ساعة في الأسبوع بالتعاون مع مُؤسَّسة خيرية أو في عمل تطوُّعي عام لَتغيَّر وجهُ الحياة في عالمنا الإسلامي.

لا ريب أننا نريد أن نجعل لحياتنا مُتْعة، ولكن ما هذه المُتْعة إن كان الواحد منا يستيقظ في الصباح ولا يجد عنده وقتًا لتنظيف أسنانه أو تناول وجبة الفطور، بل يفرُّ مُسْرِعًا إلى عمله، ثم يقضي سحابة يومه مُنْهَمِكًا فيه وهو لا يدري ما يدور حوله أو يُخطَّط له!

إن تحصيل لقمة العيش أمرٌ ضروري، وخاصة في ظروف الحياة المعاصرة، ولكن الظروف القاسية التي نعيشها لا تُسوِّغ لنا -بأيِّ حال- أن نُهمِل ديننا وأُمَّتنا، وصحيح أننا تعوَّدنا الكسل، وأصبحت أمم الأرض تتزاحم لتُقدِّم لنا كل شيء، حتى لقمة العيش التي نمضغها، والخِرَق التي نَلبَسها، لكن ليس إلى درجة أن نستسيغ الحياة ونركَن إلى الدَّعَة والراحة، وننسى أننا أُمَّة قيادة وريادة، ومَن كان هذا شأنه فلا يحقُّ له أن يكون في مُؤخِّرة الركب.

إن شِكايتنا من سوء أحوالنا ومكايد أعدائنا بنا لن تُجدينا شيئًا، ولن تُغيِّر واقعنا قِيد أُنملة، والتغيير لن يكون إلا إنْ غيَّرنا نحن سُلوكاتنا وعاداتنا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١].

هذا هو ديننا، وهذه هي رسالتنا، وهذا هو واقع أُمَّتنا، فمَن سيُغيِّر لهذه الأُمَّة واقعَها، ويبني لها مجدها؟ إنها -قطعًا- ليست اليابان أو أمريكا، ولكنها أنا وأنت، فهيَّا شمِّر عن ساعدَيْك، وانفُض غُبارَ النوم من عينيك، و﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: ١٠٨]، وتذكَّر قول الشاعر:

(١) المرجع السابق، ص٢٦.

قَدْ رَشَّحُوكَ لأمْرٍ لَوْ فَطَنْتَ لَهُ فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الهَمَلِ[١]

وقول طرفة بن العبد:

إذا القومُ قالوا مَن فَتًى؟ خِلتُ أنَّني عُنِيتُ فلمْ أكسَلْ ولم أتبلَّدِ

٤- مُقترحات للاستفادة من هذا الكتاب

يحقُّ للقارئ الكريم أن يستمتع بما ورد في هذا الكتاب من اقتراحات لأعمالٍ تعود بالخير على نفسه وأُمَّته، وللقارئ أن يختار منها ما يناسب بيئته وأوضاعه، ولكنني أعتقد أن علينا أن نجعل ما ورد في هذا الكتاب مُسْوَدَّةً لمشروع حضاريٍّ يرقى بالأُمَّة في مختلف المجالات وبشتَّى الوسائل، ولذا على كل واحد منا أن لا يقرأ الكتاب كما يقرأ غيرَه من الكتب، وإنما عليه أن يعمل جُهْدَه لتطبيق أكبر عدد من الأعمال المُقتَرَحة فيه، أو أيِّ أعمال أخرى تصبُّ في السِّياق ذاته.

ولقد حاولتُ جاهدًا أن أنقل مادة الكتاب من حيِّز التنظير إلى فضاء التطبيق؛ وذلك من خلال التمارين العملية، والبرامج التطبيقية التي ضمَّنتُها إياه، وإني لأدعو القارئ أن يهتمَّ بإجراء الأنشطة التطبيقية، ويُجيب عن الأسئلة الواردة في نهاية كل فصل، لعلَّ الأفكار المُقتَرَحة تَرسَخ في ذهنه، وتتجسَّد في واقعه.

كذلك، أرجو أن ينشر القارئ الفكر التطوُّعي الذي ندعو إليه من خلال هذا الكتاب؛ وذلك بتحفيز الآخرين على تطبيق ما يَرَوْنه مناسبًا لبيئاتهم وظروفهم، إضافةً إلى الشروع في العمل التطوُّعي الجماعي بتشكيل اللِّجان -ومَن ثَمَّ المُؤسَّسات والمُنظَّمات- التي ورد ذكرها في ثنايا الكتاب، وأتمنى كذلك أن ينشر المُعلِّمون والمُثقَّفون الفكر التطوُّعي من خلال المدارس والمحاضرات والندوات، وأن يُجرى التحاور مع الطلاب ومَن يحضرون

(١) البيت من لامية العجم للطغرائي أبي إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصَّمَد المُلقَّب بمُؤيَّد الدين الأصبهاني.

تلك المحاضرات والندوات حول ما يمكن فعله من أعمال تطوُّعية في مجتمعاتهم، ويمكن للمُعلِّمين تطبيق بعض الأعمال التطوُّعية المُقتَرَحة هنا في حصص الأنشطة المدرسية، وتشجيع الطلاب على التفاعُل البنَّاء حولها من خلال الأعمال التي يتطوَّعون لتأديتها لخدمة بيئتهم.

إن المَهَامّ التي على كل واحد منا تأديتها تُجاه مجتمعه وأُمَّته عظيمة وكثيرة، ولا يمكن لفرد واحد -ولا لحشدٍ كبير منهم- استيعابها وتلبية احتياجاتها، فضلًا عن تنفيذها وتقويم مُخْرَجاتها، والمُؤسَّسات التجارية -كما نعلم- لا تكترث كثيرًا للأعمال الخيرية، وإنما تسعى جاهدة إلى مُضاعَفة أرباحها، والأعمال والخدمات الكثيرة والجليلة التي ينبغي أن تُقدَّم للمجتمع هي -في الغالب- دون مُقابِلٍ ماديّ، وهذا ما تُركِّز عليه المُؤسَّسات الخيرية، ولذا يجب علينا إنشاء لِجان ومُؤسَّسات خيرية عديدة ومُتنوِّعة، كما سأُشير إلى بعضها في فصول الكتاب.

وتتفاوت المُؤسَّسات الخيرية في حجمها من ناحية عدد العاملين فيها والأعمال التي تؤديها والمُستَهدَفين من الخدمات التي تُقدِّمها، ولكن ذلك لا يستوجب منا أن نُقيمها من البداية حسب المستويات العالمية، وخاصة إذا كانت إمكاناتنا الفنية والمالية والإدارية لا تسمح بذلك، فيمكننا البدء بإنشاء لجنة أو هيئة مُصغَّرة، وعندما تتَّسع إمكاناتنا ومواردنا يتوسَّع حجم عمل تلك الهيئة ونطاقها لتُصبِح مُؤسَّسة، والمُؤسَّسات -صغُرَت أم كبُرَت- تحتاج إلى أهداف واضحة وبرنامج مُنظَّم يستطيع تَقَصِّي احتياجات الفئات التي ترعاها وسُبُل رعايتها.

إن المُقتَرَحات التي سنتطرَّق إليها في هذا الكتاب إن طُبقت على الوجه الأمثل سيكون لها -بإذن الله- دورٌ إيجابيٌّ في رفع المستوى الثقافي والفكري بين الناس، ولكنها تحتاج إلى تضافُر جهود أفراد ومُؤسَّسات المجتمع، فلو بادر بعض أفراد المجتمع بتطبيق شيءٍ منها فإنهم -بلا شك- سيحتاجون إلى مُساندَة ودَعْم، ومن أجل هذا يكون من الأنسب إيجاد مُؤسَّسات تطوُّعية مُتخصِّصة في جوانب مُحدَّدة، ولا يمنع -بل من المُفتَرض- أن يكون بينها تعاونٌ مشترك وتنسيقٌ مُتبادَل.

إن دور الواحد منا في هذا الإطار سيكون ذا شِقَّيْن؛ ففي البداية سنحتاج إلى إقناع الناس لإنشاء مُؤسَّسات -أو على الأقل لجان أو فِرَق- للأعمال التطوُّعية التي نرغب في تأديتها، ثم علينا السَّعْي الحثيث إلى استكمال الإجراءات القانونية والمُتطلَّبات المالية لإنشائها، وبعد أن تتشكَّل المُؤسَّسة -أو اللجنة أو الفريق- علينا مُساندتها والوقوف بجانبها، وإن تمكَّنا من المشاركة العملية فيها فذلك خيرٌ وأزكى، ومتى تكوَّنت هذه المُؤسَّسات وأدّت دورها بفاعلية فإنها ستستطيع -بتوفيق الله- الارتقاء بالأُمَّة إلى مستويات أفضل، ولا يمكننا اختلاق الأعذار للتَّخلِّي عن دورنا تجاه مجتمعاتنا وأُمَّتنا، ونترك للصحف والجرائد والتلفاز وشبكات التَّواصُل تشكيل ثقافتها واتِّجاهاتها، فهذا مما سيُميت أيَّ ثقافة موجودة عند الناس، ولن يُؤدِّي إلا إلى مزيدٍ من الجهل والتخلُّف والانحطاط.

٥- عرض وطلب

كما تعلم أيها القارئ الكريم فإن أيَّ عمل إنسانيٍّ لا بُدَّ أن يعتريه النقص؛ فإن الكمال لله سبحانه، ولذا أناشدكم يا أخي الفاضل ويا أختي الفاضلة أن تَصْفَحَا عمَّا تَجِدانه في ثنايا الكتاب من هَفَوات وزَلَّات وقُصُور، وأن تسألا الله -سبحانه- لي السَّتْر والعَوْن على تلافي الأخطاء وتصحيحها فيما يُقبِل -بإذن الله- من طبعات جديدة.

كذلك، فإني أسألكما أن لا تبخلا عليَّ باقتراحاتكم وانتقاداتكم وتوجيهاتكم، فإن الدالَّ على الخير كفاعله، ويمكنكم التَّواصُل معي عبر بريدي الإلكتروني (saleh@alhatali.com) أو من خلال صفحة «تواصل معي" على موقعي: (https://alhatali.com/contact).

هذا، وأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل هذا الطَّرْح المُتواضِع مُنْطَلقًا لمشاريع كبرى لإعادة صياغة الأُمَّة ورسم مَعالِمها وتشييد أركانها، وأسأله -سبحانه- أن يُثيب من استفاد من هذا الجهد وطبَّقه ودعا إليه، وأن ننال جميعًا بسببه رضوانه سبحانه، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، نعم المولى ونعم النصير، وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صالح بن مطربن محمد الهطالي

٤ من شوال لعام ١٤٣١هـ/١٣ من سبتمبرلعام ٢٠١٠م

الباب الأول

مُقدِّمات في العمل التطوُّعي

الفصل الأول

تعريف بالعملِ التطوُّعيِّ وأهمِّيتِه وحُكْمِه الشَّرعيِّ

العمل التطوُّعي/الخيري له مضامينه وأحكامه، وكما تختلف آراء العلماء ونظرات الناس في كل قضية، فكذلك تشعَّبت الآراء حول ما يُقصَد بالعمل التطوُّعي/الخيري، وتكلَّم الفقهاء والباحثون حول أهمِّيته وأحكامه.

١ - تعريف بالعمل التطوُّعي

التطوُّع ظاهرة اجتماعية موجودة منذ بَدْءِ الخلق وعلى مَرِّ العصور، وهو يتضمَّن جهودًا إنسانية تُبذَل من أفراد المجتمع، فرديًّا أو جماعيًّا، ويقوم أساسًا على الرغبة والدافع الذاتي، سواءٌ أكان الدافع شُعوريًّا أم لا شُعوريًّا[١]، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور أمثلة منها[٢]: «ولَتَفْعَلَنَّه طَوْعًا أَو كَرْهًا، وطائِعًا أَو كارِهًا. وَجَاءَ فُلَانٌ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ»؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ تطوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وفيه إشارة إلى فائدة التطوُّع الكبيرة التي تعود على المُتطوِّع نفسه.

ومُصطَلح «العمل التطوُّعي» شبيه بمُصطَلح «العمل الخيري» غير أن الأول أعمُّ؛ إذ إن التطوُّع قد يكون في الأمور النافعة والضارة، ولا يكون العمل الخيري إلا في الأمور التي تجرُّ نفعًا، فمن الأعمال التطوُّعية الضارَّة ما يفعله الكفرة والفُسَّاق من نشرٍ للرَّذائل والمُوبِقات، أو إفسادٍ في الأرض؛ سواءٌ أكان ذلك نابعًا من أنفسهم، أم بإيعازٍ من غيرهم.

(١) سامي عصر، (١٩٨٩م)، قضايا التطوُّع ونظام العمل في الجمعيات، بحث مُقدَّم إلى مؤتمر «التنظيمات الأهلية العربية – مشاركة، عطاء، إنماء"، القاهرة – جمهورية مصر العربية.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٢٤٠.

بدأت بوادر العمل الاجتماعي التطوُّعي في الظهور في العالم العربي في العقود الخمسة الأخيرة من القرن العشرين، وكانت في بداياتها أكثر ما تكون رَدَّة فعل على حركة الاستعمار التي اجتاحت العالم الإسلامي آنذاك، فظهرت بعض المُؤسَّسات والهيئات الأهلية التي تطوَّعت للتصدِّي لحركة الاستعمار بتنظيم، ووعَّت المجتمع لمساعدة المواطنين على الأمور الضَّرورية، كالمأكل والمشرب والتعليم والصِّحَّة ومعالجة الفقر جُزئيًّا، وعندما ظهرت وسائل الإعلام من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز، كان لها دورٌ بارزٌ في بَلْورة حركة التطوُّع بتنظيم، ونَشْر الوَعْي بأهمية العمل الخيري التطوُّعي، وتحفيز المُؤسَّسات والمُوسِرين للمشاركة في مسيرة العمل التطوُّعي الخيري، وتعميق الحِسِّ الاجتماعي بالمسؤولية والتعاون بين أفراد المجتمع[١].

ويذهب البعض إلى أن مَنْبِت العمل الأهلي والمُؤسَّسي والمَدَني في المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث بدأ من خلال العمل التطوُّعي، وبرز بوضوح في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي، عندما انتشرت لجان العمل التطوُّعي في الأحياء والقرى.

والعمل التطوُّعي يختلف في حجمه وشكله واتِّجاهاته ودوافعه من مجتمع إلى آخر، ومن فترة زمنية إلى أخرى؛ فمن حيث الحجم يقِلُّ في فترات الاستقرار والهدوء ويزيد في أوقات الكوارث والنَّكَبات والحروب، ومن حيث الشكل فقد يكون جُهدًا يدويًّا وعَضَلِيًّا أو مِهنِيًّا أو تبرُّعًا بالمال أو غير ذلك، ومن حيث الاتِّجاه فقد يكون تلقائيًّا أو مُوجَّهًا من الدولة أو المُؤسَّسات التطوُّعية في أنشطة اجتماعية أو تعليمية أو تنموية، ومن حيث دوافعه فقد تكون دوافعَ نَفْسِيَّة كحُبِّ الآخرين والرغبة في تقديم المساعدة لهم، أو اجتماعية كالحصول على وظيفة أو مهنة، وقد تكون لأغراض سياسية من أجل كسب الشهرة أو الأصوات في المجالس البلدية أو غيرها من المجالس الشعبية.

وقد رسخ في أفهام الناس -وإلى وقت قريب- أن يكون التطوُّع دون مقابل مادي، وإن حصل على شيء من ذلك فإنه يكون مُكافأة له على عمله وليس مُخطَّطًا له من المُتطوِّع، غير أن مفهوم العمل التطوُّعي لدى الغرب -بسبب طُغيان المادة عليهم، وتعقُّد أساليب الحياة المعيشية عندهم- قد تطوَّر، فصار المُتطوِّع يحصل على مقابلٍ ماديٍّ، ولكنه قد لا

(١) علي عيسى الوباري، (بدون تاريخ)، الوسائل الاجتماعية لاستقطاب المُتطوِّعين، مقال في موقع (أطفال الخليج).

يساوي حجم الجهد والوقت الذي يَصْرِفُه، والمَخَاطر التي قد يتعرَّض لها في أثناء تأديته عمله التطوُّعي، وقد لوحِظ أن وتيرة العمل التطوُّعي لا تتراجع بانخفاض المردود الماديّ له، وإنما بتراجع القِيَم والحوافز التي تكمُن وراءه، وهي القِيَم والحوافز الدينية والأخلاقية والاجتماعية والإنسانية[١].

٢- أهمِّيَة العمل التطوُّعي

إن العمل التطوُّعي الذي ندعو إليه في هذا الكتاب يَعِدُ مَن يُؤدِّيه أجرًا عظيمًا، وقد يكون سببًا في دخول صاحبه -بإذن الله- إلى جنة عرضها السماوات والأرض، هذا بجانب الخيرات الكثيرة التي سينالها في الدنيا قبل الآخرة.

والعمل التطوُّعي ظاهرة مُهِمَّة للدلالة على حيوية الناس وإيجابيَّتهم، ولذا فهو يُؤخَذ مُؤشِّرًا للحكم على مدى تقدُّم الشعوب والمجتمعات، وثقافة التطوُّع[٢] في مجتمعاتنا -ولله الحمد- ترتكز على نواة صُلبة من عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر، وهي التي دفعت المجتمع الإسلامي على مرِّ الزمن -أفرادًا وجماعات- إلى المُبادَرة بفعل الخير، والسَّعْي طواعية إلى تقديم العون للآخرين ابتغاءَ وجه الله تعالى.

وقد حضَّ المولى -سبحانه- ورسوله الأمين -صلى الله عليه وسلم- على فعل الخير للآخرين في آيات وأحاديث كثيرة، نذكر منها ما يأتي:

- ✓ قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].
- ✓ وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾

(١) المرجع السابق.

(٢) يُقصَد بمفهوم «ثقافة التطوُّع»: «منظومة القِيَم والمبادئ والأخلاقيات والمعايير والرموز والممارسات التي تحضُّ على المبادرة بعمل الخير الذي يتعدَّى نفعُه إلى الغير؛ إما بدرء مَفْسَدة أو بجَلْب مَنْفعة، تطوُّعًا من غير إلزام ودون إكراه". يُنظر: إبراهيم غانم، (٢٠٠١م)، مفهوم ثقافة التطوُّع وإشكاليَّته، مقال في مجلة (المجتمع) الكويتية، العدد ١٤٧٤، ص٦٦.

[النساء: ١٢٧].

✓ وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥].

✓ قوله صلى الله عليه وسلم: ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، فَأَدْنَاهُ إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَأَرْفَعُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ))(١).

✓ وقوله: ((مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ))(٢).

✓ وقوله: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))(٣).

✓ وقوله: ((الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ))(٤).

✓ وقوله: ((خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وشَرُّكُمْ مَنْ لا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلا يُؤْمَنُ شَرُّهُ))(٥).

٣- مجالات العمل التطوُّعي

ارتَبَطَتْ بهذه النواة الصُّلبة للتطوُّع منظومةٌ معرفيةٌ واسعة المَدَى من الأعمال التطوُّعية التي تبدأ بأيسَر الأمور مثل الابتسامة في وجه الآخر وإماطة الأذى عن الطريق،

(١) مسند أحمد (حديث رقم: ٩٧٤٨، ج١٥، ص٤٦٥) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–.
(٢) صحيح مسلم (حديث رقم: ١٧٢٨، ج٣، ص١٣٥٤) من حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه–.
(٣) صحيح مسلم (حديث رقم: ٢٦٩٩، ج٤، ص٢٠٧٤) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–.
(٤) الأوسط للطبراني (حديث رقم: ٥٧٨٧، ج٦، ص٥٨) من حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما–.
(٥) صحيح ابن حبان (حديث رقم: ٥٢٧، ج٢، ص٢٨٥) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–.

وتَصِل إلى التَّضحية بالنفس والمال في سبيل الله، وتشتمل هذه المنظومة أيضًا على مفاهيم ومبادئ وأخلاقيات تُعلي شأن عمل الخير والبِرِّ والإحسان وإيثار الآخرين على النفس، والاحتساب والجهاد بالمال والنفس وبالكلمة والرأي الذي ينتصر للحق، وبعض هذه المفاهيم تحوَّلت إلى مُؤسَّسات كان لها دور كبيرٌ في حياة المجتمع الإسلامي، ومن ذلك مفهوم الصدقة الجارية الذي نشأت عنه مُؤسَّسة الوقف بتراثها العريق[١].

ومجالات العمل التطوُّعي كثيرة ولا تكاد تُحصى، ومن الحقائق الثابتة أن المجتمع بكل جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وقِيَمِهِ الأخلاقية والرُّوحية كُلٌّ لا يتجزَّأ إلا في التجريد العلمي، ولذلك فإن العمل التطوُّعي يجب أن لا ينحصر في جوانب محدودة للمجتمع والإنسان، بل يجب أن يتَّسع ليشمل كل المجتمع وكل الإنسان؛ بما في ذلك حقوقه الأساسية في الحياة والسلام والحُرِّيَّة، وحقوقه الاجتماعية من مأكل ومشرب ومسكن وملبس وصحة وتعليم، وحقوقه الاقتصادية من حقِّه في العمل والأجر والراحة والإجازات، وحقوقه السياسية والمَدَنِيَّة بما فيها الحقُّ في المساواة أمام القانون، وباختصار فقد دخل العمل التطوُّعي/الخيري كل نِطاقات الحياة، بما في ذلك الطب والتمريض والدعوة إلى الله والإغاثة وجمع التبرُّعات والزَّكَوات والصَّدقات وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، إضافةً إلى رعاية المُسنِّين والمعوَّقين والأطفال وتقديم الخدمات المناسبة لهم.

وبعد أن صار العمل التطوُّعي أحد أركان الحياة المعاصرة، أجرى المُهْتَمُّون بهذا الشَّأْن العديد من الدراسات التي استطاعوا من خلالها توسعة مجالات العمل التطوُّعي لتشمل مختلف القطاعات، فمثلًا وجد العلماء أنه يمكن الاستفادة منه لمعالجة الأفراد المُصابين بالاكتئاب والضِّيق النفسي والمَلَل؛ لأن التطوُّع في أعمال خيرية للمجتمع يساعد هؤلاء المرضى على تجاوز مِحْنَتهم الشخصية، والتَّسامي نحو خير يَمَسُّ مُحيط الشخص وعلاقاته، ليشعروا بأهميتهم ودورهم في تقدُّم المجتمع الذي يعيشون فيه؛ ما يعطيهم الأمل بحياة جديدة أسعد حالًا[٢]، وكذلك أكَّدت دراسات[٣] أنه بوسع العمل التطوُّعي أن يُسْهِم في الاندماج الاجتماعي والاقتصادي بين الأقليات الإثنية، كالمهاجرين واللاجئين،

(١) إبراهيم غانم، (٢٠٠١م)، مفهوم ثقافة التطوُّع وإشكاليَّته، مقال في مجلة (المجتمع) الكويتية، العدد ١٤٧٤، ص٦٦.
(٢) بلال عرابي، (٢٠٠١م)، دور العمل التطوُّعي في تنمية المجتمع، مجلة النبأ، العدد ٦٣.
(٣) الأمم المتَّحدة، (٢٠٠٢م)، السنة الدولية للمُتطوِّعين.. النتائج ومنظورات المستقبل، تقرير للأمم المُتَّحدة عن السنة الدولية للتطوُّع، رقم A/٥٧/٣٥٢.

وأن يُفَعِّل فئاتٍ من المجتمع يندُر أن تشارك في هذا المجال، كالمُسِنّين والمُصابين بفيروس نقص المناعة (الإيدز).

٤- رأيُ الفقهاء في العمل التطوُّعي

اعتنى علماء الإسلام بالعمل الخيري التطوُّعي وجعلوه من فروض الكفاية التي لا بُدَّ من تحقُّقها في المجتمع على يد جماعة من المسلمين، يقول إبراهيم البيومي غانم: «ويتَّصِل التطوُّع بالفرض، كما تتَّصِل السُّنَّة بالواجب اتِّصالًا وثيقًا، يصل أحيانًا إلى حدِّ انتقال العمل الواحد من موقع التطوُّع إلى موقع الفريضة المُلزِمة، وذلك في حالات فروض الكفاية التي يتعيَّن القيام بها لمصلحة المجتمع أو الأُمَّة كلها، ويُناط ذلك بفرد أو بجماعة منها أو فئة مُعيَّنة تكون مُؤهَّلة لهذا العمل على سبيل التطوُّع، فإن لم ينهض به أحد صار العمل المطلوب فرضًا مُلزِمًا، ويَأثم الجميع ما لم يقُم هذا الفرد أو تلك الفئة أو الجماعة -أو غيرها- بأدائه على الوجه الذي يكفي حاجة المجتمع»[١].

وفروض الكفاية، كما يقول يوسف إبراهيم يوسف هي «فروض تكافُلِيَّة تَنْمَوِيَّة، تَصِل بالأُمَّة إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي، أو التنمية الذاتية، وحُسْن التوظيف لطاقاتها، وفوائضها المالية، أمرٌ يخصُّ الأُمَّة كلها، ويتعلَّق بكيانها ومصلحتها، والمصلحة العامة مُقدَّمة على المصلحة الخاصة، شرعًا وعقلًا»[٢].

ويقول جمال الدين عطية: «والقيام بفرض الكفاية قيامٌ بمصلحة عامة، والجميع مُطالَبون بسدِّها على الجملة؛ فبعضهم قادرٌ عليها مباشرة وذلك مَن كان أهلًا لها، والباقون -وإن لم يقدروا عليها- فهم قادرون على إقامة القادرين»[٣]، ورغم ذلك فهناك مَن يظنُّ أن فروض الكفاية أقرب إلى النوافل منها إلى الفرائض، وبِذَا تُصبِح غير مُلزِمة، وهناك مَن يرى أن الحكومات هي المُلْزَمة بإقامة فروض الكفاية، وهذا الضَّعف

(١) إبراهيم البيومي غانم، (٢٠٠١م)، البحث عن ثقافة التطوُّع في مجتمعاتنا، مقال في موقع (إسلام أون لاين).
(٢) يوسف إبراهيم يوسف، إنفاق العفو في الإسلام، ص٢٤.
(٣) جمال الدين عطية، قراءة معاصرة لفروض الكفاية، ص٥.

في الشُّعور بفَرْضِيَّة فروض الكفاية، وضعف الشُّعور بالإثم العام الذي يقع على الجميع بإهمالها، أدَّى إلى تهاونٍ كبير من غالبية فئات المجتمع، ولذا يجب أن تُبذَل الجهود لتوعية الأفراد والجماعات والحكومات بأبعاد هذه المسؤولية المشتركة وأثر إقامتها أو إهمالها في المجتمع.

يقول الحسن بن سَهْل[١]:

فُرِضَتْ عليَّ زكاةُ ما مَلَكَتْ يَدِي ... وزكاةُ جاهي أنْ أُعِينَ وأَشْفَعَا
فإذا مَلَكْتَ فَجِدْ وإنْ لم تستطِعْ ... فاجْهِدْ بِوُسْعِكَ كُلِّهِ أنْ تَنْفَعَا

(١) أبو محمد الحسن بن سَهْل السَّرْخَسي، فارسي المولد من وزراء الخليفة المأمون وولاته وقواده، وأخو الفضل بن سَهْل المعروف بذي الرِّياستَيْن، وابنته هي بوران زوجة المأمون.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- إذا طلب منك أحد والديك أو مسؤوليك تأدية عملٍ مُعيَّن، وفعلتَ ما طلبوه منك على أكمل وجه، ولم تحصل من وراء ذلك على أُجْرة ماديَّة، فهل يُعَدّ ما فعلتَه عملًا تطوُّعيًّا؟ وضِّحْ إجابتك.
- اضرب أمثلة على بعض الأعمال التطوُّعية الضارَّة.
- اذكُر بعض المجالات الأخرى للتطوُّع التي لم تُذكَر في هذا الفصل.
- ما نظرة فقهاء الإسلام إلى العمل التطوُّعي/الخيري؟
- كيف يمكن أن يُستفاد من العمل التطوُّعي في علاج الأمراض النَّفسية؟
- هل الحصول على أجرٍ ماديٍّ يُخرِج التطوُّع مِن مفهومه الأصلي؟ وضِّحْ ذلك.

الفصل الثاني

الحاجة إلى العمل التطوُّعي

عندما نُلقي الضوء على مسيرة العمل التطوُّعي في البلدان الإسلامية في الفصل القادم، سنجد أنها تسير بُخطًى مُتعثِّرة وتُواجِه عَقَباتٍ شتَّى، ولذا لا يبقى لدينا خِيارٌ إلا تفعيل هذا الجانب على جميع الأصعدة وبشتَّى الوسائل، ولكي يتبيَّن القارئ أهمية العملية التطوُّعية للأُمَّة الإسلامية، سنُلقي في هذا الفصل مزيدًا من الضوء على الجوانب المُتاحة للأُمَّة لتأديةِ الأعمال التطوُّعية خير تأدية، وكذلك التَّحدِّيات التي تُواجهها في الوقت الراهن التي تستوجب منا جميعًا المشاركة في التصدِّي لها، والذَّود عن الأُمَّة بشتَّى الوسائل والإمكانات المُتاحة.

١ - العمل التطوُّعي دعوة إلى ترميم بُنيان الأُمَّة المُتهالِك

كل مسلم -بلا شك- يدرك أنه جزء من أمة الإسلام الواسعة المُمْتَدَّة التي بدأ في تشييد صروحها نبي الرحمة محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين-، وقد اتَّسعت رُقعة هذه الأُمَّة فشملت معظم أرجاء المعمورة، وقَوِيَ بُنيانها واشتدَّ عُودها بفضل الله ثم بالجهود المُضْنِية التي كان يبذلها أبناؤها عبر القرون، ومما لا شكَّ فيه أن الأُمَّة قد تَبَدَّل حالُها، وأصبحت مُمَزَّعة الأوصال، مُنهَكة القُوى، ضعيفةً في بنائها، ضعيفةً في إمكاناتها، وذلك يعود إلى أسباب كثيرة سنتطرَّق إلى بعضها -بإذن الله- في ثنايا الفصول القادمة.

من أجل ذلك، على عاتق كل واحد منا، صغيرًا كان أو كبيرًا، رجلًا أو امرأة، عالِمًا أو جاهلًا، شيخًا أو شابًّا، فردًا أو مُؤسَّسة، علينا جميعًا الجِدُّ والاجتهاد لنُعيد إلى الأُمَّة صيتَها، ونُرمِّم ما انْدَثَر في بنائها وتهدَّم في صَرْحِها، وعلينا فوق ذلك ألا نَقْنَع بوقوفها على رجليها فقط، ونجعلها تخطو في سَيْرها بخُطًى مُتعثِّرة، وإنما علينا الأخذ بزمامها لا لتُصبِح في مَصَافِّ الأمم فحسب، وإنما لتكون لها الريادة والقيادة للعالم أجمع، وحتى لا تبقى مُسْتَهْلِكة تقتات على فُتات الغير، وإنما من أجل أن تُصبِح أمةً مُنتِجَة ومُصدِّرة للعالم أجمع؛ سواءٌ أكان ذلك في السِّلَع الاستهلاكية أم في التصوُّرات والاعتقادات، أم في الأفكار والمبادئ والقِيَم.

إن علينا جميعًا رسالة ليست بالهيِّنة، رسالة قد أَبَتْ السماوات والأرض والجبال أن يَحْمِلْنَها وأَشْفَقْنَ منها وحملها هذا الإنسان الجهول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، نعم لقد حملناها نحن، وعلينا ألا نتخلَّى عنها أو نتعذَّر بأن الأوضاع الحالية لا تُعين على أدائها.

وإذا كانت تلك رسالتنا، فما الأعمال المطلوب منا تأديتها؟ إنها -بلا شك- أعمال جليلة وكثيرة، وقد تكون طويلة الأَمَد وتحتاج إلى جهدٍ كبير، ولن تنتهي بخطوة واحدة ولا في يوم واحد، ولكن قد تستمرُّ سنواتٍ وعقودًا إلى أن تُصبِح الأُمَّة الإسلامية في مكانها الصحيح اللائق بها بإذن الله.

إننا إذا استشعرنا ثِقَل تلك الأعمال والمَهَام وكثرتها، وعرفنا بالمقابل أنه لا يُؤدِّيها حاليًّا إلا قِلَّة يسيرة من الناس، وعدد محدود من المُؤسَّسات والمُنظَّمات، فعندها أَيْقَنَّا بُعْدَ الهُوَّة بين واقع الأُمَّة الحالي وبين ما ينبغي أن تكون عليه، ومقدار العمل الذي يُقدِّمه أبناؤها في هذا الوقت وما يُرجى منهم تقديمه في المستقبل، وأدركنا حجم الأعمال التي على كل واحد منا تأديتها، وأنه علينا أن نَكدَّ ونَضْنى، ونَصِل الليل بالنهار في عملية بناء الأُمَّة وتشييدها وإعمارها.

من هنا، ينبغي أن لا نتخاذل ونبقى قابِعين في أماكننا ننتظر مَن يأتي ليُسنِد إلينا عملًا نؤديه، ولكن علينا المُبادرة الجادَّة لنضع في ذلك الصَّرح السَّامِق والبناء الشَّامِخ الذي نرجو أن تَصِل إليه الأُمَّة ما نستطيع وضعه من اللَّبِنات، وعلينا أن لا ننتظر من الآخرين ليُوكِلوا إلينا مَهَمَّات البناء، وإنما علينا البحث عنها بجِدِّيَّة وحِرْصٍ، وتأديتها برغبة ورضًا.

بقي أن نذكر أنه بسبب وضع الأُمَّة المُتردِّي، أصبح كثير من أبنائها ومُؤسَّساتها وحكوماتها لا ترى لنفسها حظًّا من نجاحات هذه الحياة، فصِرنا نعيش أذِلَّاء أرِقَّاء نعتمد على دول الشرق والغرب في كل احتياجاتنا ومواردنا واستهلاكاتنا، أو باختصار في كل ما نحتاج إليه في هذه الحياة، وصِرنا لا نريد تكليف أنفسنا إنتاج شيء، وقَنَعنا بما تَجْلِبُه لنا الدول الأخرى من سِلَع ومُستَلزمات، وغالبية تلك الدول -كما نعلم- غير إسلامية، وهي لن تُصَدِّر إلينا تلك السلع نَقِيَّةً صافية، وإنما تُغلِّف معها مبادئها وأفكارها وقِيَمها، ولذا صارت مُجتمعاتنا تتشكَّل يومًا بيوم لا لتُصبِح إسلاميَّة مُستَمْسِكة بكتاب ربها وسنة نبيها محمد -صلى الله عليه وسلم-، وإنما لِتَنْحَلَّ وتَفْسُد وتُصبِح مُجتَمعات شرقية أو غربية، وكل ذلك بسبب اعتمادنا على أُمَم الشرق والغرب في جميع احتياجاتنا الضرورية والكمالية.

من أجل ذلك، فإن مَن يتطوَّع لخدمة هذه الأُمَّة -مهما كان حجم الخدمة ونوعها- فإنما يدفع عنها أصنافًا شتَّى من البلاء الذي حلَّ بها بسبب تَخاذُل أبنائها وتَخلِّيهم عنها، وهو في الوقت نفسه يخطُو بها خُطوات حثيثة نحو المَجْد والسُّؤْدد الذي ننشده لها، وإذا كان الله -سبحانه وتعالى- قد جعل مَن يعمل على إحياء نفس واحدة كمَن يُحيي الناس جميعًا، كما في قوله سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢]، فكيف بمَن يعمل على إحياء أُمَّة كلها؟

٢- العمل التطوُّعي وسيلة لاكتشاف الطاقات الكامِنة في الإنسان وتفعيلها

إن كل واحد منا يدرك تمام الإدراك أن الإنسان من أعظم المخلوقات التي أوجدها الله -سبحانه وتعالى- في هذا الكون، وذلك بما أودعه الله فيه من طاقات بدنية وقُدُرات عقلية لا تقرُب منها الطاقات والقُدُرات التي أودعها الله في غيره من الكائنات، ويكفينا أن نعلم أن الله -سبحانه- قد اختاره ليكون خليفةً له في أرضه وسخَّر له ما في الكون، ولن يكون بمقدوره التَّعامُل مع ما في هذا الوجود من مخلوقات إلا بقدرات وطاقات عظيمة أودعها الله فيه.

ورغم إدراك غالبية المسلمين أنهم خُلَفاء الله في أرضه، وأن الله قد جعل الكون كله تحت تصرُّفهم، إلا أن غالبيتهم لا يدركون حجم تلك الطاقات والقُدُرات المُودَعَة في ذواتهم، ولهذا فإن قليلًا منهم مَن يَثِق بنفسه وإمكاناته وقدراته في تحقيق ما يشاء، وعليه فإننا نرجو من طرح موضوع العمل التطوُّعي أن يستكشف المُتطوّع مَكامِن تلك الطاقات والقُدُرات، وأن يتعرَّف إلى وسائل الاستفادة منها فيما يعود عليه وعلى أُمَّته بالنفع.

٣- العمل التطوُّعي حماية للمسلم من الموت البطيء

إن الموت هو النهاية الحَتْمِيَّة لكل إنسان، بل لكل مخلوق في هذا الوجود، وتلك النهاية لن تأتي للإنسان إلا في وقتٍ معلوم وأجلٍ مكتوب، كما أخبرنا بذلك سبحانه في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ولكنْ هناك نوعٌ آخر من الموت -وهو ما أحببتُ تسميته بالموت البطيء- وهو ما يحدث لكثير من الناس وخاصة عندما يَلتحِق أحدهم بوظيفة ويتزوَّج ويستقرُّ في بيته الخاص، فعندئذ تُصبِح حياته نوعًا من الروتين القاتل، ويعزُف عن المشاركة في الحياة العامة إلا بما

تتطلَّبه منه وظيفته أو علاقاته الاجتماعية، وهنا يبدأ في الرُّكون إلى الراحة، وتَقِلُّ حركته الجَسَدِيَّة ويتقاصَر تدريجيًّا عن استعمال عقله؛ ما يجعل عضلات جسده تبدأ في الترهُّل وعضلات دماغه في الضُّمور، وقد يُعرِّضه ذلك للشَّلل الجَسَدي والذِّهني، والإصابة بشتَّى أنواع الأمراض الجَسَدِيَّة والعقلية، وهذا ما أُسمِّيه بالموت البطيء.

وفتح الأبواب لأمثال هؤلاء لكي يُشغِّلوا أجسادهم وأدمغتهم من خلال الأعمال التطوُّعية التي سنتعرَّض لها في الفصول القادمة قد يمنع أو يُؤخِّر الإصابة بالموت البطيء أو الأعراض الجانبية التي تكون سببًا له أو نتيجة عنه.

٤- العمل التطوُّعي وسيلة للاستفادة من الكوادر المُهدَرة

إن أُمَّة الإسلام لا تشكو قِلَّةَ الكوادر؛ فهي تملك الكثير من السواعد الفَتِيَّة المؤمنة الصادقة التي يمكن أن تحمل هَمَّها وتشارك في بنائها، وفيما يأتي نذكر بعض الفئات التي يمكن أن يكون لها دورٌ بارزٌ في مسيرة العمل التطوُّعي:

أ- المُثقَّفون وحَمَلة الشهادات العُليا

يُوجَد في الأُمَّة -بحمد الله- الملايين من حَمَلة الشهادات العُليا، وهناك أضعاف تلك الملايين من المُثقَّفين، سواءٌ أكانت ثقافتهم في العلوم الشرعية أم الاجتماعية أم الإنسانية أم التطبيقية، ولكن علينا أن ندرك أن «**المُثقَّف الحقَّ هو مَن يقوم بدوره كاملًا وذلك عبر التحمُّل والأداء؛ فإنَّ قيمة المعلومات التي اختزنها، والمعرفة التي أُتيح له الاطِّلاع عليها لن تظهر إلا حين يُؤدِّي زكاة ما جَمَعَه وما اكْتَنَزَه من ثقافة امتدَّتْ على طول سنوات الخبرة في جامعة الحياة، ولن يشفع له أنه قارئ نَهِم أو مُطَّلِع، بل عليه أن يعطينا ثمار معرفته، وإلا كان علمه مما يُتعوَّذ منه؛ فقد استعاذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من علمٍ لا ينفع**»[1].

(١) خباب الحمد، (١٤٢٧هـ)، دور المُثقَّف.. جهود لا ركود، مقال في موقع (المسلم).

ب- العقول المُهاجِرة

إن الأُمَّة لديها حشودٌ كبيرة من أبنائها المُؤهَّلين للبناء، سواءٌ أكانوا يعيشون في ربوعها وعلى أراضيها، أم غرباء مُشرَّدين في بلدان الكفر بسبب أوضاعهم السياسية والاجتماعية، وبكثيرٍ من الأسى فهناك أناس -من صفوة أبناء هذه الأُمَّة- قَضَوْا سنين من عمرهم في الحصول على أعلى الشهادات وأفضل المهارات، ولكنهم عندما رجعوا إلى بلدانهم لم يجدوا مجالًا لتخصُّصهم، ولا ترحيبًا بذكائهم ونبوغهم، فاضطرُّوا أن يعملوا في وظائف بعيدة عن تخصُّصاتهم، وأن يقنعوا باليسير من المال ليحفظوا ماء وجوههم.

وهناك آخرون علِموا أن عودتهم إلى أوطانهم ستكون على حساب نبوغهم وتميُّزهم، فآثروا هَجْر الأحِبَّة والأوطان على وَأْد العقول والأذهان، والأمثلة لهؤلاء كثيرة، وإن شئتم فاسألوا علماء الذرَّة المسلمين، الذين رأوْا أنهم إن عادوا إلى ديارهم فلن يُرحَّب بهم، ولن يجدوا مجالًا لتفعيل ما نَبَغوا فيها، «**ففضَّلوا البقاء في عسل الغرب المَمْزوج بالسُّم، على أن يعودوا إلى حنظلٍ خالصٍ أو بيتِ نحلٍ فارغ**»[1]، ولذا فإننا نأمُل أن يكون العمل التطوُّعي مُتنَفَّسًا لهؤلاء لتطبيق ما درسوه وممارسة ما تعلَّموه، ولا يبقى أمامهم إلا أن يجدوا المُؤسَّسة التطوُّعية الواعية التي تستطيع احتضانهم، وتوفير البيئة المناسبة لهم لتفعيل قُدراتهم ومهاراتهم.

ج- المُتقاعِدون

في الأُمَّة كذلك جيوشٌ من المُتقاعِدين الذين أدَّوْا رسالتهم في حياتهم الوظيفية، فبَقُوا بعد تقاعدهم إما قابعين في بيوتهم يقضون كل أوقاتهم في مشاهدة التلفاز وفي القيل والقال، وإما في التفسُّح والسياحة -لَمَن استطاع أن يَدَّخِر شيئًا من المال-، أو في التَّجْوال في الشوارع والمحالّ، وهم بكل ذلك يقتلون -كما يزعمون- الفراغ المُميت الذي يُعانونه بعدما خرجوا من وظائفهم، وفي الصحيح أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

(١) محمد موسى الشريف، التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، ص٣٠.

قال: ((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّة وَالفَرَاغُ))[١]، وأمثال هؤلاء قد يكونون من أنسب الناس للمشاركة في البناء الذي ننشده؛ وذلك لما اكتسبوه من خبرات طَوال سِنِي حياتهم الوظيفية، والأعمال التطوُّعية قد تكون لهم بمنزلة العاصم من الموت البطيء الذي أشرتُ إليه سابقًا.

د- الباحثون عن العمل

كذلك، فإن أُمَّتنا تعاني مشكلة البَطالَة؛ فهناك جيوش من العاطلين الذين يبحثون ليلَ نهارَ عن عمل -ولو كان يسيرًا- يكسبون منه لقمة العيش، وعلى هؤلاء أن يدركوا أن كل ما في الكون مُقَدَّر بأمر الله -جلَّ جلاله-، وأنه سبحانه ربما اختصَّهم بعدم شغلهم بالوظيفة ليُهيِّئ لهم ما هو أشرف منها، وهو بناء الأُمَّة.

لذا، على أمثال هؤلاء الذين لا يزالون غير مُرتَبِطين بعمل وظيفي أن يُخصِّصوا بعض أوقاتهم في المشاركة في العمل التطوُّعي، وستبقى عندهم أوقاتٌ كثيرة للبحث عن وظائف، وربما تكون مشاركتهم في العمل التطوُّعي سببًا في توفيق الله -سبحانه وتعالى- لهم للحصول على أعمال تُعينهم في حياتهم، وسببًا للتعرُّض لدعوة صادقة من فقير أو يتيم أو مُتضرِّر ساعده المُتطوِّع، وكذلك فإن تأديتهم الأعمال التطوُّعية ستُكسِبُهم -بإذن الله- مهارات وخبرات قد تُؤهِّلهم للحصول على وظائف لم يحلُموا بها من قبل، وفي الوقت نفسه فعمل الخير للناس يرفع شأن هذا الإنسان عند الله وعند الناس، ويُكسِبه الثِّقة بنفسه وقدراته وإمكاناته.

(١) صحيح البخاري (حديث رقم ٦٤١٢، ج، ص٨٨) من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–.

هـ- المُستقيمون

ولا ننسى أيضًا أن الأُمَّة الإسلامية -وخاصة بعد بزوغ بوادر الصَّحْوة في جميع ربوعها- قد تكوَّنت لديها أفواجٌ من المستقيمين، أو الذين بدؤوا يسلُكون طريق الاستقامة، وعلى هؤلاء أن يدركوا أن رسالة الإسلام هم أقدر الناس على حملها بسبب وَعْيِهم وفكرهم، وبسبب استقامتهم وتوفيق الله -سبحانه وتعالى- لهم، ولذا عليهم أن لا يتقاعسوا عن ذلك الواجب، وعليهم كذلك أن يدركوا أن استقامتهم الحقيقية هي في بذل المعروف والخير للناس، الذي لا يريدون من ورائه أجرًا ولا مصلحة ولا منفعة دنيوية، وإنما يحتسبون كل ذلك عند الله -سبحانه وتعالى-.

لكن –مع الأسف- فإن كثيرًا من هؤلاء «**اكتفَوْا من الإسلام بالركوع والسجود، والأوراد والأذكار، وإطالة السُّبْحة والتلوُّم في السَّجْدة، وظنُّوا أن هذا هو الإسلام، ولو كان هذا كافيًا في إسلام المرء وفوزه في الدنيا والآخرة لما كان القرآن ملآن بالتحريض على الجهاد، والإيثار على النفس، والصدق والصبر، ونَجْدة المؤمن لأخيه، والعدل والإحسان، وجميع مكارم الأخلاق**»[1].

إن على هؤلاء أن يكونوا سبَّاقين للمشاركة في الأعمال التطوُّعية، وأن يبادروا إليها قبل غيرهم، وأن يكونوا قُدْوة يحتذي بهم الآخرون، وربما تكون مشاركتهم في الأعمال التطوُّعية الخيرية سببًا في استقامة غيرهم وسببًا لتقبُّل الناس مبادئ هذا الدين، ولذلك أقول بأن الواجب يتضاعف على هؤلاء، والمُهِمَّة المنوطة بهم تفوق المَهَامَّ التي على غيرهم تأديتها.

و- الأغنياء وأصحاب الثروات

وأخيرًا، أذكر أن معظم أبناء هذه الأُمَّة قد باتوا فقراء يتكفَّفون الأمم الأخرى، وأصبحت أكُفُّهم خالية لا تستطيع أن تجود بمالٍ، وما ذلك إلا بسبب تخاذُلهم عن دينهم،

(١) شكيب أرسلان، لماذا تأخَّر المسلمون، ولماذا تقدَّم غيرهم، ص٣٤.

وتَشَرذُم مُعتقداتهم وتصوُّراتهم، وبسبب الأوضاع السياسية والاجتماعية التي تمرُّ بها أُمَّتهم، ولكن يبقى أن هناك أناسًا من هذه الأُمَّة قد رزقهم الله -سبحانه وتعالى- أموالًا طائلة، لا بسبب قوَّتهم أو ذكائهم أو ما يبذلون من جهود، وإنما هي مِنَّة لهم من المولى -سبحانه-، وعليهم أن يحافظوا عليها ويُنَمُّوها بتسخيرها في سبيله، ولا أنفع من ذلك ولا أفضل إلا أن يجعلوها في جوانب العمل التطوُّعي.

وأقول لهؤلاء إن الله قد هيَّأ لكم الفرصة وأتاح لكم المجال لكي تضاعفوا أجوركم وأموالكم بتسخيرها في طاعة الله -تعالى- ورضاه، بدلًا من أن تملؤوا بها المصارف والبنوك، أو تختزنوها في بيوتكم وخزاناتكم، أو تصرفوها في أعمال وتجارات مشبوهة أو مُحرَّمة قد تَجُرُّ عليكم -إن لم تتداركوا أنفسكم- الوَبَال والدَّمار في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة.

قُلْ لي بِرَبِّكَ ماذا يَنْفَعُ المالُ ... إن لم يُزَيِّنْهُ إحْسَانٌ وإفضالُ[1]
المالُ كالماءِ إن تَحْبِسْ سواقِيَهُ ... يَأْسَنْ، وإنْ يَجْرِ يَعْذَبْ منهُ سِلْسَالُ
تَحْيَا على المَاءِ أَعْراسُ الرِّياضِ كَمَا ... تَحْيَا على المَالِ أرْواحٌ وآمَالُ
إنَّ الثَّراءَ إذا حِيلَتْ مَوارِدُهُ ... دُونَ الفَقيرِ فَخَيْرٌ مِنْهُ إقْلاَلُ
اللهُ أعطاكَ فابْذُلْ مِن عَطِيَّتِهِ ... فالمالُ عَاريةٌ والعُمْرُ رَحَّالُ

إن الدور الذي يمكن أن يُؤدِّيه هؤلاء في بناء الأُمَّة عظيم وخطير، وخاصة إذا أدركنا قيمة المال والاقتصاد في الحياة المعاصرة، ولذا نقول لمَن يملكون المال إنه قد حانت الفرصة لكم لكي تبنوا لأنفسكم وذراريكم أمجادًا في هذه الدنيا وقصورًا وجنات في الآخرة بإذن الله، وإن مشاركتكم بأموالكم في مجال العمل التطوُّعي لا تَقِلُّ أهمية -إن لم تكن أهم- عن الجوانب الأخرى التي يمكنكم الإسهام فيها، وإذا جمعتم بين إنفاق المال والمشاركة بالنفس فإن ذلك خيرٌ وأبقى بإذن الله.

(١) وردت الأبيات بدون عزوٍ لقائلها في "موارد الظمآن لدروس الزمان» لعبد العزيز السلمان، ج٣، ص٧٤.

٥- العمل التطوُّعي يُعوِّض دور الحكومات في دعم الأعمال الخيرية

قد يقول قائل إنه لا حاجة إلى التطرُّق لموضوع الأعمال التطوُّعية، لأن حكوماتنا الإسلامية قد عوَّدتنا توفير كل الخدمات التي نحتاج إليها من تعليم وصحة وبناء للمُؤسَّسات، وكل ما يتعلَّق بذلك من تخطيط وتشييد وإعمار، ولذا فما علينا إلا الانتظار إلى حين تحقيق هذه الدول ما نتمنَّاه من مُؤسَّسات ومشاريع.

لكن المُتتبِّع مُجْرَيات الأحداث في العالم يرى أنه «**منذ منتصف الثمانينات الميلادية والعالم يشهد تراجُعًا كبيرًا لدور الدولة في عملية التنمية بشكل عام، والتنمية الاجتماعية على وجه الخصوص، والاتِّجاه نحو تحميل القطاع الخاص للاضْطلاع بالمسؤولية الأكبر في تقديم الخدمات الاجتماعية والخدمات العامة الأخرى**»[(١)]؛ ومن أجل ذلك عادت المُنظَّمات الأهلية التطوُّعية من جديد لِتَسُدَّ الفجوات وتستجيب للاحتياجات وتُقدِّم الخدمات التي لا تُعيرها الحكومات أو القطاع الخاص اهتمامًا.

إن علينا أن ندرك أن زمان البذخ والتودُّد للشعوب قد ولَّى، والحكومات الإسلامية قد بدأت في التخلِّي عن الاهتمام بالأعمال الخيرية، واقتصرت جهودها وإنفاقاتها على ما يُمكِّنها من مُحارَبة الدين والمُصلِحين من أبنائها، وجَلْب الطرق والوسائل التي تُعينها على ذلك، وأما أن تُؤدِّي الأعمال التي تعود على شعوبها بالنفع، وتجلب لها الوُدَّ والاحترام والحُبَّ من قِبَلِهم فهي أبعد ما تكون عن ذلك، ولذا علينا ألا نَكِل أمورنا إليها، وإنما يجب أن نبادر بأنفسنا لتأدية الأعمال التي تخدُم مجتمعاتنا.

لقد أصبحت الحكومات الإسلامية تتعلَّل بقِلَّة مواردها، وشُحِّ أموالها ومصادر دخلها، مع علمنا بأن الحقيقة هي عكس ذلك، ولكن أموال الأُمَّة وثرواتها باتت تَصُبُّ في جيوب أفراد قِلَّة، وصارت تُصْرَف في أعمال ومشاريع هي -كما ذكرتُ- أبعد ما تكون عن إفادة الشعوب الإسلامية ومُجتمعاتها.

(١) الجازي بنت محمد بن فهد الشبيكي، (٢٠٠١م)، الجمعيات النسائية الخيرية والمساهمة في التنمية الاجتماعية، بحث مُقدَّم إلى جمعية الملك عبد العزيز الخيرية بالقصيم.

أيضًا، أضحت هذه الحكومات واقعة تحت ضغوطات داخلية وخارجية من أجل التخلِّي عن الاهتمام ببناء الأُمَّة؛ فهناك ضُغوطات داخلية من قِبَل أفراد مُنْحَرِفين ومُؤسَّسات ومُنظَّمات نذرت نفسها لمحاربة دين الله -سبحانه وتعالى-، بسبب ما انغرس في عقليَّاتها وتصرُّفاتها من فكر إلحاديٍّ أو عَلْمانيٍّ أو شيوعيٍّ.

لقد صارت تلك المُؤسَّسات والمُنظَّمات -بعد أن تبنَّت ما يحلُو لها من الأفكار الهدَّامة- صارت تحارب الإسلام الذي هو سبب صلاح المجتمع وسعادة الناس، والذي لولاه لَعَمَّت الفوضى وفسدت الأرض، وأضحت تشُنُّ حروبًا طاحنة على المُصلِحين من أبناء الأُمَّة، وتعمل ما في وُسْعها للضَّغط على الحكومات الإسلامية لِتَقِفَ حَجَر عَثْرة أمام أيِّ إصلاح يريده المُخلِصون من أبناء الأُمَّة.

وأما الضُّغوطات الدولية والسياسات الخارجية فدأبت -كما هو دَيدَنُها في القديم والحديث- على إبقاء دول العالم الإسلامي مُتحارِبة مُتصارِعة، لكي تبقى مُفكَّكة ضعيفة مُنْهَزِمة غير قادرة على الإنتاج والاكتفاء الذاتي، ولكي تبقى ذليلة مُعتَمِدة على غيرها في كل شيء، وصارت هذه السياسات تضغط بشِدَّة على الحكومات والمُؤسَّسات والمُنظَّمات الإسلامية المُوالية لها، لتُعرقِلَ أيَّ مشروع إسلامي يهدف إلى إعادة صياغة الأُمَّة وبنائها من جديد، ومن أجل هذا علينا أن لا نُعَوِّل كثيرًا على الحكومات الإسلامية في المشاركة في مسيرة العمل التطوُّعي، وبقَدْر ما نتَّقي شرَرَها وبَوارها علينا أن لا نطمع في صلاحها ونفعها.

٦- العمل التطوُّعي في مواجهة المُؤامرات والدَّسائِس الدولية

لقد صارت المؤامرات الدولية والسياسات الخارجية المُعادية على درجة من الانكشاف والانتشار بحيث أصبحت تُطالعنا بها الصحف ووسائل الإعلام يوميًّا، وهي -كما ذكرتُ- لا تهدف إلا إلى تفتيت سواعد الأُمَّة، وتبديد جهودها، وصرف اهتمامات شبابها في أمور تافهة لا تعود بأيِّ نفع عليهم ولا على أُمَّتهم.

لقد أصبح هذا واضحًا جَلِيًّا في هؤلاء الشباب؛ سواءٌ أكان في أقوالهم أم أفعالهم أم تصوُّراتهم، حتى صارت تصوُّراتهم من التَّفاهة وتصرُّفاتهم من البَسَاطة بحيث لا تستطيع المشاركة -أو حتى التأثير- في مسيرة البناء شيئًا، وفوق ذلك فاهتماماتهم وإنتاجاتهم -في الغالب- مُوجَّهة نحو أمور لا تعود عليهم ولا على مجتمعاتهم بالنفع.

لقد صرنا نرى معظم الشباب والفتيات يَصرِفون جُلَّ أوقاتهم في متابعة وسائل التَّواصُل الاجتماعي وكل ما فيها من غثٍّ وضارٍّ، أو في قضاء الساعات الطِّوال في التسكُّع في مراكز التسوُّق والشواطئ والمُتَنَزَّهات، وباتت فتيات الإسلام تتابع عروض المُوضات والأزياء والدِّعايات الهابطة والبرامج الهدَّامة التي تهدف إلى تحلُّلِها وانسلاخها من قِيَمِها ومبادئها ودينها، وأصبح الشُّغْل الشَّاغِل لأبناء الأُمَّة وبناتها اقتناءَ أحدث الموضات من الثياب والأحذية وصَفَّات الشَّعْر وقَصَّاته.

وصارت الفتيات تتسابق مع الفتيان للمشاركة في المهرجانات الراقصة والحفلات الماجنة، واستماتت في الحصول على الوظائف التي تجعلها جنبًا إلى جنب مع الفتيان، تُمتِّع أعينهم بالملابس المُتبرِّجة الفاضحة التي ترتديها، وتسريحات الشعر المُثيرة للغرائز، وتستميل قلوبهم بالعطور التي تجِدُّ وتجتهد في البحث عنها، والوَجَنات والشِّفاه المصبوغة بالمواد التجميلية التي صُنِعت خِصِّيصَى لها في دول الكفر والإلحاد، أو بادَرْنا نحن المسلمين إلى فتح مصانع لها في بلداننا الإسلامية لنزيد فتياتنا غَوايةً وشبابنا انحرافًا.

هذا هو حال القسط الأكبر من شباب الإسلام وفتياته، ومَن سَلِم منهم من تلك الهَفَوات والانحرافات لم يَسْلَم من تضييع أوقاته في الرياضة، ومتابعة الأفلام والمباريات، وقضاء الساعات الطِّوال في الهَرْج والمَرْج في الدَّردشات على مواقع التَّواصُل التي باتت تتزايد في عددها ونوعها، فأين هؤلاء من الذين صوَّرهم أمير الشعراء بقوله:

شَبَابٌ قَنَّعٌ لا خَيْرَ فيهِمْ ... وَبُورِكَ في الشَّبَابِ الطَّامِحِينَا[1]
شَبَابٌ ذَلَّلُوا سُبُلَ المَعَالي ... وَمَا عَرَفُوا سِوَى الإسلامَ دِينَا
شَبَابٌ لم تُحطِّمْهُ اللَّيالي ... ولم يُسْنِدْ إلى الخَصْمِ العَرِينَا
ولم يَتَشَدَّقُوا بقُشُورِ عِلْمٍ ... ولم يَتَقَلَّدُوا بالْمُلْحِدِينَا
وما عَرَفُوا الخَلاعَةَ في بَنَاتٍ ... وما عَرَفُوا التَخَنُّثَ في البَنِينَا
وما عَرَفُوا الأغانِيَ مَائِعاتٍ ... ولكنَّ العُلا صِيغَتْ لُحُونَا
إذا شَهِدُوا الوَغَى كانوا حُمَاةً ... يَدُقُّونَ المَعَاقِلَ والحُصونَا
وإذا جَنَّ المَساءُ فلا تراهُمْ ... من الإشْفاقِ إلا سَاجِدِينَا
كذلكَ أَخْرَجَ الإسْلامُ قَوْمِي ... شَبَابًا مُؤمِنًا حُرًّا أمينَا

إن انحراف الشباب والفتيات ليس فقط بسبب سلوكٍ أو فكرٍ وَرِثوه عن آبائهم وأجدادهم، أو استَقَوْه من المُفْسِدين في مجتمعاتهم، وإنما القسط الأكبر من ذلك هو بسبب المؤامرات الدولية التي تُحاك لِصَرْفهم عن جوهر رسالتهم، وما يعود عليهم وعلى أُمَّتهم بالنَّفع والصلاح، وعلينا أن ندرك أن تلك المُؤامرات الدولية والسياسات العالمية تهدف إلى إبقاء أُمَّة الإسلام خاضعةً لهم، مُستَكينة لسياساتهم، مُتكَفِّفة لموائدهم، ولذلك تراهم يعملون كل ما في وُسْعهم من أجل أن تُصبِح إنتاجية الشعوب المسلمة في أدنى مستوياتها العالمية، وأن لا تُسَخَّر تلك الإنتاجات إلا في ما يعود بالضَّرَر عليهم وعلى مجتمعاتهم.

إن الدعوة إلى العمل التطوُّعي هو في حدِّ ذاته دعوة إلى انتشال تلك الأفواج التائهة من الشباب والفتيات، وتوجيه قدراتهم وطاقاتهم فيما يعود بالنفع عليهم وعلى أُمَّتهم، وفي الوقت نفسه فيه حملٌ لراية الدفاع عن هذه الأُمَّة ومُقدَّراتها، لكي لا تُسلِّم القيادة -في غفلة من أبنائها- لأُمَم الكفر ومُنظَّمات الدَّمار التي تتربَّص لها بالمرصاد.

إن كل مَن يُساهِم في هذا المشروع الحضاري -مشروع العمل التطوُّعي- هو في حقيقة الأمر يُناضِل من أجل أن تَبقى للأُمَّة عِزَّتُها ومكانتُها بين الأُمَم، ومن أجل وقف المدِّ الجارف

(١) من قصيدة بعنوان "توت عنخ آمون" لأمير الشعراء أحمد شوقي.

من الانحرافات العَقَدية والخُلُقية والفكرية التي تضخُّها أُمَم الكفر، ويُوسِّع لها الطُرُقَ ويفتح لها المنافذَ أناسٌ من بني جلدتنا ويتكلَّمون بلغتنا، كما وصفهم الحبيب المصطفى -عليه الصلاة والسلام-[1].

(١) روى البخاري في صحيحه (حديث رقم: ٣٦٠٦، ج٤، ص١٩٩) عن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حُذيفة بن اليمان– رضي الله عنه– يقول: ((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»))، إلى آخر الحديث.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- ما المقصود بمُصْطَلَح «الأُمَّة» في هذا الكتاب؟
- اذكُر أمثلة واقعية مُشاهَدة تُبَرْهِن على أن الأُمَّة بحاجة إلى بناء وترميم.
- فكِّر في بعض الأعمال التي يمكنك المشاركة بها في بناء الأُمَّة، ثم ناقشها مع زميل لك أو صديق، ثم ضعَا خُطَّة لتنفيذها.
- لو تطوَّع كل واحد من أبناء الأُمَّة بساعة واحدة فقط من وقته في كل شهر، فكم ساعةً تطوُّعية في العام يمكن الحصول عليها للمساهمة في بناء مسيرة الأُمَّة؟
- لو أخذنا في الاعتبار النتيجة التي حصلتَ عليها في إجابتك عن السؤال السابق، ولو افترضنا أن كل ساعة تطوُّعية واحدة ستُوفِّر للأُمَّة خمسة ريالات، فكم ريالًا يمكن للأُمَّة أن تُوفِّره في العام الواحد؟
- العمل التطوُّعي يُعَد حماية للأُمَّة مما يُسمَّى بالتَّبَعِيَّة الفكرية. وضح ذلك.
- عدِّد بعض القُدرات التي لديك والتي يمكنك المشاركة بها في أعمال تطوُّعية.
- هل في اعتقادك أن للبيئة دورًا في تشجيع أو قتل المواهب؟ وهل يمكنك أن تُصبِح أنت في المستقبل من الفاعلين في بيئتك؟ وضِّح كيف يمكنك الوصول إلى ذلك.
- ما المقصود بالموت البطيء، كما ورد في هذا الفصل؟
- إذا كان كل إنسان بحاجة إلى الراحة الجَسَدِيَّة والعقلية، فلماذا يتحدَّث هذا الفصل عمَّا يُسمَّى بالموت البطيء؟
- هل تظنُّ أنك فعلًا قد دخلت في مرحلة الموت البطيء؟ إن كنتَ كذلك، فكيف يمكنك الخروج منها؟

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- ينظر البعض إلى أن ابتعادهم عن المشاركة الاجتماعية والسياسية والفكرية، والاكتفاء بالعمل التطوُّعي في محيطهم الشخصي والأُسَري هو نوعٌ من الحماية لهم ولأُسَرِهم، وأن تفاعلهم مع المجتمع قد يُعرِّضهم أو يُعرِّض أُسَرَهم للمشكلات والقلاقل من قِبَل الآخرين. هل تتَّفِق مع ما يقوله هؤلاء؟ ادْعَم إجابتك بالأدلة.
- استَخدِم وبعض زملائك (الإنترنت) لكتابة بحثٍ مُصَغَّر عن هجرة العقول المسلمة إلى الدول الأجنبية، واذكروا فيه عدد حَمَلَة الشهادات العُليا في كل بلد إسلامي، وأعداد المسلمين مِن حَمَلَة الشهادات العُليا الذين يعيشون في الدول الأجنبية، ثم تتبُّعوا أسباب هجرة تلك العقول من بلدانها الإسلامية إلى الدول الأجنبية، وحاولوا وضع حلول لهذه الظاهرة، وبعد أن تفرغوا من البحث، شاركوا به إخوانكم وزملاءكم بتقديمه على شكل محاضرة أو ندوة، أو بطرحه في مواقع التَّواصُل الاجتماعي، أو إخراجه على شكل كُتيِّب يُطبَع ويُنشَر.
- اذكُر بعض المجالات والأعمال التي يمكن من خلالها الاستفادة من خبرات المُتقاعِدين وتجاربهم.
- أَجْرِ دراسةً مُيسَّرة عن عدد المُتقاعِدين في المحيط الذي تعيش فيه، ومجالات الاستفادة من كل واحدٍ منهم.
- تُعَدُّ ظاهرة البَطالَة من المشكلات الكبرى التي تُقلِق هَمَّ الكثيرين. هل تتَّفق مع هذا الرأي؟ أيِّد إجابتك بأرقام تُبيِّن أعداد العاطلين عن العمل في بيئتك.
- اذكُر بعض فوائد مشاركة العاطلين عن العمل في الأعمال التطوُّعية.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- ورد في هذا الفصل أن المُهِمَّة المَنوطة بالمستقيمين تُعَدُّ مُضاعَفة. وضِّح ذلك.
- اشرَح كيف يمكن أن يكون للمال دورٌ أساسٌ في مجال العمل التطوُّعي.
- ضع مقارنة بين إيجابيات استثمار الأموال في الأعمال الخيرية واستثمارها في المصارف والمشاريع التجارية.
- اذكُر نماذجَ وصورًا تُوضِّح من خلالها تخلِّي الحكومات الإسلامية عن دعم العمل الخيري في بلدانها.
- ذُكِر في هذا الفصل أن الحكومات الإسلامية واقعة تحت ضُغوطات داخلية وخارجية. اذكر نماذج لتلك الضُّغُوطات.
- إذا كانت الدول الإسلامية فعلًا لا تملك زمام أمورها، فكيف يمكن للضُّغوطات الداخلية والخارجية أن تُؤثِّر في تسيير شؤون هذه الدول؟
- لو كنتَ زعيمًا لدولة إسلامية، فكيف يمكنك حماية بلدك من الوقوع تحت تأثير الضُّغوطات الداخلية والخارجية؟
- في رأيك، لماذا تُحاول الدول الأجنبية التدخُّل في شؤون الدول الإسلامية؟
- اذكُر بعض الأعمال والمشاريع التطوُّعية التي يمكن أن تَحُدَّ تدخُّل الدول الأجنبية في شؤون الدول الإسلامية.
- كيف يمكن إعادة صياغة الأُمَّة الإسلامية لتُصبِح مالكةً زمام أمورها، ولا تتأثَّر بالتغيُّرات والسياسات الخارجية؟
- حسب فهمك ما ورد في هذا الفصل، هل يُعد العمل التطوُّعي دعوة إلى مُواجهة الحكومات الإسلامية والتخلُّص منها؟ ما الرسالة التي يُحاول هذا الفصل إيصالها إليك؟

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكُر خمسة من مظاهر الانحراف عند الشباب والفتيات.
- ما تأثير انحراف الشباب والفتيات في موضوع بناء الأُمَّة؟
- يرى البعض أن أيَّ انحراف في الشباب والفتيات نابعٌ من ذوات أنفسهم، ولا يمكن لغيرهم أن يُؤثِّر فيهم. وضِّح كيف يمكن أن يكون ذلك صحيحًا.
- اذكُر بعض الأدلة من القرآن والسُّنَّة وأقوال علماء المسلمين التي تُوضِّح أن أُمَم الكفر تُحاول جاهدة لإبقاء الشباب والفتيات من المسلمين بعيدين عن التمسُّك بدينهم.
- شارِك بعض زملائك في عمل دراسة عن الأعمال التي يقضي فيها الشباب والفتيات أوقاتهم في محيطك الذي تعيشون فيه، ثم قارنوا نتائج تلك الدراسة بما ورد في هذا الفصل.
- ابحَث في كتب أخرى أو مواقع (الإنترنت) والتَّواصُل الاجتماعي عن نماذج لبعض المُؤامرات الدولية التي تهدف إلى إفساد الشباب والفتيات وخاصة المسلمين منهم.

اذكُر نماذج لأعمال ومشاريع تطوُّعية يمكن أن تحمي الشباب والفتيات من الانجراف وراء مُخطَّطات الغرب.

الفصل الثالث

العمل التطوُّعي الفردي

العمل التطوُّعي الفردي هو: «**عمل أو سلوك اجتماعي يمارسه الفرد من تلقاء نفسه وبرغبة منه وإرادة، ولا يبغي منه أيَّ مردود ماديٍّ، ويقوم على اعتبارات أخلاقية أو اجتماعية أو إنسانية أو دينية**»[١]، و «**هناك تشوُّقٌ إنسانيٌّ عميق إلى ما يمكن أن نُسمِّيه (تحقيق الذات)، إذ يتطلَّع الإنسان إلى أن يُؤكِّد لنفسه وللآخرين قدرته على القيادة والتأثير، واستحقاقه الرِّيادة والتَّسامي نحو المعالي، وهو في سبيل ذلك مُستعِدٌّ للتضحية والبذل**»[٢].

رغم أن تطوُّع الفرد من خلال مُؤسَّسات مجتمعية له فوائد جمَّة، أبرزها تعويده العمل بروح الفريق الواحد واكتسابه خبرة في العلاقات الاجتماعية والعلاقات العامة والقيادة وتوسيع المدارك وتطوير القدرات في الجوانب الشخصية والعملية، فإن المتابع لمساهمة الشباب العربي في العمل التطوُّعي سيلاحظ محدودية المشاركة فيه؛ ففي دراسة ميدانية أجرتها الشبكة العربية للمُنظَّمات الأهلية تبيَّن أن الشباب العربي من سِنِّ ١٥ إلى ٣٠ عامًا هم أقل الفئات اهتمامًا بالعمل التطوُّعي[٣].

وقد لا تنُمُّ عدم مشاركة الشباب عن عدم رغبتهم في التطوُّع، ولكنها -في معظم الأحيان- لم تدخل في حيِّز اهتماماتهم، لأنهم لم يُدعَوا للمشاركة، وقد أشارت الدكتورة أماني قنديل -المديرة التنفيذية للشبكة العربية للمُنظَّمات الأهلية- إلى بعض الأسباب الأخرى منها[٤]:

(١) محمد هشام أبو القمبز، جدِّد شبابَك بالتطوُّع، كتاب إلكتروني.
(٢) عبد الكريم بكار، المشروع الحضاري، ص ٣٧.
(٣) خالد أبو بكر، (٢٠٠٣م)، تطوُّع الشباب.. شجرة يرويها الانتماء، مقال في موقع (إسلام أون لاين).
(٤) المرجع السابق.

✓ حثُّ الأسرة أبناءها على الاهتمام بالعملية التعليمية دون توجيه اهتمامهم إلى المجتمع المَحَلِّي، وإلى قيمة التطوُّع ومساندة الآخرين.

✓ خُلُوُّ المناهج التعليمية من أنشطة تغرس قيمة التطوُّع ومساعدة المجتمع المَحَلِّي في أذهان الطلاب.

✓ الضُّغوطات الاقتصادية التي يعايشها معظم الشباب، والتي تفرض عليهم توجيه جُلِّ اهتمامهم إلى البحث عن عمل يكسبون منه لقمة العيش.

ويعزو بعض الباحثين ضعف مشاركة الشباب في الأعمال التطوُّعية إلى الأسباب الآتية[١]:

✓ قِلَّة تشجيع المجتمع للعمل التطوُّعي؛ ما أدَّى إلى حالة من عدم الوعي بمفهوم التطوُّع وفوائد المشاركة فيه على الفرد والمجتمع.

✓ خوف بعض المُؤسَّسات التطوُّعية من عدم التزام الشباب المُتطوِّع الأعمال التي تُسنَد إليه، ومن ثَمّ فبعضها لا يحاول اجتذابهم إليها، وإنما تُفضِّل الاقتصار على مجموعة بعينها تثِق بهم فتُسنِد إليهم الكثير من أعمالها؛ ما يجعل الشباب الآخرين الذين يتطوَّعون في مثل هذه المُؤسَّسات يشعرون بعدم فاعليَّتِهم فيها.

✓ تقصير الجمعيات والمُؤسَّسات الأهلية أو التطوُّعية في بلداننا في الدعاية لنفسها، والكشف عن برامجها والأهداف والغايات التي تعمل من أجلها بما يجعل الشباب يُقبِلون عليها.

أما عن الحلول التي يمكن من خلالها تشجيع تنامي اهتمام الشباب بالعمل التطوُّعي فيمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

(١) المرجع السابق.

- ✓ التخطيط لبرامج تنشيطية تطوُّعية في المدارس والجامعات وإدراجها ضمن المناهج الدراسية، ويمكن مكافأة الطلاب المُتطوِّعين بمنحهم درجات مكافَأةً لما يؤدونه من أعمال تطوُّعية، وعدّ الأوقات التي يقضونها في العمل التطوُّعي مكافِئة لأوقات المحاضرات.

- ✓ فتح مراكز لتوجيه المُتطوِّعين وتأهيلهم، وهي آلية مُتوفِّرة في أغلب الدول المُتقدِّمة وفي بعض البلدان العربية كالأردن وفلسطين، وتُعَدُّ هذه المراكز وسيطًا بين رغبة وإرادة المُتطوِّع في تخصيص وقتٍ أو جهدٍ للتطوُّع وبين المجال المناسب الذي يمكنه التطوُّع فيه اعتمادًا على ظروفه وقدراته ومهاراته، وتُقدِّم مراكز التطوُّع هذه التدريب المُتخصِّص للمُتطوِّعين؛ ما يرفع فاعِليّة العمل التطوُّعي وأداء المُتطوِّعين.

- ✓ رصد جوائز إقليمية وقُطْرية لتشجيع الشباب على التطوُّع والانخراط في مشاريع تطوُّعية تعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالخير والنماء، ومن ذلك جائزة الملك فيصل التي أُنشِئت عام ١٩٧٧م، ومُنحت للمرة الأولى عام ١٩٧٩م تقديرًا للأفراد والمُؤسَّسات على إنجازاتهم المُتميِّزة في خمسة أفرع، هي: خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، واللغة العربية والأدب، والطب، والعلوم، ومنها جائزة السلطان قابوس للعمل التطوُّعي التي بدأت في عام ٢٠١١م، وتهدف إلى تعزيز وتنشيط دور المُؤسَّسات المجتمعية والأفراد في مجالات العمل التطوُّعي.

- ✓ وضع تشريعات تُؤكِّد مشاركة الشباب في العمل التطوُّعي، مثل تحديد نسبة مشاركة الشباب والفتيات في مجالس إدارة الجمعيات الأهلية، واقتراح إجراءات لتحفيزهم على المشاركة من قبيل وضع تخفيضات على رسوم عضوية الجمعيات والنوادي والمراكز التي تعمل ضمن إطار التطوُّع، ويمكن مكافأة المُوظَّفين من هؤلاء بعدّ الأوقات التي يقضونها في الأعمال التطوُّعية جزءًا من وظيفتهم وعدم خصم الأيام التي يقضونها في الأعمال التطوُّعية من إجازاتهم الاعتيادية.

- ✓ حثُّ وسائل الإعلام على تبنّي مسيرة العمل التطوُّعي ضمن رسالتها الإعلامية، وذلك من خلال تحبيب العمل التطوُّعي لدى الشباب والفتيات، وطرح البرامج التثقيفية والترفيهية التي تغرس قِيَم العمل التطوُّعي ومبادئه وتُعين المُتطوِّع على تعلُّم أبجديات

العمل التطوُّعي، إضافةً إلى فتح قنواتٍ إعلامية لإتاحة المجال للمُتخصِّصين للتحاور حول العملية التطوُّعية لغرض الارتقاء بها محليًّا ودوليًّا؛ ما يزيد فاعليّة العمل التطوُّعي وتوسيع مستوى الثقافة المُجتَمَعِيَّة حوله.

يقول عبد الله بن طاهر[١]:

ليس في كُلِّ ساعةٍ وأوانِ تَتَهَيَّأْ صنائعُ الإحسانِ
فإذا أَمْكَنَتْ تَقَدَّمْتَ فيها حَذِرًا مِنْ تَعَذُّرِ الإمْكانِ

(١) كان عبد الله بن طاهر الخراساني الحاكم العباسي على خراسان من عام ٨٢٨م وحتى وفاته في عام ٨٤٤/٨٤٥م، وقد عَهِد الخليفة العباسي المأمون إليه بولاية خراسان خلفًا لأبيه.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكُر بعض الأسباب المُؤدِّية إلى نفور الشباب والفتيات من العمل التطوُّعي.
- أَجْرِ دراسة حول المدارس الموجودة في البيئة التي تعيش فيها، ومقدار ونوعية الأنشطة الموجودة في مناهجها التي تستهدف خدمة المجتمع.
- ناقِش النتائج التي توصَّلْتَ إليها مع مديري تلك المدارس ومجالس الآباء والأُمَّهات فيها، وما يمكن فعله للارتقاء بمستوى العمل التطوُّعي في تلك المدارس.
- حاول مع بعض الشباب إقامة فعّاليات تطوُّعية تخدم المجتمع، وحاول كذلك إقناع مراسلي الصحف في بلدك بإجراء تغطيات إعلامية لتلك الفَعاليات؛ نوعًا من التكريم للشباب المشاركين فيها، ولتشجيع الآخرين على تأدية أعمال شبيهة في المستقبل.
- ناقِش مع بعض المُهتَمّين بالعمل التطوُّعي في بلدك المجالات المُتاحة للعنصر النسائي للمشاركة في هذا الجانب، ثم ضعوا خُطَّة لتفعيل بعض تلك الأنشطة، ولا تنسَوْا تقويم كل نشاط لتعرفوا مدى مشاركة النساء فيه.
- اتَّفِق مع بعض الشباب على كتابة مقالات حول موضوع العمل التطوُّعي، وأرسِلوها إلى الصحف المَحَلِّية، أو اطبعوها ووزِّعوها على شكل مطويات بعد الحصول على التراخيص المطلوبة لذلك.
- اذكُر بعض الحلول الإيجابية التي يمكن أن ترتقي بمستوى الثقافة والمشاركة في العمل التطوُّعي في بلداننا العربية والإسلامية.
- ناقِش كيف يمكن للعمل التطوُّعي الفردي أن يكون الخطوة الأولى لإعادة بناء الأُمَّة.

الفصل الرابع

العمل التطوُّعي الجماعي والمُؤسَّسي

إن التطوُّع الفردي مُعَرَّض للشَّطَط من ناحية والتوقُّف عند مواجهة أي صعوبات من ناحية أخرى، وأما الإطار الجماعي للتطوُّع فإنه يُكْسِب المجموعة المزيد من الاحترام والقوة، ومن ثَم يُكْسِب أفرادها مَناعة ضدَّ التفرُّد أو الأنانية أو الانحراف عن الأهداف الموضوعة، وكذلك فإن العمل المُؤسَّسي يُسْهِم في جمع الجهود والطاقات الاجتماعية المُبَعثَرة، ويجعلها مُتآزِرةً وذات أثرٍ كبيرٍ وفعَّالٍ.

وقد أشار ديفيد كورتن[١] إلى أن المُنظَّمات التطوُّعية قد مرَّت بثلاث مراحل؛ المرحلة الأولى ظهر فيها الجيل الأول من هذه المُنظَّمات، الذي اعتمد على فكرة تقديم مساعدات تقليدية للفقراء، وفي المرحلة الثانية ظهر الجيل الثاني من المُنظَّمات التطوُّعية التي كانت تهدف إلى تقوية اعتماد الشرائح الفقيرة على نفسها من خلال إكسابهم مهارات جديدة (تأهيل، تدريب، توفير فرص عمل)، وأما المرحلة الثالثة فقد أفرزت جيلًا ثالثًا من المُنظَّمات قادرًا على التأثير في مُخرجات السياسة العامة، وطرح نماذج للعمل التنموي قادرة على التأثير في البيئة الاجتماعية والثقافية[٢].

(١) ديفيد س. كورتن (David C. Korten): من مواليد ١٩٣٧م، مؤلف أمريكي، وأستاذ سابق في كلية هارفارد للأعمال، وناشط سياسي، وناقد بارز لعولمة الشركات، من أشهر مؤلَّفاته: "عندما تحكم الشركات العالم" (When Corporations Rule the World).

(٢) الجازي بنت محمد بن فهد الشبيكي، (٢٠٠١م)، الجمعيات النسائية الخيرية والمساهمة في التنمية الاجتماعية، بحث مُقدَّم إلى جمعية الملك عبد العزيز الخيرية بالقصيم.

١- دعائم نجاح العمل التطوُّعي الجماعي والمُؤسَّسي

إن أيَّ فرد يلتحق بمجموعة تتناسب مع طبيعته لا بُدَّ أنَّ له حاجاتٍ وأهدافًا مُعيَّنة يتوقَّع تحقيقها من خلال مشاركته للمجموعة، ومن جانب آخر تتوقَّع المجموعة منه تأدية أعمال مُعيَّنة لضمان استمراريته ضمن المجموعة، ولذا فإن موازنة توقُّعات الفرد والمجموعة هو بمنزلة «**الاتِّفاقية المعنوية**» التي يلتزمها كل طرف؛ فالفرد يتوقَّع المعاملة الإنسانية وفُرَص النُّمُوّ، وتتوقَّع المجموعة الإخلاص وزيادة بذل الجهد والعطاء الفردي، وأما إذا اختلَّت التوقُّعات بين الفرد والجماعة فإن العلاقات تختلُّ وتتفكَّك.

لذا، فإن من أهم دعائم العمل التطوُّعي وعوامل نجاحه في حقول العمل الخيري داخل الجمعيات والهيئات والمُنظَّمات الخيرية ما يأتي:

- ✓ الرغبة الصادقة من المُتطوّع عند تأديته العمل التطوُّعي.
- ✓ الاحترام والتقدير المُتبادَل بين المُتطوّعين والهيئات والجمعيات الخيرية.
- ✓ الثقة المُتبادَلة بين المُتطوّع والمُؤسَّسة؛ من حيث المعلومات المُتاحة للمُتطوّع من قِبَل المُؤسَّسة، وإخلاصه في إنجاز المَهام المُوكَلة إليه.
- ✓ إدراك المُتطوّع أهمية التدريب وأثره في اكتساب الخبرات والمهارات.
- ✓ تقديم المُؤسَّسة التوجيه والتدريب والإشراف الضروري لإنجاز مُهِمَّة المُتطوّع.
- ✓ تكريم المُتطوّعين وتقديم الشكر والتقدير لِمَن قدَّم خدمات تطوُّعية مهما كان حجمها.
- ✓ الدور الإعلامي الذي يُوضِّح أعمال المُتطوّعين وجهودهم، وآثار ذلك في المجتمع.

مما سبق نستخلص أن على المُؤسَّسات التطوُّعية تكييف العمل التطوُّعي وَفْق الدوافع التي تتلاءم ورغبات المُتطوِّعين للعمل في أجواء مناخية مناسبة تُتيح لهم حُرِّية الاختيار، ومن ذلك توفير النوادي ومراكز التدريب وإقامة الندوات والمحاضرات والبرامج التثقيفية والتأهيلية.

٢- التنظيم ودوره في نجاح المُؤسَّسات التطوُّعية

إن المُؤسَّسات الناجحة تتعامل مع المسألة التنظيمية بعَدِّ أن الطاقات الإنسانية ليست موادَّ جامدة جاهزة للصفِّ والتضبيط، وإنما تخضع لقُوًى مُتضارِبة واتِّجاهات مُتنافِسة تُحدِّدها ثقافةٌ وقِيَمٌ مشتركة، وشبكةُ اتِّصالات وتَحالُفات، وتأثيرٌ وإقناعٌ وتنازلٌ وتراضٍ وقيادةٌ عادلة، وليست مجرَّد آمر ومأمور.

وإن إحدى الظواهر السَّلبية في العمل التطوُّعي نزوع الفرد للتهرُّب من الاقتصار على الدور المَنُوط به، وتأدية أدوار أخرى تدخل ضمن مسؤوليات الغير، والعمل التطوُّعي لو تُرِك على مثل هذه الطريقة العفوية فإنه سيتحوَّل إلى فوضَى، وتُصبِح الأهداف غامضة ومُتقلِّبة؛ ما يُعرِّض مسيرة العمل التطوُّعي لتكون عُرضة للتغيير المُتكرِّر للأهداف والاتِّجاهات، ويمكن حينها لأيِّ شخص أن يَحْرِفَها عن أهدافها الأصلية بحسب نفوذ هؤلاء الأشخاص والجهد أو المال الذي يبذلونه في ذلك، وحينها تُصبِح تحت رحمة إهداء الأشخاص لأوقاتهم وأموالهم.

ورغم أن المُتطوّع -عادة- لا تكون له في المُؤسَّسات الأهلية حقوق مثل المُوظَّفين في القطاعات الحكومية والخاصة؛ من راتب شهري أو إجازات، فإنه لا بُدَّ لمُؤسَّسات العمل التطوُّعي من أن تجعل عملها مُنظَّمًا ومُقنَّنًا من حيث الواجبات والحقوق وتقرير مبدأ المكافآت المعنويَّة والتَّشجيعيَّة والتَّعويضيَّة نتيجة الإصابة بالعائق أو الوفاة، وَفق لائحة تنظيميَّة مُتعارَف عليها دوليًّا[1].

٣- أهمية تحديد الأهداف في العمل التطوُّعي المُؤسَّسي

تُعَدُّ مسألة تحديد الأهداف من أهم المَهام التي على المُؤسَّسات التطوُّعية أن تُعيرها اهتمامًا بالغًا قبل أن تَشْرَع في أنشطتها التطوُّعية، وعملية تحديد الأهداف والتقيُّد بها لها من الفوائد الكثيرة ما لا يخفى على ذي بصيرة، ونذكر منها ما يأتي:

- ✓ القدرة على جمع المعلومات والخبرات والأفكار.
- ✓ تسهيل عملية اكتشاف المواهب والطاقات وتوجيهها إلى المجالات المناسبة والمُهِمَّة.
- ✓ القدرة على التخطيط الفعَّال واتِّخاذ القرارات الصائبة.
- ✓ تسهيل عملية اختيار الأفراد للمسؤوليات المناسبة لهم وللمُؤسَّسة.
- ✓ القدرة على التنسيق والتَّواصُل بين المَهام المختلفة.
- ✓ المشاركة الفعَّالة والالتزام المطلوب من الأفراد المُتطوِّعين.
- ✓ تسهيل عملية حلِّ المشكلات والخلافات.
- ✓ تسهيل عمليات التقويم الدورية.

(١) صالح حمد التويجري، (٢٠٠٢م)، تفعيل العمل التطوُّعي، بحث مُقدَّم إلى المؤتمر الدولي السابع: «إدارة المُؤسَّسات الأهلية والتطوُّعية في المجتمعات المعاصرة" الذي عُقِد في الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة.

٤- استقطاب المُتطوِّعين

تُعَدُّ مسألة تحديد الحاجة إلى المُتطوِّعين على جانب كبير من الأهمية، لأنها تَتَّصِل اتِّصالًا وثيقًا بمسألة الاستغلال الصحيح لطاقات المُتطوِّعين، وقد سُنَّت تشريعات تحكم علاقة المُتطوِّع بالمُؤسَّسة التطوُّعية وتضبط مقدار المكافآت المادية والتعويضات التي على المُؤسَّسة منحها للمُتطوِّع؛ ما قلَّص فرصَ ابتزاز هذه المُؤسَّسات لحقوق المُتطوِّعين.

ويمكن تقسيم المُتطوِّعين إلى الفئات الآتية[١]:

- مُتطوِّعون بالمال فقط.
- مُتطوِّعون بالجهد فقط.
- مُتطوِّعون بالجهد والخبرة.
- مُتطوِّعون بالوقت.
- مُتطوِّعون بالجهد والوقت والمال.

وهذا التقسيم له أهميته في إعانة المُؤسَّسات على استقطاب النوعية التي ترغب فيها من المُتطوِّعين، بحسب أهداف المُؤسَّسة ورسالتها ونوعية أنشطتها، وكذلك فإنه يُعِين المُؤسَّسة على توجيه كلِّ صنف إلى ما يمكنه فعله، ويُحفِّزه للعطاء لتضمن جودة كل مُتطوِّع وفعاليته، والانتفاع بما لدى كل صنف مما يجيده.

(١) جعفر محمد العيد، (بدون تاريخ)، دور المُؤسَّسات الأهلية في رفع مستوى العمل التطوُّعي، مقال في موقع (صيد الفوائد).

ولو أخذنا هذه التقسيمات في الاعتبار، فيمكن للمُؤسَّسة الحصول على المُتطوِّعين من المصادر الآتية[١]:

- ✓ بعض سكان المجتمع الذين يستشعرون واجبهم تجاه مجتمعاتهم، أو أنهم مارسوا بعض أعمال الخير في المجتمع.
- ✓ الطلاب على مختلف مستوياتهم، خصوصًا أولئك الذين يدرسون العلوم الاجتماعية، وبالأخصِّ طلاب تخصُّص الخدمة الاجتماعية، لأنهم أكثر إدراكًا لحاجة المجتمع إلى التطوُّع.
- ✓ أعضاء ينتمون إلى مجالس أُسَرية، أو تجمُّعات شبابية.
- ✓ النجوم الإعلاميُّون والأبطال الرياضيُّون الراغبون في تقديم أعمال مُعيَّنة لمجتمعهم.
- ✓ أعضاء الهيئات الدينية أو التنظيمات السياسية في البلاد المسموح لها بالممارسة الديمقراطية.
- ✓ قد تستفيد بعض المُنظَّمات من الجهود التطوُّعية لبعض الذين استفادوا من خدماتها.
- ✓ تجنيد مُتطوِّعات من النساء، فقد أثبتت التجارب في العالم أن النساء أقدر على العطاء في مجال التطوُّع من الرجال.

كذلك، يمكن استقطاب المُتطوِّعين عن طريق الدعاية والإعلان في وسائل الإعلام، أو عن طريق الأفراد، أو عن طريق المُتطوِّعين أنفسهم، وكلما كانت المُؤسَّسة التطوُّعية ذات أهداف واضحة وإدارة جيدة وسمعة حسنة وعلاقات واسعة، ارتاح المُتطوِّع إلى الانتساب إليها والعمل تحت لوائها.

(١) المرجع السابق.

ولكي تسير العملية التطوُّعية مسيرة صحيحة، لا بُدَّ أن يعي كل طرف توقُّعات الطرف الآخر منه، وإن أيَّ إخلال في فهم هذه التوقُّعات سيُؤدِّي حتمًا إلى بَتْر الأوصال التي تربط بين طَرَفَيِ العملية التطوُّعية ومَن ثمَّ انفلاتها وفشلها، ولذا فإن على المُؤسَّسة التطوُّعية أن تعي أن للفرد دوافعه الخاصة في انخراطه في العمل التطوُّعي، التي منها ما يأتي:

- ✓ التطوُّع رغبة في الحصول على الأجر والمثوبة من الله -عزَّ وجلَّ-.
- ✓ التطوُّع النابع من حُبِّ الآخرين وتقديم المساعدة لهم.
- ✓ التطوُّع من أجل الارتقاء بالمجتمع وأفراده ومُؤسَّساته.
- ✓ التطوُّع من أجل تكوين علاقات اجتماعية واستثمارها لأمور شخصية كالحصول على وظيفة أو مهنة.
- ✓ التطوُّع من أجل اكتساب مهارات وخبرات جديدة قد يحتاج إليها المُتطوِّع مستقبلًا في حياته العملية، وقد لا تتوفَّر له إلا من خلال مُؤسَّسات التطوُّع ومراكزه.

كذلك، فإن على المُتطوِّع أن يعي ما تريده المُؤسَّسة منه، وأن يحاول الوفاء بمتطلباتها والتزاماتها؛ فمُؤسَّسات العمل التطوُّعي غالبًا ما تأمُل من مُتطوِّعيها ما يأتي:

- ✓ التزام التعهُّدات مثل تحديد نمط المشاركة والتقيُّد به.
- ✓ الاستيعاب الواضح لأهداف المُؤسَّسة وتطلُّعاتها.
- ✓ عدم توريط المُؤسَّسة في مواقف شخصية.
- ✓ عدم محاولة استغلال التطوُّع لأهداف أخرى.
- ✓ الاندماج الفعلي في المُؤسَّسة (عدم النظرة الفَوْقِية أو اتِّخاذ موقف دُونِيّ).

- ✓ المشاركة في الإعداد والتدريب.
- ✓ الجِدِّية والمِصْداقية في العمل الذي يُؤدِّيه المُتطوّع.

ومع الوفاء بتطلُّعات الأفراد ورغبات المُؤسَّسات، لا شكَّ أن الاختيار الصحيح للمُتطوّعين سَيُسْهِم حينها في:

- ✓ توفير القدرة على الاستفادة السليمة من طاقات المُتطوّع.
- ✓ خَفْض كُلفة إعداد المُتطوّعين.
- ✓ تسريع عملية بلوغ المُؤسَّسة لأهدافها.
- ✓ منع التَّضارُب والازدواجية في العمل التطوُّعي، والحَيلولة دون وقوع المُتطوّع في الإحباط بسبب عدم تناغم الأعمال التطوُّعية مع رغباته وتطلُّعاته.
- ✓ عدم تحميل المُتطوّع فوق طاقاته.
- ✓ تفهُّم المُتطوّع لأهداف المُؤسَّسة وتطلُّعاتها، ومَن ثَمَّ الوقوف معها ومساندتها في تحقيق تلك الأهداف والتطلعات.

٥- الاستفادة من طاقات المُتطوِّعين

من المُتَّفق عليه أن بعض التطوُّع ظرفي لِمُهْلَة مُحدَّدة أو لموضوع مُعيَّن، مثل مخيمات العمل التطوُّعي التي تستمر فترةً زمنية محدودة، والبعض الآخر له صفة الاستمرارية والديمومة، وربما كان هذا النوع الأخير هو الأكثر صعوبة في إيجاد العناصر القادرة على متابعة التطوُّع إذا أُحْسِن الاختيار، وقد تكون عودة المُتطوّع لتأدية أعمال

تطوُّعية أخرى مرهونة بالارتياح الذي يجده عند تطوُّعه الأول، ولكنه يجب أن يكون لدى المُؤسَّسة أو الجماعة تصوُّرٌ واضح لكيفية الاستفادة من مُتطوِّعيها، خصوصًا إذا أنفقتْ على إعدادهم وتأهيلهم واكتسبوا خبرات مُهِمَّة في جوانب مُحدَّدة من العمل[١].

وإذا كان من المُهِمّ إيجاد مُتطوِّعين، فإنه من الأهَمّ أن نُحسِن الاستفادة من طاقاتهم في الجوانب التي[٢]:

- ✓ تُحقِّق الاحتياجات الأساسية للمُؤسَّسة أو المجتمع.
- ✓ تتَّفق وإمكانات المُتطوِّع ورغباته.
- ✓ لا تتعارض مع مفاهيمه الثقافية والمجتمعية.
- ✓ لا تضعه في خانة الملاحقة القانونية أو التعارض مع المفاهيم الاجتماعية السائدة.

وكما ذكرنا سابقًا فإنه لن يتأتَّى للمُؤسَّسة الاستفادة القصوى من مُتطوِّعيها إلا إذا حدَّدت الأهداف التي تريد تحقيقها وأحسنت اختيار المُتطوِّعين أنفسهم، ولذا فإن من شروط الاختيار الصحيح للمُتطوِّعين التعرُّف إلى مُؤهِّلاتهم وجوانب قصورهم، التي يمكن إزالتها تدريجيًّا من خلال البرامج التدريبية التي تُعِدُّها المُؤسَّسة لهذا الغرض، فالتدريب له دورٌ بارزٌ في[٣]:

(١) صالح حمد التويجري، (٢٠٠٢م)، تفعيل العمل التطوُّعي، بحث مُقدَّم إلى المؤتمر الدولي السابع: «إدارة المُؤسَّسات الأهلية والتطوُّعية في المجتمعات المعاصرة" الذي عُقِد في الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة.
(٢) توفيق عسيران، (بدون تاريخ)، مهارات التحفيز على العمل التطوُّعي، مقال في موقع (صيد الفوائد).
(٣) المرجع السابق.

- ✓ شدِّ المُتطوِّع إلى المُؤسَّسة أو الجماعة.
- ✓ استمراره مُتطوِّعًا لأطول فترة ممكنة.
- ✓ الاستفادة من طاقاته استفادةً أفضل على كل الأصعدة.

٦- المحافظة على المُتطوِّعين

إذا كان من السَّهْل استقطاب المُتطوِّعين فإن الحفاظ عليهم أمرٌ صعبٌ؛ إذ إن أيَّ إهمال من الهيئات والجمعيات للمُتطوِّعين، أو أيَّ فشل في فهم نفسياتهم وتقدير جهودهم قد يُسبِّب تركهم للعمل التطوُّعي، ولذا ينبغي للمُؤسَّسة أن تحافظ على مُتطوِّعيها من خلال التقدير الماديِّ والمعنويِّ، المُتَمَثِّل في المكافآت والحوافز الماديَّة، والشهادات التقديرية وخطابات الشكر، إلى غير ذلك من الأمور التي تُميِّز المُتطوِّع مِن غيره.

وللتحفيز والتنشيط دور بارز في المحافظة على المُتطوِّع والاستفادة من طاقاته وخبراته المُسْتَجِدَّة، سواءٌ على صعيد الجماعة أم المُؤسَّسة، وذلك من خلال المجالات العديدة للتحفيز، التي منها[١]:

- **المشاركة**: وهي تعني أن يكون المُتطوِّع في صُلب العمل الذي تمارسه المُؤسَّسة أو الجماعة وليس على هامشه، ولن يتأتَّى ذلك إلا من خلال البرامج الواضحة والنزيهة التي تُحقِّق مصداقية المُؤسَّسة ونزاهتها.
- **الشفافية**: وذلك بأن يكون عمل المُؤسَّسة أو الجماعة -كما أسلفنا- معروفًا مرئيًّا، لا أهدافًا مُستَتِرة فيه.
- **الإبراز**: الذي من خلاله يُعترَف بإنجازات المُتطوِّع وعطاءاته.

(١) صالح حمد التويجري، (٢٠٠٢م)، تفعيل العمل التطوُّعي، بحث مُقدَّم إلى المؤتمر الدولي السابع: «إدارة المُؤسَّسات الأهلية والتطوُّعية في المجتمعات المعاصرة" الذي عُقِد في الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة.

- **الاندماج**: وهو أن تتاح أمام المُتطوّع فرصة الاندماج في المُؤسَّسة أو الجماعة، فيما لو رغب في ذلك، فمثل هذا يجعله أكثر انتماءً للمُؤسَّسة وأكبر عطاءً لها.

- **التشاوُر**: من خلال إتاحة الفرصة للتحاور مع المُتطوّعين وأخذ آرائهم بعين الاعتبار، والجِدّية في تطبيقها إن رأت المُؤسَّسة مُلاءمَتها للأهداف المرسومة.

- **إزالة العقبات**: إن أكثر ما يُسيء إلى المُتطوّع هو «الروتين»، فقد يأتي المُتطوّع إلى المُؤسَّسة مُتحمّسًا ثم يصطدم ببيروقراطية إدارية أو فنية أو غير ذلك مما قد يُؤدّي إلى تثبيط حماسه، ولذلك يجب العمل دائمًا على إزالة مختلف العقبات من أمامه لتشجيعه على مواصلة العمل.

- **الشكر والتقدير**: وهو جزء من الإبراز، ولكن يختلف عنه؛ إذ إن الأول قد يحتاج إلى مناسبات عامة، في حين يقتصر الثاني على كتاب شكر وتنويه، يُرسَل إلى المُتطوّع بعد انقضاء الفترة التي تطوَّع خلالها، مع أمل اللقاء به مُجدَّدًا في رحابٍ أخرى من العمل.

٧- التقويم ودوره في استمرارية المُتطوّعين ونجاح المُؤسَّسات التطوّعية

المحاسبة والتقويم وسيلة مُهِمَّة للارتقاء بالفرد والمُؤسَّسة على السواء، وكما أنه لا بُدَّ من إرساء مبدأ المحاسبة والمساءلة في كل أعمال المسلم، فإن تقويم المُؤسَّسات ومحاسبتها، وكذلك تقويم المُؤسَّسات العاملين بها -مُوظَّفين كانوا أو مُتطوّعين- يُعد ضرورة لازمة لتحسين الأداء وتجنُّب العثرات والمزالق، ولكن علينا أن ندرك أنه يجب تقويم جهود المُتطوّعين تقويمًا علميًّا، وأيضًا لا بُدَّ من أن يشترك المُتطوّعون في عملية التقويم من أجل:

- ✓ الوقوف على أهمية عملية التقويم وشفافيتها.
- ✓ التعرُّف إلى النتائج التي حقَّقها المُتطوّع، واشتراكه في إجراء تقويمٍ ذاتيٍّ لمُنجزاته.
- ✓ معرفة المساعدة الفعلية التي قَدَّمها المُتطوّع للمُؤسَّسة أو الجماعة.
- ✓ الاستفادة من النتائج والثغرات في رسم خطط مستقبلية أفضل للمُؤسَّسة والمُتطوّعين.

وتقويم المُتطوّعين إما أن يكون في فترات مُحدَّدة من خلال استمارات خاصة مُعَدَّة سابقًا لذلك الغرض، وإما أن يكون بعد انقضاء كل مُهِمَّة تطوُّعية، ويمكن دمج الطريقتين، وكذلك لا بُدَّ من مناقشة نتائج التقويم مع المُتطوّعين وأخذ آرائهم فيما يمكن فعله لتحسين مستويات الأداء لديهم ولدى المُؤسَّسة.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- قارِن بين إيجابيات وسَلبيات العمل التطوُّعي الفردي والمُؤسَّسي.
- مـا المخاطر التي يمكن أن تحدث لـو تُرِك لكل مُتطوّع اختيار الأعمـال التطوُّعية التي يرغب فيها والأوقات التي يُنْجِز فيها تلك الأعمـال؟
- أَعِدَّ دراسـة عن المُعوِّقات التي تمنـع اشتراك الشباب والفتيات في أعمال تطوُّعية.
- نـاقش النتائج التي توصَّلتَ إليها مـع بعض المُؤسَّسات التي تهتمُّ بالعمل التطوُّعي.
- اذكُـر بعض الفوائد التي سيحصل عليها المُتطوّع والمُؤسَّسة التطوُّعية في حال كـان اختيار المُتطوِّعين صحيحًا ومدروسًا.
- افتَرِض أنك تدير مُؤسَّسـة تطوُّعية لرعايـة الأطفال اليتامى. تكلَّم عـن مواصفات المُتطوِّعين الذين ستختارهم للعمل معك، والوسائل التي ستستخدمها لتحفيزهم على العمل ومحاولة الاستبقاء عليهم لأطول فترة ممكنة.
- اختَر نشاطًا تطوُّعيًّا مُعيَّنًا وأعِدّ استبانة لتقويم المُتطوِّعين الذين سيُنجِزون ذلك النشاط.

الباب الثاني

واقع العمل التطوُّعي

الفصل الأول

مسيرة العمل التطوُّعي في المجتمعات الإسلامية في العقود الأخيرة

منذ عَقْدَيْن مضيا، كان استيعاب مفهوم العمل التطوُّعي بشتَّى مظاهره لا يزال محدودًا، وكان يتَّسم بالارتجال ولا يُؤدِّيه إلا هُواة أو أفراد مَيْسورون من المجتمع يرغبون في مساعدة المحتاجين من الناس، وفي معظم البلدان لم تكن هناك قوانين تُنظِّم مسيرة العمل التطوُّعي، وتسمح بترويجه ودعمه، ولم تكن هناك حوارات أكاديمية وقيادية جادَّة على كل المستويات الوطنية والإقليمية والدولية حتى بين مُنظَّمات العمل التطوُّعي نفسها، وكانت مشاركة القطاع الخاص على أَضْيَق الصور، ولم يكن راسِمو السياسات الاجتماعية والاقتصادية ينظرون إلى العمل التطوُّعي بوصفه خيارًا استراتيجيًّا[١].

١ - واقع العمل التطوُّعي في بلاد الغرب

تُؤكِّد الدراسات المَعْنِيَّة بالعمل التطوُّعي أنه في الوقت الذي تمرُّ فيه مسيرة العمل الخيري في كثير من البلدان الإسلامية بحالات من العَجْز والضُّمور، فإن العمل الخيري في بلاد الغرب يُقدِّم الكثير والكثير لأداء هذا الدور الإنساني؛ مع أن دوافع فعل الخير في أُمَّتنا وديننا يُفتَرض أن تكون أكبر بكثير مما هو في العالم الغربي.

(١) الأمم المُتَّحدة، (٢٠٠٢م)، السنة الدولية للمُتطوِّعين.. النتائج ومنظورات المستقبل، تقرير للأمم المُتَّحدة عن السنة الدولية للتطوُّع، رقم A/٥٧/٣٥٢.

مثلًا، تُشير الإحصائية الآتية التي تتحدَّث عن واقع العمل التطوُّعي في أمريكا إلى أرقام في غاية الأهمية بالنسبة إلى الدور الذي يمكن أن يُؤدِّيَه العمل التطوُّعي في بلداننا[١]:

- ✓ بلغ عدد المُتطوِّعين في أمريكا في عام ١٩٩٤م ٩٤,٢ مليون مُتطوِّع.
- ✓ كان مُعدَّل ما يتطوَّع به الفرد هو ٤,٢ ساعات أسبوعيًّا، وقد يكون المُعدَّل الآن أكبر بكثير.
- ✓ مجموع عدد ساعات التطوُّع يساوي ٢٠,٥ مليار ساعة سنويًّا.
- ✓ مُعدَّل ساعات التطوُّع في العام الواحد يُوازي عمل ٩ ملايين مُوظَّف.
- ✓ بلغت القيمة الاقتصادية لمجموع ما تُطوِّع به من الوقت ١٧٦ مليار دولار أمريكي.

كذلك، تُشير إحصائية أخرى[٢] إلى أن إجمالي المساهمات التطوُّعية (نقدية وعينية) في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٩٧م قد بلغت ٤٦ مليار دولار، وقُدِّرت القيمة الكلية للوقت الذي تُطوِّع به خلال عام ٢٠٠٣م بنحو ٢٦٦ مليار دولار[٣]، وأما في بريطانيا فقد بلغ عدد المُتطوِّعين في عام ٢٠٠٣م ما يزيد على ٢٠ مليون مُتطوِّع، بلغت القيمة الاقتصادية لمجموع ما تطوَّعوا به أكثر من ٢٥ مليار جنيه إسترليني[٤].

وتُشير دراسات أخرى[٥] إلى أن:

- ✓ مشاركة المُتطوِّعين في سنغافورة ارتفعت بنسبة ٦٠٪ بين عامَيْ ٢٠٠٠م و٢٠٠٢م.
- ✓ العمل التطوُّعي في النرويج يُوفِّر أكثر من ٦٪ من الناتج الوطني الإجمالي.

(١) أسماء الرويشد، (بدون تاريخ)، العمل التطوُّعي: رغبة أم ضرورة؟، مقال في موقع (آسية الإلكتروني).
(٢) نوري بشير مبارك، (٢٠٠٠م)، نظرات في العمل التطوُّعي، مجلة (البيان)، المنتدى الإسلامي، بريطانيا، العدد ١٥٧، ص١٢٧-١٢٨.
(٣) فهد الزهراني، (٢٠٠٨م)، إحصاءات تطوُّعية، مقال في موقع (عالم التطوُّع العربي).
(٤) المرجع السابق.
(٥) الأمم المُتَّحدة، (٢٠٠٢م)، السنة الدولية للمُتطوِّعين.. النتائج ومنظورات المستقبل، تقرير للأمم المُتَّحدة عن السنة الدولية للتطوُّع، رقم A/٥٧/٣٥٢.

- ✓ المُتطوّعون في جنوب إفريقيا يُشكِّلون ٤٣٪ من القوة العاملة في القطاع غير الرِّبْحي.
- ✓ أنشأت جامعة سان كارلوس في غواتيمالا مدرسة تُعنى بالعمل التطوُّعي الاجتماعي.
- ✓ وأنشأت الصين معهدًا لبحوث العمل التطوُّعي والرفاهة الاجتماعية، يُقدِّم المشورة لمسؤولي الحكومة فيما يتعلَّق بالسياسات المُؤيِّدة للمُتطوِّعين.

٢- واقع العمل التطوُّعي في البلدان الإسلامية

على امتداد تاريخ الأُمَّة وإلى قرونٍ عدة قبل الآن، كان «**أغلب ما يدخل الآن تحت مُصطلَح «الدولة.. ومُؤسَّساتها»، كان يومئذٍ «أهليًّا»، تقوم عليه مُؤسَّسات أهلية، وتُموِّله الأوقاف الأهلية والخيرية، التي كانت تضمُّ معظم ثروة الأُمَّة و أبرز قطاعاتها في ذلك التاريخ**»[(١)].

وقد أدَّت الأحزاب السياسية دورًا كبيرًا في تعزيز مفاهيم العمل التطوُّعي، وتنظيم حملات المُساعدة والمُساندة للمواطنين في مواسم الحصاد -خاصة في حالات الكوارث الطبيعية-، وحملات الدَّعْم للمُتضرِّرين، وكانت مشاركة المرأة في العمل التطوُّعي لا تقلُّ أهمية عن مشاركة الرجل، فمثلًا كانت المرأة حاضرة على أرض الواقع طَوال سنوات الحروب الأهلية التي عاناها الكثير من البلدان الإسلامية، فكانت تشارك في نقل المرضى إلى المستشفيات وتطبيبهم، وكانت تُوفِّر الأكل والمياه وتُؤمِّن الكهرباء ومُستَلزمات الدفاع المَدَني للناس.

إلا أن هذه الظاهرة الطيبة أخذت في التراجُع والانحسار في الآونة الأخيرة؛ إذ فَقَد العمل التطوُّعي اعتباره بسبب تبدُّل قِيَم المجتمع، وتَفاقُم الظَّواهر الاجتماعية السَّلبية التي اصطبغت بالنَّفْعِيَّة وطُغيان المصالح الشخصية على المصلحة العامة، الأمر الذي عمَّق روح اللامبالاة والنظرة الدُّونِيَّة للعمل التطوُّعي لدى فئة الشباب الذين هم عماد

(١) محمد عمارة، الإسلام والسياسة، ص٥٨.

العمل التطوُّعي في المجتمعات، وكذلك تراجع دور المُؤسَّسات الأهلية؛ إذ وضعت الحكومات المُتعاقِبَة يدها على مُقدَّرات الأُمَّة، بما فيها الأوقاف، وبقيت مجتمعات المسلمين تمارس بعض الأشكال التقليدية من العمل التطوُّعي؛ كأعمال الخير والصدقات، وكبعض أشكال التَّضامُن الأُسَري والمُجتَمعي.

وتُشير الإحصائيات المُتوفِّرة[١] إلى أن عدد مُؤسَّسات الإغاثة الإسلامية العربية إلى عام ٢٠٠٥م لا يزيد على إحدى عشْرةَ مُؤسَّسة، وأما المُؤسَّسات الأهلية فإنها قد تصل إلى نحو ٢٣٠ ألف جمعية، ولكنها جمعيات مَحَلِّية ليس من بين أهداف معظمها التوجُّه إلى الخارج لأغراض الإغاثة، وكذلك فإن بعض تلك الجمعيات لا تضمُّ إلا عددًا محدودًا من الأشخاص، وبعضها لا يَنْضَوي في عضويتها إلا رئيسها وزوجته، حتى إن بعض الناشطين في مجال حقوق الإنسان أسَّس مُنظَّمات عديدة برئاسته وعضويته فقط[٢].

٣- مُعوِّقات العمل التطوُّعي/الخيري

يشهد العالم عمومًا -والبلدان الإسلامية خصوصًا- في بعض الفترات تراجعًا ملحوظًا في ممارسة العمل التطوُّعي والخيري، وهذا قد يكون له أسبابٌ كثيرة، من أبرزها:

- ✓ غياب الفَهْم الصحيح لقيمة العمل التطوُّعي/الخيري عند المُتطوِّعين.
- ✓ تقصير الجامعات والمُؤسَّسات على حدٍّ سواء في نشر الوَعْي بأهمية العمل التطوُّعي/الخيري.
- ✓ إخفاق مُؤسَّسات العمل التطوُّعي/الخيري في استقطاب الشباب من النساء والرجال للعمل فيها.
- ✓ فقدان القوانين والضوابط التي تحكُم علاقة المُتطوِّع بالمُؤسَّسة التطوُّعية/الخيرية؛

(١) قناة الجزيرة، (٢٠٠٥م)، ثقافة العمل التطوُّعي لدى الجمعيات الخيرية النسائية، حلقة من برنامج «للنساء فقط».
(٢) ميشال شماس، (٢٠٠٦م)، الجمعيات الأهلية في سورية، مقال في موقع (الحوار المُتمدِّن).

ما أدَّى إلى إجحافٍ كبير بحقوق المُتطوِّعين واستغلالٍ لهم من قِبَل تلك المُؤسَّسات.

✓ غياب استراتيجيات سابقة تقوم على تنظيم وتدريب فِرَق العمل التطوُّعي/الخيري في مجال الكوارث.

✓ غياب التخطيط السليم للاستفادة من الطاقات الكامنة عند الشباب والفتيات.

✓ عدم قدرة المُؤسَّسات التطوُّعية/الخيرية، وخاصة مُؤسَّسات الإغاثة، على توظيف الأحداث للترويج لسمعتها ولتحقيق مكاسب شعبية وسياسية؛ فمعظم هذه المُؤسَّسات ما زالت تُفضِّل العمل في صمت ولا تُعلِن عن مشاريعها، ولو أنها أدّت دورها الإعلامي كما تؤديه المُؤسَّسات الغربية لاستطاعت تكذيب المقولات والدعايات الغربية التي تتَّهمها بدعمها أنشطةً إرهابية.

✓ الوعود الكاذبة التي تُروِّجها بعض المُؤسَّسات التطوُّعية لاستقطاب الكوادر؛ فقد تُقدِّم هذه المُؤسَّسات –مثلًا- وعودًا لتوفير مواصلات لنقل المُتطوِّعين من أماكن سكناهم وإليها، ثم يُفاجأ المُتطوِّعون بتعذُّر المُؤسَّسة لعدم قدرتها على الوفاء بذلك، وأيضًا قد تَعِدُ المُؤسَّسة بصرف مكافآت مادية للمُتطوِّعين لديها، ولكنها لا تفي بوعودها رغم بقاء المُتطوِّعين في خدمتها أشهرًا عديدة، ورغم علم تلك المُؤسَّسات بالظروف المادية السَّيِّئة التي يُعانيها الكثير منهم.

✓ غياب المصداقية والشفافية في تعامل مُؤسَّسات العمل التطوُّعي/الخيري مع المُتطوِّعين؛ ما يُؤدِّي إلى انتشار ظاهرة الوساطة والمحسوبية في إداراتها؛ فقد يعمل بعض المُتطوِّعين عندها في أعمال وظيفية مدةً طويلة ويأملون في توظيفهم في المُؤسَّسة بسبب ما اكتسبوه من خبرات طَوال تلك المدة، ولكنهم يفاجؤون بتعيين بعض أقارب المُتنفِّذين فيها، وقد يؤول الأمر إلى الاستغناء عن المُتطوِّعين الذين خدموا المُؤسَّسة فترات طويلة دون مقابل يُذكَر.

✓ تجاهُل معظم الدول الإسلامية أهمية العمل التطوُّعي/الخيري، وخاصة ما يحدث في العالم من كوارث، وقد يكون السبب في ذلك عدم قدرة الكثير من تلك المُؤسَّسات

على التعاون الأمثل مع حكوماتها؛ ما أفرز أزمة ثقة بينها وبين حكوماتها، كما أن بعض الدول تعاني تضخُّمًا في جانب المصروفات العسكرية والتسلُّح، وذلك عادة ما يكون على حساب المجالات الأخرى وبالأخص الجوانب التنموية الاجتماعية، رغم أن مُؤسَّسات العمل التطوُّعي/الخيري يمكن أن تؤدي دور الشريك الفاعل للحكومات في مجال التنمية الاجتماعية؛ ما سيُتيح المجال لتلك الحكومات لتركيز جهودها على الجوانب المُهِمَّة الأخرى مثل الأمن الداخلي والخارجي والنُّمُو الاقتصادي والتجاري، ولا شكَّ أن المشاركة المجتمعية باتَت من المُسَلَّمات التي تَفرِضها مُعطَيات النظام العالمي الجديد الذي أَلغى مفهوم الدولة ذات الهيمنة على كل المجالات، والتي يجب أن تؤدي كل الواجبات.

٤- العقبات والتحدِّيات في مسيرة العمل التطوُّعي

العقبات والتحدِّيات التي تعانيها مسيرة العمل التطوُّعي في العالم الإسلامي في الوقت الحاضر كثيرة، ولكننا سنقتصر منها على ما يأتي:

- ✓ الغياب الكبير لدور المرأة، واقتصار مشاركاتها على التبرُّع العيني أو المالي، وأما مشاركتها في الجمعيات الخيرية فتنحصر في إقامة الأسواق الخيرية والمحاضرات والندوات، وأما العمل الميداني فنادرًا ما تشارك فيه النساء، وأسباب ذلك قد لا تعود فقط إلى ثقافة مجتمعية تُشجِّع مشاركة الرجال دون النساء، وإنما الأمر قد يعود أيضًا إلى ضرورة توفُّر المَحْرَم الشرعي عند خروج المرأة من بيتها، وخاصة عند رغبتها في المشاركة في العمل الميداني، ومع تزايد عدد النساء من ذوات الخبرة -وخاصة المُتقاعِدات منهن- اللاتي يمكنهن المشاركة، وكذلك مع توفُّر المَحْرَم، فإن الأمر قد لا يحتاج إلا إلى ثقافة تُقْنِع الزوجين أو المحارم بأهمية مصاحبة وَلِيَّتِهم في العمل الميداني، علمًا بأن المشاركة النسائية قد ترقى -في بعض الأحيان- إلى فرض الكفاية، وخاصة إذا علمنا أن هناك من الحالات -وخاصة في الكوارث- التي ليس بمقدور الرجال التعامل معها دون مشاركة النساء.

✓ انعدام القنوات الصحيحة والموثوق بها الواجب توفُّرها لتوصيل مواد الإغاثة من المنبع إلى الفئات المستهدفة، فجانب ثقة المُتبرّع بالمُؤسَّسة التطوُّعية/الخيرية أمرٌ في غاية الأهمية، وخاصة إذا كان القائمون على تلك المُؤسَّسات يحملون أيديولوجيات تتعارض مع تطلُّعات المُتبرِّعين، أو كانت المُؤسَّسات خاضعة لسياسات حكومية أو خارجية تجعلها لا تؤدي واجبها المأمول على الوجه المنشود.

✓ التحرُّك البطيء لمُؤسَّسات الإغاثة الإسلامية في العمل الميداني في أوقات الكوارث، رغم أن التحرُّك السريع وسرعة اتِّخاذ القرار والبُعْد عن الروتين والبيروقراطية تُعَدُّ من أهم الخصائص التي تُميِّز هذا القطاع؛ فالأمر يستلزم مناهجَ غير تقليدية، وسرعةً شديدة في التفاعل، ويستلزم تخطيطًا استراتيجيًّا لاستقطاب مُتطوِّعين من الرجال والنساء، وتدريبًا عاليًا لهم، ليتمكنوا من التحرُّك بالسرعة الملائمة، وبالنحوِ المُلائم حين الحاجة إليهم.

✓ تراجُع أداء المُؤسَّسات الإغاثية والجمعيات الخيرية في العالم الإسلامي بسبب أحداث الحاديَ عشرَ من سبتمبر وما أفرزته تلك الأحداث من حصار كامل على أموال وتحرُّكات تلك الجمعيات، وإذا علمنا أن كثيرًا من المُؤسَّسات الخيرية في الدول الإسلامية تُركِّز معظم أنشطتها على الجوانب الاجتماعية، فإن حصار هذه المُؤسَّسات قد أضرَّ كثيرًا بالمنافع التي كانت المجتمعات الإسلامية تحصل عليها من خلالها، وكذلك فإن تهمة دعم الإرهاب التي ألصقتها أمريكا وحلفاؤها بالمُؤسَّسات الخيرية في العالم الإسلامي وروَّج لها عملاؤها في الدول الإسلامية قد أضرَّت أيضًا بالدول الإسلامية نفسها؛ فإن المُؤسَّسات الخيرية كانت تحمل قسطًا كبيرًا من هموم المجتمعات الإسلامية واحتياجات شعوبها وخاصة فيما يتعلَّق بالجوانب الاجتماعية والتعليمية؛ ما أدَّى إلى تزايد الضغط الشعبي على تلك الحكومات وجعل الفجوة بين الشعب والدولة تتَّسع يومًا بيوم.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكُر بعض الإحصائيات الحديثة المُوَثَّقة التي تُبيِّن مقدار الجهود التطوُّعية في البلدان الإسلامية، والمردود الاقتصادي لها على المجتمع والدولة.
- أُسْرُدْ مجموعة من الأسباب التي تجعل التطوُّع رائجًا بين الأفراد والمُؤسَّسات والحكومات في الدول الأجنبية، وبالمقابل ضُموره وانحساره بين المسلمين أفرادًا ومُؤسَّسات وحكومات.
- أَجْرِ دراسة عن مشاركات المرأة في مجال العمل التطوُّعي/الخيري في المحيط الذي تعيش فيه، واستخدم تلك الدراسة في توعية المجتمع -وخاصة النساء- بأهمية المشاركة النسائية.
- إن الوعود الكاذبة وغياب المصداقية والشفافية تُعَدُّ من السِّمات البارزة لكثير من المُؤسَّسات التطوُّعية. ناقش الأضرار المُترتِّبة على انتشار مثل هذه الظواهر في تلك المُؤسَّسات.
- ناقِش كيف يمكن أن تؤدي مُؤسَّسات العمل التطوُّعي دور الشريك مع حكوماتها.
- أَعِدَّ دراسة عن الحصار الذي فرضته أمريكا وحلفاؤها على مُؤسَّسات العمل التطوُّعي/الخيري في العالم الإسلامي والأضرار التي نجمت عنه.

الفصل الثاني

نماذج مُشرِّفة للعمل التطوُّعي في عالمنا الإسلامي

إنّ طرْحنا موضوع العمل التطوُّعي لا يعني أن أُمَّتنا تخلو من مُخلِصين نذروا أرواحهم وأموالهم في سبيل أُمَّتهم، ولا يعني كذلك أن هذا العمل المتواضع الذي نُقدِّمه في هذه الأطروحة هو بداية مسيرة العمل التطوُّعي في عالمنا الإسلامي، وإنما الحقيقة هي أن عالمنا الإسلامي يَعِجُّ بالنماذج الفذَّة والمُشرِّفة لأفراد ومُؤسَّسات استهوتها فكرة العمل التطوُّعي منذ زمن فحرَصتْ على نقلها إلى أرض الواقع، ودفعت لها أَنْفَس ما تملك من وقت وجهد ومال، وسنسرُد في هذا الفصل صُوَرًا متناثرة لأفراد ومُؤسَّسات اشتهرت في مجال العمل التطوُّعي وخَطَوْا فيه خطوات حثيثة، وإننا لَنأمُل في ذِكرنا هذه النماذج الفريدة أن تكون نبراسًا للآخرين ليَحْذوا حَذْوَها، وليؤدوا هم أيضًا مثل ما يُؤدِّيه غيرهم.

١ - أعلام التطوُّع في عالَمنا الإسلامي

يقول الحَبيبُ المصطفى -عليه الصلاة والسلام-: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ))[1]، ولذلك دأب عباد الرحمن منذ عهد النبوة إلى يومنا هذا في بذل ما في وُسْعِهم لتقديم العون للآخرين، امتثالًا لأمر الله ورسوله في الاعتناء بهذه الأُمَّة وأبنائها، وابتغاء الأجر والمَثوبة العظيمة لمَن يُقدِّم المعروف لغيره، ولأجل ذلك حفَلت عصور الإسلام المتوالية ببزوغ أناس ضربوا أروع الأمثلة في تكريس أوقاتهم وأموالهم في نفع الآخرين وبناء صروح هذه الأُمَّة، ولا تكاد تخلو حِقبة من الزمن من أمثال هؤلاء الأفذاذ.

(١) صحيح مسلم (حديث رقم: ١٩٢٠، ج٣، ص١٥٢٣) من حديث ثوبان -رضي الله عنه-.

وفي عصرنا الحاضر تقاطَر الناس علماء وعامة، رجالًا ونساءً، حُكَّامًا وشعوبًا، في الإسهام في مسيرة العمل التطوُّعي الخيري بما آتاهم الله من علم ومال وقدرات وأفكار، وهناك مَن نذر حياته كلها أو أغلبها في هذا الجانب، وذاع صيتهم في أرجاء المعمورة، وكان لهم الأثر الكبير في الارتقاء بالعديد من المجالات التي تحتاج إليها الأُمَّة وينتظرها الناس، وفيما يأتي سنُلقي الضوء على نماذج من هؤلاء العظماء، ولا يعني إهمالُنا ذِكْرَ غيرهم أنهم أقلُّ من هؤلاء في البذل أو الشهرة، ولكن لا يتَّسع المقام لذكرهم جميعًا، وأجرهم والثناء عليهم عند الله -سبحانه- أولًا وآخرًا.

أ- محمد يونس ومصرف الفقراء في بنجلاديش[١]



البروفيسور «**محمد يونس**» هو أستاذ الاقتصاد السابق في جامعة «**شيتاجونج**» -إحدى الجامعات الكبرى في بنجلاديش-، ورئيس قسم الاقتصاد فيها في عام ١٩٧٢م، ومُؤسِّس بنك جرامين (**Grameen Bank**) أو «**مصرف القرية**»، البنك الذي يملكه الفقراء ويعمل من أجل إحداث تغيُّرات نوعية في حياة أفقر الفقراء في بلد من أفقر بلاد العالم وهي بنجلاديش، وتكريمًا لجهود البروفيسور محمد يونس، فقد حصل على جائزة نوبل للسلام في عام ٢٠٠٦م.

إن الإنسان لا بُدَّ أن تكون له رسالة في الحياة، ولقد وصل محمد يونس إلى هذه النتيجة من خلال ما شاهده من الظروف المعيشية الصعبة التي كانت تمرُّ بها بلده بنجلاديش -وخاصة في مجاعة عام ١٩٧٤م التي قُتِل فيها ما يقرب من مليون ونصف-، ومن تصرُّفات والدته التي ما كانت ترد سائلًا فقيرًا يقف ببابهم.

(١) مجدي سعيد، (بدون تاريخ)، محمد يونس.. لو كان الفقر رجلاً لقتلته، مقال في موقع (عُشَّاق الله).
يُنظَر أيضًا: مجدي سعيد، (١٩٩٩م)، تجربة مصرف الفقراء في بنجلاديش، مقال في موقع (إسلام أون لاين)، ويُنظَر كذلك: الويكيبيديا العربية، (بدون تاريخ)، محمد يونس.

لَمَعَتْ في ذهن محمد يونس فكرة الحلِّ لمشكلات الفقراء في بلده عندما كان يحاور امرأة كانت تُصنِّع كَراسِيَّ من الخيزران؛ فقد علم من المرأة أنها لا تملك رأس المال الخاص بها، ومن ثَمَّ فهي تلجأ إلى اقتراضه من أحد المُرابين في القرية لشراء الخيزران الخام، وتَظَلُّ تعمل طوال ١٢ ساعة يوميًّا في تصنيع الكَراسِيِّ لردِّ القرض وفوائده ثم لا يبقى لها بعد ذلك إلا الكفاف لتعيش منه.

بدأ محمد يونس مشروعه التطوُّعي الحضاري عندما أقرض ٤٢ امرأة من الفقراء ٢٧ دولارًا من ماله الخاص دون فائدة، ودونما تحديد لموعد الردِّ، ولأنه رأى عدم إمكان الاستمرار في ذلك فقد حاول إقناع البنك المركزي والبنوك التجارية في بلده لوضع نظام لإقراض الفقراء دون ضمانات، وهو ما دعا رجال البنوك للسُّخْرية منه ومن أفكاره، زاعمين أن الفقراء ليسوا أهلًا للإقراض.

وعبثًا حاول إقناعهم أن يُجرِّبوا، ومَن ثَمَّ فقد اقترض قرضًا خاصًّا ليبدأ به مشروعًا في قرية جوبرا، وقد نجح مشروعه نجاحًا باهرًا وغيَّر حياة ٥٠٠ أسرة من الفقراء، وفي عام ١٩٧٩م اقتنع البنك المركزي بنجاح الفكرة وتبنَّى مشروع «**جرامين**» أي «**مشروع القرية**»، وفي عام ١٩٨١م زاد محمد يونس حجم المشروع ليشمل خمس مقاطعات.

وقد أكَّدت كل مرحلة من تلك المراحل فاعلية نظام القروض المُتناهِيَة في الصِّغَر حتى وصل عملاء البنك (أو «**مشروع القرية**») عام ١٩٨٣م إلى ٥٩ ألف مُقترض يخدمهم ٨٦ فرعًا، وفي تلك المرحلة قرَّر يونس إنهاء حياته الأكاديمية للمُضِيِّ في طريقه؛ فقد اعتُمِد بنك جرامين في ذلك العام مُؤسَّسةً مُستَقِلَّة، فارتبطت حياته بهذه المُؤسَّسة التي كانت حُلْمًا فصارت واقعًا واعدًا منذ تلك اللحظة وإلى الأبد.

نجحت فكرة محمد يونس حول التوظيف الذاتي للفقراء، أي مساعدة الفقراء لكي يساعدوا أنفسهم، لتكون المُحرِّك الأساس لعجلة التنمية في أيِّ مجتمع، من خلال إخراجهم من حالة «**اليد السفلى**» التي جعلتهم يُدْمِنون تلقِّي الإحسان والهِبَات، إلى حالة «**اليد التي يُحِبُّها الله ورسوله**»، وعدَّ ذلك واجبًا تفرضه النظرة إلى الفقير بكونه «**إنسانًا كامل الأهلية**»، ورأى محمد يونس أن المدخل لتحسين حال الأُسَر الفقيرة هو في تحسين

أوضاع النساء فيها، وهو ما دعاه لإعادة اكتشافهن بوصفهنّ قوةً للعمل، وإعادة اكتشاف الأعمال المنزلية بوصفها أعمالًا مُدِرَّةً للدَّخْل لتحسُّن أوضاع الفقراء، وقد وصل عدد المقترضين من بنك جرامين في عام ٢٠٠٧م إلى أكثر من ٧,٤ ملايين مُقْتَرِض بقيمة مالية تزيد على ٦,٣٨ مليارات دولار أمريكي[١].

في أواخر الثمانينيات، بدأ جرامين بالتنويع من خلال إحضار أحواض الصيد غير المُسْتَغَلَّة ومِضَخَّات الرَّيّ مثل الآبار الأنبوبية العميقة، وفي عام ١٩٨٩م، بدأت هذه المصالح المُتنوّعة تزداد وأُنشِئت لها مُؤسَّسات مُستَقِلَّة، فتحوَّل مشروع مصايد الأسماك إلى (**مُؤسَّسة جرامين لمصايد الأسماك**)، وتحوَّل مشروع الريّ إلى (**مُؤسَّسة جرامين الزراعية**)، وبذلك تطوَّرت مبادرة جرامين إلى أوجه مُتعَدِّدة من المشاريع الرِّبْحِيَّة وغير الرِّبْحِيَّة، بما في ذلك المشاريع الكبرى مثل (**جرامين تْرَسْت**) و(**صندوق جرامين**)، فضلًا عن (**جرامين تَلِيكوم**) التي تُعَدُّ أكبر شركة للهاتف الخاص في بنغلاديش[٢].

وقد اتَّسعت فكرة محمد يونس لا لتخدم الفقراء على أرض بنجلاديش وحدها، بل غيرهم في أراضي العشرات من البلدان من أمريكا في أقصى الغرب إلى الفلبين في أقصى الشرق مرورًا ببوليفيا وتنزانيا وماليزيا، ويكفي أن نعلم أن النَّمُوذج الذي قدَّمه محمد يونس من خلال «**جرامين**" يُعَدُّ الآن طَوْق النَّجاة من غائلة الفقر لعشرات الملايين من الفقراء في العالم.

في عام ٢٠٠٦م حصل محمد يونس على جائزة نوبل للسلام مُناصَفَةً مع بنك جرامين[٣]، وبعد تَلَقِّي نبأ الجائزة المهمة، أعلن محمد يونس أنه سيصرف جزءًا من نصيبه من الجائزة (١,٤ مليون دولار) لإنشاء شركة لبيع المواد الغذائية للفقراء بتكلفة مُخفَّضة، وسيُنشئ ببقية الجائزة مستشفًى للعيون للفقراء في بنغلاديش[٤]، ومُنِح كذلك وسام الحُرِّيَّة الرئاسي الأمريكي، والميدالية الذهبية للكونغرس الأمريكي، وجائزة (ماجسايساى رامون) في عام ١٩٨٤م، وجائزة الغذاء العالمية، وجائزة سيمون بوليفار الدولية في عام ١٩٩٦م، وجائزة أمير أستورياس للوفاق، وجائزة سيدني للسلام في عام ١٩٩٨م، وجائزة

(١) الويكيبيديا العربية، (بدون تاريخ)، محمد يونس.
(٢) المرجع السابق.
(٣) The Nobel Prize Organization, (2006), The Nobel Prize for 2006
(٤) Associated Press, (2006), Yunus wins peace Nobel for anti-poverty efforts

سيول للسلام في عام ٢٠٠٦م، إضافةً إلى منحه ٥٠ درجة دكتوراة فخرية من جامعات في ٢٠ بلدًا، و١١٣ جائزة عالمية من ٢٦ دولة مختلفة، بما في ذلك أوسمة الشرف من عشر دول.

ب- الدكتور عبد الرحمن السميط رائد العمل الخيري في إفريقيا[١]



بدأ الدكتور عبد الرحمن حمود السميط -الذي وُلِد في الكويت في عام ١٩٤٧م- مشوار عمله التطوُّعي عندما كان في المرحلة الثانوية؛ إذ جمع مع بعض أصدقائه مبلغًا من المال من مصروفهم اليومي واشتروا سيارة، وفي كل يوم كان أحد أفراد المجموعة ينقل بعد انقضاء الدراسة العمال البُسَطاء إلى أماكن عملهم أو إلى بيوتهم دون مقابل، وعندما كان في الجامعة كان يُخصِّص الجزء الأكبر من مصروفه لشراء الكُتيِّبات الإسلامية ليوزّعها على المساجد، وأما خلال إكماله الدراسات العليا في بلاد الغرب فكان يجمع من كل طالب مسلم دولارًا شهريًّا، ثم يطبع الكُتيِّبات ويوصلها إلى جنوب شرق آسيا وإفريقيا.

تخرَّج في جامعة بغداد بعد أن حصل على بكالوريوس الطب والجراحة، ثم حصل على دبلوم أمراض مناطق حارة من جامعة ليفربول عام ١٩٧٤م، واستكمل دراساته العليا في جامعة ماكجل الكندية مُتخصِّصًا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي، وبعد عودته إلى بلاده أصبح طبيبًا مُتخصِّصًا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي، ولكنه لم يكن طبيبًا عاديًّا بل كان طبيبًا فوق العادة؛ إذ كان بعد أن يفرُغ من عمله المهني يتفقَّد أحوال المرضى في أجنحة مستشفى الصباح (أشهر مستشفيات الكويت)، ويسألهم عن ظروفهم وأحوالهم الأُسَرية والاجتماعية والاقتصادية، ويسعى في قضاء حوائجهم، ويُطمْئِنُهم على حالاتهم الصحية.

(١) رجب الدمنهوري، (بدون تاريخ)، عبد الرحمن السميط.. خادم فقراء إفريقيا، مقال في موقع (إسلام أون لاين).

واستمرَّت معه عادته وحرصه على الوقوف إلى جانب المعوزين وأصحاب الحاجة، وحينما شعر بخطر المجاعة يُهدِّد المسلمين في إفريقيا، وأدرك خطورة حملات التنصير التي تجتاح صفوف فقرائهم في أدغال القارة السوداء، والمسلمون منهم يصرخون ويسألون: أين أنتم يا مسلمون؟! ولماذا تأخَّرتم عنا كل هذه السنين؟! عندها آثر أن يترك عمله الطبي طواعية، ليتبنَّى مشروعًا خيريًّا رائدًا في مواجهة غَوْل الفقر وخطر التنصير، واستقطب معه فريقًا من المُخلِصين، الذين انخرطوا في تدشين هذا المشروع الإنساني الذي تتمثَّل مَعالِمه في مداواة المرضى، وتضميد جراح المنكوبين، ومواساة الفقراء والمحتاجين، والمسح على رؤوس اليتامى، وإطعام الجائعين، وإغاثة الملهوفين.

شارك في تأسيس ورئاسة جمعية الأطباء المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا عام ١٩٧٦م، كما شارك في تأسيس فروع جمعية الطلبة المسلمين في مونتريال بكندا في الأعوام ١٩٧٤م-١٩٧٦م، ولجنة مسلمي ملاوي في الكويت عام ١٩٨٠م، واللَّجنة الكويتية المشتركة للإغاثة في عام ١٩٨٧م، وهو عضو مُؤسِّس في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وعضو مُؤسِّس في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وعضو في جمعية النَّجاة الخيرية الكويتية، وعضو في جمعية الهلال الأحمر الكويتي، ورئيس تحرير مجلة الكوثر المُتخصِّصة في الشأن الإفريقي، وعضو مجلس أمناء مُنظَّمة الدعوة الإسلامية في السودان، وعضو مجلس أمناء جامعة العلوم والتكنولوجيا في اليمن، ورئيس مجلس إدارة كلية التربية في زنجبار ورئيس مجلس إدارة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في كينيا، وأصدر أربعة كتب هي: لبيك إفريقيا، دمعة على إفريقيا، رسالة إلى ولدي، العرب والمسلمون في مدغشقر، إضافةً إلى العديد من البحوث وأوراق العمل ومئات المقالات التي نُشِرت في صحف مُتنوِّعة.

تركَّز جُلُّ نشاط الدكتور السميط من خلال «**لجنة مسلمي إفريقيا**» التي تولَّى منصب الأمين العام فيها عام ١٩٨١م، ثم أصبح رئيس مجلس إدارتها بعد أن تغيَّر اسمها إلى «**جمعية العَوْن المباشر**» في عام ١٩٩٩م، وكان اهتمامه بإفريقيا بعد أن أكَّدت دراسات ميدانية للَّجنة أن ملايين المسلمين في القارة السوداء لا يعرفون عن الإسلام إلا خرافات وأساطير لا أساس لها من الصِّحَّة، ومن ثَم فغالبيتهم -وخاصة أطفالهم في

المدارس- عُرْضة لخطر التنصير، وقد نتج عن ذلك أن عشرات الآلاف في تنزانيا وملاوي ومدغشقر وجنوب السودان وكينيا والنيجر وغيرها من الدول الأفريقية قد تحوَّلوا إلى النصرانية، في حين كان آباؤهم وأمهاتهم من المسلمين.

وكانت حصيلة المشاريع التي نُفِّذَت في إفريقيا حتى أواخر عام ٢٠١٢م[١]:

- **في الجانب الديني:** بناء ٥٧٠٠ مسجد، و٨٤٠ مدرسة قرآنية، و١٠٤ مراكز إسلاميّة متكاملة، وطباعة ٦ ملايين نسخة من المصحف وتوزيعها على المسلمين الجُدُد، وتوزيع أكثر من ٥١ مليون نسخة من المصحف الشريف، وطباعة وتوزيع ٦٠٥ ملايين نسخة من الكُتيّبات الإسلامية بلغات إفريقيا المختلفة، وعقد ١٤٥٠ دورة للمُعلِّمين وأئمة المساجد، وتنفيذ عدد ضخم من مشاريع إفطار الصائمين غطَّت نحو ٤٠ دولة مختلفة وخدمت أكثر من مليونَيْ صائم، وإنشاء ما يزيد على مائة محطة إذاعية للقرآن الكريم، بلغت تكلفة المحطة الواحدة عشرة آلاف دينار كويتي، شاملة المعدات اللازمة ومصاريف التشغيل لعام كامل.

- **في الجانب التعليمي:** إنشاء أربع جامعات، و٨٦٠ مدرسة نظامية، ودفع رواتب شهرية لـ٣٢٨٨ داعيةً ومُعلِّمًا، ودفع رسوم الدراسة لما يزيد على ٩٥ ألف طالب مسلم فقير، وتقديم أكثر من ٢٠٠ منحة دراسية للدراسات العليا في الدول الغربية في تخصُّصات الطب والهندسة والتكنولوجيا، كما وُضعت البذور الأولى لـ «جامعة الأُمَّة» في كينيا التي سُجلت وتُسلّم شهادة اعتمادها رسميًّا؛ وتُعَدُّ الجامعة الأولى للمسلمين في كينيا من أصل ٣٧ جامعة، وتحتوي على خمس كليات، هي الطب والهندسة والأعمال وتِقْنيّة المعلومات والدراسات الإسلامية والعربية[٢].

- **في الجانب الخدمي:** إقامة ١٢٤ مستشفًى ومستوصفًا، ورعاية ١٥٠٠٠ يتيم، وحفر ٩٥٠٠ بئر ارتوازيّة ومئات الآبار السطحية في مناطق الجفاف التي يسكنها المسلمون، وتوزيع ١٦٠ ألف طن من الأغذية والأدوية والملابس، وتنفيذ عدة مشاريع زراعية على مساحة ١٠ ملايين متر مربع وتسييرها، وبناء ٢٠٠ مركز لتدريب النساء وتشغيلها،

(١) قناة الجزيرة، (٢٠١٢م)، عبد الرحمن السميط.. مساعدة الفقراء ونشر الإسلام، برنامج (زيارة خاصة).
(٢) مجلة الكوثر، (٢٠١٣م)، وداعًا أبا صهيب، العدد ١٦٧، ص١٢.

وبناء عدد من السدود المائية في مناطق الجفاف، وإقامة عدد من المُخيَّمات الطِبِّية ومُخيَّمات العيون للمحتاجين مجانًا للتخفيف على الموارد الصحية القليلة في إطار برنامج مكافحة العمى.

وبعد العمل الدؤوب في القارة الإفريقية لأكثر من ربع قرن من الزمان، آثر الدكتور أن يكون قريبًا من الأرض والشعب الذين أَحَبَّهم، فاختار من جزيرة مدغشقر موطنًا جديدًا له، رضي بأن يقضي فيه ما بقي من حياته ليكون أقرب إلى مجال عمله الدعوي، وقد بدأ مشروعه العظيم المسمى بـ(**أسلمة قبائل الأَنْتِمور**) وهي قبائل ذات أصول عربية حجازية، وتُعَدُّ نموذجًا للعرب والمسلمين الضائعين في إفريقيا، وقد أسلم على يديه مباشرة أو من خلال مُؤسَّساته وأنشطته الدعوية أكثر من ١١ مليون شخص في إفريقيا وحدها التي قضى فيها أكثر من ٢٩ سنة ينشر الإسلام، وهو ما يُعادِل دخول نحو ٩٧٢ مسلمًا جديدًا يوميًّا[١]، واستمرَّ على تلك الحال حتى تُوفِّي في ٢٠١٣/٨/١٥م[٢].

نال الدكتور السميط عددًا من الأوسمة والجوائز والدروع والشهادات التقديرية، مكافأةً له على جهوده في الأعمال الخيرية، منها وسام الكويت من الدرجة الأولى الذي منحه إياه الأمير صباح الأحمد الجابر الصباح[٣]، ومن أرفع الجوائز التي نالها جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام[٤]، التي نالها في عام ١٤١٦هـ/١٩٩٦م وتبرَّع بمكافأتها (٧٥٠ ألف ريال سعودي) لتكون نواة للوقف التعليمي لأبناء إفريقيا، ومن عائد هذا الوقف تلقَّت أعداد كبيرة من أبناء إفريقيا تعليمها في الجامعات المختلفة.

(١) الويكيبيديا العربية، (بدون تاريخ)، عبد الرحمن السميط.
(٢) صحيفة الوطن الكويتية، (٢٠١٣م)، السميط.. رحيل رجل بأمة.
(٣) عصام عبد اللطيف الفليج، (٢٠١٦م)، د. عبد الرحمن السميط.. أسطورة تتكلَّم، مقال في جريدة (الوطن) الكويتية.
(٤) الويكيبيديا العربية، (بدون تاريخ)، جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام.

ج- الشيخ سليمان الراجحي والأوقاف المُؤبَّدة[١]



وُلد الشيخ سليمان بن عبد العزيز بن صالح الراجحي في عام ١٩٢٨م في محافظة البكيرية بمنطقة القصيم في المملكة العربية السعودية، ونشأ في عائلة فقيرة، ثم انتقل مع والده وأسرته إلى الرياض، وكان منذ طفولته يَميل إلى العمل والتجارة، وكانت عزيمته في طلب الرزق قوية وله جرأة تجاه المحاولة والتعلُّم والاستفادة من تجارب الغير، فتدرَّج في عمله التجاري من حمَّال للبضائع وطباخ وقهوجي، إلى صاحب دُكَّانِه الخاصّ بحيّ المُربَّع في الرياض، ثم صار مسؤولًا عن النشاط التجاري الخاص بالصِّرافة في جُدة ومكة ضمن أعمال شقيقه الأكبر صالح، ثم شريكًا لأخيه صالح بين عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م وعام ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

في عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م أنشأ مُؤسَّسته المصرفية الخاصة تحت اسم «**مُؤسَّسة سليمان عبد العزيز الراجحي**»، وافتتح لها العديد من الفروع في جدة وغيرها، ثم وسَّع نشاطه في مجال العقار واستطاع اكتساب سُمْعة طيِّبة لدى العملاء والتجار من داخل المملكة وخارجها، وبعد فترة تقارب ست سنوات من العمل منفردًا اتَّفق الشيخ وأشقاؤه الثلاثة في عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م للعمل ضمن مُؤسَّسة واحدة هي «**شركة الراجحي للصرافة والتجارة**»، وفُوِّض لإدارة العمل بنحوٍ رئيس، وتركَّز نشاط المُؤسَّسة في مجال الصرافة والعقار ومواد البناء، وفي عام ١٤٠٢هـ/١٩٨١م طُرحت فكرة إنشاء بنك إسلامي بين الإخوة الأربعة، واستغرقت الموافقات الرسمية ما يقارب ستة أعوام، وكانت الموافقة عليه من الدولة في عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، وكان التأسيس تحت اسم شركة الراجحي المصرفية للاستثمار، بعدد من المُؤسِّسين لم يتجاوز ١٣٢ مُؤسِّسًا، يدفع كل واحد منهم ثلاثمائة ألف ريال.

(١) الويكيبيديا العربية، (بدون تاريخ)، سليمان الراجحي.

تفرَّغ الشيخ سليمان للمصرف، وأنشأ العديد من الفروع داخل المملكة بلغت ما يقارب خمسمائة فرع وما يزيد على ٢٧٥٠ صرافًا، ثم وسَّع أعماله في القطاع الزراعي والصناعي ومختلف القطاعات الغذائية مثل الدواجن والروبيان داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، فكان من مشاريعه شركة دواجن الوطنية الشهيرة، وشركة الوطنية الزراعية في بعض مناطق المملكة، التي كانت تعتمد كُلِّيًّا على المنتجات والطرق والأسمدة الطبيعية دون أيِّ موادَّ كيميائيةٍ، وأنشأ العديد من المصانع وشركات النقل والشحن.

عُرف عن الشيخ سليمان ميله الدائم إلى العمل الخيري، وكان في شبابه يحمل الزكوات بنفسه ويُوزِّعها على البيوت، ثم في بدايات عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م أنشأ لجنة للعمل الخيري مع إخوته صالح وعبد الله وسليمان ومحمد، وكانت تُقدِّم الخدمات الخيرية للجهات والمُؤسَّسات الخيرية، وطُورت اللِّجان والأعمال المُنْبَثِقَة منها إلى أن ظهرت «**مُؤسَّسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية**» في عام ١٤٢١هـ، التي ركَّزت جهودها على دعم المُؤسَّسات غير الرِّبْحِيَّة المُسجَّلة في المملكة العربية السعودية في المجالات التعليمية والاجتماعية والصحية، والدعوية والإعلامية وبناء المساجد، وغيرها من أعمال الخير المختلفة.

اشتهر الشيخ سليمان الراجحي كذلك بأوقافه التي فاقت التصوُّر؛ فبدأ بوقف بعض العقارات والأراضي، ثم وقْف حصصٍ من الشركات التي يملكها بِنِسَبٍ مُحدَّدة، وجعَل للوقف كِيانَه المُسْتَقِلَّ، فأنشأ «**مُؤسَّسة وقف سليمان عبد العزيز الراجحي**»، وعيَّن لها مجلس نظارة، ووسَّع مَهَامَّه وصلاحياته لتشمل جميع أعمال الوقف بما في ذلك قطاع العمل الخيري، كما أنشأ شركة باسم «**شركة أوقاف سليمان عبد العزيز الراجحي القابضة**»، وهي مملوكة بالكامل لمُؤسَّسة الوقف، وكانت الذِّراع الاستثمارية التي تمدُّ القطاع الخيري بالموارد المالية اللازمة لأعماله، وحَصَر جميع أملاكه وقوّمها وَفق أعراف السوق، ومَن ثَمَّ استشار أسرته في تخصيص ما يقارب الثلثين لتكون مُلْكًا لشركة أوقاف سليمان عبد العزيز الراجحي، ووزَّع الباقي على أفراد عائلته حسب الحِصَص الشَّرعية.

واستشعارًا بأهمية التعليم أنشأ الشيخ سليمان في محافظة البكيرية -مسقط رأسه- كليات سليمان الراجحي، إضافةً إلى المستشفى التعليمي الذي يَخدمُ الطلاب

والمواطنين على حدٍّ سواء، والكُليات هي ثمرة رؤية الشيخ سليمان وجهوده المَبذولة لتوفير مستوًى تعليميٍّ عالميٍّ في بيئة مَحَلِّية، ونظرًا إلى كون هذه الكليات خيرية فهي لا تطمح إلى الكسب المادي، بل إلى كسب طلاب مُتميِّزين ومَوْهوبين في تحصيلهم العلمي يكونون قادةً في مجتمعهم.

قدَّرت مجلة «فوربس الشرق الأوسط» في مارس ٢٠١٨م ثروة الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي في فترة ذروتها بنحو ٥,٩ مليارات دولار[١]، نقل منها ما يُعادِل ٣,٧ مليارات دولار إلى الوقف الخيري، وقد حصل الشيخ في عام ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م على جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام[٢].

٢- مُؤسَّسات الخير والعطاء

كما كان للعديد من أبناء هذه الأُمَّة اليد الطُّولى في نهضتها والارتقاء بها في مجالات لا تُحْصَى، كذلك أفرزت مسيرة العمل التطوُّعي في العصر الحديث الكثير من المُنظَّمات والمُؤسَّسات التي فرَّغت نفسها لهذا الجانب، أو -على الأقل- كانت لها مساهماتها وبصماتها في هذه المسيرة الرائدة، وأطبقت شهرتها الآفاق، ولو أردنا إحصاءها لاحتجنا إلى مُجلَّدات ضخمة، ولكن سنكتفي بذكر بعضها لتكون نبراسًا لبقية المُنظَّمات والمُؤسَّسات لتَنْحُوَ نحوها، وتقتفي أثرها.

أ- الاتِّحاد العربي للعمل التطوُّعي[٣]

أُسِّس الاتِّحاد العربي للعمل التطوُّعي في ٢٠٠٣/١٢/٣م، ومقرُّه الدوحة بدولة قطر، وهي التي تقوم على غالبية تمويله، وشاركت في تأسيسه ١٦ دولة، ثم تزايد

(١) Forbes Middle East, (2018), Top 10 Billionaires in their Golden Years

(٢) الويكيبيديا العربية، (بدون تاريخ)، جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام.

(٣) أسامة سعد الدين، (بدون تاريخ)، يوسف الكاظم: الاتِّحاد العربي للعمل التطوُّعي مبادرة قطرية خالصة، مقال في صحيفة (العربي الجديد).

أعضاؤه ليضُمَّ ١٩ دولة عربية، وبدأ بضمِّ جمعيات ومُنظَّمات جديدة إليه، وقد تركَّز النظام الأساس للاتِّحاد على كيفية نشر ثقافة العمل التطوُّعي، وعقد دورات لتدريب القيادات ومُعَسْكَرات عمل للشباب، ثم بداية من عام ٢٠١٠م، أقام الاتِّحاد مراكز عدة للتدريب تُقدِّم أقوى المناهج المُتَّبعة في هذا المجال، وصار يمنح «**الرُّخْصة الدولية للعمل التطوُّعي**» للمُؤسَّسات والمُنظَّمات الراغبة في ممارسة أعمال تطوُّعية، ودشَّن أكاديمية خاصة بالعمل التطوُّعي.

تتلخَّص أهداف الاتِّحاد في عشرة أمور، منها:

- ✓ النهوض بالعمل التطوُّعي في المجتمع العربي من خلال مساندة المُنظَّمات والهيئات والمراكز التطوُّعية العربية.
- ✓ بناء وتطوير قدرات وإمكانات مُنظَّمات العمل التطوُّعي لتأدية دورها في عمليات التنمية بكل أشكالها.
- ✓ تنمية الموارد البشرية وتطويرها واستثمارها في إنجاز الأعمال التطوُّعية بما يُسهِم في تطوير المجتمع.
- ✓ ربط مسارات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الدول العربية بالعمل التطوُّعي.
- ✓ الإسهام في بناء الشباب بكل مراحلهم العُمْرية بما ينسجم مع تطلُّعات المجتمع من خلال ممارستهم للأعمال التطوُّعية التي تُؤدِّي بدورها إلى ترسيخ القِيَم الإنسانية النبيلة.
- ✓ تنمية قدرات العاطلين عن العمل، وتزويدهم بالخبرات من خلال مشاركتهم في الأعمال التطوُّعية التي تُمكِّنهم من إدارة مشاريع، أو الحصول على فرص عمل ليكونوا قادرين على تأديةِ دورهم في المجتمع.

وقد ارتبط الاتِّحاد العربي للتطوُّع بالعديد من المُنظَّمات الدولية؛ منها «مُتطوِّعو الأمم المتحدة» (United Nations Volunteers)، ومُنظَّمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة «إسيسكو» (ICESCO)، وكرّم قيادات وشخصيات تطوُّعية من العالم العربي، وفي بطولة كأس العالم لكرة القدم التي استضافتها قطر وقَّع الاتِّحاد اتِّفاقية مع اللَّجنة العليا للمشاريع والإرث لاستقطاب مُتطوِّعين عرب، ودرّب المُتطوِّعين وأعدَّهم وَفق معايير ومواصفات الاتِّحاد الدولي لكرة القدم «فيفا»، واهتمَّ باستقطاب المُتقاعِدين من ذوي الخبرات في المجالات المختلفة لنقل خبراتهم إلى الشباب، ومنهم نخبة من كبار رجال الأعمال وأصحاب الخبرات لتقديم خلاصة خبراتهم للشباب المُستَثمِرين.

ب- جمعية الاستقامة الخيرية الإسلامية العالمية[١]

أُسِّست الجمعية في سلطنة عمان في عام ١٩٩٥م، وهي مُؤسَّسة غير ربحية قائمة على تبرُّعات المحسنين، وقد حافظت الجمعية منذ إنشائها على صفتها مُنظَّمةً إسلامية عالمية خيرية لا تنتمي إلى جهة ولا تتلوَّن بلون إلا لون الإسلام والعمل الخيري النزيه، وابتعدت في نهجها عن كل ما يُفرِّق ويجلب الاختلاف والتنافر بين المسلمين، ولذا التفَّ حولها خيار الناس وفضلاؤهم؛ ما جعلها تُحقِّق نجاحات باهرة في خدمة المسلمين في كثير من الدول المحتاجة خاصة في إفريقيا.

تتلخَّص أهداف الجمعية فيما يأتي:

- ✓ نشر الوعي الصحيح بالدين الإسلامي في كل مكان.
- ✓ الدعوة إلى الله عن طريق تبصير المسلمين بأمور دينهم.
- ✓ التعاون مع باقي الهيئات الإسلامية للأخذ بيد المحتاجين والمَعُوزين.
- ✓ تقديم الخدمات الاجتماعية الخيرية ومساعدة الفقراء والمحتاجين والأيتام.

(١) زاهر بن حارث المحروقي، (٢٠١٠م)، جمعية الاستقامة وإنجازات لا تُحصى، مقال في موقع مجلة (الفلق).

- ✓ الحث على أداء الزكوات والصدقات والمساعدة في إيصالها إلى المُستَحِقّين الشَّرعِيّين لها.
- ✓ السَّعْيُ إلى إقامة المشاريع الخيرية التي يعود رَيْعُها لمساعدة الفقراء والمحتاجين.
- ✓ كفالة الأيتام وطلاب العلم.
- ✓ تدريب المحتاجين إلى العمل من أبناء الفقراء والأيتام.
- ✓ فتح مدارس لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية لغير الناطقين بها.
- ✓ بناء المساجد والمدارس النظامية والمستوصفات وترميمها.

حقَّقت الجمعية الكثير من الإنجازات، ويشهد كل مَن زار المناطق التي تعمل فيها بأنها بالفعل أحيَتْ من الموات الإسلام والعروبة في تلك البقاع، فمن أجل إعداد الطلبة المسلمين وتأهيلهم بالعلم النافع أقامت لهم المعاهد الإسلامية والمدارس النِّظامية، وجهَّزتها بالمكتبات التي تحوي الكثير من الكتب والمراجع التي يحتاج إليها الطلاب لإجراء الدراسات والبحوث المُتخصِّصة، وأنشأت لكل معهد سكنًا داخليًّا يضمُّ مسجدًا لأداء الصلوات وتعليم الطلبة أمور دينهم، وتأهيلهم ليكونوا دعاة ينشرون الإسلام في بلدانهم، فتخرَّج في تلك المعاهد نخبة من المُؤهَّلين للدعوة وتدريس الناس أمور دينهم.

استطاعت الجمعية -رغم مواردها المالية المحدودة- تنفيذ العديد من المشاريع الخيرية في عدد من الدول، ومن هذه المشاريع[1]:

- ✓ إنشاء العديد من المدارس النظامية: الابتدائية والإعدادية والثانوية في بعض الدول الإفريقية.
- ✓ إنشاء العديد من مدارس القرآن الكريم في عدد من البلدان، وذلك لتعليم المسلمين القرآن الكريم والتربية الإسلامية واللغة العربية، وهي مدارس بسيطة مبنية بالطابوق

(١) موقع السبلة العمانية، (٢٠٠٩م)، جمعية الاستقامة الخيرية الإسلامية العالمية.

والزنك، وتحتوي على عدد من الفصول يتَّسع كل فصل لأكثر من ٥٠ طالبًا.

- ✓ حفر آبار ارتوازية في العديد من الدول الإفريقية.
- ✓ إنشاء مكتبات عامة في بعض الدول، وتزويدها بالكتب والأشرطة السمعية والمرئية والحواسيب وغيرها من التجهيزات التي تحتاج إليها المكتبات.
- ✓ بناء العديد من المساجد الصغيرة والكبيرة والجوامع في عدد من الدول.
- ✓ إنشاء مراكز للخياطة لتوفير مصدر دخل للعديد من النساء في بعض الدول الفقيرة.
- ✓ توفير العديد من سيارات الدفع الرباعي لتمكين الدعاة من الوصول إلى المناطق النائية في الدول الإفريقية، وبفضل الله ثم بجهود هؤلاء دخل الملايين من غير المسلمين في دين الله.
- ✓ شراء أراضٍ زراعية في بعض الدول الإفريقية واستصلاحها لتكون مصدر دخلٍ للجمعية، وتدريب الرجال والنساء على الزراعة فيها.
- ✓ شراء المصاحف وتوزيعها على المسلمين الجُدُد، وكذلك توفيرها في المساجد ومدارس القرآن الكريم والمكتبات.

ج- الجمعية الكويتية لرعاية الأطفال في المستشفى KACCH[1]

أُسِّستْ هذه الجمعية في الكويت في عام ١٩٨٩م، وتهدف إلى الاعتناء بنزلاء المستشفيات من الأطفال، وفي أبريل من عام ٢٠٠٥م أطلقت الجمعية مشروع «**بيت عبد الله**» الذي يهدف إلى رعاية الأطفال الذين يُتوقَّع وفاتهم وهم في سِنِّ الطفولة وتقديم الدَّعْم المعنوي إلى أُسَرهم، وهذا المشروع سيساعد أُسَر هؤلاء الأطفال على تجاوز اللحظات الأخيرة من عُمْر أطفالهم بروح راضية، وذلك من خلال تخفيف التوتُّر الذي

(١) الجمعية الكويتية لرعاية الأطفال في المستشفى KACCH، (بدون تاريخ)، الموقع الرسمي للجمعية.

قد ينتاب أقارب هؤلاء الأطفال، وتقديم الاستشارات التخصُّصية لهم ولأطفالهم فيما يتعلَّق بالحالات التي يُعانيها أطفالهم، وقد استطاعت الجمعية إلى عام ٢٠٢٣م تقديم مزايا الدعم النفسي والاجتماعي لأكثر من نصف مليون طفل وعائلاتهم في الكويت خلال فترات الإقامة في المستشفى.

في عام ١٩٩٤م استطاعت الجمعية -بدعم من مُوجِّهين دوليين في مجال اللَّعِب في المستشفيات- تكوين دبلوم دراسات عليا لمدة عام واحد في حياة الطفل قبِلته جامعة الكويت، وتخرَّجت الدفعة الأولى فيه عام ١٩٩٦م بشهادة تخصُّص في حياة الطفل، وفي يناير ٢٠١٢م افتُتح مستشفى «**بيت عبد الله**" لرعاية الأطفال (**باتش**) تحت رعاية سمُوِّ أمير الكويت، والمستشفى يُقدِّم للأطفال الذين يعيشون في الكويت الرعاية المُتخصِّصة التي يحتاجون إليها، مع ضمان التركيز على جودة الحياة وأفضل رعاية يومية ممكنة، وتزويدهم وعائلاتهم بالدَّعْم الإكلينيكي والنفسي والاجتماعي والعاطفي والرُّوحي من قِبَل صَفْوة الخبراء طوال رحلة التَّحَدِّي، ويُعَدُّ بيت عبد الله أول دار رعاية تلطيفية للأطفال والوحيد في الشرق الأوسط.

د- الجمعية الإسلامية الخيرية بالدار البيضاء[1]

أُسست هذه الجمعية في عام ١٩٢٧م، وهي بهذا تُعَدُّ أول مُؤسَّسة خيرية في المغرب، وتُقدِّم خدمات لما يزيد على ٨٠٠ من المَعُوزين، الذين منهم اللُّقَطاء والأيتام، إذ تشملهم المُؤسَّسة بالرعاية والتكوين والتعليم، وتُوفِّر لهم الراحة والاطمئنان حتى يتسنَّى لهم الاندماج في المجتمع، ويُصبِحوا أعضاءً فاعلين فيه، وكذلك تتكفَّل بتسيير مركبات اجتماعية من أجل مساعدة الأشخاص المَعُوزين والعَجَزة ذكورًا وإناثًا الذين لا أُسَر لهم لإيوائهم والتكفُّل بهم، وقد تخرَّج بفضل الله ثم بدعم هذه المُؤسَّسة الكثير من الطيارين المدنيين والعسكريين والأطباء والمهندسين والمحامين ومَن لهم باع في مجال المعرفة، إضافةً إلى مجموعة مرموقة من الفنانين والمُوسيقيِّين والمَسرَحِيِّين والرِّياضِيِّين.

(١) محمد الكاسي، (٢٠٠٥م)، نحو يوم عربي لرعايتهم: الأيتام واللُّقَطاء.. مَن يرعاهم؟، حوار نُشِر في موقع (إسلام أون لاين).

وإضافةً إلى الصفوف الدراسية وأقسام الحواسيب والمساكن الداخلية فإن الجمعية تضمُّ أيضًا صالاتٍ لممارسة الرياضات المختلفة، وورشًا خاصة لمزاولة المِهَن المفيدة والهوايات المرغوب فيها، وتضمُّ أيضًا مستوصفًا طبيًّا وعيادة أسنان وجامعًا لتأدية الصلوات الراتبة وصلاة الجمعة، وتمتدُّ أيادي الجمعية السَّخِيَّة لتشمل العجزة والمَعُوزين المنتشرين في المجتمع، فتَرعاهُم وتُوفِّر مركبات خاصة لهم لمساعدتهم على تقضية احتياجاتهم وربطهم بأُسَرهم.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- كيف بدأ اهتمام البروفيسور محمد يونس لحلِّ مشكلة الفقراء في بلاده بنجلاديش؟
- وضِّح كيف اتَّسعت فكرة بنك جرامين لتشمل ملايين الفقراء في العالم.
- فكِّر كيف يمكنك التعاون مع بعض أصدقائك لتطبّقوا فكرة البروفيسور محمد يونس على بعض الأُسَر الفقيرة في المحيط الذي تعيشون فيه.
- ما الدوافع التي جعلت الدكتور عبد الرحمن السميط يُركِّز اهتمامه على مسلمي إفريقيا؟
- إذا كنت قد زرت إحدى الدول الإسلامية الفقيرة في العالم، فهل بادرتَ بمشروع خيريٍّ لمساعدة الفقراء في تلك الدولة؟ اسرُد بعض المشاريع الخيرية التي يمكنك المشاركة فيها والتي تستهدف الفقراء في تلك الدولة أو في دول إسلامية أخرى.
- لقد عانى الشعب الفلسطيني كثيرًا، فهل فكَّرت يومًا في مشاريع خيرية يمكنك تنفيذها لتخفيف معاناة ذلك الشعب الأبِيِّ؟ اكتب نُبذة عن كل مشروع وشارك بها غيرك من خلال وسائل التَّواصُل الاجتماعي، ثم حاول مع بعض المُهتَمِّين بالعمل الخيريِّ تنفيذ أحد هذه المشاريع.
- تُعَدُّ جمعية الاستقامة الخيرية الإسلامية العالمية أنموذجًا فريدًا بين مُؤسَّسات العمل التطوُّعي/الخيري، وخاصة في الارتقاء بخدماتها ودوائر اهتمامها من مُؤسَّسة مَحَلِّية محدودة الخدمات إلى مُنظَّمة عالمية. اسرُد على الأقل خمسة شواهد تُؤيِّد هذا الكلام.
- تهتمُّ الجمعية الكويتية لرعاية الأطفال في المستشفى والجمعية الإسلامية بالدار البيضاء بصنفين من أفراد المجتمع نادرًا ما يجدان اهتمامًا من أحد. أَجْرِ مع بعض زملائك دراسةً لفئات أخرى في المجتمع لا تحظى بالاهتمام والرعاية المطلوبة، ثم ضعُوا تصوُّرًا لما يمكن تقديمه لها من عَوْنٍ واهتمامٍ.

الباب الثالث

الأعمال التطوُّعية الفردية ومنافعها

تمهيد

إن الكوادر البشرية هي عُدة الأمم وزادها في مسيرتها الحضارية والتاريخية، والأُمَّة الإسلامية قد تكون أكثر الأمم من حيث عدد المنتسبين إليها، غير أنها تعاني مشكلتين جوهريَّتين:

- **المشكلة الأولى** تتمثَّل في فقدان الهوية الإسلامية للكثير من المنتسبين إليها، وهي لَعَمْري مشكلة كبرى؛ إذ كيف يمكن لشخص أن يُفني حياته ويبذل الغالي والنفيس في شيء لا يعترف هو بانتمائه إليه، وتشهد كل الوقائع ضدَّه، سواءٌ أكان ذلك في التصوُّر أم في التطبيق؟ إننا نرى أبناء هذه الأُمَّة وقد ارتَدَوْا زِيَّها وتكلَّموا بلغتها وعاشوا على ترابها، ولكن أفكارهم مُسْتَوْرَدَة، وغاياتهم مُوجَّهة، وإنتاجاتهم -إن وُجِدت- هزيلة ومُبتَذلة، ويُعَدُّ الخَواء الرُّوحي وانقلاب موازين الفكر من أهم أسباب هذا الفصام الحاصل بين الدعوى والحقيقة.

- **المشكلة الثانية** تتمثَّل في قِلَّة الإنتاج وتدنِّي جودته؛ فبالرغم من وجود المشكلة الأولى وتجسُّدها في الغالبية الكبرى من أبناء هذه الأُمَّة، هناك قِلَّة لا يُشكُّ في انتمائها إلى الأُمَّة، ورغبتها في البذل والعطاء، ولكنها لا تحمل المُؤهِّلات القادرة على الإنتاج المُضاعَف والجودة الشاملة، وإن انتقال الأُمَّة من مستوى التَّبَعيَّة في كل شيء إلى مستوى القيادة في كل شيء يتطلَّب جهودًا مُضْنِية وعقولًا مُنْتِجة وقلوبًا نَابِضة بالحياة، وكلها منعدمة أو قليلة الوجود حاليًّا في أبناء الأُمَّة، وذلك عائدٌ إلى فقدان الرابط بين هؤلاء وبين مصدر كل المُقوِّمات ومنتهى كل الغايات -وهو الله سبحانه-، وأيضًا إلى تدنِّي المستوى الفكري والثقافي والمهاراتي لأبنائها.

إن السُّبات العميق الذي غطَّ فيه أبناء الأُمَّة رَدَحًا من الزمان قد أدَّى إلى فقدانهم الكثير من المُقوِّمات التي كانت سببًا في سُطوع نجم أجدادهم وعُلُوِّ بُنيانهم، ولا يمكن للأُمَّة أن تعود إلى سابق مجدها إلا باستيقاظ أبنائها من هذا السُّبات العميق، وشدِّ أحزمة الخلاص والبقاء والتمكين، وارتشافهم من المنابع الصافية التي كانت تمدُّ أجدادهم بمصادر البقاء والعزة في عهودهم الأولى، وبحمد الله فإن دعوات المُصلِحين والمُخلِصين من أبناء الأُمَّة تهدف إلى تجديدٍ كاملٍ لبنيانها، غير أن بناء أمة راشدة مُتحضِّرة يتطلَّب بناء أبنائها على طراز خاصٍّ يتوافق مع سمات كيانها المنشود، ومن أجل هذا جاء التطرُّق في هذا الباب إلى الأعمال التطوُّعية التي تُركِّز على شخصية الفرد المسلم الذي هو اللبنة الأولى والأساس في كيان الأُمَّة.

وقد يستغرب القارئ أن تُدرَج الأعمال التي تعود بالنفع على الشخص نفسه -على الأقل ظاهريًّا- ضمن قائمة الأعمال التطوُّعية، إذ كيف يتطوَّع الإنسان لخدمة نفسه أو تأدية أعمال يُفترَض عليه تأديتها ليعيش إنسانًا سويًّا صالحًا؟

والجواب عن ذلك ببساطة هو أنه -وبسبب الأوضاع الحالية للشعوب الإسلامية، والحالة المُزْرية التي وصل إليها أبناؤها- فقد أصبح الواحد منهم لا يدري ما ينفعه وما يضرُّه، وصار لا يهتمُّ بما يعود عليه أو على أُمَّته بالنفع، وإنما جُلُّ اهتمامه بالتَّوافِه وسَفاسِف الأمور.

كذلك، إن أردنا لهذا المسلم أن يُشارِك في أعمال خيرية تطوُّعية لبناء أُمَّته، وهي أعمال لا تعود عليه بمنافع ماديَّة ظاهرة، فإنه لا بُدَّ أن يكون أولًا مُهيَّأً لتقبُّل فكرة العمل التطوُّعي؛ وهو -بلا شك- عمل جادٌّ مُضنٍ لا يُرجى من ورائه الحصول على مُقابلٍ ماديٍّ أو معنويٍّ، والكثير من الناس في هذا الزمان قد لا يقتنعون بهذا المبدأ، ولذلك يحتاجون أولًا إلى التدرُّب على تأدية أعمال يمكنها أن تُقنِعَهم -سلوكيًّا وفكريًّا- أن ما يؤدونه من أعمال خيرية لا بُدَّ أن يعود عليهم بالنفع.

والعمل التطوُّعي -كما نعلم- يحتاج إلى بذل الكثير من الأوقات والطاقات -وفي أحيانٍ إلى الأموال- مما لا يستطيع تحمُّل أعبائه إلا من درَّب نفسه على ذلك، وعوَّدها بذل الجهد وتحمُّل التَّبَعات، وتأدية أعمال تطوُّعية تخدم الشخص نفسه قد تكون المَحَطَّة

الأولى لاختبار هؤلاء في مدى جِدِّيتهم في البذل وحرصهم على مواصلة الجهد دون توقُّع عائدات ماديَّة -ولا حتى معنويَّة-.

وأمرٌ آخر يدعونا للبدء بالأعمال التي تخدم الفرد نفسه هو أن الأعمال التطوُّعية التي ندعو إليها في هذا الكتاب هي أعمال خيرية تستمدُّ شرعيتها من منهج الله -سبحانه وتعالى-، ولهذا فإن مَن يرغب في تأديتها عليه أن يستمدَّ العَوْن والمَدَد من المصدر الأول وهو الله -سبحانه وتعالى-، ولن يتأتَّى للمرء الحصول على عون الله وتوفيقه إلا إذا كان على صلة قوية به سبحانه، ومن أجل ذلك فإن غالبية الأعمال التي سنتعرَّض لها في هذا الباب تعالج هذه القضية، وتهدف بالدرجة الأولى إلى بناء الشخصية القوية في إيمانها وفكرها وتصوُّراتها وثقافتها.

إن هناك الكثير من الأعمال التي يمكن للفرد المسلم تأديتها باستمرار وتعود عليه بفضل عظيم بإذن الله، وفي الوقت نفسه لا تحتاج تأديتها إلى معونة الآخرين، وأيضًا فإن معظم الأعمال التي سنذكرها في هذا الباب لا تُكلِّف الشخص جهَدا، ولا تُضيِّع له وقتًا، ولا تتطلَّب منه مالًا، ولكي يَسْهُل على القارئ تطبيق ما سنذكره من أعمال، فإننا سنقسمها إلى مجموعات؛ فهناك أعمال تُقوِّي صلة المسلم بخالقه، وأعمال تَصقُل فكره وتُنمِّي ثقافته ومهاراته، وأعمال تُكسِبه القبول بين الناس وتجعله يشبُّ سويًّا مُعافًى، وأعمال تُثبِّت أركانه في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- كيف يكون المرء مسلمًا وفي الوقت نفسه فاقدًا لهويته الإسلامية؟
- ما السبيل لخلاص الأُمَّة من السُّبات العميق الذي غطَّ فيه أبناؤها؟
- ما رأيك في المُسوّغات التي سيقت هنا لتسويغ إدراج الأعمال الشخصية ضمن قائمة الأعمال التطوُّعية التي يناقشها هذا الكتاب؟
- إذا كان نجاح المُتطوّع مرهونًا بصِلته بالله -عزَّ وجلَّ- كما ذُكِر هنا، فلماذا هناك ناجِحون في هذا المجال من المسلمين العصاة أو من غير المسلمين؟

الفصل الأول

الأعمال التي تُقوِّي صلة المرء بخالقه

أول الأمور التي على كل واحد منا المبادرة لفعلها هو الاهتمام بأمور دينه، وقد يعجب البعض من الدعوة إلى التطوُّع لتأديةِ أمور الدين التي أوجبها علينا الشارع تبارك وتعالى، ولكن الحقيقة هي أنه وصل الحال بنا إلى الحاجة إلى أناس يأتون إلينا ويحاولون إقناعنا لتأديةِ أمور ديننا، والجميع يدرك أن المحافظة على الصلوات الخمس -مثلًا-، وخاصة تأديتها في الجماعة وفي أوقاتها المعروفة، هو أمرٌ مفروض على كل رجل بالغ عاقل من المسلمين، وأن صلاة الرجل في المسجد تفوق صلاته في بيته بخمس وعشرين مرة أو بسبع وعشرين مرة، كما في قوله -عليه الصلاة والسلام-: ((صَلَاةٌ مَعَ الْإِمَامِ أَفْضَلُ مِنْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ صَلَاةً يُصَلِّيهَا وَحْدَهُ))[١]، وفي رواية: ((صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ من صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً))[٢]، ومع ذلك نرى غالب أبناء الأُمَّة لا يُؤَدُّونها جماعةً في المسجد، ومنهم مَن لا يُؤدِّيها مُطْلَقًا.

أمثال هؤلاء لا يدركون ما ينفعهم حقًّا لأنهم حصروا المنفعة في العوائد الدنيوية فقط، ولذلك لا يريد الواحد منهم أن يُفرِّط في وظيفته أو دراسته أو تجارته أو في أشغاله الأخرى من أجل الذهاب إلى المسجد وتأدية الصلاة في الجماعة، وإذا كان هذا الشخص لا يستطيع ترك تلك الأمور نحوَ نصف ساعة فقط لشيء عظيم مثل الصلاة، فكيف سيتمكَّن من فعل الأمور الأخرى التي سنتكلَّم عنها لاحقًا؟

ورغم أن هناك المئات من الأعمال التي يمكن للمرء فعلها وتكون ذات أثرٍ بالغ في ربطه ببارئه برباط التقوى الذي به يستمدُّ العون والتأييد من الله -سبحانه-، فإننا سنقتصر في هذا الفصل على بعض الجوانب فقط، التي -في تقديرنا- يمكن لمعظم المسلمين تأديتها.

(١) مسند أحمد (حديث رقم: ١٠٨٤٢، ج١٦، ص٤٩٠) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.
(٢) صحيح مسلم (حديث رقم: ٦٥٠، ج١، ص٤٥٠) عن ابن عمر -رضي الله عنهما-.

١ - الانكباب على القرآن الكريم

من تشريف الله -سبحانه وتعالى- لهذه الأُمَّة وتكريمه لها أن جعل بين يديها خير كتاب أُنزِل، وأنقى مَعين تَسْتَدِرُّ منه مُطهِّرات الألباب، وتَستَلِهم منه مُحفِّزات النفوس، وتَستمطِر من خلاله مُقوِّمات البقاء والتمكين، ولذا لا يمكن للراغب في الوصول إلى مرضاة الله أن يهجُر القرآن وراء ظهره، كما أورد -سبحانه- شكاية الرسول -عليه الصلاة والسلام- من بعض أتباعه في قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وإنما على العبد أن ينكبَّ على كتاب الله تلاوةً وحفظًا وتفكُّرًا وتدبُّرًا وتعلُّمًا ومُدارسة.

إنه لا بُدَّ لكل واحد منا أن يجعل ضمن برنامجه اليومي قراءة ولو بضع صفحات من القرآن، وخطوات الوصول إلى الله -سبحانه وتعالى- وروافد الإمداد لِمَشَقَّات الطريق وغوائلها ستتزايد بمقدار ما نقرؤه من كتاب الله، وما نتدبَّره من معانيه وأسراره، وما نُطبِّقه من تعاليمه وأحكامه، وتلاوة بعض الصفحات بعد صلاة الفجر أو العصر أو غيرها من الأوقات التي تُناسِبُك لن تُؤخِّرَك عن عملك أو دراستك، وإذا لم تستطِع التزام شيءٍ من الوقت مع كتاب الله فأنَّى لك المُداوَمة على الأعمال التطوُّعية الأخرى وحتى أعمالك الشخصية التي هي جزءٌ من برنامجك اليومي؟!

٢ - المواظبة على النوافل والأذكار

إن ما بأيدينا من إمكانات وقدرات لا تُؤهِّلنا -ولن تُؤهِّلنا- لتأدية أعمال تطوُّعية إلا إذا لجأنا إلى مَن بيده القوة المُطلَقة نستَمِدُّ منه العون والتأييد، ولذا لا بُدَّ لنا من تحسين علاقتنا ببارئنا لنَسْتَدِرَّ منه المَدَد والعَوْن، ومعلوم في عقيدتنا أن من كمال الإيمان والتسليم له سبحانه أن نَسْتَمِدَّ منه كل ما نحتاج إليه من إمكانات وموارد.

لذا، فإن أهمَّ الأعمال التطوُّعية التي يمكن للفرد تأديتها -بعد أداء الفرائض- الإكثار من النوافل من صلاة وصيام وصدقات، وأيضًا الإكثار من ذكر الله -سبحانه وتعالى- في الصباح والمساء، في العمل والشارع، في اليقظة وقبل النوم وبعده، إضافةً إلى الأجر العظيم الذي يمكن أن نحصل عليه عند تأديتنا النوافل المختلفة، فإن تأديتَها والمحافظة عليها هي أَوْلى الخطوات التي ستبني في نفوسنا -بإذن الله- روح التطوُّع لتأديةِ الأعمال الأخرى؛ ففيها تدريب على التضحية بالوقت والجهد والمال، وفيها تعويدُ النفسِ الانضباطَ والتخطيط.

وليس بخافٍ على أحد ما في الإكثار من النوافل والأذكار من أثرٍ عظيم في رَأْب الخَلَل الذي قد يلحق بالفرائض والواجبات في أثناء تأديتنا إياها، وما للنوافل والأذكار أيضًا من الأثر النفسي والرُّوحي العظيم الذي تُحْدِثه في نفس صاحبها فتجعله يهبُّ نشِطًا مسرورًا لمعونة الآخرين وفعل الخير لهم، وقد جاء في الحديث الشريف: ((إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ))[1]، وجاء من أخصِّ أوصاف عباد الله أنهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وفيما يأتي نسوق بعض الآيات والأحاديث الأخرى التي نستوضح منها الأجر العظيم الذي أُعِدَّ لمَن يواظب على بعض النوافل والأذكار:

✓ **صلوات النوافل:** قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[2]، وقال -عليه الصلاة والسلام-: ((مَنْ ثَابَرَ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ السُّنَّةِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ))

(١) صحيح البخاري (حديث رقم: ٦٥٠٢، ج٨، ص١٠٥) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.
(٢) صحيح البخاري (حديث رقم: ١٥٩، ج١، ص٤٣)، وصحيح مسلم (حديث رقم: ٢٢٦، ج١، ص٢٠٥) من حديث عثمان بن عفان.

[١]، وفي حديث آخر: ((مَنْ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فِي الْجَمَاعَةِ، فَهِي كَحَجَّةٍ، وَمَنْ مَشَى إِلَى صَلَاةِ تطوُّع فَهِي كَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ))[٢].

✓ **الاستغفار للآخرين:** أمر المولى -سبحانه- نبيَّه -عليه الصلاة والسلام- أن يستغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات؛ فقال سبحانه: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، وجاء من دعاء نوح -عليه السلام-: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨]، وحكى عن إبراهيم -عليه السلام- أنه كان يدعو: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وأثنى -سبحانه- على المؤمنين الذين يستغفرون لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ورَوَت السيدة عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طِيبَ نَفْسٍ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي، فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ مَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ))، فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ حَتَّى سَقَطَ رَأْسُهَا فِي حِجْرِهَا مِنَ الضَّحِكِ، قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((أَيَسُرُّكِ دُعَائِي؟)) فَقَالَتْ: وَمَا لِي لَا يَسُرُّنِي دُعَاؤُكَ، فَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((وَاللَّهِ إِنَّهَا لَدُعَائِي لِأُمَّتِي فِي كل صلاة))[٣]، وكان من دعائه -صلى الله عليه وسلم- إذا صلى على جنازة يقول: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَ أُنْثَانَا. اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ))[٤].

✓ **التسبيح:** قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ))[٥]، وقال: ((مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ

(١) سنن الترمذي (حديث رقم: ٤١٤، ج٢، ص٢٧٣) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.
(٢) المعجم الكبير للطبراني (حديث رقم: ٧٥٧٨، ج٨، ص١٢٧) من حديث أبي أمامة -رضي الله عنه-.
(٣) صحيح ابن حبان (حديث رقم: ٧١١١، ج١٦، ص٤٧)، وحسّنه الأرناؤوط والألباني في (السلسلة الصحيحة، حديث رقم: ٢٢٥٤).
(٤) سنن الترمذي (حديث رقم: ١٠٢٤، ج٣، ص٣٣٤) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.
(٥) صحيح البخاري (حديث رقم: ٦٤٠٥، ج٨، ص٨٦) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، ورواه ابن ماجه (حديث رقم: ٣٨١٢، ج٢، ص١٢٥٣) عن أبي هريرة أيضًا بلفظ: ((مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ)).

اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ بِهِ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ))[١]، وفي حديث آخر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ))، فسأله سائلٌ من جُلَسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: ((يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ))[٢]، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ قَالَ حِينَ يُصبِح وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْزَادَ عَلَيْهِ))[٣]، وجاء أيضًا: ((كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ))[٤]، وعن جويرية أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج من عندها بكرة حين صلىَّ الصُّبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: ((مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟))، قالت: نعم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ))[٥].

✓ **قول «لا إله إلا الله»**: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ))[٦]، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: ((مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ حِينَ يُصبِح،

(١) صحيح ابن حبان (حديث رقم: ٨٢٧، ج٣، ص١٠٩) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-.
(٢) صحيح مسلم (حديث رقم: ٢٦٩٨، ج٤، ص٢٠٧٣) من حديث مصعب بن سعد عن أبيه -رضي الله عنهما-، ورواه الترمذي وأحمد بلفظ مشابه.
(٣) صحيح مسلم (حديث رقم: ٢٦٩٢، ج٤، ص٢٠٧١)، وسنن الترمذي (حديث رقم: ٣٤٦٩، ج٥، ص٥١٣)، ومسند أحمد (حديث رقم: ٨٨٣٥، ج١٤، ص٤٢٩) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.
(٤) سنن ابن ماجه (حديث رقم: ٣٨٠٦، ج٤، ص٧١٥) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.
(٥) صحيح مسلم (حديث رقم ٢٧٢٦، ج٤، ص٢٠٩٠).
(٦) صحيح البخاري (حديث رقم ٦٤٠٣، ج٨، ص٨٥)، ورواه مسلم بلفظ مشابه (حديث رقم: ٢٦٩١، ج٤، ص٢٠٧١)، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

كُتِبَ لَهُ بِهَا مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ بِهَا مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ عَدْلَ رَقَبَةٍ، وَحُفِظَ بِهَا يَوْمَئِذٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي، كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ))[١].

✓ **الصلاة على النبي:** قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا))[٢]، وقال: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ))[٣].

✓ **صيام الاثنين والخميس:** عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس، فقيل له، فقال: ((إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ كُلَّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ- أَوْ: كُلَّ يَوْمِ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ- فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ- أَوْ: لِكُلِّ مُؤْمِنٍ- إِلَّا الْمُتَهَاجِرَيْنِ، فَيَقُولُ: أَخِّرْهُمَا))[٤].

✓ **الصدقة:** يروي أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ[٥] فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ))، فقال أبو بكر -رضي الله عنه-: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟»، قال: ((نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ))[٦]، ويقول عليه الصلاة والسلام: ((بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ

(١) مسند أحمد (حديث رقم: ٨٧١٩، ج١٤، ص٣٣٦) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–.
(٢) صحيح مسلم (حديث رقم ٤٠٨، ج١، ص٣٠٦)، وسنن النسائي (حديث رقم: ١٢٩٦، ج٣، ص٥٠)، ومسند أحمد (رقم: ٨٨٥٤، ج١٤، ص٤٤٤) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–.
(٣) السنن الكبرى للنسائي (حديث رقم: ١٢٢١، ج٢، ص٧٧) من حديث أنس بن مالك –رضي الله عنه–.
(٤) مسند أحمد (حديث رقم: ٨٣٦١، ج١٤، ص٩٨).
(٥) الزوجان: فرَسان أو بعيران.
(٦) صحيح البخاري (حديث رقم: ١٨٩٧، ج٣، ص٢٥).

الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ[١] فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ[٢]، فَإِذَا شَرْجَةٌ[٣] مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ))[٤].

٣- قيام الليل

إن المؤمن الذي يرغب في تقوية صلته بالله لا بُدَّ له من ساعات يختلي بها مع مَلِك الملوك ومَن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، يسكب بين يديه العَبَرات، ويستدرُّ منه الرَّحَمات، ويسأله الوقوف بجانبه في المُلِمَّات، ويتَمَلَّق إليه ليحظى من لَدُنه بقريب الدرجات ووافر العَطايا والهِبات.

وإنه لا يخفى على عاقل أن الحياة المعاصرة وما يلفُّها من صَخَب ولَهْو، وما تُحدِثُه في لُباب المرء وفكره من خدوش، وما تمتصُّه منه من أوقات وتلتهمه من طاقات، تُحتِّم عليه أن يفرَّ إلى الرحمن الرحيم؛ يستغيث به من حَمَأة الحياة ووطأتها، ويحتمي به من جورها وقسوتها، وليس هناك من وقت أفضل من تلك الساعات الأخيرة من الليل يَفِرُّ فيها من أنواء الحياة وشقاء ساكنيها، لحظات تسكُن فيها نفسه إلى روحانية الأُنْس باللَّطيف المَنَّان، وقُدْسِيَّة التذلُّل بين يَدَيِ الرؤوف الرحمن.

يقول ابن القيم: «**لما رأى المُتيقِّظون سَطْوة الدنيا بأهلها، وخداع الأمل لأربابه، وتملُّك الشيطان قياد النفوس، ورأَوُا الدّولة** (أي الغَلَبة والنصر) **للنفس الأمَّارة، لجؤوا**

(١) الحديقة: البستان.
(٢) الحَرَّة: أرض بها حجارة سود.
(٣) الشَّرْجة: مجرى الماء.
(٤) صحيح مسلم (حديث رقم: ٢٩٨٤، ج٤، ص٢٢٨٨) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

إلى حِصْن التضرُّع والالتجاء؛ كما يأوي العبدُ المذعورُ إلى حَرَمِ سيده»[١].

إذا كَثُرَتْ منكَ الذنوبُ فداوِها ... برفعِ يدٍ في الليلِ والليلُ مظلمُ[٢]
ولا تقْنَطَنْ من رحمةِ اللهِ إنما ... قُنوطُكَ منها من خطاياكَ أعظمُ
فرحمتُـــهُ للمُحْسِنينَ كرامـــةٌ ... ورحمتُـــتهُ للمُسرفينَ تَكَـــرُّمُ

وممَّا يمكن أن يُحمِّسك لقيام الليل أن تتذكَّر قوله -سبحانه-: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١، ٢]، وعندها «تستشعِر وتستحضر بقلبك وفكرك أن ربك ومولاك وسيِّدك الجليل العظيم يدعوك ويناديك -وهو الغني عن طاعاتك سبحانه- إلى القيام بين يديه، واللُّجوء إليه، والتلذُّذ بمناجاته في ظلام الليل، فهلَّا أجبتَ نداءَ السماء؟ وناجيتَ ربَّك في الظَّلماء؟ لتكون في الدنيا والآخرة من السُّعداء؟»[٣].

كذلك، تذكَّرْ حبيبك ورسولك العظيم -عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم- وهو يقول: ((أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ))[٤]، ويقول: ((عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ))[٥].

بَكَى البَاكُونَ لِلرَّحمنِ لَيلًا ... وبَاتُوا دَمعُهُم ما يَسأَمُونَا[٦]
بِقَاعُ الأَرضِ من شوقٍ إليهم ... تَحُنُّ متى عَليها يَسجُدونا

وقد كان قيام الليل -على امتداد تاريخ الأُمَّة- المدرسةَ الربانية التي تخرَّج فيها قادتها وعلماؤها ومُفكِّروها، وأولهم نبيُّنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وهذا عمر بن المُنْكَدِر يقوم الليل يُصلِّي لربه، فكانت أمه تقول له: «إني لأشتهي أن أراك نائمًا»، فيقول لها:

(١) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص٦٣.
(٢) ابن الجوزي، التبصرة، ج١، ص٢٠٠.
(٣) محمد بن صالح آل عبد الله، كيف تتحمَّس لقيام الليل؟، ص١٠.
(٤) صحيح مسلم (حديث رقم: ١١٦٣، ج٢، ص٨٢١) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.
(٥) سنن الترمذي (حديث رقم: ٣٥٤٩، ج٥، ص٤٤٤) من حديث أبي أمامة -رضي الله عنه-.
(٦) يُنسَب البيتان إلى صالح بن عبد الكريم البغدادي العابد، ينظر: ابن أبي الدنيا، الرقة والبكاء، ص١١٢.

«يَا أُمِّي، وَاللَّهِ إِنَّ اللَّيْلَ لَيَرُدَّ عَلَيَّ فَيُهَوِّلُنِي فَيَنْقَضِي عَنِّي وَمَا قَضَيْتُ مِنْهُ إِرَبِي (أي ما شبعتُ من صلاة الليل)»[١]، ويقول أبو سليمان الداراني: «أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمْ أَلَذُّ مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فِي لَهْوِهِمْ، وَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ فِي الدنيا»[٢].

أما حبيبنا -عليه الصلاة والسلام- فلما نزل عليه قول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١-٢]، قام -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه حولًا حتى انتفخت أقدامهم وسُوقهم، حتى نزلت ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩] إلى آخر السورة[٣].

يقول سيد قطب في تفسيرِهِ قولَه تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]:

«﴿نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ هي ما ينشأ منه بعد العشاء؛ والآية تقول: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾: أي أَجْهَدُ للبدن، ﴿وَ أَقْوَمُ قِيلًا﴾: أي أَثْبَتُ في الخير كما قال مجاهد، فإن مُغالَبة هُتاف النوم وجاذبية الفراش، بعد كدِّ النهار أشدُّ وطأً وأَجْهَدُ للبدن؛ ولكنها إعلان لسيطرة الرُّوح، واستجابة لدعوة الله، و إيثار للأنس به، ومَن ثَمَّ فإنها أقوم قيلًا، لأن للذِّكْر فيها حلاوته، وللصلاة فيها خشوعها، وللمناجاة فيها شفافيتها، وإنها لتَسْكُب في القلب أُنْسًا وراحة وشفافية ونورًا، قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره، والله الذي خلق هذا القلب يعلم مداخله وأوتاره، ويعلم ما يتسرَّب إليه وما يُوقَع عليه، وأيُّ الأوقات يكون فيها أكثر تفتُّحًا واستعدادًا وتهيؤًا، وأيُّ الأسباب أعلق به وأشدُّ تأثيرًا فيه.

والله -سبحانه- وهو يُعِدُّ عبده ورسوله محمدًا -صلى الله عليه وسلم- ليتلقَّى القولَ الثقيل، وينهض بالعبء الجسيم، اختار له قيام الليل؛ لأن ناشئة الليل هي أشدُّ وطأً و أَقْوَمُ قيلًا، ولأن له في النهار مشاغله ونشاطه الذي يستغرق كثيرًا من الطاقة والالتفات»[٤].

(١) محمد بن نصر المَرْوَزِي، مختصر قيام الليل، ص٤٨.
(٢) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص٣٨٥.
(٣) محمد بن نصر المَرْوَزِي، مختصر قيام الليل، ص٢٣.
(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٧٤٥.

ويقول في تفسيرِهِ قولَه تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥-٢٦]:

«هذا هو الزاد، اذكر اسم ربك في الصباح والمساء، واسجد له بالليل وسبِّحه طويلًا، إنه الاتِّصال بالمصدر الذي نزَّل عليك القرآن، وكلَّفك الدعوة، هو يَنبوع القوة ومصدر الزاد والمَدَد: الاتِّصال به ذِكْرًا وعبادةً ودعاءً وتسبيحًا، ليلًا طويلًا، فالطريق طويل، والعِبْءُ ثقيل، ولا بُدَّ من الزاد الكثير والمَدَد الكبير، وهو هناك، حيث يلتقي العبد بربه في خَلْوة وفي نَجَاء، وفي تطلُّع وفي أُنْس، تُفيض منه الراحة على التعب والضَّنى، وتُفيض منه القوة على الضَّعْف والقِلَّة، وحيث تنفُض الرُّوح عنها صغائر المشاعر والشواغل، وترى عظمة التكليف، وضخامة الأمانة، فتَسْتَصْغِر ما لاقتْ وما تلاقي من أشواك الطريق!

إن الله رحيم، كلَّف عبده الدعوة، ونزَّل عليه القرآن، وعرف متاعب العِبْء، وأشواك الطريق، فلم يَدَعْ نبيه -صلى الله عليه وسلم- بلا عَوْن أو مَدَد، وهذا هو المَدَد الذي يعلم -سبحانه- أنه هو الزاد الحقيقي الصالح لهذه الرحلة المُضْنية في ذلك الطريق الشائك، وهو هو زاد أصحاب الدعوة إلى الله في كل أرض وفي كل جيل، فهي دعوة واحدة، مُلابَساتها واحدة، وموقف الباطل منها واحد، وأسباب هذا الموقف واحدة، ووسائل الباطل هي ذاتها وسائله، فلتكن وسائل الحق هي الوسائل التي عَلِم الله أنها وسائل هذا الطريق»[1].

من هنا، فإنه لن يتأتَّى لصاحب الآمال العظام والأحلام الجسام من الوصول إلى مبتغاه، وتحقيقه آمالَه وأحلامه، إلا أن ينخرط في قافلة عُمَّار الليل وقُوَّامه، وينضوي في فَلَك مَن تبلَّلت منهم الخدود من كثرة البكاء، وتورَّمت منهم الأقدام من طول القيام، وجفَّت منهم الألْسُن من زَفَرات التوسُّل والمُناجاة.

إن عليك يا مَن تَنْشُد للأُمَّة مجدًا وعزًّا، ولآخرتك خُلْدًا في جوار المصطفى صلى الله عليه وسلم، أن تنتزع نفسك التي أَلِفَتْ الحياة وأهواءَها والدنيا وملذَّاتِها، لِتَسْتَلِذَّ بلحظات تقضيها في مناجاة جبَّار السماوات والأرض، ولن يتحقَّق لك الوصول إلى غاياتك ومراميك

(١) المرجع السابق، ج٦، ص٣٧٨٥.

إلا إن تزوَّدْتَ لذلك بزاد التقوى، ولا أفضل منبع ورافد لذلك من قيام الليل.

فإذا جنَّ الليل «فسيروا في بَوادي الدُّجى، وأنيخوا بِوادي الذُّل (أي لله تعالى)، واجلسوا في كسْر الانكسار، فإذا فُتِح الباب للواصلين، دونكم فاهجموا هجوم الكذَّابين، وابسُطوا كفَّ ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾، لعلَّ هاتف القبول يقول: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾»[١].

عرِّج على الدار لا شطَّتْ بك الدارُ ... هناك خيَّمَ رُهْبانٌ وأَحْبارُ[٢]
وانظُر هناك رِجَالاتٍ كأنهُمُ ... خيلُ الرِّهانِ جرى بِهِنَّ مِضْمارُ
شَدُّوا الحَزيمَ وأرْخَوْا أعِنَّتَهُمْ ... وساعدَتْهُمْ على المطلوبِ أقدارُ
قاموا ونِمْتَ وأرزاقُ الورى قِسَمٌ ... وفي المقادير إيرادٌ وإصدارُ

(١) ابن الجوزي، المدهش، ج١، ص٤٨٤.
(٢) تُنسَب الأبيات إلى داود بن عيسى بن محمد الأيوبي، وهو المُلقَّب بـ(الملك الناصر بن الملك المُعظَّم)، ويعود في أصله إلى الأكراد. وُلِد في دمشق وتوَّج ملكًا عليها بعد موت أبيه سنة (٦٢٦هـ)، وكان فقيهًا وأديبًا وشاعرًا. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص١٠.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- ضاعِف -ولو أسبوعًا واحدًا- المقدارَ الذي تعوَّدتَ قراءتَه يوميًّا من كتاب الله، وفكِّر في أثر ذلك في حياتك.
- اذكُر بعض النوافل والأذكار التي لم يُتطرَّق إليها في هذا الفصل، وابحث عن آيات وأحاديث تُوضِّح الأجر العظيم لِمَن يُؤدِّيها.
- أَعِدَّ جدولًا أسبوعيًّا تُوضِّح فيه الأذكار والنوافل التي ذُكِرت في هذا الفصل، وعدد المرات التي تؤديها أنت في كل يوم من أيام الأسبوع. استخدم هذا الجدول لتقويم نفسك في هذا الجانب، ثم انسخْ هذا الجدول ووزِّعه على أهلك وأصدقائك ليستفيدوا أيضًا منه.
- هل جرَّبتَ يومًا القيام في ساعة مُتأخِّرة من الليل تُصلِّي فيها بعض الركعات وتناجي فيها ربك؟ إذا لم تفعل ذلك من قبل فجرِّب ولو مرة واحدة في كل شهر.

الفصل الثاني

الأعمال التي تبني الفِكْر وتُقوِّي الثقافة

إنَّ التسلُّح بالإيمان والتزوُّد بالتقوى لا بُدَّ أن يكون أول خطوات النَّجاة في الدارَيْن بإذن الله، غير أن الحياة المعاصرة قد أصبحت من التعقيد بحيث يتحتَّم على المرء أن يبني لنفسه كِيانًا علميًّا راسخًا وبناءً فكريًّا متينًا، ومن دونهما لن تعدو أفعاله عن كونها مخزونًا للرُّوْحانيات ومُستودعًا للطاقات، وفي الوقت نفسِه يفتقر إلى مصانع الأعمال ومشاغل الأفكار.

من هنا، لا بُدَّ للراغب في تأدية أعمال الخير من أن يتحلَّى بأشرف العلوم وأنفعها، ويتزيَّن بأقدس التصوُّرات وأفضلها، ورغم أن دائرة العلوم النافعة قد تكون من الاتِّساع بحيث يصعب حصرها، فإننا سنأتي في هذا الفصل بلمحات للشهير منها والمجُمَع على فضله وتأثيره في حياة المؤمن.

١ - الاهتمام بالقرآن الكريم

إن القرآن الكريم هو منهج الحياة الذي اختصَّه الله -سبحانه وتعالى- لنا، وهو الدستور الذي يجب أن نبني كل تعاملاتنا وأحكامنا عليه، ولا يمكننا بناء الأُمَّة ونحن لا نحمل في صدورنا دستورها ولا نهتمُّ حتى بتلاوته، ولذا يلزمنا الانكباب على كتاب الله مدارسةً وتعلُّمًا وتطبيقًا، وأخُصُّ هنا بالذكر تعلُّم علم التجويد لأن هناك من الأعمال التطوُّعية الأخرى التي سأذكرها لاحقًا تتعلَّق بهذا الجانب، وهذا لا يعني أن نترك العلوم الأخرى مثل علم التفسير وأسباب النزول وأحكام القرآن، وإنما علينا دراسة كل ما أمكننا

من ذلك لنتأهَّل لتأديةِ الأعمال الأخرى، ولِتَقْوى صِلَتُنا بربنا، وتَسْمُو فينا رُوح التَّضْحِية والمُبادرة والهِمَّة العالية التي من دونها لن نستطيع إنجاز أي أعمال تطوُّعية.

٢- الاهتمام بالعلوم الأخرى

علينا أن لا نقصُر اهتمامنا على علوم القرآن فحسب، وإنما يلزمنا أيضًا الاهتمام بعلوم الحديث والفقه وسيرة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وسيرة صحابته الكرام وتابعيهم الذين حملوا رسالة الإسلام على أعناقهم، واستشعروا المُهِمَّة الكبرى التي أنيطت بهم، وعلينا كذلك دراسة تاريخ هذه الأُمَّة وتاريخ الشعوب والأمم الأخرى، وعلينا أن نُمْعِن النظر عند دراستنا التاريخ، ففيه من العِبَر والعِظات ما يمكن أن يكون بَلْسمًا لما نعانيه من آلام وأحزان وهموم بسبب المصائب التي تكاثرت علينا في هذا الزمان، وسنجد فيه أيضًا الخُطَط والأفكار التي أَلْهَمَها المولى -سبحانه- لمَن سبقونا، وكانت لهم سَنَدًا في إقامة دولهم والتمكين في أوطانهم، فنستعين بها ونُطبِّقها في واقعنا المعاصر، فلعلَّ الله يفتح لنا مغاليق الأمور وعصِيَّات القضايا.

٣- الاهتمام بالثقافة العامة

«إن من المُجمَع عليه الآن أن ما يتعلَّمه المرء وما يكتسبه من مهارات أهمُّ بكثير مما ورثه من آبائه من ذكاء وأَلْمَعِيَّة؛ فالتقدُّم العلمي الهائل، وما أفرزه من وَضْعِيَّات واعتبارات مختلفة، جعل كل ما هو فطريٌّ ضئيلًا وقليلَ الجَدْوى في التَّعامُل مع الأشياء والنُّظُم المُعقَّدة»[1]، ولذا لا يمكننا أن نأتي بإنتاجات مفيدة وبالقدر والمواصفات المطلوبة دون وَعْيٍ وفهم، ولا يمكن لذلك الوَعْي والفهم أن يأتيا إلينا من فراغ، وإنما علينا الاهتمام

(١) عبد الكريم بكار، حول التربية والتعليم، ص٣٢٥.

الجادُّ والصحيح بالقراءة والمطالعة، وعلينا أن نعترف أن شعوب الأُمَّة الإسلامية بمُجْملها تعاني مشكلة العزوف عن القراءة، فهم -كما وصفهم أعداؤهم- أمة لا تقرأ، فمعظمنا لا يدري ما يجري حوله، فكيف يمكن أن يستشعر عظمة المُهِمَّة والرسالة المنوطة به؟

إن القراءة والمطالعة لها من الفوائد العظيمة التي لا يدركها إلا مَن امتنَّ الله -سبحانه وتعالى- بها عليه، ولا أخُصُّ جانبًا مُعيَّنًا من القراءة أو المطالعة وإنما علينا الاستفادة من كل شيء، سواءٌ أكانت كتبًا أم مجلاتٍ أم مواقعَ للإنترنت، ولكن علينا انتقاء المجالات المُهِمَّة التي يمكننا القراءة فيها، فهناك من الكتب والمجلات ومواقع (الإنترنت) ما لا يحصى عدُّه، والكثير منها لا يحمل في مضمونه إلا كل غثٍّ وهزيل، والذي يمكن أن يُؤثِّر في قارئه سَلْبًا، سواءٌ أكان في تصوُّراته أم إنتاجاته.

«ومن القضايا التي يجب على المُثقَّف المسلم أن ينتبه لها ما يُسمَّى بأسلمة المُصطَلحات، فهذه القضيَّة يريد المُثقَّفون اللِّيبراليون أن يُمرِّروا من خلالها كثيرًا من المُصطَلحات الغربيَّة والمُهْتَرِئَة التي مجَّ بعضها الغرب فقذفوه لنا، لِيَتَلَقَّفَها اللِّيبراليون ويُبشِّروا بها ويُدَنْدِنُوا على أهميتها في الواقع الإسلامي، كما أنَّ بعض الإسلاميين يحاولون أن يُحقِّقوها في الوجود الإسلامي ولكن بغير (فلترة) لما فيها أو إصلاح خَلَلها فينتج من ذلك مفاسد في التصوُّرات، وعَطَب في المفاهيم»[1].

إن مَن يُداوِم على القراءة سيجد أن مَدَارِكَه قد بدأت تتفتَّح لأنه سيكتشف كنوزًا لم تخطُر على باله من قبل، ومفاتيح للحياة لم يَسْبِق إليها علمه، وتجاربَ وخبراتٍ ممَّن خَبَروا الحياة وأُوتوا نصيبًا من العلم وعُلُوِّ الهمة ورفعة المكانة، والقارئ -بلا شك- سيستفيد مما في الكتب والمجلات وفي وسائل المطالعة الأخرى استفادةً عظيمة، وستبدأُ أفكاره وتصوُّراته في التشكُّل والتَّقوِّي، وطاقاته وهِمَمه في الارتقاء والعُلُوِّ، وكل هذه ستُعينه على إنجاز أعمال أخرى، سواءٌ أكانت شخصيةً أو لمنفعة الغَيْر.

(١) خباب الحمد، (١٤٢٧هـ)، دور المُثقَّف.. جهود لا ركود، مقال في موقع (المسلم).

٤- الاهتمام باللغة العربية

إن لغة كل قوم وعاء مَنْسَكِهم وشعيرتهم ودينهم، وكل قوم يفاخرون بلسانهم، ويدعون إلى لغتهم، واللغات لها ارتباط وثيق بحضارات أصحابها؛ فاللغة والحضارة يتناسبان طردًا، وهذا يعني أن اللغة ظاهرة اجتماعية تعيش مع الإنسان جنبًا إلى جنب؛ تضعُف بضعفه، وتنمُو وتزدَهِر بِنُمُوّه وازدهاره. وكيف يُرجى لأُمَّتنا النُّهوض والتقدُّم والرِّفعة والرُّقي إذا كانت كلَّما نبغ فيها نابغٌ من أبنائِها كتبَ بلغةٍ غير لغة أُمَّته وقومِه، واختار لغة أُخرى ليكتب بها ويُؤلِّف؟!

وقد أنعم الله -تبارك وتعالى- على أُمَّة العرب بأفصح لسان، وأقوى بيان، ثم كان تاج ذلك وتَتِمَّتُه أنْ بعث فيهم أفصح البشر -عليه الصلاة والسلام-، وأنزل بلسانهم أفصحَ الكلام: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وقال صلوات ربي وسلامه عليه: ((بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ))[١]، وحُفِظَتْ العربية بحفظ القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٤]، حتى قيل: (لولا القرآن ما كانت عربية)، ولذا لم تُحفَظ سائر لغات البشر، بل كانت عبر العصور تَنْدَثِر وتَتَبَدَّل وتَتَغَيَّر، وبقيت عربية اليوم هي عربية صَدْر الإسلام[٢].

وتعلُّمُ اللغة العربية من لوازم ديننا؛ فهي السبيل إلى فَهْم كتاب الله وسُنَّة المصطفى -عليه الصلاة والسلام-، ومن دونهما لا يُصبِح انتماءُ المرء لهذا الدين إلا اسمًا. يقول ابن تيمية: «اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرضٌ واجب؛ فإن فهم الكتاب والسُّنة فرض، ولا يُفْهَم إلا بفَهم اللغة العربية، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب»[٣]، واللغة العربية مُهِمَّة أيضًا عند مخاطبة الناس ومحاورتهم، وفي توصيل المعرفة إليهم، ونحن بحاجة أيضًا إلى تعلُّم قواعد اللغة العربية لنُضاعِف إنتاجاتنا الأدبية والعلمية وخاصة جانب التأليف، ولذا لَزِم التمُّكن منها نُطْقًا وكتابةً.

(١) صحيح البخاري (حديث رقم: ٢٩٧٧، ج٤، ص٥٤)، وصحيح مسلم (حديث رقم: ٥٢٣، ج١، ص٣٧١) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.
(٢) إبراهيم بن محمد الحقيل، (٢٠٠٧م)، محاربة اللغة العربية، مقال في موقع (الألوكة).
(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ج١، ص٥٢٧.

ولله دَرُّ الإمام الثعالبي النيسابوري حين قدَّم لكتابه الرائع (**فقه اللغة وسِرُّ العربية**) بقوله: «**أما بعدَ حمدِ الله على آلائه، والصلاة والسلام على محمد وآله، فإن مَن أحبَّ الله أحبَّ رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومَن أحبَّ النبي العربي أحبَّ العرب، ومَن أحبَّ العرب أحبَّ اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب، على أفضل العجم والعرب، ومَن أحبَّ العربية عُنِي بها وثابَر عليها وصَرَف هِمَّتَه إليها، ومَن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان و آتاه حُسْن سريرة فيه، اعتَقَد أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- خيرُ الرسل، والإسلامَ خيرُ المِلَل، والعربَ خيرُ الأمم، والعربيةَ خيرُ اللغات والألسنة**»[١].

من هنا، فلا شكَّ أن المِساسَ باللغة العربية أو احتقارها يُعدُّ مِساسًا بالدين وهجرًا للقرآن الذي أُنزل بها، ومحاربتُها مُحاربةٌ للدين، والدعوةُ إلى غيرها دعوة إلى غير الإسلام، والتقصيرُ في تعلُّمها تقصيرٌ في حقِّ هذا الدين، وتقصيرٌ أيضًا في حقِّ أُمَّة الإسلام؛ إذ من دونها لا يستقيم لسان المرء ولا تنضَجُ معرفته بفرائض الدين وواجباته، ومَن ثَمَّ لا يستطيع العمل لخدمة الدين وتبليغه أتباعَه.

ولقد وَعَى أعداؤنا أهمية اللغة العربية بالنسبة إلى انتمائنا إلى ديننا واستقامتنا عليه، فنَشِطُوا في محاربتها وتحييد دورها بشتَّى الوسائل والسُّبُل؛ فمنهم مَن دعا إلى كتابتها بالحروف اللاتينية، ومنهم مَن دعا إلى إلغاء قواعد اللغة جملة، ومنهم مَن أراد أن يستبدل بها اللَّهَجات العامّية، وقد نَشِط المُستَشرِقون وأذناب المُستَعمِرين لإنجاح هذه المحاولات، وبذلوا جهودًا مُضْنِية في هذا السبيل المُظْلِم، وتفرَّغ بعض الأوروبيين لدراسة لهجات مدن مصر والشام، وألَّفوا كتبًا فيها، ووضعوا بزعمهم قواعد لها، ودعا أحدهم إلى أن تكون اللَّهجة العامّية هي اللغة الوحيدة للبلاد المصرية، وألقى مُستَشرِق محاضرة قال فيها بكل صَفاقة ووقاحة: «**إنَّ ما يُعوِّق المصريين عن الاختراع هو كتابتهم بالفصحى**»[٢].

(١) الثعالبي، فقه اللغة وسرُّ العربية، ص١٥.
(٢) إبراهيم بن محمد الحقيل، (٢٠٠٧م)، محاربة اللغة العربية، مقال في موقع (الألوكة).

أَشْكُو الزَّمَانَ وقِلَّةَ النُّصَرَاءِ ... وتوَثُّبَ الحُسَّادِ والأعداءِ[١]
وأَرَى الحِرَابَ تجمَّعَتْ لِتنُوشَنِي ... وتَعِيثَ في دَوْحِي وفي أَفْيائي
ويَعُقُّني مَنْ كُنْتُ أرجُو حُبَّهُمْ ... وَوِدَادَهُمْ، في اللَّيلةِ الظَّلْماءِ
وأَرَى ازْوِرارًا في وُجُوهِ أَحِبَّتِي ... وَتَنَكُّبًا عن أَيْكَتِي الخَضْراءِ
لكنَّ قَلْبِي لَيْسَ يَصْدَعُهُ سِوَى ... جَحْدِ الحَبِيبِ وقَسْوَةِ الأبناءِ
ربَّيْتُهُمْ في دَوحَتِي أَعْطَيْتُهُمْ ... مِنْ جَنَّتِي وَكَسَوْتُهُمْ بِرِدَائي
وَمَنَحْتُهُمْ حُلَلَ الفَخَارِ قَشيبةً ... فَخْرًا يُجاوِزُ جَبْهَةَ الجَوْزَاءِ
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَدْفَعُوا عن حُرْمَتي ... أو يُعْظِمُوا قَدْري وَحَقَّ وَفَائِي
أنا أُمُّهُمْ، أُمُّ اللُّغاتِ جَمِيعِها ... فَضْلٌ خُصِصْتُ به على النُّظَرَاءِ
إِنِّي أنا الضَّادُ التي قَدْ شُرِّفَتْ ... وَتَفَرَّدَتْ بِمَحَاسِنٍ وَبَهَاءِ
اللهُ عظَّمَهَا فَصَاغَتْ وَحْيَهُ ... بِالمُعْجِزاتِ وَبِالسَّنَا الوَضَّاءِ
عَرَضَتْهُ في لَفْظٍ بَهِيٍّ سَاحِرٍ ... وَجَمَالِ إِيقَاعٍ وحُسْنِ أداءِ
صَاغَتْهُ فِكْرًا مُعْجِزًا مُتَأَلِّقًا ... خَرَّتْ لَدَيْهِ أَكَابِرُ الفُصَحَاءِ
قَدْ صَارتِ الفُصْحَى يَتِيمًا ضَائِعًا ... ما بَيْنَ أبناءٍ لَهَا جُهَلاَءِ
لا يَعْرِفُون أُصُولَهَا وجُذورَهَا ... أو يَغتَذون برَوْضِهَا المِعْطَاءِ

ولقد صدق مصطفى صادق الرافعي حين قال: «ما ذلَّتْ لغةُ شعبٍ إلا ذلَّ، ولا انحطَّتْ إلا كان أمرُه في ذهابٍ وإدْبارٍ، ومِن هذا يفرِض الأجنبيُّ المُسْتَعْمِر لغتَه فرضًا على الأُمَّة المُسْتَعْمَرة، ويَرْكَبُهم بها، ويُشْعِرُهم عَظَمَته فيها، ويَسْتَلْحِقُهُم من ناحيتها، فيحكُم عليهم أحكامًا ثلاثةً في عملٍ واحدٍ؛ أمَّا الأول: فحَبْسُ لغتهم في لغته سِجْنًا مُؤبَّدًا، وأمَّا الثاني: فالحُكْمُ على ماضيهم بالقتل مَحْوًا ونِسْيانًا، وأمَّا الثالث: فتَقييدُ مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأَمْرُهم من بعدها لِأَمْرِه تَبَعٌ»[٢].

وقد بَدَت علامات ضعفنا في اللغة العربية عند تلاوة كتاب الله؛ فكثيرٌ من المسلمين يصعُب عليه النُّطْقُ بآيات القرآن، وتَجِدُه يَلْحَنُ في كل آية أو ربما في كل كلمة، وتجدُ الواحد

(١) وليد قصاب، فارس الأحلام القديمة، ص٧٠.
(٢) مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج٣، ص٢٩.

منا إذا أتى إلى كتابٍ أو مجلة فإنه يقرأ الموضوع ولا يكاد يخلُص منه بنتيجة، لأنه لا يفهم قواعد اللغة العربية ولا مدلولاتها.

ونجد في بعض أقطار العالم الإسلامي اللغة العربية قد اختفت، واختفت حروفها وقواعدها، ونجد اللغة الأجنبية -لغة المُحْتَلِّ الظالم الطَّاغي الذي يحارب الإسلام- سادتْ في هذا البلد الإسلاميّ أو ذاك، وانتشرت مع هذه الظاهرة بعض العصبيات الجاهلية، وخَبَتْ جذوة الإيمان والاعتزاز بمُقوّمات الإسلام ولغة القرآن والوَحْي، وانحسرت من الفنادق والمطاعم وغيرها من مواقع السياحة في كثير من أقطار العالم الإسلامي، وانحسرت كذلك من لافتات المحالِّ التجارية والصناعية وغيرها من المراكز العلمية والإعلامية[١].

لقد وعى أعداؤنا -كما قلتُ- ارتباط اللغة العربية بديننا، ولذلك خطَّطوا لإقصائها عن ساحات العلم، كالمدارس والمعاهد والجامعات، فجعلوا اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية لغةَ التخاطُب في البيئات والمَحافِل العلمية، وصار غالبية المسلمين لا يتكلَّمون اللغة العربية في المؤتمرات العلمية أو الإسلامية أو الدولية، في حين نجد الآخرين يلتزمون لغاتهم القومية في مثل هذه المؤتمرات.

وإنَّ من أشدِّ الظُّلْم لها وَصْمَها بعدم صلاحيتها وملاءمتها للتدريس الأكاديمي؛ إذ يدَّعون أن المُصطَلحات العلمية والتقنية في غاية التعقيد، ولذا يصعُب التعبير عنها باللغة العربية، وليس المَخْرَج أن نُدرِّس أو نُؤلِّف بلغات الآخرين، فإن ما سنفعله وقتئذٍ هو خدمة تلك اللغات، ومَن ثَمَّ حضارات أقوامها، ولكن علينا شَحْذُ الهِمَّة لإتقان لغات الآخرين، ثم المُبادَرة الجادَّة لنقل علومهم إلى العربية.

رَمَوْنِي بِعُقْمٍ في الشَّبابِ وَلَيْتَني ... عَقِمْتُ فلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي[٢]
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرائِسِي ... رِجالًا وأَكْفاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي
وَسِعْتُ كِتابَ اللهِ لَفْظًا وَغَايَةً ... وما ضِقْتُ عن آيٍ به وَعِظَاتِ
فكيف أَضِيقُ اليومَ عن وَصْفِ آلَةٍ ... وتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ

(١) عدنان علي رضا النحوي، (بدون تاريخ)، اللغة العربية أمانة ومسؤولية، مقال في موقع (لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن).
(٢) حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، قصيدة (اللغة العربية تنْعَى حظَّها بين أهلها)، ص٢٥٣.

إن «**هذه الحالة المُزْرية من الكسل في التأليف بالعربيَّة، والعُدول عن التَّدريس بها والقُعود عن التَّرجمة والاستغناء عن كل عمل جِدِّي في هذا المجال باتِّهام لغتنا العربيَّة بالقُصور والجُمود، ما أبعدها عن الحقِّ والصَّواب، وما أبعدها عن الخيْر والمصلحة لأجيالِنا وأُمَّتنا، وما أخطرها على مستقبلنا!**»[١].

من هنا، على الراغب في الانخراط في الأعمال التطوُّعية أن يهتمَّ بتعلُّم اللغة العربية وقواعدها، قراءةً وكتابةً، فالاعتزاز بالتحدُّث بها وتقديمها على اللغات الأجنبية لا يقلُّ أهميةً عن الاعتزاز بالدين، وأنَّى لشخصٍ أن يفقه دينه ويتفاعل مع كتاب ربه وهو هاجرٌ للغته أو مُتَنَكِّرٌ لها؟!

فعُدْ إلى لُغَةِ القُرآنِ صَافِيَةً ... تَجْلُو لكَ الدَّرْبَ سَهْلًا كانَ أو جَبَلا[٢]
تَجْلُو صِراطًا سَوِيًّا لا تَرَى عِوَجًا ... فيهِ ولا فِتْنَةً تَلْقَى ولا خَلَلا
تَجْلُو سَبِيلًا تَرَاهُ واحدًا أَبَدًا ... وِلِلْمُضِلِّين تَلْقَى عِنْدهُمْ سُبُلا

٥- تعلُّم اللغات الأجنبية

كذلك، علينا أن نهتمَّ بتعلُّم اللغات الأجنبية، والسبب في ذلك هو أننا نريد بناء أُمَّة، وأُمَّة الإسلام ليست محصورة في الشعوب العربية، وإنما هناك مسلمون يتكلَّمون بمُختلِف لغات العالم، وإذا لم نتمكَّن من التحدُّث إليهم والتَّواصُل معهم فلن نستطيع خدمة الأُمَّة كما ينبغي، وكذلك فإن الأعمال التي نتكلَّم عنها في هذا الكتاب ليست مقصورة على الناطقين بالعربية فقط، وإنما هي مُوجَّهة إلى كل مسلم أيًّا كانت لغتُه وموطنه.

وعلينا أن لا ننسى أننا نحمل رسالة عالمية ليست محصورة في جنسٍ أو فئة مُعيَّنة من البشر، وأن «**عالمية رسالة الإسلام لا تستوي على سُوقِها إلا من خلال استهدافنا لهداية العالم كله: قريبه وبعيده، حليفه ومُنافِسِه**»[٣]، وهذا الاستهداف يستدعي كياسةً

(١) عبد الرحمن الباني، (٢٠٠٨م)، ضرورة التأليف بالعربية في العلوم التجريبية والتقنية، مقال في موقع (الألوكة).
(٢) عدنان علي رضا النحوي، (بدون تاريخ)، لغتي الجميلة، قصيدة في موقع (لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن).
(٣) عبد الكريم بكار، عصرنا والعيش في الزمان الصعب، ص١٩.

في التعامُل مع الآخر، وفَهْمًا عميقًا له، ولن يتأتَّى ذلك إلا بمخاطبته بلسانه الذي يفهمه، ولغته التي يَعِي مَعانيَها.

إنه لن يكون باستطاعتنا إيصال حقيقة الإسلام وفكره السليم إلا إذا أَجَدْنا لغات الأقوام الأخرى، وأتْقَنَّا فنَّ التَّخاطُب والتَّحاوُر معهم، وعندها فقط سنكون في وضعٍ يُؤهِّلنا لمُخاطبة أُمَم الأرض وتعريفهم بمَحاسِن ديننا، ومن هنا أقول إنه مَن أُتيحت له الفرصة لتعلُّم لغات الآخرين، وعنده القدرات العقلية والمهارات لذلك، فعليه المُبادَرة إليه ليكون من الدعاة الناجحين وحملة رسالة هذا الدين.

كذلك، فقد ترك أجدادنا تُراثًا علميًّا وحضاريًّا ضخمًا، استطاع الغرب -على ضعفٍ من المسلمين وغفلة- أن يسرقوه ليَبْنُوا لهم به ما نشاهده اليوم من حضارة، ومع تقدُّم تكنولوجيا المعرفة والمعلومات أصبح من السَّهْل التَّواصُل مع مُؤسَّسات الغرب، وخاصة المكتبات والجامعات، وبات من اليسير على مَن عنده مهارة اللغة وفنون البحث والتأليف أن يستفيد مما لدى الغرب من ذلك التُّراث أو ممَّا كتبوه بأنفسهم عن ديننا وأُمَّتنا وتراثنا؛ وذلك بقراءته ونقله إلى العربية إما بالترجمة وإما بتأليف الكتب والمُلَخَّصات حوله.

وعلينا أن نُدرِك أننا نعيش في زمن الانفجار المعرفي الذي جعل الكَمية الهائلة من المعرفة والمعلومات مُتاحة لنا في كل وقت، ومن المُؤكَّد أنَّها تحوي الغثَّ والسَّمين، ولذا يجب «**أن يكون هناك علاج للثقافة الوافدة إلينا، وتمييز طيّبها من خبيثها، فثقافة الأرض لكلِّ الأرض، ومن المُهِمّ الانفتاح عليها، ولكن الدَّوْر الذي على كاهل المُثقَّف هو التَّنْقِيَة والتَّصْفِيَة لجميع الثقافات، وإدخال الحَسَن منها إلى دائرة المُحيط الإسلامي، واستبعاد رَديئها**»[1]، وبذا يُقدِّمها تقديمًا جيِّدًا سَلِسًا خاليًا من العيوب والنقائص.

(١) خباب الحمد، (١٤٢٧هـ)، دور المُثقَّف.. جهود لا ركود، مقال في موقع (المسلم).

٦- الاهتمام بالإنتاج العلمي والفكري

لا شك أن لدى الكثيرين منا تصوُّراتٍ وأفكارًا وخُطَطًا نريد أن نسترجعها من وقت إلى آخر، وقد تغمرنا الفرحة والسعادة عندما نستشعر أننا أصحابها، لكن علينا أن ندرك أن المنفعة من تلك الأفكار والتصوُّرات والمبادرات والخُطَط لن تَعُمَّ إلا إذا نقلناها إلى حيِّز الواقع، وأول خطوة لإخراجها من حيِّزها النظري هي بتدوينها؛ فعلينا تدوين كل فكرة تخطر على بالنا، أو موضوع يحظى باهتمامنا، أو رأي نحسبه صوابًا، ثم علينا تمحيص كتاباتنا وتنقيحها حتى تخرج على شكل بحوث ومقالات مُفصَّلة ومستفيضة ومفهومة وواضحة، وربما ترقى لأن تكون كتبًا وتأليفات نشارك بها غيرنا من أبناء هذه الأُمَّة.

الكتابة وسيلة مفيدة جدًّا لعصر الذِّهْن، إذ يسترجع الشخص عن طريقها ما قرأه في الماضي وما حفظه من آيات وأحاديث وأشعار وأقوال للعلماء والأدباء والمشهورين، وقد باتت الكتابة من الأمور الضرورية لأبناء الأُمَّة نظرًا إلى قِلَّة التأليف عند المسلمين عمومًا والعرب خصوصًا، وإنَّ مَن يقارن عدد المُؤلَّفات التي تصدُر في الدول العربية مع ملايين التأليفات التي تصدر في الدول الغربية والشرقية يرى أنها لا تساوي شيئًا؛ فقد أكَّدت دراسة[1] لاتِّحاد الناشرين العرب أن الوطن العربي يُنتِج فقط ١,١٪ من الإنتاج العالمي، وأنه في الوقت الذي فيه مُتوسِّط الطباعة للكتاب الواحد في مصر -وهي الدولة العربية الأعلى نشرًا للكتب- يُقدَّر بنحو ١٠٠٠ نسخة فقط، فإن المُتوسِّط في بريطانيا -مثلًا- هو ٨٥ ألف نسخة لكل كتاب.

الأُمَّة العربية -كما أنها أُمَّة لا تقرأ- فهي أيضًا أُمَّة لا تُؤلِّف؛ فقليل من أبنائها مَن يهتمُّون بجانب التأليف، وقليل من أولئك مَن يُتقِنون فنَّ التأليف، وقليل من تلك القِلَّة مَن يُؤلِّفون ما فيه منفعة للناس ورفعٌ لشأن الأُمَّة، ولذا علينا الاهتمام بهذا الجانب، ولا نظنُّ أنه أمرٌ ثانويٌّ لا أهمية له مقارنة بغيره من الأعمال التي يجب علينا تأديتها.

(١) إسماعيل يوسف، (٢٠٢١م)، العرب يُنتِجون ١,١ بالمائة من الكتب عالميًّا.. لتراجُع القراءة أم لزيادة القمع؟، مقال في صحيفة (الاستقلال) المصرية.

إن علينا أولًا أن نهتمَّ -كما ذكرتُ- بجانب اللغة العربية، وتعلُّم قواعدها، وأن نكثر من القراءة والمطالعة لتكون موردًا لأفكارنا وإنتاجاتنا، وعلينا أيضًا أن نتعلَّم المهارات المختلفة التي ستُعيننا على نقل تلك الأفكار إلى حيّز التطبيق، عن طريق الكتابة أو المحاضرة أو الدرس، ومن أفضل الوسائل في تنمية تلك المهارات المشاركة بكتابة البحوث والمقالات والمواضيع المختلفة، سواءٌ أكانت كتابتها في كُرَّاسات مُستَقِلَّة أم المشاركة بها في مواقع (الإنترنت) والتَّواصُل الاجتماعي المختلفة، ومَن كانت لديه موهبة الكتابة فعليه أن يُنَمِّيَها بكثرة الكتابة في المواضيع المختلفة، لأن في ذلك تنمية لمهارات اللغة العربية واسترجاعًا لقواعدها، واستذكارًا للعلوم والفنون الأخرى التي اكتسبها.

إن الكتابة والتأليف قد باتا أمرًا واجبًا ومُلِحًّا لأن فيهما تحفيزًا للآخَرين على الإكثار من الكتابات والمُؤَلَّفات، وهي أيضًا وسيلةٌ مُهِمَّة جدًّا لنقل العلم من العقول إلى السطور، ثم نقله بعد ذلك إلى أذهان الناس، والكتابة تُعَدُّ أيضًا وسيلة مُهِمَّة جدًّا للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؛ فمواقع (الإنترنت) والتَّواصُل الاجتماعي بحاجة مُلِحَّة إلى الكتابات المفيدة والمواضيع الهادفة، سواءٌ أكان بنَشْرها عبر مَنَصَّات الحوار المختلفة، أم بنَشْرها في المواقع المُخصَّصة لنَشْر البحوث والدراسات، أم من خلال مواقع خاصة يُنشِئها أصحابها لنَشْر إنتاجاتهم الأدبية والفكرية.

الكتابة في صفحات الحوار أو مواقع التَّواصُل الاجتماعي باتت أمرًا ضروريًّا لإيصال المعلومة الصحيحة والفكر الإسلامي الخالص، وكذلك فإن المشاركة بالمواضيع الهادفة والبَنَّاءة يُعَدُّ رَفْعًا لمستوى الكفاءة والفاعلية لتلك المواقع ووسائل التَّواصُل بدلًا من استعمالها فقط للدردشات التي كثيرًا ما يتخلَّلها السَّب والشَّتْم والنقيصة من الأفراد والجماعات، ولذا فإن المشاركة فيها من قِبَل أصحاب الرُّؤى الصَّائِبة والفكر السليم يُعد من ألزم وأجَلِّ الأعمال التطوُّعية التي ينبغي إنجازها.

٧- الاهتمام بالتَّرجمة

لقد كانت اللغة العربية منذ أن جاء الإسلام وعاءً للقرآن والسُّنة النبوية والتُّراث العربي بشتَّى صوره، ثم صارت أيضًا وعاءً لثقافات الأُمَم الأخرى من خلال حركة التَّرجمة، ولقد حملت اللغة العربية لواء العلم زُهاء عشرة قرون بعد أن جُبِيَتْ إليها ثمار العلوم والفنون من كل لغات الدنيا في حركة للترجمة والتعريب لم يعرف لها التاريخ مثيلًا، حتى لقد بلغت مكافأة ترجمة الكتاب وزنه ذهبًا، وقد وَعَتْ العربية تلك العلوم، وتَمَثَّلتْ تلك الفنون، وقَدَّمَتْ للبشرية جمعاء خير حضارة أُخرجت للناس بلسان عربي مبين[١].

يقول د. حسين نصَّار[٢]: «**إن أكبر تحدٍّ واجهته العربية كان عندما أخرجها الإسلام من جاهلية غنية كل الغنى في الإبداع الأدبي فقيرة كل الفقر إلى حدِّ الإملاق في الإنتاج العلمي، ثم ألقى بها في القرنين الثاني والثالث الهِجْرِيَّيْن في بحرٍ زاخرٍ من الحضارات والعلوم والفلسفات والفنون، وكل صنوف المعرفة التي ابتكرتها الأمم المتاخمة للجزيرة العربية كالفرس والروم والسُّرْيان والمصريين، والأمم البعيدة عنها كالهنود والصينيين والأتراك والبربر وشعوب إسبانيا، ولكن العربية ثبتت لهذا التحدِّي بفضل ما بثَّه الإسلام في العرب من رغبة في المعرفة وسَعْيٍ في طلبها وطموحٍ وعزمٍ وتخطيطٍ وتنفيذٍ وتعاونٍ مع غير العرب من أبناء الشعوب العارفة باللغات الأجنبية واللغة العربية، فلم يمضِ وقتٌ طويل حتى نقلت العربية كل ما وجدت عند هذه الأمم إليها، فاستطاع أبناؤها بعدُ أن يتمثَّلوها فهمًا، ولم يمضِ كبير وقت حتى شاركوا في الإنتاج والابتكار، فصار ما كتبه هؤلاء المفكرون والعلماء منذ القرن الثالث نبراسًا استضاءت به شعوبُ العالم القديم**»[٣].

نعم، لقد استطاعت اللغة العربية أن تستوعب علوم الأوائل على اختلاف لغاتهم، حتى لقد وُسِم ذلك العصر بسِمَة هذه الحركة من الترجمة، فسُمِّي عصر الترجمة الذهبي،

(١) محمد حسان الطيان، (٢٠٠٨م)، العربية لغة العلم، مقال في موقع (الألوكة).
(٢) حسين محمد نصَّار (ت. ٢٠١٧م)، أديب ومُؤلِّف ومحقِّق ومترجم مصري. له الكثير من المُؤلَّفات منها تسعة كتب مترجمة وكتابان حول نشرة الكتابة الفنية في الأدب العربي ومعجم لآيات القرآن الكريم. حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب في عام ١٩٦٨م، وجائزة الملك فيصل العالمية في الآداب في عام ٢٠٠٤م، وجائزة الرئيس مبارك في الآداب في ٢٠٠٦م.
(٣) من كلمة ألقاها بمناسبة حصوله على جائزة الملك فيصل العالمية، مجلة تراثيات، العدد الخامس، ذو الحجة ١٤٢٥هـ-يناير ٢٠٠٥م.

وأقيمت للترجمة مُؤسَّسات وبيوتات اشتهر منها بيت الحكمة، وتجاوزت معرفتهم باللغات حدود اللغات السائدة إلى اللغات البائدة، التي لم يبقَ منها إلا حروفها وباتت أبْجَدِيَّتها تُستَعمل في تَعْمِيَة بعض العلوم المَضْنُون بها على غير أهلها[١].

وفي هذا العصر الذي تنفجر فيه المعرفة في شتَّى أقطار الأرض لم يَعُد أهلُ أيِّ لغة -مهما بلغوا من العلم- يستغنون عن التَّرجمة، فالتَّأليف والتَّرجمة معًا هما الواسِطتان المتآزِرتان للوفاء بالحاجات العلمية، وكل هذه الشعوب السابقة في ميدان العلوم التجريبيَّة والتقنيَّة وغيرها، لا مَعْدى لها عن الاستعانة بالترجمة[٢].

إن واقع التأليف والترجمة في العالم العربي -وقِسْ على منواله في العالم الإسلامي- لا يُعطي مُؤشِّرات طيبة؛ فعدد الكتب التي تُتَرْجَم سنويًّا إلى اللغة العربية في العالم العربي كله، تساوي خُمْس ما يُتَرْجَم في اليونان إلى اليونانية، وعمومًا فإن عدد الكتب، سواءٌ تلك التي كُتِبت بلغتها الأصلية أم المترجمة، والمنشورة لكل مليون شخص في العالم العربي، يظلُّ مُنْخَفِضًا جدًّا مقارنة مع الأرقام في المناطق الأخرى[٣].

وأيضًا فأُمَم الأرض قد أنتجت تراثًا علميًّا وفكريًّا ضخمًا، وعلينا في مسيرة بناء أُمَّتنا والارتقاء بها أن نبحث عن ضالَّتنا أينما كانت، والتي قد تكون في ذلك التراث الذي ورَّثته تلك الأُمَم، ولا بُدَّ أن نُدرِك أن انعزالنا عن ثقافات الأُمَم الأخرى وما أنتجته وأفرزته حضاراتها من فكر وثقافة وعلوم إنما هو تحجير للإبداع في التصوُّرات والأفكار التي يمكن أن يُنتِجَها أبناء أُمَّتنا، ولنا في اليابانيين والصينيين واليهود شاهد لما نقوله هنا.

لقد تاقت نفوس اليابانيين لما عند الغرب من علوم ومعارف، وأدركوا أنْ لا سبيل لنهضتهم إلا بنقل تلك العلوم إلى لغتهم، وأما الصينيون فإنهم ما إنْ يظهر مُؤلَّفٌ في العالم حتى نجد من الصينيين مَن يُترجِمه إلى اللغات الصينية، وأما اليهود فإنهم نَفَضُوا الغُبار عن العِبْرية التي كادت تَنْقَرِض، حتى جعلوها لغةَ العلم والمعرفة والتخاطُب بين اليهود في جميع مُؤسَّساتهم وأنديتهم، رغم أن غالبيتهم جاؤوا من أصقاعٍ شتَّى، وكان العلماء منهم

(١) محمد حسان الطيان، (٢٠٠٨م)، العربية لغة العلم، مقال في موقع (الألوكة).
(٢) عبد الرحمن الباني، (٢٠٠٨م)، ضرورة التأليف بالعربية في العلوم التجريبية والتقنية، مقال في موقع (الألوكة).
(٣) برنارد لويس، (٢٠٠٩م)، العالم العربي في القرن الحادي والعشرين: هل أصبح حُرًّا أخيرًا؟، مقال في مجلة (العصر) الإلكترونية.

يُدوِّنون بلغاتهم التي نشؤوا عليها، فإذا بهم يتعلَّمون اللغة العِبْرية ويُتقنونَها، وأصبحت مخاطباتهم وتأليفاتهم بها.

من كل ذلك، ندرك أن ترجمة علوم الآخرين إلى العربية ليست من فُضول الأعمال، وإنما هي من الواجبات المُهِمَّة التي يجب على المسلمين المُبادَرة إليها.

٨- إتقان المهارات المختلفة

إن اكتساب المعارف والعلوم والثقافات يحتاج إلى مهارات تُمَكِّن الشخص من تفعيل ما تعلَّمه من علوم وما اكتسبَه من ثقافات وما استمدَّه من أفكار وتصوُّرات، ونحن بحاجة أيضًا إلى مهارات عديدة ومُتنوِّعة تُمكِّننا من تأدية الأعمال التطوُّعية على أكمل وجه، وقد أصبح موضوع المهارات علومًا تُدَرَّس، وكثُرت فيها التأليفات والمحاضرات والندوات والدورات، ولا يبقى للواحد منا إلا المبادرة لاقتناء تلك المواد أو حضور تلك المحاضرات أو الندوات أو الدورات، ثم البدء في تطبيق ما تعلَّمه وممارسة ما اكتسبه إلى أن تُصبِح تلك المهارات جزءًا من حياته.

هناك الكثير من المهارات التي يمكننا تعلُّمها وممارستها؛ فتنظيم الوقت مهارة، وتحديد الأهداف التي نريد إنجازها في حياتنا مهارة، وتحديد رسالتنا في هذه الحياة أيضًا مهارة تحتاج إلى شغل وجهد ومعرفة، وطريقتنا في التَّواصُل مع الآخرين مهارة تحتاج إلى تعلُّم وممارسة، وأسلوبنا في إلقاء المحاضرات والدروس مهارة، وكيفية مخاطبة الناس كتابيًّا مهارة، وإدارتنا أعمالَنا وتنظيمها مهارة، والتخطيط لحاضرنا ومستقبلنا مهارة، واكتشاف وتفعيل الكوادر الفعَّالة في المجتمع مهارة.

كذلك، فنحن «**بحاجة لمَن يُعلِّمنا فنَّ الحوار وفنَّ الصمت، ومَن يُعلِّمنا الكفَّ عن الإدمان على بعض الأشياء وبعض التصرُّفات، كما أننا بحاجة إلى مَن يُدرِّبنا في إدارة أوقاتنا وأعمالنا عن طريق الهاتف وعن طريق الأهداف وطريق التفويض، ومَن**

يُدرِّبنا على رسم الأهداف، وعلى التخلِّي عن النَّزَعات العُدوانية، ومَن يُدرِّبنا على حلِّ مشكلاتنا عن طريق التفاوض ومقايضة المصالح، ومَن يُدرِّبنا على القراءة المُثْمِرة والتفكير المُبدِع»[١].

كل هذه أمثلة للمهارات الكثيرة التي علينا التعرُّف إليها وتعلُّمها وممارستها لتكون سلاحًا لنا في مشوار حياتنا، وفي طريقنا لبناء ركب هذه الأُمَّة وصرحها.

٩- الاهتمام بنَشْر الكتب والمخطوطات

من الأعمال التطوُّعية الأخرى التي يمكن للفرد المشاركة فيها نَشْر الكتب التي خلَّفها الآباء والأجداد، فكلنا يعلم أن تراث الأُمَّة الإسلامية تراث ضخم، غير أن الكثير منه لا يزال مغمورًا في المكتبات الخاصة وخزانات الأفراد، وليس بمقدور الكثير من الباحثين الوصول إليه، ولذا أصبح من الضروري إخراج تلك المُؤلَّفات الضَّخْمة والكثيرة من تلك الخزانات التي عفا عليها الزمن وغمرتها الأتربة وصارت طُعْمًا لدودة الأرض.

إنه ينبغي لكل واحد منا أن يجعل لنفسه برنامجًا للمشاركة في هذا الجانب؛ فيختار أحد الكتب التي يرى لها أهمية ومنفعة له ولغيره، ثم يتعهَّد برَقْنِه ضوئيًّا أو تصويره، ويمكنه رَقْن الكتب أو تصويرها بمفرده أو بمشاركة آخرين، ثم ينشر ما رُقن عبر مواقع (الإنترنت) والتَّواصُل الاجتماعي المختلفة على شكل حلقات، ويمكن للشخص أن يضع لنفسه برنامجًا يلتزم فيه -مثلًا- رَقْن خمس أو عشر صفحات يوميًّا أو تصويرها، وبذا قد يتمكَّن من رَقْن كتاب واحد أو تصويره في شهر أو أقل من شهر.

وبعد أن يفرغَ من الرَّقْن أو تصوير الكتاب يرفعه إلى أحد مواقع (الإنترنت) التي تُعنى بنشر الكتب، سواءٌ أكانت مواقعَ يمتلكها أفراد أم تُشرِف عليها هيئات أم مُؤسَّسات، ويمكنه أيضًا نَشْر الكتب التي يرقنُها ويصوّرها في موقعه الخاص.

(١) عبد الكريم بكار، حول التربية والتعليم، ص٣٣٠.

إن التطوُّع بالرَّقْن وتصوير الكتب ونشرها يُعد من الوسائل المفيدة التي يستطيع الشخص ملء فراغه بها، وأيضًا تُكسِبه الأجر لمحاولته إحياء تراث الأُمَّة، وهو صدقة جارية يستفيد منها الآخرون، ويدخل ضمن نشر الكتب: نشر الفتاوى ودواوين الشعر.

ومن الأمور المُتعلِّقة بهذا الجانب نشر المخطوطات؛ فهناك أعداد كبيرة منها لا تزال مغمورة في خزائن الأفراد والمكتبات ودور العلم لم يُقيِّض الله -سبحانه وتعالى- لها مَن يرعاها بالتحقيق أو النشر، ولذا يمكن للشخص أن يتَّفق مع صاحب المخطوطة -وقد لا يكون هذا سهلًا، وقد يحتاج إلى حكمة لإقناعه- بتصويرها أو رَقْنها، ثم يعيدها إلى صاحبها، وبعدها ينشر المخطوطة -بعد أخذ الإذن من صاحبها- في شيء من مواقع (الإنترنت) أو وسائل التَّواصُل ليسهل فيما بعد تحقيقها إما من خلال الشخص نفسه وإما عن طريق مجموعة من المُختَصِّين، وبذلك يكون قد شارك بعمل مُهِمٍّ ونافع.

إن إخراج هذا التراث الضَّخْم والمُهِمّ يحتاج إلى تضافر جهود، ويُفضَّل أن ينشئ الشخص -بالتعاون مع آخرين- مُؤسَّسة خاصة لنشر الكتب والمخطوطات، أو -على الأقل- يتعاقد مع مجموعة من الشباب أو الفتيات الذين عندهم الرغبة والوقت في الرَّقْن وتصوير الكتب والمخطوطات ونشرها، ويمكنهم أن يُعِدُّوا برنامجًا زمنيًّا لنشرها؛ فينشرون -مثلًا- في كل عام عشرة أو اثني عشر كتابًا أو مخطوطة، وسيكون لذلك الجهد -بإذن الله- فائدة عظيمة.

١٠- إنشاء مواقع على (الإنترنت) وحسابات في شبكات التَّواصُل الاجتماعي

أصبح (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل من الوسائل المفيدة والمُيَسَّرة لنشر المعرفة والثقافة بين فئات المجتمع، وأيضًا وسيلة نافعة لملء فراغ الشباب والفتيات، وأصبح إنشاء مواقع وخدمات جديدة ومُتخصِّصة هواية يمارسها الكثير من الناس، ولذا ينبغي

لَمَن عنده المعرفة والرغبة في هذا الجانب أن يفعل، سواءٌ أكانت تلك المواقع للاستعمال الشخصي أم العائلي، أم كانت لخدمة مُؤسَّسات أخرى، أم كانت عامة لإفادة الناس ونشر الوَعْي والمعرفة بينهم، ومَن يرغب في المشاركة يَلزمه أولًا التعرُّف -بالسؤال أو القراءة- إلى ما يمكنه أن يُضمِّنَه موقعه أو حساب التَّواصُل لكي تحصل الفائدة المَرْجُوَّة، ولكي يتجنَّب الوقوع في الكَبَوات التي يقع فيها غيرُه من الناس.

من الأمور التي بمقدور كل فرد إنجازها ويسهُل نشرها عن طريق مواقع (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل الاجتماعي تجميع الوقائع التاريخية لحدث مُعيَّن مثل فتح مكة، أو حِقْبة زمنية مُعيَّنة مثل فترة الحروب الصليبية، ثم إخراجها على شكل حلقات تُبَثُّ مباشرة كتابة أو على شكل مقاطع فيديو ليَسْهُل للقارئ والمُشاهِد تتبُّع تلك الأحداث والوقائع.

ومن الأعمال الأخرى التي يمكن نشرها عبر مواقع (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل ما تطرَّقْنا إليه سابقًا من نشر الكتب والمخطوطات، إضافةً إلى الدروس والمحاضرات أو تفريغها ورفعها إلى الموقع أو حساب التَّواصُل، وبذلك يَسْهُل على الباحث الحصول على المعلومات التي يرغب في الوصول إليها.

ومن الخِدْمات المُتوفِّرة في شبكات التَّواصُل الاجتماعي إنشاء حسابات لأفراد أو مجموعات أو مُؤسَّسات يُركِّز فيها على موضوع مُحدَّد مثل الدعوة أو الوقف أو النجاح أو غيرها من الأغراض، وتنشر المُؤلَّفات والمحاضرات والمقاطع المُتعلِّقة بذلك الموضوع، ومثل هذه الحسابات تستقطب الخبراء والباحثين وطلبة العلم.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- للبَدْء بالاهتمام بالقرآن الكريم، اختَر كل يوم آية واحدة واستَمِع إلى طريقة ترتيلها من بعض مشاهير القُرَّاء، وارجع إلى أحد كتب التجويد لتَسْتَخْلِص منها أحكام التجويد الواردة فيها، ثم اختَر أحد كتب التفسير واقرأ شرح الآية، ثم حاول حفظ الآية وقراءتها في الصلاة، وتدريجيًّا زِدْ عدد الآيات التي تُركِّز عليها كل يوم.
- اذهَب إلى إحدى المكتبات العامة القريبة من مكان سكنك، وأَعِدّ قائمةً بكتب التفسير والتجويد والحديث والفقه والسيرة النبوية والتاريخ واللغة العربية التي يمكنك الرجوع إليها عندما ترغب في قراءة كتاب أو إعداد بحث، وقد تحتاج إلى استشارة بعض ذوي الاختصاص للتعرُّف إلى الكتب المفيدة والمناسبة لك في هذه المجالات.
- هل أنت ممَّن يُجيدون اللغة العربية تحدُّثًا وكتابة؟ إن كنت لا تجيد ذلك فبادر إلى وضع برنامج لتعلُّم قواعد النَّحْو والكتابة.
- اذكُر بعض الأسباب التي تُحتِّم على أبناء الأُمَّة تعلُّم اللغات الأخرى.

الكتابة من الوسائل المُهِمَّة التي تُعين على تنمية المهارات المختلفة لدى الشخص، وبناء علم راسخ وعقلية مُستنيرة عنده، ولذا حاوِل أن تضع لنفسك برنامجًا يوميًّا لتنمية مهارة الكتابة والتأليف؛ وذلك بأن تكتب في كل يوم موضوعًا يسيرًا، ولو من صفحة واحدة، ولا تقلق إن كان أسلوبك في البداية ركيكًا، أو كان المحتوى ضئيلًا وسطحيًّا، فأسلوبك -بإذن الله- سيتحسَّن تدريجيًّا. حاول أن تعرض ما تكتبه على بعض أصدقائك أو المُتخصِّصين في اللغة العربية، لتستنير من ملاحظاتهم وتوجيهاتهم. احتفظ بما تكتبه في ملفٍّ خاص، فقد تحتاج إلى الرجوع إليه في المستقبل عندما يتحسَّن مستواك، وتُصبِح -بإذن الله- من مشاهير الكُتَّاب والمُؤلِّفين.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- تعرَّف إلى مُؤسَّسات التدريب ومراكزه الموجودة في المحيط أو القُطْر الذي تسكُن فيه والتي تُقدِّم دورات في المهارات المختلفة، وأَعِدّ قائمةً بتلك الدورات وأسعارها وأوقات تقديمها، ثم انسخ تلك القائمة وعلِّقها في الأماكن العامة لتشجيع الناس على الانخراط فيها، واختَر لنفسك شيئًا منها للالتحاق بها إن كانت ظروفك المالية والوظيفية تسمح لك بذلك.
- ما المَجلّات ومواقع (الإنترنت) ووسائل التَّواصُل المفيدة التي تتصفَّحها بين كل حين وآخر؟ إن كنت لا تعرف شيئًا منها فبادر بسؤال ذوي الخبرة، واحصُل منهم على قائمة بالمفيد منها والمُمْتِع.
- اذكُـر بعض النقاط الإيجابية والسَّلبية التي تتميَّز بها مواقع (الإنترنت) وخدمات التَّواصُل الاجتماعي التي تزورها أو تشارك فيها.
- شارِك مـع بعض زملائك تصميم استطلاعٍ لـلرأي حـول نقاط الإيجاب والسَّلب التي يراها الناس في المواقع التي يزورونها أو خدمات التَّواصُل التي يشاركون فيها، ثم انشروا ذلك الاستطلاع عبر وسائل التَّواصُل الاجتماعي، وبعد الحصول على مشاركات كافية حلِّلوها وانشروا نتائج ذلك الاستطلاع في أحد المواقع أو وسائل التَّواصُل لِتَعُمَّ الفائدة.
- زُرْ بعض مواقع (الإنترنت) التي تُعنى بنشر الكتب، واسألها عما يمكنك فعله لمساعدتهم على عملية النشر، وضع لنفسك برنامجًا لرَقْن كتاب واحد في كل شهر وإرساله إليهم، سواءٌ أجريتَ الرَّقْن بنفسك أم استأجرتَ له شخصًا أو جهة مُعيَّنة.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اختَر حِقبة زمنية مُعيَّنة في تاريخ الأُمَّة الإسلامية أو تاريخ القُطْر الذي تعيش فيه، ودوِّن الأحداث التاريخية التي وَقَعَتْ فيه أو العلماء والمشهورين الذين نبغوا في تلك الفترة، واكتُب نُبذة مختصرة عن تلك الأحداث أو أولئك المشاهير وأخرِجْها على شكل عرض أو مقطع مرئيٍّ، ثم شارك به مَن تعرف من زملائك وأصدقائك، أو
- انشره في مواقع (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل المختلفة لِتَعُمَّ الفائدة.
- يحتوي هذا الكتاب على عشرات من الأعمال التطوُّعية التي بإمكان الأفراد والمُؤسَّسات إنجازها. نظِّم هذه الأعمال في عرض (باوربوينت)، ثم قدِّمه للناس على شكل محاضرة، أو أرسله عبر وسائل التَّواصُل الاجتماعيّ.

الفصل الثالث

الأعمال التي تُقوِّي الجسد وتُعين على كسب قلوب الناس

الإنسان -كما يقال- مدنيٌّ بطبعه، ولذا فلا مفرَّ له من الاختلاط بالناس، ولكن اختلاط المرء بالآخرين لا يعني قبولهم له، ورغبتهم في القرب منه، أو عدم ممانعتهم تقرُّبَه هو إليهم، ولكون غالبية الأعمال التطوُّعية التي سنذكرها في المباحث التالية تحتاج إلى اتِّصال مباشر ومُستمرٍّ مع الناس، يُصبِح من الضروري أن يعرف كل واحد منا ما يُحِبُّه الناس وما يكرهونه، وما يمكن أن يُحبِّبنا إليهم أو يُنفِّرهم منا؛ ولذا سنذكر في هذا الفصل بعض الأمور التي على الإنسان فعلها لتُعينه على كسب قلوب الناس ليتسنَّى له تأدية الأعمال التطوُّعية دون عراقيل من جانبهم، ولكي يحظى بتأييدهم له وبمباركتهم لما ينجزه من أعمال.

١- حُسْن المعاملة للناس

بعضُنا يُحِبُّ أن يعامله الناس بإحسان ولطف، وتجده معهم شديدًا ناقدًا، وفي بعض الأحيان مُتعاليًا مُتكبِّرًا. إن كسب قلوب الناس لا يتأتَّى بإغراقهم بالمال، فقليل منا مَن يستطيع ذلك، ولكن يمكن أن نكسب قلوبهم بحسن الخلق معهم، كما ورد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قوله: ((إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاس بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْه وَحُسْنُ الْخُلُق))[١].

(١) مسند البزار (حديث رقم: ٩٦٥١، ج١٧، ص٩٩) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

وحُسْن الخلق يمكن أن يفتح قلوب الناس لنا ويجعلهم يُؤيدوننا فيما نريد إنجازه من أعمال، بل وربما دعمونا بالمال والمشاركة، ولا ننسى أن ديننا دين أخلاق، وأن التحلِّي بها ليس من قبيل المَنِّ والتفضُّل على الآخرين وإنما هو أداء لما يريده منا ديننا الحنيف؛ فقد جاء في كثير من الآيات والأحاديث الحثُّ على مكارم الأخلاق والزَّجر عن مساوئها، ومن ذلك أن رسول -صلى الله عليه وسلم- قال: ((**بُعِثْتُ لأُتَمِّمْ حُسْنَ الأخلاق**))[١]، وفي رواية: ((**إنما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صالحَ الأخلاق**))[٢]، ولا ننسى كذلك الأجر العظيم الذي أعدَّه الله لمَن أحسن خُلقه، والعقاب الوبيل لمن فعل عكس ذلك.

٢- الاهتمام بالصِّحَّة والنظافة

إن الاعتناء بالصِّحَّة لا يقلُّ أهميةً عن الاعتناء بالرُّوح والفكر، ففيها تنشيط للجسم والعقل والذهن، وهي من النعم العظيمة التي وهبها لنا المولى -عزَّ وجلَّ- ولا يشعر بقيمتها وعظمتها إلا مَن فقدها، ومن سنن الله -سبحانه- في خلقه أن فقدان النعم لا يأتي فجأة وإنما لأسباب غالبها من كسب أيدي الناس، فكثيرًا ما نسمع أن فلانًا من الناس قد أصبح طريح الفراش وآخر أصيب بنوبة قلبية أو جلطة في الدماغ أو فشل كُلوي -أعاذنا الله جميعًا منها-، وكلها مُجرَّد ظواهر لمشكلات صحية بدأت في داخل صاحبها صغيرة ولم يشعر بها أو شعر بشيءٍ منها ولكنه لم يُعِرها الاهتمام المطلوب.

والكل يعلم أن الإنسان منذ ولادته يتعرَّض لسيلٍ جارفٍ من السُّموم التي تدخل جسمه من خلال ما يتنفَّسُه أو يأكله أو يشربه، وقد جهَّز الله -سبحانه- أجسادنا بوسائل حماية ومقاومة تستطيع أن تَصُدَّ عنها معظم الأجسام الغريبة التي تدخل فيها، ولكن مع تقدُّم العمر ونقص المواد الضرورية التي يحتاج إليها الجسم في عملية الوقاية والدفاع، تبدأ خلايا الجسم وأجهزته في الضعف وفقدان الحيوية، وهو ما يظهر في شكل أمراض أو مشكلات صحية.

(١) مُوطَّأ مالك (حديث رقم: ١٨٨٥، ج٢، ص٧٥) مرفوعًا.
(٢) مسند أحمد (حديث رقم: ٨٩٥٢، ج١٤، ص٥١٣) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

من هنا نقول إن علينا أن لا نُهمِل أجسادنا إلى أن نقع في المرض، وإنما علينا المبادرة لأخذ الاحتياطات اللازمة حينما نكون قادرين على ذلك، وقد قيل إن «**درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج**»، وجاء في الحديث الشريف: ((**إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**))[١].

ومن الاحتياطات اللازمة من الوقوع في المرض تجنُّب الأغذية الضارة أو غير المفيدة، وتجنُّب العادات السيئة كالتدخين وتناول المُنبِّهات الكثيرة وكثرة النوم أو قِلَّته، وتجنُّب التعرُّض للضائقات النفسية والتوتُّر والقلق، فإنها من الأمراض القاتلة.

ورغم أن الكثير منا –مع الأسف الشديد- لا يهتم كثيرًا بجانب الصِّحَّة، فإنه من الملاحظ أن هناك اهتمامًا متناميًا بجانب النظافة، سواءٌ أَتعلَّقَ بنظافة البدن أم الملبس أم المكان، والإنسان -بلا شك- عليه أن يكون نظيفًا مُرتَّبًا في جميع أحواله وفي أيّ مكان حلَّ، وقد جاء في الحديث القدسي: ((**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**))، فقال رجل: «**إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً**»، قَالَ: ((**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**))[٢].

والنظافة قد تكون من الضروريات الأساسية التي يجب توفُّرها لمَن يريد الاهتمام بالصِّحَّة، ولهذا على الإنسان أن يُوجِد البيئة التي تُخفِّف عنه وطأة المرض أو تُقلِّل احتمال الوقوع فيه، والتي من شأنها أيضًا أن تبعث فيه روح الأمل للبقاء والعمل بِجِدِّية وفكرٍ مُتجدِّدٍ وإنتاج مُبدِعٍ ومُتميِّزٍ.

ويتعلَّق بجانب النظافة استعمال مُزيلات الروائح، إذ إن كثيرًا من الناس -وخاصة كبار السِّن- لا يهتمون بهذا الجانب؛ ما يُؤدِّي إلى نفور الآخرين من مُجالَستهم ومُصاحَبتهم، والإنسان الناجح يجب أن يكون محبوبًا لدى جميع الناس، ومن الأشياء التي تُحبِّبه إليهم حُسْن المظهر وطِيب الروائح التي تصدر من بدنه وملابسه، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**))[٣].

(١) صحيح البخاري (حديث رقم: ١٩٦٨، ج٣، ص٣٨) من حديث سلمان الفارسي –رضي الله عنه–.
(٢) صحيح مسلم (حديث رقم: ٩١، ج١، ص٩٣) من حديث عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–.
(٣) مسند أحمد (حديث رقم: ١٤٠٣٧، ج٢١، ص٤٣٣) من حديث أنس –رضي الله عنه–.

٣- الاعتناء بنظافة الأسنان

من المظاهر الأخرى التي ينبغي التنبيه لها في جانب النظافة الاعتناء بنظافة الأسنان، وهذا أمرٌ يكاد يكون مُنْعَدِمًا بين فئات كبيرة من الشباب والكبار فضلًا عن الأطفال، رغم أنه يجب على كل واحد منا أن يعتني بهذا الجانب اعتناءً كبيرًا، وذلك لأسباب عديدة، منها:

- ✓ اتِّقاء الآلام المُبْرِحة والأوجاع الشديدة التي يمكن أن تنتج عن عدم الاستياك، والتي قد تَعوق الإنسان عن تأدية أعماله وتُبدِّد له أوقاته وأمواله لكثرة تردُّده على المستشفيات.
- ✓ التخلُّص من الروائح الكريهة المُنْبَعِثة من الفم والتي -في الغالب- ما يكون مَنشؤُها قِلَّة الاستياك، وكم رأينا أناسًا تنجذب إليهم النفوس لحُسْن هيئتهم وسَمْت أخلاقهم، ولكن لا يستطيع الناس القرب منهم والتحدُّث إليهم لما ينبعث من أفواههم من روائح كريهة! ولذا علينا الحذر من الوقوع في مثل هذا.
- ✓ التخلُّص من البقع الصفراء والسوداء التي تتكوَّن في الطبقة الخارجية من الأسنان بسبب اختلاط ماء الشرب بمواد كبريتية، والتي يمكن للاستياك أن يُقلِّل أو يمنع من حصولها، وهذه قد تُشوِّه وجه الإنسان وربما سبَّبت له آثارًا صحية.

ويمكن اتِّقاء كل ذلك بوضع برنامج خاص للمحافظة على الأسنان ويتمثَّل في الاستياك مرتين -على الأقل- يوميًّا، وخاصة قبل النوم وبعد الاستيقاظ منه أو قبل تناول وجبة الفطور، وكذلك، إجراء الفحص الدوري للأسنان، على الأقل كل ستة أشهر أو كل عام.

٤- إجراء الفحص الدوري الشامل

وعلى غرار الفحص الدوري للأسنان، يحتاج الشخص أن يُجرِي أيضًا فحصًا دوريًّا شاملًا لجميع جسده ولو مرة واحدة في العام، وهذه قد تشمل أخذ عيّنات من الدم أو عمل أشعة سينِيَّة أو تلفزيونية لبعض الأعضاء، ويمكن من خلال هذا الفحص الشامل اكتشاف أمراضٍ في بدايتها بحيث يسهل على الاختصاصيين استئصالها ومعالجتها، وهذا النوع من الفحص مُتوفِّر في كثير من المستشفيات والعيادات.

٥- الرياضة والمحافظة على رشاقة الجسم

علينا أن نعلم أن البَدانة والسُّمْنة من الأمور التي تُنفِّر الآخرين عن مخالطتنا أو القرب منا، ولذا فإن من الأمور المُهِمَّة والمُتعلِّقة بالاعتناء بالصِّحَّة المحافظة على رشاقة الجسم، وهناك شِقَّان لهذا الموضوع: الأول يتعلَّق باختيار مقدار الطعام الذي نتناوله ونوعه، فعلى الإنسان أن لا يأكل كثيرًا خشية الإصابة بالتخمة، ولا يُعرِّض جسمه للضَّرَر بقِلَّة الأكل، وأما ما يخصُّ اختيار نوع الأطعمة التي يتناولها، فالإنسان قد يملأ بطنه بأكلٍ لا يعود على جسده بفائدة، ولذا عليه أن يختار في وجباته المفيد من المأكولات، وأن يتجنَّب تلك التي قد تصيبه أو تضاعف احتمال إصابته بأمراض العصر المُتفشِّية كالسكري وانسداد الشرايين وضغط الدم والسرطان.

أما الشِّقُّ الآخر للاعتناء برشاقة الجسم فمن خلال ممارسة الرياضات المختلفة وبتواصل، وكثير من الشباب لا يُفرِّطون في هذا الجانب، فهم يلعبون الكرة ويمارسون الرياضات الأخرى كالجري وغيرها، ولكن كثيرًا من الكبار -أو معظمهم- وغالبية النساء لا يمارسون الرياضة، وعلى هؤلاء أن يبادروا بوضع برامج لأنفسهم تُعينهم على أن يؤدوا ولو بعض التمرينات بتواصلٍ، فمثلًا يمكنهم تأدية بعض التمرينات اليسيرة في الصباح والمساء أو في الأوقات التي لها دور في تنشيط الدورة الدموية وتمرين العضلات والمفاصل،

ويمكنهم أيضًا -وخاصة الرجال- ممارسة الرياضات الأخرى كالجري والمَشْي والسباحة وحتى مزاولة الألعاب المختلفة مثل كرة القدم والطائرة.

أما النساء فيمكنهن الاتِّفاق مع مجموعة أخرى من النساء والمَشْي في أوقات مناسبة لَهُنَّ كفترة المساء، وفي الأماكن التي لا يرتادها الرجال، ففي ذلك تحريك لعضلات الجسم، وتنشيط للدورة الدموية، ولكن علينا أن نُنَبِّه أن كثيرًا من النساء -وخاصة الفتيات- قد اتَّخَذْنَ المَشْي في الشوارع العامة ذريعة للخروج من المنزل ومعاكسة الشباب الذين يزاولون أيضًا المَشْي في تلك الشوارع.

وقد رأينا من الفتيات مَن تتجمَّل بأحسن الثياب، وتضع على أثوابها أفضل أنواع العطور، وتخرج من بيتها دون عباءة ولا جلباب وإنما بزيِّها الذي تلبسه في بيتها، والذي لا يليق لغير زوجها أو محارمها النظر إليه، ثم تتخلَّع في مشيتها وهي تحادث زميلاتها أو تتَّصل بصويحباتها، ومنهنَّ مَن يصطحبنَ معهنَّ بعض إخوتهنَّ أو أخواتهنَّ الصِّغار بحجة أنهم محارم لهنَّ، وكما هو معلومٌ، فإنه لا يجوز للمرأة الخروج من المنزل دون محرَم، ولا تخرج إلا بلباس شرعيٍّ لا يَلفِتُ إليها الأنظار، ولا يجذب إليها انتباه المارَّة.

ويمكن أيضًا لمن كان بمقدوره الاشتراك في إحدى صالات أو مراكز اللياقة البدنية أن يبادر إلى ذلك، فقد يجد الفرصة لممارسة الرياضات المُفضَّلة بتواصل وبحضور ورعاية مُتخصِّصين في تلك الرياضات، وأيضًا يمكن للشخص الاشتراك في تلك الصالات والمراكز لتعلُّم بعض الرياضات الأخرى الكثيرة والمفيدة، مثل "الكونج فو" و"التكواندو" و"التاي تشي"، المعروفة بفائدتها للجسم وتنشيطها للعقل.

وأما مَن كان بمقدوره شراء جهاز يمارس من خلاله الرياضات والتمارين المختلفة، فعليه فعل ذلك، فيمكن مثلًا شراء جهاز للمَشْي واستعماله في البيت، ويمارس الشخص المَشْي عليه في كل يوم ربع أو نصف ساعة، وميزة مثل هذا الجهاز أن الشخص لن يُحرَج من الجَرْي أمام الناس بسبب كِبَر سِنِّه أو مركزه الاجتماعي أو الوظيفي، والمرأة بسبب تحرُّجها من الخروج من البيت، أو لعدم وجود مَحرَم يسير معها، ولذا فشراء جهاز واحد للمَشْي أو التمرين قد يُعين جميع أفراد الأسرة من صغير وكبير للاستفادة منه، وفوق ذلك

فإن الشخص يستطيع ممارسة رياضته المفضَّلة عبر ذلك الجهاز وهو يشاهد التلفاز أو الهاتف أو يتحدَّث إلى أهله وأولاده، ولذا أَعُدُّ هذا من الاستثمارات الناجحة للأسرة كلها.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكُر بعض القصص التي تتكلَّم عن أثر حُسْن الخلق أو سوء الخلق في علاقات الناس.
- تكلَّم عن أهمية الصِّحَّة للإنسان.
- اذكُر بعض الآيات والأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدَّث عن أهمية الطعام والصِّحَّة في أداء العبادات.
- ما علاقة الصِّحَّة والمرض بكسب قلوب الناس أو نفورهم؟
- اشرَح كيف يمرض الإنسان، وما علاقة الجوانب النفسية بالصِّحَّة والمرض؟
- اذكُر بعض المُقتَرَحات للمحافظة على الصِّحَّة وتجنُّب الوقوع في المرض.
- ضع لنفسك برنامجًا عمليًّا للاهتمام بصحتك يتضمَّن الاقتراحات التي أشرنا إليها في هذا الفصل والمُتعلِّقة بالأكل والنظافة وممارسة الرياضة. ناقش ذلك البرنامج مع بعض الأطباء والمختصِّين، وابدأ بتنفيذه قبل أن يفوت الأوان.
- كيف يمكن للنظافة أن تُكمِّل جانب الصِّحَّة؟
- اذكُر ما يمكن أن يشمله الفحص الدوري للأسنان.
- اذكُر بعض الفحوصات التي قد يشملها الفحص الدوري الشامل.
- اتَّصِل ببعض المستشفيات والعيادات الخاصة الموجودة في محيطك، وتعرَّف إلى ما إذا كانت تُقدِّم خدمة الفحوصات الدورية الشاملة وتكاليف تلك الفحوصات والإجراءات التي تشملها.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- هناك شِقَّان للمحافظة على رشاقة الجسم. تكلَّم عن كل واحدٍ منهما واربطه ببرامج خاصة بك يمكن أن تستفيد منها في تحقيق ذلك الجانب.
- اكتُب بحثًا عن تأثير السُّمْنة والبَدَانة في علاقات الناس.

برنامج تطبيقي رقم (١):
(برنامج يوم كامل)

لكي نُخرِج موضوع الأعمال التطوُّعية المُتعلِّقة بالفرد من حيِّزه النظري فإن على كل شخص أن يضع لنفسه برنامجًا يوميًّا للنوافل والأوراد التي يلزمه المحافظة عليها والأعمال الأخرى التي عليه تأديتها، وقد أوردنا في الطبعة الأولى من هذا الكتاب برنامجًا عمليًّا يمكن للمسلم تطبيقه في يومه وليلته، ثم -بحمد الله وتيسيره- أُخرِجَ هذا البرنامج في كُتيِّب مُسْتَقِلٍّ بعنوان «كيف تقضي أوقاتك في ظلال الإيمان؟» مع كثير من الزيادات، وطُبع في عام ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م، وهو مُتوفِّر أيضًا إلكترونيًّا على موقعي (www.alhatali.com)، فيمكن الرجوع إليه.

ومُعظَم ما ورد في ذلك البرنامج أعمال نُوقِشت في هذا الباب، وبعضها سنتعرض لها في المباحث القادمة، ولكي تكون الفائدة من ذلك البرنامج فعلى الشخص التزامه يوميًّا، وأن لا يَدَع للنفس مجالًا لتأجيله أو اختصاره؛ فإن النفس تميل إلى التسويف والراحة، والراغب في المشاركة في بناء الأُمَّة لا بُدَّ له من أن يكون من ذوي النفوس العَلِيَّة والهِمَم العالية. يقول البوصيري في بُردته:

والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلهُ شَبَّ على ... حُبِّ الرَّضاعِ وإن تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

ويقول ابن نُباتة[1]:

حـــاوِلْ جَسِيماتِ الأمورِ ولا تَقُلْ ... إنَّ المَحَامِدَ والعُـــلَى أرزاقُ
وارغبْ بنفسِكَ أن تكون مُقصِّرًا ... عن غايةٍ فيها الطِّلابِ سِباقُ

---

(١) ابن نُباتة (ت. ٤٠٥هـ) شاعر العراق، أبو نصر، عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نُباتة السَّعْدي، له نظمٌ عذب، ومدح الملوك والكبراء، وله ديوان كبير. يُنظر: شمس الدين الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء ج١٧، ص٢٣٤.

برنامج تطبيقي رقم (٢):
(تمارين رياضية مُقتَرَحة)

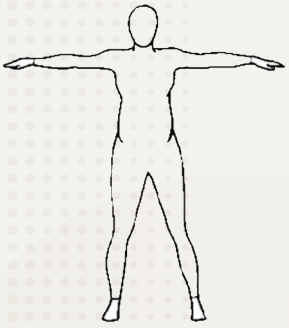
في هذا البرنامج التطبيقي نُقدِّم بعض التمارين الرياضية التي يمكنك تأديتها في منزلك أو في صالة رياضية، ويمكنك تأديتها بمفردك أو مع بعض أهلك أو زملائك، ويمكنك تأدية جميع هذه التمارين أو بعضها، حسبما يتسنَّى لك الوقت، ويمكن تأديتها في فترة الصباح قبل الخروج إلى العمل أو الدراسة، أو بعد العصر أو المغرب أو العشاء، حسبما تراه مناسبًا لك.

ملاحظة: بعض هذه التمارين قد يصعُب تأديتها على مَن عنده مشكلات في الركبتين أو الظهر، ولذا يُنصَح باستشارة طبيب أو اختصاصي لياقة بدنية لتعيين التمارين التي يمكن تأديتها.

١ تمرين التسخين

عليك بالهرولة السريعة دون أن تتحرَّك من مكانك نحو دقيقتين، ثم زِد المدة تدريجيًّا كل أسبوع، حسَب قدرتك.

٢ تمرين الظهر



قِفْ منتصبًا، وافتح رجليك بانفراجٍ كبير، وارفع يديك حتى يكونا مستقيمَين. أمِلْ جسمك إلى الأمام مع إدارته إلى جهة اليمين وإبقاء رجليك ويديك على وضعهما السابق، ثم حرِّكه إلى جهة اليسار. كرِّر التمرين نحو عشر مرات، وزِد في كل أسبوع العدد تدريجيًّا.

٣ تمرين القفز



اقفز في مكانك، وأنت تفتح الرجلين قَدْر ما تستطيع وفي الوقت نفسه ترفع اليدين إلى أعلى الرأس حتى تتلامسا. أعِدْ اليدين إلى جانبيك والرجلين إلى وضع الالتصاق، ثم أعِد الكَرَّة مرة أخرى، وهكذا حتى تُكمِل عشرين قفزة في كل مرة من الأسبوع الأول، ثم زِد خمس قفزات في كل مرة في الأسابيع التالية حسب طاقتك.

٤ تمرين الضغط باليدين



نَمْ على بطنك مع نَصْب القدمين. ضع يديك بمحاذاة رأسك وابدأ بالضغط عليهما وأنت ترفع جسمك كله إلى الأعلى إلى أن تنتَصِب اليدان، مع مراعاة إبقاء الجسم والقدمين واليدين مشدودَتَيْن في وضع مستقيم.

وبعد أن يستقيم الجسم وتنتَصِب اليدان، اثْنِ اليدين وأنزِل الجسم تدريجيًّا إلى أن يَقْرُب من ملامسة الأرض، وعندها ارفع الجسم مرة أخرى إلى أن تنتصب اليدان، وهكذا. كرِّر التمرين في الأسبوع الأول نحو خمس مرات، ثم زِد العدد تدريجيًّا في الأسابيع التالية حسَب طاقتك.

٥ تمرين الساقين والركبتين



ضع يديك على جانِبَيْ رأسك واجلس وجسمك مُنْتَصِبٌ على قدميك. ادفع جسمك كله إلى الأعلى إلى أن يَصِل إلى وضع الاستقامة، وبسرعة اهْوِ بجسمك إلى الأسفل إلى أن تلامس إلْيَتُك قدميك، وبسرعة أيضًا ارفع جسمك إلى الأعلى، وهكذا. كرِّر التمرين نحو خمس مرات ثم زِد العدد تدريجيًّا في الأسابيع التالية حسَب طاقتك.

تمرين فتح الرجلين

اجلس مستويًا على الأرض، وافتح رجليك بزاوية منفرجة مع محاولة إيصالهما إلى وضع الاستقامة (أي يُشكِّلان خطًّا مستقيمًا)، قَدْر المُستطاع. أَجْرِ التمرينَينِ الآتيَينِ وأنت على هذا الوضع.

٦ تمرين شَدِّ القدمين



اجلس مستويًا على الأرض ومُدَّ رجليك إلى الأمام مع رصِّهما ببعضهما. أمِلْ جسمك إلى جهة الأمام وحاوِل لمس أصابع القدمين وشَدَّهما إليك إن أمكن ذلك. ابقَ على هذا الوضع نحو عشرين ثانية. بعدها أعِدْ ظهرك إلى وضع الاستقامة، ثم كرِّر التمرين أكثر من مرة

٧ تمرين انحناء الجسم إلى الأمام

ضع يدك اليُمنى بامتدادها على رجلك اليمنى ويدك اليسرى على رجلك اليسرى. ادفع جسمك كله إلى جهة الأمام، مع مراعاة أن تُبقي ظهرك وصدرك ورأسك في استقامة واحدة. واصِل دفع جسمك إلى أن يقترب صدرك من ملامسة الأرض حسب طاقتك، وعندها ستشعر باشتداد عضلات الظهر والرجلين. ابْقَ على هذا الوضع نحو عشرين ثانيةً، وإن لم تستطع ثَنْي الجسم كثيرًا فاطلب من شخص آخر أن يضغط على ظهرك قليلًا. كرِّر التمرين عدة مرات، ومع تكرار التمرين يوميًّا وبعد مرور أسبوع أو أسبوعين من مزاولته، ستشعر بارتخاء عضلات الظهر والرجلين وقدرتك على ثَنْي الجسم بسهولة ودون آلام.

٨ تمرين انحناء الجسم إلى جهة اليمين واليسار

ابدأ بوضع جسمك كما هو موصوف في التمرين رقم ٧، ثم ادفع جسمك كله باتِّجاه رجلك اليمنى ومُدَّ يدك اليمنى بطولها لمحاولة لَمْس القدم اليُمنى وشَدِّه إليك، إن أمكن. ضع يدك اليسرى على ركبتك اليمنى مع محاول الضغط عليها لأسفل، وابقَ على هذا الوضع نحو عشرين ثانية. كرِّر التمرين نفسه مرة أخرى ولكن باتِّجاه رجلك اليسرى مع عكس وضع اليدين، ويمكن تَكرارُ هذا التمرين بالتناوب مع التمرين السابق.

٩ تمرين النوم إلى الوراء ١



اجلس على رجليك مع افتراش القدمين، ثم ادفع جسمك كله إلى الوراء وكأنك تحاول النوم على ظهرك.

ستُلاحظ أن ركبتيك سترتفعان عن الأرض، لذا فإما أن تطلب من شخص آخر الضغط عليهما لتلامسا الأرض، وإما أن تُدخِل يديك تحت ساقيك مع شدِّهما وكأنك تريد النهوض من الأرض. ابْقَ على هذا الوضع نحو عشرين ثانية ثم ادفع جسمك إلى الأعلى، وكرِّر التمرين عدة مرات.

١٠ تمرين النوم إلى الوراء ٢

كرِّر التمرين السابق ولكن مع مَدِّ الرجل اليمنى إلى الأمام وافتراش الرجل اليسرى. كرِّر التمرين مرة أخرى، ولكن هذه المرة مع مَدِّ الرجل اليسرى إلى الأمام وافتراش الرجل اليمنى. ابْقَ في كل تمرين نحو عشرين ثانية.

١١ تمرين الكوبرَى ١



نم على بطنك مع مَدِّ رجليك ونصب قدميك.

ارفع جسمك كله من الأمام إلى الأعلى إلى أن تنتصب اليدان مع مراعاة رفع الرأس إلى الأعلى والإبقاء على الجزء السفلي من الجسم ملامسًا للأرض. ابْقَ على هذا الوضع نحو عشرين ثانية ثم أَنْزِل جسمك إلى أن يلامس الأرض. كرِّر التمرين عدة مرات.

١٢ تمرين الكوبرَى ٢

كرِّر التمرين السابق واستبدل برفع الرأس إلى أعلى إدارته إلى جهة اليمين والنظر إلى الوراء إلى أن تشاهد قدميك. ابْقَ على هذا الوضع نحو عشرين ثانية. كرِّر التمرين مع إدارة رأسك هذه المرة إلى جهة اليسار.

١٣ تمرين نهائي للارتخاء وفكِّ العضلات

بعد أن تفرغ من التمارين السابقة انْتَصِبْ قائمًا، وأَدِر رأسك باتِّجاه عقارب الساعة وكأنك ترسم دائرة. كرِّر التمرين بعكس اتِّجاه عقارب الساعة، وبعدها هَرولِ في مكانك نحو دقيقة مع نفض يديك. احْنِ جسمك إلى الأمام وكأنك تركع للصلاة. كرِّر التمرين كله عدة مرات إلى أن تشعر بارتخاء عضلات رقبتك وأطرافك.

الباب الرابع

الأعمال التطوُّعية التي تستهدف الأسرة

تمهيد

للأسرة وظائفُ كثيرةٌ ومُتنوِّعة لا سِيَّما أنها تُعنى بتنمية جميع الجوانب الشخصية للإنسان ورعايتها في مختلف مراحل عمره، وعلى الرغم من اشتراك الأسرة المسلمة مع غيرها من أُسَر غير المسلمين في أداء بعض الوظائف التربوية؛ فإن للأُسرة المسلمة وظائفَ تربوية مُميَّزة، من أبرزها ما يأتي[١]:

- ✓ العمل على تزويد المجتمع المسلم بالذرية الصالحة التي تُحقِّق قوله صلى الله عليه وسلم: ((تزوَّجوا الوَدُودَ الوَلُودَ فإني مُكاثِرٌ بِكُمُ الأمم))[٢]، والتي تكون عاملًا قويًّا في تحقُّق الحياة الأُسَرية الهانئة واستمرارها وضمان استقرارها.

- ✓ تحقيق عوامل السُّكون النفسي والطمأنينة لجميع أفراد الأسرة؛ حتى تكونَ عملية تربيتهم في جوٍّ مُفعَمٍ بالسعادة بعيدٍ عن القلق والتوتُّر والضَّياع، ويأتي ذلك تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

- ✓ حُسْن تربية الأولاد وتأدية واجب التنشئة الاجتماعية الإيجابية، والعمل على صيانة فطرتهم عن الانحراف والضَّلال، تحقيقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ))[٣].

- ✓ توفير مُقوِّمات التربية الإسلامية الصحيحة لأفراد الأسرة عن طريق العناية بمختلِف الجوانب الشخصية للإنسان (روحيًّا، وعقليًّا، وجسديًّا)، والحرص على توازنها وتكاملها، لِما لذلك كله من الأثر الكبير في تشكيل الشخصية المسلمة السَّوِيَّة وتكوينها، والعمل على تفاعلها وتكيُّفها مع ما حولها من المُكوِّنات، ومَن حولها من الكائنات تفاعلًا إيجابيًّا ومستمرًّا طَوال فترة الحياة.

(١) أبو النوف، (بدون تاريخ)، المُؤسَّسات التربوية في المجتمع، بحث مُقدَّم لكلية التربية (قسم التعليم الأساسي)، الجامعة الإسلامية بغزة.
(٢) سنن أبي داود (حديث رقم: ٢٠٥٠، ج٣، ص٣٩٥) من حديث معقل بن يسار –رضي الله عنه–.
(٣) صحيح البخاري (حديث رقم: ١٣٥٨، ج٢، ص٩٥) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–.

- ✓ الحرص على توعية أعضاء الأسرة -وخاصة الصِّغار منهم- بكل نافعٍ ومفيد، والعمل على تصحيح مفاهيمهم المغلوطة، وحمايتهم مِن كل ما يُهدِّد سلامتهم وسلامة غيرهم، وتعليمهم الأخلاق الكريمة، والآداب الفاضلة، والعادات الحسنة.
- ✓ إكساب أعضاء الأسرة الخبرات الأساسية والمهارات الأوَّلية اللازمة لتحقيق تكيُّفهم وتفاعلهم المطلوب مع الحياة، وإكسابهم الثقة بالنفس، والقدرة على التعامل مع الآخرين.

من هنا، لا بُدَّ لكل واحد منا أن يهتمَّ بأسرته كما يهتمُّ بنفسه؛ ردًّا للجميل الذي يحصل عليه منها، وإلا كنا أنانيّين وناكرين للمعروف، والمجالات التي يمكننا خدمة أُسَرنا من خلالها مُتعدِّدة ومُتنوِّعة، وسنتطرَّق في الفصول القادمة -بإذن الله- إلى نماذج منها، ويمكن الاستزادة والتوسُّع حولها بالقراءة والبحث في الكتب والشبكة العنكبوتية، ومن خلال المحاضرات والدورات التربوية المُتوفِّرة على (الإنترنت).

١ - مُقترحات لتوزيع المَهام الأُسَرية بين أفرادها

لكل أسرة مُستَلزمات مادية ومعنوية، دينية ودنيوية، اجتماعية وثقافية ومالية، ولكي تُؤدِّي كل أسرة دورها في المجتمع، لا بُدَّ من تفعيل دور كل فرد فيها؛ فالوالدان وإن كانا المسؤولَيْن الرئيسَيْن للأسرة، فاضطلاعهما بكل شؤون الأسرة -رغبةً أو قَسْرًا- لن يُحقِّق النَّماء والنَّجاح لأفرادها، فضلًا عن أن يُحقِّق السعادة والطمأنينة بينهم، ولذا لا بُدَّ لكل فرد فيها أن يشارك في خدمتها وتحمُّل شيءٍ من أعبائها، سواءٌ أكان الفرد طفلًا أم راشدًا.

ويمكن أن تُوزَّع المَهام المختلفة للأسرة بين أفرادها توزيعًا ثابتًا أو دوريًّا، كأن يُوكَل أمر متابعة الدروس الأسبوعية إلى شخص مُعيَّن، في حين يتولَّى إلقاء الدروس شخص

ثانٍ، ويتولَّى شؤون الميزانية شخصٌ ثالث، ويتكفَّل بشراء مُستَلزمات البيت شخص رابع، ويتكفَّل بإصلاح الأجهزة والأدوات شخصٌ خامس، ويتكفَّل بإعداد البرامج الثقافية الأخرى شخصٌ سادس، ويتكفَّل بوضع برنامج الرحلات شخصٌ سابع، ويتكفَّل بإعداد برنامج الزيارات العائلية شخصٌ آخَر، وهكذا يكون كل فرد في الأسرة قد أدّى دورَه.

ومن ناحية أخرى، فالأسرة كما نعلم هي المُؤسَّسة الرائدة الأولى والبذرة الأساس للمجتمع، ولذا يجب التعامل معها -من ناحية إدارية وتنظيمية- كغيرها من مُؤسَّسات المجتمع، ولذا يمكن تشكيل مجلسٍ لإدارتها (**كما هو موضح في البرنامج التطبيقي رقم ٤**) بحيث تُوكَل مهام الأسرة إلى كل فرد من أفرادها من خلال اللَّجنة التي يعمل فيها الشخص، وفي حال عدم كفاية أفراد الأسرة المُؤهَّلين لتأدية الأدوار المراد تنفيذها، فعندها يمكن للشخص الواحد أن يتولَّى أكثر من دور، ومثل هذا التوزيع سيساعد على تنمية المواهب والمهارات لكل فرد في الأسرة، وفيه أيضًا تفعيل لقدراتهم وزيادة لترابطهم.

٢- الاجتماع الشهري للأسرة

يُقتَرح أن يجتمع أفراد الأسرة ولو مرةً واحدة في كل شهر أو عدة شهور لمناقشة شؤون الأسرة وما يَستجِدُّ من قضايا تهمُّها كلها أو تُعنى ببعض أفرادها، ويمكن أن يتولَّى رب الأسرة أو رئيس مجلس إدارة الأسرة أو مَن يُفوِّضانه للإعداد لذلك الاجتماع لكي يثمر النتائج المَرْجُوَّة منه، وفي يوم الاجتماع يمرّ جميع أفراد الأسرة على جدول الأعمال نقطةً نقطةً إلى النهاية خلال الوقت المُحدَّد للاجتماع، وإن احتاجَت الأسرة إلى وقت إضافيٍّ لإنهاء مناقشة جميع بنود جدول الأعمال فيمكن الاجتماع مرة أخرى في وقت لاحق من ذلك اليوم أو في يوم آخر مع مراعاة عدم تأجيل الاجتماع التالي كثيرًا، لكي لا يُؤثِّر في جدول أعمال الشهر التالي، ويمكن أن يتضمَّن جدول الأعمال البنود الآتية:

- ✓ الاستماع إلى تقرير بسَيْر العمل في الأسرة؛ إما من خلال الأفراد المُوكَل إليهم المَهام المختلفة، وإما من خلال رؤساء اللِّجان -في حال تشكيل مجلس إدارة للأسرة-، على أن يقرأ التقرير رئيس كل لجنة أو مَن ينوب عنه.

- ✓ مناقشة أي قضايا استجَدَّت بعد الاجتماع السابق، سواءٌ أتعلَّقت بأفراد مُعيَّنين في الأسرة أم بقضايا تَهُمُّ الأسرة كلها.

- ✓ فتح صندوق الاقتراحات (سيأتي تفصيلٌ عنه في فصلٍ لاحقٍ بإذن الله)، ومناقشة المواضيع التي جُمِّعَت من خلاله.

- ✓ تكريم المُتميِّزين في ذلك الشهر الذين حُددوا من خلال تزكية رؤساء اللِّجان لهم أو من خلال تفوُّقهم في برنامج النقاط (سنذكره لاحقًا)، أو باستعمال وسائل أخرى، ويُحبَّذ توزيع جوائز وشهادات تقدير للفائزين لكي تُضفي على العمل الأُسَري نوعًا من الجِدِّية والمصداقية والتحفيز.

- ✓ أي مواضيع أخرى يريد أفراد الأسرة مناقشتها، ويمكن التقدُّم بها في أثناء الاجتماع أو قبله إلى رب الأسرة أو رئيس مجلس الإدارة.

- ✓ تحديد موعد الاجتماع القادم والبنود التي يُقترح مناقشتها فيه.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكُر بعض الأسباب التي تجعلنا نهتمُّ بأُسَرِنا.
- كيف يمكن توزيع مهام النظافة والترتيب والصيانة في المنزل على أفراد الأسرة؟
ضَع جدولًا لتوزيع المَهام المنزلية على أفراد أسرتك، ثم ناقِش ذلك الجدول مع بقية أفراد الأسرة.
- ناقِش مع أفراد أسرتك مُقتَرحًا لتشكيل مجلس لإدارتها، ثم اسعَ جاهدًا إلى تفعيل هذا الأمر.
- هل سبق لكم عقد اجتماعات دورية في أسرتك؟ إن كان هذا الأمر غير مألوف في الأسرة، فحاول إقناع أسرتك بذلك.

الفصل الأول

أعمال لخدمة الأسرة

عندما نتعامل مع أُسَرنا على أنها مُؤسَّسات لها دورها المنوط بها في المجتمع، ندرك أهمية تفعيل هذا الدَّوْر، وتنظيم إنجاز المَهَام المُتعدِّدة اللازمة لاستمرارية تأدية الأسرة له تأديةً إيجابيّةً وفعَّالةً، وغالبية الأعمال التي تَخدمُ الأسرة هي في حيّز البيت، ولذا سنُفرِد هذا الفصل للحديث عنها.

١ - الاعتناء بشؤون البيت

من أَوْلى الأعمال التي على كل واحدٍ منا فعلها الاعتناء بشؤون بيته من نظافة وترتيب وإصلاح، فالبيت -كما نعلم- هو جنة الإنسان في أرضه، وهو المقرُّ الذي تسكن إليه نفسه، وفيه يُوجَد أحبُّ الناس إليه، وفيه تنمو طموحاته وتتربَّى أفكاره وتتحقَّق أحلامه.

لذا، علينا أن نُولي بيوتنا اهتمامًا خاصًّا من ناحية النظافة، فلا نَدَع هذا الأمر من مسؤوليات الأم أو الخادمة فقط ونستنكف نحن عن ذلك، وكذلك فإن الترتيب وإصلاح ما يَعطُل في البيت من أجهزة وأدوات هو من مُهِمَّات كل فرد منا، وإذا كان ربُّ الأسرة -في الغالب- هو مَن يفعل كل ذلك، فلا يعني أن يتخلَّى الإخوة والأولاد عن تأديتها.

ويمكن أن يتطوَّع أحد أفراد الأسرة كالأب أو الابن أو الأخت أو الزوجة بوضع برنامج أسبوعي للاعتناء بترتيب مرافق البيت المختلفة ونظافتها، فتكون نظافة كل جزء

من أجزائه مُوكَلة إلى شخص مُعيَّن، فمثلًا في هذا الأسبوع تُوكَل نظافة دورة المياه الفلانية إلى الشخص الفلاني ودورة المياه الأخرى إلى شخص آخر والمطبخ إلى شخص ثالث، وهكذا بالنسبة إلى الصالة والفناء وغيرها من المرافق.

كذلك، يمكن أن يتطوَّع أحد أفراد الأسرة بمتابعة تنفيذ البرنامج في كل أسبوع، ويمكن أن يكون من ضمن البرنامج اختيار أفضل شخص نشيط، أو اختيار أفضل ترتيب في البيت، ويمكن للأسرة أن تكرِّم في الاجتماع الشهري -كما بيَّنا سابقًا- مَن أدى الأعمال المختلفة، أو المُتميِّزين منهم.

هناك طريقة أخرى يمكن استعمالها لإشراك جميع أفراد الأسرة في أداء مهام البيت، وذلك بوضع نقاط مُعيَّنة لكل عمل يراد فعله، كالنظافة والترتيب وإصلاح الأجهزة والمُعَدَّات والأدوات العاطلة وشراء لوازم الأسرة، ثم بعدها تُترك هذه الأعمال كأنشطة تطوُّعية، ويحصل مَن يُؤدِّي كل نشاط منها على النقاط المرصودة لذلك النشاط، وفي نهاية الشهر يكرّم رب الأسرة أو مَن يتولَّى الإشراف على البرنامج الأُسَري الشخص الذي حصل على أعلى الدرجات والذي يعني أنه أدّى أكبر دور في الاهتمام بنظافة البيت وترتيبه وتوفير احتياجاته.

ومن الأمور التي قد تحظى بإعجاب غالبية أفراد الأسرة إقامة مُعَسْكَر لتنظيف البيت وترتيبه، إذ يمكن تحديد يوم مُعيَّن كل عدة أشهر لإقامة مثل هذا المُعَسْكَر، وفي ذلك اليوم تُوزَّع مَهَامُّ التنظيف والترتيب على أفراد الأسرة حسب قُدراتهم وأعمارهم، وبذا يشارك الجميع في هذه الفعالية، ويمكن أن يستغرق المُعَسْكَر فترة الصباح فقط، أو يمتدَّ ليوم كامل، ويمكن أن يتخلَّله فقرات ترويحيَّة لتناول القهوة والشاي أو وجبة غداء مُميَّزة أو غير ذلك مما تَعُدُّه الأسرة شيئًا مُميَّزًا.

٢- إدارة ميزانية الأسرة والخطة السنوية

من الأمور الأخرى التي يمكن تأديتها لخدمة الأسرة وضع خُطَّة سنوية أو خمسية (أي لخمس سنوات) لتسيير شؤونها، وكذلك الميزانية المُتعلِّقة بتلك الخُطَّة، فيتعاون ربُّ الأسرة مع الإخوة والأخوات والزوجة والأبناء وأفراد الأسرة الآخرين على وضع جدولٍ زمني لشراء الأجهزة والأدوات والاحتياجات الأخرى التي تخدم الأسرة مثل الكتب والحواسيب، ويُدرَج في الخُطَّة أيضًا برنامج للرحلات العائلية التي يمكن للأسرة تنفيذها، سواءٌ أكانت داخل المنطقة التي تعيش فيها أم خارجها.

كذلك، يمكن للخُطَّة أن تحتوي على جدول زمني لإجراء إصلاحات أو تحسينات على المرافق الموجودة في البيت أو لبناء مرافق جديدة، ويجب أن يرافق كلَّ بند من بنود الخُطَّة الميزانيةُ المُقتَرَحة لتحقيقه.

وبعد أن تكتمل الخُطَّة يتعاون أفراد الأسرة جميعًا على مراجعتها والميزانية المصاحبة لها، ثم يُوكَل إلى أحد أفراد الأسرة متابعة تنفيذها ومراجعتها مع الأسرة دوريًّا، كأن يكون ذلك في الاجتماع الشهري للأسرة أو كل عدة أشهر -حسب الاتِّفاق بينهم-، وفي الاجتماع تُناقَش الأمور التي نُفذت والأخرى التي استجدَّت منذ آخر اجتماع لهم، واقتراح ما تستدعيه الظروف من تعديلٍ للخُطَّة والميزانية.

٣- صندوق الاقتراحات

من الأمور التي قد تُعين على ترابط الأسرة إنشاء صندوق للاقتراحات، لكي يُتاح لجميع أفراد الأسرة اقتراح ما يرونَهُ مناسبًا لتحسين جوِّ الأسرة وزيادة الترابط والفاعلية بين أفرادها، وفي الاجتماع الدوريّ للأسرة يتولى ربُّ الأسرة أو مَن يُوكَل إليه أمر الصندوق فتْحه وقراءة الاقتراحات، ثم مناقشتها ووضع خُطَّة لتنفيذ المفيد منها.

٤- صندوق التبرُّعات

ممَّا قد يزيد فاعلية الأسرة ويُقوّي الصِّلَة بين أفرادها إيجاد صندوق للتبرُّعات، وقد يكون لاستعمال الأسرة نفسها كإقراض أحد أفرادها عندما يقع في ضائقة مالية، أو يحتاج إلى مبلغ لشراء شيءٍ من أموره الشخصية، ويمكن الاستفادة منه أيضًا لمساعدة الفقراء في المحيط الذي تقطُن فيه الأسرة، أو لإرسال المبالغ المُتجمِّعة فيه إلى إحدى مُؤسَّسات الإغاثة، أو للمساعدة في ترميم مسجد أو إنشاء مكتبة أو دعمها، أو لشراء مصاحف وتوزيعها على مساجد الحيّ، ويمكن للأسرة أن تحدِّد في اجتماعها الدوري الأوجه المناسبة التي يمكن استعمال المبالغ المُتجمِّعة في الصندوق فيها.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- ناقِش مع أفراد أسرتك إمكان إقامة مُعَسْكَر لترتيب بيتكم والمرافق المُلحَقة به وصيانتها. شاركوا جميعًا في وضع برنامج مناسب لهذا المُعَسْكَر، وبادروا إلى تفعيله ولو مرة واحدة كل عام، وخاصة في الإجازة الصيفية.
- كيف يمكن لأفراد الأسرة الاستمتاع بحياة طيّبة خالية من الأزمات المالية والديون؟ ناقِش مع أفراد أسرتك ميزانية الأسرة، وضعوا خُطَّة عملية لتحديد البنود التي ينبغي أن تُصرَف فيها.
- اقتَرِح على أسرتك وضع صندوق للاقتراحات وآخر للتبرُّعات، ولا تنسَوُا اختيار أحد أفراد الأسرة للإشراف على كل واحدٍ منهما.
- على غرار صندوق التبرُّعات يمكن إنشاء صندوق ثانٍ للنُّزهة والرحلات وثالث لتغطية الأعباء الدراسية وآخَر لأغراض العلاج. اكتُب تصوُّرًا مُفصَّلًا حول كيفية إنشاء كل واحد من هذه الصناديق وتفعيل دورها.
- عِوَضًا عن صناديق التبرُّعات والرحلات وما شابهها، يمكن فتح حسابات بنكية يُشرِف على إدارتها بعض أفراد الأسرة. ناقِش الفروقات بينها وبين الصناديق التقليدية، ثم اقترح على أسرتك فتح بعض هذه الحسابات والإجراءات المطلوبة لذلك.

الفصل الثاني

أعمال للارتقاء بالأسرة

إن تميُّز أُسْرة ما على غيرها من أُسَر المجتمع يحتاج إلى تضافر جهود أفرادها؛ فشُهْرة الأسرة في المجتمع إنما تكون بتميُّز مجموعة من أفرادها بخصالٍ يراها المجتمع خصالًا حميدة، ولذا لا يكفي لتميُّز الأسرة أن يكون فردٌ واحدٌ فيها مُتميِّزًا، وإنما على ذلك الفرد أن يسعى جاهدًا إلى الارتقاء ببقية أفراد أسرته إلى مستوى التميُّز الذي وصل إليه.

هناك العديد من المجالات التي يمكن للأسرة أن تتميَّز فيها في المجتمع؛ فبعض الأُسَر قد اشتهرت بصلاحها، وبعضها اشتهرت بكرمها أو ثقافتها أو تكاتف أبنائها أو خدمتها للمجتمع أو غيرها من الجوانب. وفيما يأتي سنتطرَّق إلى بعض الأمور التي يمكن أن تُعين الأُسْرة على التميُّز.

١ - الارتقاء بالمستوى الإيماني للأسرة

الإيمان هو الشارة الأبرز في الأسرة المسلمة، ولذا على الأسرة التي تحرص على الظهور في المجتمع بتميُّزٍ تحسينُ علاقتها بربها أولًا؛ وذلك بالتقيُّد بمنهجه -عزَّ وجل- والسَّيْر على طريق نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، وهناك أعمال كثيرة يمكن للأسرة فعلها في هذا المضمار؛ فمثلًا يمكنها ترتيب صيام جماعي لأفرادها القادرين للأيام التي يُستحبُّ الصيام فيها كالسِّتِّ من شوال أو يوم عرفة أو العاشر من محرم (يوم عاشوراء) أو يومَي الاثنين والخميس من كل أسبوع، وعند صيام أحد هذه الأيام على الأسرة أن تُرتِّب إفطارًا مُتميِّزًا يتذكَّره أفراد الأسرة؛ ما قد يُشجِّعهم على المشاركة في الصوم الجماعي مستقبلًا.

ويمكن للأسرة أيضًا ترتيب قيامٍ لليلٍ ولو مرة واحدة كل عدة أشهر، فيمكنها -مثلًا- أن تُحيي ليلة كلها مثل ليلة الجمعة، بحيث يتخلَّلها تقديم وجبة مُتميِّزة للعشاء لتشجيع أفراد الأسرة -وخاصة الصِّغار منهم- على المشاركة، ويكون إحياء تلك الليلة حسب برنامج مُعَدٍّ لذلك، كأن يحتوي على قراءة للقرآن ودروس قصيرة وصلاة للنوافل والأدعية، وعند منتصف الليل تُتناوَل وجبة العشاء الشهية، ثم بعد ذلك مَن أراد النوم كالأطفال أو غير القادر على مواصلة القيام فلينَم، وأما الراغبون في المواصلة فيمكنهم الاشتغال بالذِّكر وصلوات النوافل وقراءة القرآن إلى وقت صلاة الفجر، وبذلك تكون الأسرة قد قضت تلك الليلة في شيء مُتميِّز ومفيد.

٢- الارتقاء بالمستوى الثقافي والعلمي

تواجه الأُسَر المسلمة في وقتنا هذا الكثير من التحدِّيات فيما يتعلَّق بالثقافة والفكر، ومن ذلك ما تجده من تأثُّر أبنائها بما يقرؤون أو يشاهدون أو يسمعون عبر وسائل الإعلام والتَّواصُل الاجتماعي المختلفة، ومِن تَمثُّلهم لبعض القِيَم التي لا ترضى عنها الأسرة ولا الدين والعُرف، وتكون النتيجة أن ما تغرسه الأسرة من مبادئ دينية وقِيَم أخلاقية تقتلعه تلك الوسائل بين يوم وليلة.

والحقيقة أن هناك اتِّجاهين لمواجهة ما يَفِد إلينا عبر وسائل الإعلام وشبكات التَّواصُل الاجتماعي[١]:

- **الاتِّجاه الأول:** يتنكَّر لكل ما يأتي إلينا، سواءٌ اتَّفق مع شريعتنا أم اختلف، وحُجَّة القائلين به أنه في عالم الاقتصاد لا يلجأ الفرد إلى الاستدانة ما دام له رصيد مذخور، والمسلمون لديهم تراث حضاري هائل حتى في العلوم الطبيعية التي استفادت منها النهضة الأوروبية، ويستدلُّون على ذلك بأن العرب قبل الإسلام كانوا أمة مُتأخِّرة، فلما جاء الإسلام تقدَّموا به وجعلهم سادة، فإن أرادوا العِزَّة بغيره أذلَّهم الله.

(١) أبو النوف، (بدون تاريخ)، المُؤسَّسات التربوية في المجتمع، بحث مُقدَّم لكلية التربية (قسم التعليم الأساسي)، الجامعة الإسلامية بغزة.

ويرى أصحاب هذا الاتِّجاه أن ما لدى غيرنا من قِيَم -في الغالب- تتنافى مع ديننا؛ فمنها ما ينظر إلى الحياة على أنها منتهى الوجود البشري فلا بعث ولا حساب ولا جزاء، ولذا ماذا يمكن أن نستفيد من قِيَم أولئك وثقافاتهم؟!

- **أما الاتِّجاه الثاني:** فعلى عكس الأول؛ إذ يرى أن نفتح نوافذ المعرفة في جميع الأصعدة، ونتعرَّف إلى كل جديد، ونزن هذا بميزان الشرع والعقيدة، فما تعارف معها قبلناه، وما تناكر معها رفضناه، وحُجَّة القائلين بهذا الرأي أن العلم لا دين له ولا وطن، والمعرفة ليست مِلْكًا لدولة ولا حِكْرًا على أمة، وإنما هي للبشرية كلها، فمَن انتفع بقانون «أرخميدس» لم يُصبِح يونانيًّا، ومَن اقتبس نظريات جابر بن حيَّان والخوارزمي وابن سينا والرازي لم يُصبِح عربيًّا مسلمًا، ومَن اقتبس قانون الجاذبية لنيوتن لم يُصبِح إنجليزيًّا.

إن هذا الموضوع يتطلَّب الوَعْي الكامل على مستوى الأسرة، بل على مستوى الدولة كذلك؛ فالوسائل التي تحمل إلينا أفكار غيرنا نستطيع أن نتحكَّم فيها، وهي أدوات وأجهزة نأخذ منها ما ينفعنا ونَدَع ما يضرُّنا، ويجب أن لا تتحكَّم فينا، بل علينا أن نتحكَّم فيها، ونربي أبناءنا على ذلك، فلا نشاهد أو نسمع إلا ما نختار، والميزان في ذلك هو عقيدتنا وشريعتنا، فالإسلام ليس شيئًا مُنْفَصِلًا عن الحياة، وإنما جاء ليحكُم كل صغيرة وكبيرة فيها وَفْقَ ما يُرضي المولى -سبحانه- وفيه منفعة الإنسان، والاعتقاد بأن الدين شيء والحياة شيء آخر يدلُّ على سوء أدب مع الله وعدم احترام لشريعته أو إذعان لمشيئته.

من أجل هذا، فإن على كل واحدٍ منا أن يتعاون مع أفراد أسرته لوقايتها مما يمكن أن يُغيِّر مسيرتها الإيمانية وهُويَّتها الثقافية، ولا بُدَّ للأسرة من أن تضع لها برنامجًا ثقافيًّا وعلميًّا يضمن لأفرادها الاستفادة، ويُتيح لهم القدرة على تنمية مواهبهم وقدراتهم، ومن

المهم لذلك البرنامج أن يحتوي على درسٍ أسبوعيٍّ يُقدِّمه واحد أو أكثر من أفراد الأسرة؛ إما بحسب السِّن أو المستوى العلمي، وإما عن طريق الاقتراع.

وفي موعد تقديم الدرس يجتمع أفراد الأسرة ويلقيه صاحب الدرس، وحبَّذا لو يطرح بعده أسئلة على بقية أفراد الأسرة ويُوزِّع جوائز أو هدايا يسيرة على المشاركين أو الفائزين منهم، سواءٌ أكان بعد الدرس مباشرة أم في الاجتماع الشهري للأسرة، وليس بالضرورة أن تكون الدروس في أمور الشريعة وإنما تتنوع لتشمل مواضيع ثقافية عامة كأحوال الأمم والشعوب والتاريخ واللغة، إضافةً إلى مسابقات ثقافية ودورات مُيسَّرة في المهارات، ولا شك أنه سيكون لهذه الدروس دورٌ فعَّال في رفع المستوى الثقافي والعلمي لأفراد الأسرة، وفي تنمية المهارات المختلفة لديهم كفنِّ الإلقاء والمحاورة والتحضير للدروس، وينبغي اختيار موعد الدرس بعناية لكي لا يُعَرْقَلَ بسبب المُتَّصلين أو الزوار.

ومن الأمور الأخرى التي من شأنها رفع المستوى الثقافي والعلمي للأسرة التعاون على إنشاء مكتبة مُصغَّرة في البيت تحوي الكتب النافعة وغيرها من المواد المفيدة، ويُرصد مبلغ مُعيَّن من ميزانية الأسرة في كل عام لشراء كتب جديدة من خلال معارض الكتب التي تُقام داخل الدولة أو في الدول المجاورة.

ويجب مراعاة أن تكون الكتب مناسبة لجميع أفراد الأسرة؛ فتكون هناك كتب تناسب الأطفال، وأخرى تناسب الكبار، ويمكن للمُثقَّفين في الأسرة اختيار الكتب المناسبة أو -على الأقل- اقتراحها ومناقشتها مع بقية أفراد الأسرة في الاجتماع الدوري للأسرة.

والجدير بالذكر أنه مع تقدُّم التكنولوجيا أصبحت الكتب الإلِكترونية والملفات الصوتية والمرئية في متناول غالبية الناس، سواءٌ أكان باستعمال الهواتف أم من خلال مواقع (الإنترنت) المُتخصِّصة، وفي حال رغبة الأسرة في استعمال الملفات الرقمية بدلًا من الكتب المطبوعة، فيمكنها الاستعاضة عن المكتبة التقليدية بجهاز حاسوب ذي سعة تخزين عالية، ويُجهَّز بما يفيد الأسرة من كتب ومقالات مقروءة أو مسموعة ومحاضرات وأناشيد سمعية أو مرئية، ويمكن إرسال بعضها بين حين وآخر عبر الهاتف لقراءتها أو الاستماع إليها.

٣- الارتقاء بالمستوى المالي

كما أن للاستقرار النفسي والاجتماعي دوره في هناءة العيش في الأسرة، فكذلك للجانب المالي دوره في هذا الاستقرار، وخاصة في تلافي التحدِّيات المالية وما يمكن أن تُؤدِّي إليه من ضائقات ومشكلات، ولذا من المهم البحث عن السُّبُل التي ستجلب للأسرة هذا الاستقرار، وذلك له طرقه المُجرَّبة وأساليبه الموثوق بها، وفي الغالب لو كان في الأسرة أشخاص عدة يعملون في وظائف فإنه يمكنهم توفير جزء من رواتبهم للبدء ببعض المشاريع التجارية أو الاستثمارية التي قد تجلب لهم رافدًا ماليًّا مُحترَمًا قد يغنيهم في المستقبل عن الوظيفة.

يمكن لأفراد الأسرة مثلًا تنفيذ مشاريع تجارية مشتركة ولو كانت يسيرة؛ ومنها بناءُ محالَّ تِجاريةٍ ولو كانت في البداية صغيرة وتخدم شرائح محدودة من الناس، ثم يُتوسَّع فيها تدريجيًّا، سواءٌ أكان في المبنى أم الخدمات، ويمكن كذلك شراء متجر أو منزل أو عقار ثم يُؤجَّر ليكون مصدر دخل للأسرة كلها أو للمساهمين فيه، ويمكن كذلك إنشاء جمعيات مالية يُراعى في توزيع أدوارها الحالات الاضطرارية لأفراد الأسرة كالزواج أو الدراسة أو الرغبة في شراء سيارات أو عقارات، أو بناء منازل أو غير ذلك من الأغراض والاحتياجات.

٤- الارتقاء بالمستوى الاجتماعي

تحتاج الأسرة أيضًا بين الحين والآخر إلى إعداد برامج ترفيهية، فمثلًا في فترة المناسبات مثل عيد الفطر أو الأضحى أو المولد النبوي أو الإسراء والمعراج، يتكفَّل شخص أو أكثر من الأسرة بوضع احتفال -أو مهرجان مُصغَّر إن صحَّ التعبير- بحيث يُعَدُّ له برنامج خاصّ تتخلَّله مسابقات ثقافية ورياضية، ويشارك فيه الجمهور ببعض الفقرات، ونقصد بالجمهور بقية أفراد الأسرة الذين لم يشاركوا في إعداد المهرجان أو الأقارب الذين يُدعَون لحضوره.

ويمكن أن يتخلَّل المهرجان سُفْرة مفتوحة تستمتع الأسرة من خلالها بأكلات شَهِيَّة، ويكون لها دور في تذكُّر تلك المناسبة، ويمكن أن يتخلَّل فقرات المهرجان أو في نهايته فقرة لتوزيع الجوائز والهدايا وتكريم الذين ساهموا في إقامته أو أدَّوا أنشطة مُتميِّزة في الأسرة، ويُفضَّل أن يكون هناك تصوير بالفيديو -أو على الأقل بالصور الفوتوغرافية- لتبقى ذكريات هذه المناسبة سنواتٍ قادمةً.

ويجب أن لا يقتصر جانب التميُّز الاجتماعي للأسرة على أفرادها فقط، وإنما يجب أن يكون للأسرة وجود فريد ومُتميِّز في المجتمع، ومن أوجه ذلك تبادل الزيارات مع الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء، وكذلك أن تكون لها مشاركات بارزة في المناسبات العامة مثل الأعياد وحفلات الزواج والقِران، أو في غيرها من المناسبات كالعزاء وزيارة المرضى، وجميل أن يُنشَأ في الأسرة صندوق تعاونيٌّ لشراء الهدايا التي يمكن تقديمها في المناسبات أو عند زيارة الأقارب والأرحام، ومن أوجه التميُّز الاجتماعي للأسرة أيضًا دورها في مواساة الأُسَر الفقيرة والمحتاجة، وإعانة أصحاب الديون والمُتضرِّرين من الحوادث والمُدانين في قضايا قانونية.

٥- توثيق ما يحدث في الأسرة بالصوت والصورة

إن الاحتفاظ بذكريات الأسرة لا ينحصر في القصص والحكايات الجميلة التي يرويها الجدّان لأحفادهما، وإنما يكون من خلال توثيق تلك الذكريات بالصور والمقاطع، ويُفضَّل أن يتولَّى شخص مُعيَّن في الأسرة التقاط الصور والمقاطع للمناسبات والذكريات التي تمرُّ بها الأسرة أو تشارك فيها، وخاصة في مناسبات عقد القِران أو الزفاف، أو عندما تُرزَق بمولود جديد، أو عند تخرُّج أحد أفرادها في الثانوية أو الجامعة، وحتى عند حصول شخصٍ فيها على رخصة قيادة، ويمكن كذلك تصوير الزيارات التي تؤديها الأسرة لغيرها من الأُسَر، أو عندما يزور الأسرة آخرون، سواءٌ أكانوا من الأقارب أم أناسًا مُهِمِّين للأسرة.

من خلال تلك الصور والمقاطع تستطيع الأسرة الاحتفاظ بالذكريات التي تمرُّ بها ليتسنَّى للصغار والكبار متابعة تلك الأحداث في المستقبل، ويمكن الآن مع توفُّر الكاميرات الرقمية والهواتف المُتطوِّرة استعمال التخزين السَّحَابي للاحتفاظ بما يُصوّر من فعاليات وزيارات؛ ما يُتيح للأسرة إمكان الوصول إليه والتعامل معه بسهولة ويُسْر.

٦- الاستفادة من (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل الاجتماعي في خدمة الأسرة

مع انتشار الخدمات الرقمية وشبكات التَّواصُل الاجتماعي بات من الضروري أن يكون للأسرة وجود فيها، سواءٌ أكان بإنشاء موقع خاص للأسرة في الشبكة العنكبوتية أم بإنشاء حسابات خاصة بها في شبكات التَّواصُل الاجتماعي المختلفة، ويمكن من خلال هذا الموقع وتلك الحسابات عرض إنتاجات الأسرة من كتابات وتلخيصات وأفكار جديدة، وإفادة الآخرين بما يحصل عليه أفراد الأسرة في أثناء تصفُّحهم مواقع (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل من معلومات ومقاطع، ويمكن كذلك عرض الصور والمقاطع العائلية التي يمكن مشاركة الآخرين بها أو تبادلها، أو حمايتها بكلمات مرور لتكون خاصة بالأسرة فقط والآخرين الذين يُتاح لهم الاطِّلاع عليها، ومن المفيد تحديد شخص أو أكثر من الأسرة لإدارة تلك المواقع والحسابات، وأن تُرصَد لها مبالغ مُحدَّدة من ميزانية الأسرة لتلبية مصاريفها.

٧- القيام برحلات عائلية

يمكن للأسرة ترتيب رحلات أو نُزَه داخل المحيط أو المنطقة التي تقطُن فيها، أو رحلات إلى مناطق أخرى داخل الدولة للتعرُّف إلى المناطق السياحية أو الأثرية المعروفة في بلادهم، ويمكن كذلك ترتيب رحلات إلى الدول المجاورة مثل رحلات العمرة والحج أو رحلات لزيارة الأقارب أو الأصدقاء الذين يعيشون في تلك البلدان.

وللرحلات العائلية الكثير من الفوائد التي ستعود -بإذن الله- على جميع أفراد الأسرة، نذكر منها ما يأتي[١]:

✓ التعلُّم الذاتي، وذلك بزيارة الأماكن التاريخية ومعرفة ثقافات الشعوب وأساليب عيشها.

✓ تقوية الروابط الأُسَرية بين الأب وأبنائه؛ فالأوقات التي يقضونها في السيارة في أثناء تنقُّلهم أو عند تجوُّلهم في الأماكن السياحية والترفيهية، أو في فترة نومهم في الاستراحات والفنادق، وما يصاحب ذلك كله من أحاديث وحوارات وبرامج تعليمية، كل ذلك له دورٌ فعَّال في غرس العديد من المبادئ والقِيَم والأفكار وتهذيبها، وكذلك إزالة الحواجز النفسية التي كثيرًا ما تكون بين الأب وأفراد أسرته.

✓ فرصة لتقليل استعمال وسائل الترفيه الضارَّة، كالهاتف والتلفاز وغيرهما.

✓ تعويد الأبناء تحمُّل المسؤولية، وذلك بتكليفهم بعضَ المَهَام، فيمكن أن يكون ضمن برنامج الرحلة توزيع المسؤوليات لتشمل الكبار والصِّغار حسب قدراتهم الجسدية والذهنية، كما سنُبيِّن لاحقًا.

✓ التفكُّر في عظمة الخالق عند زيارة الأماكن الغريبة، وكذلك عند زيارة المُتَنَزَّهات والحدائق، وعلى الوالدين أن يكونا مُتيقِّظَيْن لاقتناص الفرص للتعليق على ما يشاهدون أو يزورون، وكذلك ما يسرُدون من قصص أو يسمعون من محاضرات.

✓ تعويد أفراد الأسرة جميعًا، وخاصة الأطفال، النظام والنظافة والآداب الحسنة.

✓ التعرُّف إلى نِعَم الله الكثيرة على العبد، وذلك بزيارة الأحياء والدول الفقيرة، وخاصة مع إثارة الوالدين عواطف الأطفال تُجاه المشاهد التي يمرُّون عليها.

✓ معرفة خصائص أفراد الأسرة وصفاتهم؛ فمنهم الكسول فيُنَبَّه، ومنهم النشيط فيُوَجَّه، وبذا تتحوَّل الرحلة إلى دورة عملية مُتعدِّدة الأغراض والمنافع.

(١) ()موقع (جنة السعودية)، (٢٠٠٧م)، الرحلات العائلية، مع بعض التصرُّف.

وصدق الإمام الشافعي حين قال:

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوطانِ في طَلَبِ العُلا وَسافِر فَفي الأَسفارِ خَمسُ فَوائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ وَاكتِسابُ مَعيشَةٍ وَعِلمٌ وَآدابٌ وَصُحبَةُ ماجِدِ

وعندما ترغب الأسرة في الخروج في رحلة، يتطوَّع بعض أفرادها -وبالتشاور مع الآخرين- في إعداد برنامج الرحلة، ورصد تكاليفها المُتوقَّعة، ثم إعداد خُطَّة مناسبة لها لكي يستفيد منها جميع أفراد الأسرة ويستمتعوا، ولكي تُؤتي الرحلات ثمارها يجب مراعاة النقاط الآتية[١]:

✓ وضع أهداف مُحدَّدة للرحلة؛ فكم من الرحلات تمتدُّ أسابيعَ ولا يعود أفرادها منها بفائدة سوى الاستمتاع بالمشاهد والأطعمة.

✓ إعداد برنامج كامل للرحلة منذ المغادرة إلى العودة إلى البيت، مع المرونة في ذلك، ولا بُدَّ عند إعداد البرنامج من مراعاة التنوُّع في فقراته، وذلك بتخصيص أوقات للبرامج الجِدّية، وأوقات للتَّسْلِيَة المُباحة، وأوقات للتنزُّه، كي لا يطغى على الرحلة الجانب الترفيهي فقط.

✓ الاستعداد الجيّد للرحلة، من جميع النواحي المادية والشرعية والثقافية والرياضية، أو الأدوات والتجهيزات الأساسية، كالسيارة ومُستَلزمات الطبخ وغيرها.

✓ توزيع المَهام بين المشاركين، كُلٌّ حسب قدراته وميوله، ويمكن أن يكون اختيار المَهَام حسب رغبة الشخص أو بالتكليف من الأب، وخاصة الأفراد الذين لا يرغبون في تحمُّل المسؤوليات.

✓ مشاركة الأبناء والبنات في إعداد البرنامج، لتعويدهم التخطيط، ولزيادة تفاعلهم معه، ويمكن أن يُوكَل إعداد البرنامج مبدئيًّا إلى أحدهم، ثم يُناقَش في جلسة جماعية تضمُّ الأسرة كلها.

(١) المرجع السابق.

وقبل موعد الرحلة بيوم أو أكثر يجتمع المشاركون في الرحلة ويختارون أميرًا لها، ويمكن أن يكون الأب أو أحد الأبناء الكبار، ثم يتولَّى الأمير مناقشة البرنامج المُقتَرَح مع المشاركين، وتوزيع فقرات البرنامج عليهم، ثم توزيع مُهِمَّة تجهيز مُستَلزمات الرحلة بينهم، ويتشاور الأمير -إن استدعى الأمر- مع المشاركين لتقسيمهم إلى لجان تُعنَى بالنظافة والتغذية والنظام، وتحديد مسؤولي كل لجنة وأعضائها.

يُوضِّح البرنامج التطبيقي رقم (٣) نموذجًا لمُتطلَّبات رحلة خلوية، سواءٌ أكانت موادَّ يُراد اصطحابها أم برنامجًا للرحلة.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- كيف يمكن للأسرة أن تُصبِح مُتميِّزة على مستوى المجتمع؟ وما جوانب التميُّز التي يمكن الارتقاء فيها؟
- تحدَّث عن بعض الوسائل التي يمكن أن تُعين الأُسرة لتصل إلى درجة التميُّز في الجانب الإيماني.
- تعاوَن مع بعض أفراد أسرتك لوضع برنامج متكامل لقيام إحدى الليالي المعتادة، أو إحياء بعض الليالي أو الأيام الشهيرة مثل ليلة القدر أو يوم عرفة.
- إذا كانت لا توجد في بيتكم مكتبة فاطرح على أفراد أسرتك فكرة إنشائها، ثم ضعوا خطة وميزانية لإنشائها وتسييرها بما يخدم جميع أفراد الأسرة. أما إن كانت المكتبة موجودة فناقِش معهم وسائل تطويرها وتحسينها من الناحية الجمالية والمواضيع وعدد الكتب والمواد الأخرى التي تحتويها، وأيضًا البرامج والمسابقات الثقافية والترفيهية التي تُحفِّز الأسرة على الاستفادة مما في المكتبة من مواد.
- ناقِش مع أسرتك فكرة إقامة دروس أسبوعية دينية وثقافية خاصة بالأسرة، ثم أعِدُّوا جدولًا لشهرٍ واحدٍ على الأقل يُساهِم فيه الجميع بإعداد تلك الدروس وتقديمها.
- اقْتَرِح على أسرتك إعـــداد برنامج لتبادل الزيارات مع الأقـــارب والأصدقاء، وحاولوا إشراك جميع أفراد الأسرة فيه؛ وذلك بأن يُوكَل أمر كل زيارة وما تستدعيه من اتِّصالات وترتيبات إلى أحد أفراد الأسرة.
- فكِّر في المناسبات الدينية والاجتماعية التي تُقام في محيطك، ورتِّب مع أفـراد أسرتك لوضع برنامج ترفيهي أو مهرجان مُصغَّر يُحيي بعض تلك المناسبات ولكن في حيِّز أسرتك فقط.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- هل في الأسرة مَن يحتفظ بالذكريات التي تمرُّ بها؛ سواءٌ أكان بالكتابة أم التصوير؟ إن كان هذا مُنعدِمًا أو يسير بتنظيم، فناقِش مع أفراد أسرتك أمر إيجاده أو تحسينه.
- تعاوَن مع أفراد أسرتك لوضع تصميم لموقع على شبكة (الإنترنت) يخدم أفراد الأسرة، ثم أَوكِلوا أمر إنشائه إلى أحدكم، أو تعاقدوا مع آخرين من خارج الأسرة أو مُؤسَّسات مُتخصِّصة في إنشاء المواقع، وبعد اكتمال الموقع شجِّع أفراد الأسرة على ارتياده وتفعيله بالمشاركات والاقتراحات.
- ناقِش مع أسرتك إمكان فتح حسابات على شبكات التَّواصُل الاجتماعي تخدم الأسرة كلها، ثم انتخبوا بعض الأفراد لإدارة تلك الحسابات وتغذيتها بالمعلومات والصور والمقاطع التي ترى الأسرة مصلحة في نشرها.
- هل تخرج الأسرة في رحلات ونُزهات باعتياد؟ وهل يكون الترتيب لكل رحلة أو نُزهة بتنظيم؟ ناقش هذه الأمور مع أسرتك في اجتماعها الشهري.

برنامج تطبيقي رقم (٣):
(إعداد مُستلزمات رحلة خلوية)

يُستَعمل مُصطلَح «الرحلة الخلوية» عادةً للرحلات الكشفية التي تخرج من دائرة السُّكنى إلى الفضاء، ولكننا سنستخدمه هنا ليعني أي رحلة كانت -عائلية أو شبابية أو كشفية- تُتِيح للمشارك الخروج من منطقته التي تعوَّد العيشَ فيها إلى مناطق أخرى، وهذه الرحلات وسيلة لإراحة النفوس وإسعادها، وترابط القلوب وتآلفها، وفي الوقت نفسه هي بمنزلة دورة علمية عملية يمكن أن تُؤتي ثمارها إن خُطِّط وأُعِدّ لها بعناية.

ونجاح هذه الرحلات يستلزم مساهمة جميع المشاركين فيها في الإعداد والتنفيذ، ويجب عند إعداد مُستَلزمات الرحلة وبرنامجها مراعاة أحوال المشاركين من حيث أعمارهم ومستوياتهم العلمية والثقافية، فلا يُوضَع البرنامج ليناسب الكبار فقط ويغفل الأطفال، ولا يُراعَى الرجال فقط ولا تستفيد منه النساء، وكذلك إن كانت الرحلة تشمل الرجال والنساء، فيجب مراعاة أمور الحجاب والاختلاط، سواءٌ أكان في الحافلة أم في أماكن الرحلة.

وتجدر الإشارة إلى أن كثيرًا من الكتب والمحاضرات والأناشيد وغيرها من المواد الثقافية والترفيهية قد باتَتْ مُتوفِّرة إلكترونيًّا، ولذا يمكن تنزيلها في الهواتف أو أجهزة الآيباد واستعمالها في الرحلة، وكذلك فإنه مع تطوُّر التقنيات والأجهزة الإلكترونية ووسائل النقل باتت الكثير من المُستَلزمات مُتوفِّرة في أماكن الرحلات أو قريبًا منها؛ ما لا يستدعي شراءها سابقًا أو حملها في السيارة أو الحافلة.

في الصفحات الآتية سنسرُد بعض المُقتَرَحات لمُستَلزمات الرحلة وبرنامجها، وسنفترض أنها تكون يومًا واحدًا وبلا مبيت، وأنها لمسافات قصيرة لا تتجاوز مائة كيلومتر، وسنفترض كذلك أن المشاركين فيها قد لا يكونون من أسرة واحدة.

نقترح أولًا عقد اجتماع تحضيري للرحلة قبل موعدها بعدة أيام، ليتسنَّى تحضير مُستَلزماتها وفقرات برنامجها، ولا يلزم أن يحضر الاجتماع جميع المشاركين فيها، وخاصة النساء والأطفال، وإذا تكفَّل بعض المشاركين بدور الترتيب والإعداد، فليس من الضروري حضور الباقين، ويُقتَرح في الاجتماع اختيار أمير للرحلة، وكذلك توزيع المُستَلزمات والمَهَام على المشاركين، وفي حال تعيين مُساهمات مالية على المشاركين، تُحصَّل في الاجتماع أو بعدَهُ مباشرةً ليتسنَّى للأمير تصريفها لتجهيز الحافلة، وشراء مُستَلزمات الرحلة.

أولًا: مُستَلزمات الرحلة:

يجب أن تُوزَّع مُستَلزمات الرحلة على المشاركين بما اتُّفق عليه في الاجتماع التحضيري، وأن يتحمَّل المشارك شراء المُستَلزمات التي عليه إحضارها، أو يدفع قيمتها لأمير الرحلة، وعلى الأمير التحقق قبل موعد المغادرة من توفير المشاركين المُستَلزمات المطلوبة منهم، وفيما يأتي نماذج لما يمكن أخذه في الرحلة من مُستَلزمات:

- **مُستَلزمات عامة** (صابون لليدين والأواني، مناديل ورقية، ماء للشرب، ماء للغسيل، صحون ورقية أو معدنية، ملاعق، أكواب ورقية للقهوة والشاي، جوائز للفائزين في المسابقات الثقافية والرياضية).
- **مُستَلزمات الطوارئ والإسعافات الأولية** (مصباح كهربائي، وصلة لسحب السيارة في حال عطلها، وصلة تحفيز البطارية، أدوات فك وتركيب، مُسكِّن للأوجاع، ضِمَادات للجروح).
- **مُستَلزمات الفقرات الثقافية والترفيهية** (مصاحف، كُتيِّبات وقصص للقراءة، كتب وبطاقات سين/جيم للمسابقة الثقافية، أوراق وأقلام).
- **مُستَلزمات الفقرات الرياضية** (كرات للَّعب، ملابس رياضية، أحذية رياضية، أدوات وملابس للسباحة، مُستَلزمات المسابقة الرياضية)، وغالبية هذه المواد تُعَدُّ

شخصية، ولذا يُحضِرها أصحابها بأنفسهم ولا تدخل ضمن مشتريات الرحلة.

- **مُستَلزمات الطَّهْي والشِّواء**، وفي الغالب يُحضر معظم أواني الطهي ومُستَلزمات الشواء من البيوت، ولا تُشترى لكل رحلة، ويُفضَّل أن تكون هناك مجموعة منها مُخصَّصة للرحلات فقط.
- مُستَلزمات فقرات التغذية والوجبات الرئيسة والخفيفة.
- **مُستَلزمات الجلوس والتخييم**؛ مثل البُسُط والكراسي والطاولات والمِظلّات والخيام.

ثانيًا: برنامج الرحلة:

تُحدَّد فقرات البرنامج والأشخاص المسؤولين عنها في الاجتماع التحضيري للرحلة، وعلى الأمير التحقق من إعداد كل شخص للفقرات المنوطة به قبل موعد الرحلة، وكذلك الإشراف على تنفيذ الفقرات في أثناء الرحلة، ويمكن الاستفادة من الجداول الآتية لإعداد برنامج مناسب للرحلة.

قبل يوم من الرحلة على الأقل:

المُهِمَّة	وقت التنفيذ/طول الفقرة	الأشخاص المسؤولون عنها
فحص الحافلة التي ستُقِلُّ المشاركين في الرحلة للتحقق من صلاحيتها		
تنظيف الحافلة		
شراء مُستَلزمات الرحلة		

قبل الإقلاع:

المُهِمَّة	وقت التنفيذ/طول الفقرة	الأشخاص المسؤولون عنها
وصول الحافلة إلى مكان التجمُّع		
تجمُّع المشاركين في مكان الإقلاع		
تنظيم مُستلزمات الرحلة داخل الحافلة		
ركوب المشاركين في الحافلة		

بعد الإقلاع مباشرة:

المُهِمَّة	وقت التنفيذ/طول الفقرة	الأشخاص المسؤولون عنها
الإقلاع		
دعاء الركوب		

من مكان الإقلاع إلى مكان الرحلة:

المُهِمَّة	وقت التنفيذ/طول الفقرة	الأشخاص المسؤولون عنها
الافتتاح بالقرآن الكريم		
كلمة ترحيبية من أمير الرحلة		
فقرة ترفيهية(١)		
فقرة ثقافية(٢)		
فقرة تغذية(٣)		
فقرات إضافية(٤)		

(١) يمكن أن تشمل أناشيدَ أو طرائفَ أو قصصًا، وقبل البدء فيها على أمير الرحلة التحقق من أن الجميع قد أفطروا، إذا كانت الرحلة تبدأ من الصباح الباكر، وخاصة إذا كان في الرحلة أطفال، ويمكن لهذه الفقرة أن تُخصَّص لقراءة شيء من القرآن، على أن يشارك في التلاوة جميع مَن في الرحلة من الرجال والنساء، بحيث يُشكِّل الرجال حلقة تلاوة خاصة بهم، وتُشكِّل النساء حلقة تلاوة خاصة بهن إن كان في الرحلة من غير المحارم، مع ملاحظة أن تكون التلاوة عند النساء بصوت منخفض لا يسمعه الرجال.

(٢) قد تشمل: مسابقة ثقافية أو مناظرة شعرية أو كلمات قصيرة.

(٣) قد تشمل: تناول بعض العصائر والكعك أو القهوة والفواكه، أو تناول وجبة إفطار كاملة، إن اتُّفِق على ذلك من قبل وخاصة في الرحلات الطويلة.

(٤) إذا أعدَّ أعضاء في الرحلة فقرات إضافية فيمكن إدراجها هنا، وأما إن لم يكن هناك مُتطوِّعون لتقديم تلك الفقرات وبقيت مسافة إلى مكان الرحلة فيمكن تغطية الوقت المُتبقِّي بواحدة أو أكثر من الفقرات الترفيهية أو الثقافية أو فقرات التغذية.

من الوصول إلى المغادرة:

المُهِمَّة	وقت التنفيذ/طول الفقرة	الأشخاص المسؤولون عنها
تنظيف المكان		
حمل الأمتعة من السيارة إلى مكان التجمُّع		
كلمة أمير الرحلة حول الضوابط والبرنامج		
تقسيم الأشخاص إلى مجموعات		
فقرة ثقافية(١)		
فقرة ترفيهية(٢)		
فقرة تغذية(٣)		
فقرات أخرى(٤)		
فقرة إعداد الغداء(٥)		
فقرة الصلاة(٦)		
فقرة تناول الغداء والنظافة(٧)		
فقرة استراحة وترفيه(٨)		
صلاة العصر		
فقرة رياضية(٩)		

(١) قد تشمل: درسًا قصيرًا أو مسابقة ثقافية أو دورة مُيسَّرة، مع مراعاة أن لا تزيد مدة الفقرة الثقافية على ساعة واحدة خشية المَلَل والسَّآمة.
(٢) قد تشمل: أناشيد أو طرائف أو قصصًا أو مسابقات ميدانية كالبحث عن الكنز أو شدِّ الحبل أو مسابقات شرب العصائر، ويمكن كذلك تخصيص هذه الفقرة لممارسة رياضة مُعيَّنة ككرة القدم أو الطائرة أو السباحة (إذا كانت الرحلة بالقرب من مكان مناسب للسباحة كبحر أو نهرٍ أو وادٍ).
(٣) يمكن تخصيص هذه الفقرة لتناول القهوة والشاي والعصائر والفواكه، وقد تحتوي على وجبة خفيفة من الساندويشات والعصائر.
(٤) إذا كان هناك مُتَّسع من الوقت إلى أن يحين وقت الغداء، فيمكن ملؤه بفقرات ثقافية أو ترفيهية، ويمكن كذلك تخصيص وقت مفتوح يستطيع المشاركون قضاءه إما في التجوُّل في المنطقة وإما في أخذ قسط من الراحة، وإما في أيِّ نشاط يتوافق مع آداب الرحلة.
(٥) تعد اللَّجنة المسؤولة عن التغذية الغداء، ويمكن لبقية المشاركين قضاء هذا الوقت فيما هو نافع ومفيد، حسبما يراه أمير الرحلة مناسبًا.
(٦) يطلب أمير الرحلة من أحد المشاركين الأذان لصلاة الظهر، ثم يَؤُمُّ الصلاة الأمير أو مَن يطلب منه الأمير ذلك، ويمكن بعد الصلاة إلقاء خاطرة قصيرة من الأمير أو أحد المشاركين، وحبَّذا لو تكون وعظية تُذكِّرهم بالله –سبحانه وتعالى– من خلال ما يشاهدونه في البيئة التي هم جالسون فيها.
(٧) بعد أن يتناول المشاركون وجبة الغداء، تنظِّف لجنة النظافة المكان وتغسل الأواني.
(٨) يمكن لأمير الرحلة أن يخصِّص ولو ساعة واحدة بعد الغداء لمن يريد أن ينام نومة خفيفة، ويمكن لَمن لا يرغب في النوم قضاؤها فيما هو نافع ومفيد، على أن يستأذن أميرَ الرحلة في ذلك، ويمكن في هذه الفترة شرب القهوة أو الشاي أو تناول العصائر أو المثلجات.
(٩) يمكن تحديد فترة ما بين العصر والمغرب للرياضة، سواءٌ أكانت لكرة القدم أم الطائرة أم غيرهما كالسباحة أو الجري، ومَن لا يرغب في المشاركة في هذه الرياضات، يمكنه قضاء تلك الفترة فيما هو نافع ومفيد.

المُهِمَّة	وقت التنفيذ/طول الفقرة	الأشخاص المسؤولون عنها
فقرات أخرى(١)		

قبل مغادرة مكان الرحلة:

المُهِمَّة	وقت التنفيذ/طول الفقرة	الأشخاص المسؤولون عنها
حمل الأمتعة إلى الحافلة		
تنظيف مكان الرحلة(٢)		
ركوب الحافلة(٣)		

من مكان الرحلة إلى مكان الإقلاع:

المُهِمَّة	وقت التنفيذ/طول الفقرة	الأشخاص المسؤولون عنها
دعاء الركوب		
كلمة أمير الرحلة(٤)		
استطلاع رأي المشاركين في الرحلة(٥)		
فقرة ترفيهية(٦)		

(١) إن كان برنامج الرحلة يمتد إلى وقت صلاة العشاء، فيمكن ملء الفترة المُتبقِّية في تأدية صلاة المغرب والعشاء وأي فقرات أخرى يراها الأمير مناسبة، مع مراعاة طرح الفقرات الخفيفة والمُسلِّية، لأن نفسيَّات المشاركين قد لا تكون مُتهيِّئة للفقرات والمواضيع الدسمة والطويلة.

(٢) من الأمور البالغة الأهمية في الرحلات الخلوية تخصيص وقت قبل مغادرة مكان الرحلة لتنظيف المكان والتحقق من عدم وجود مخلَّفات، ويجب كذلك التحقق من إطفاء ما أُشعِل من فحم أو حطب، لكي لا يُؤدِّي بقاؤه إلى حرائق.

(٣) على الأمير التحقق من ركوب جميع المشاركين وخاصة الأطفال، وكذلك تنبيه المشاركين لأخذ جميع أدواتهم الخاصة كالهواتف والأحذية بالنسبة إلى الأطفال.

(٤) حبَّذا لو ألقى أمير الرحلة كلمة قصيرة يجُمِل فيها بعض الفوائد التي استفادها المشاركون من الرحلة، وأيضًا بعض الملحوظات الإيجابية أو السَّلبية حول فقرات الرحلة، ويمكن لغيره من المشاركين تقديم هذه الفقرة أو المشاركة بالملحوظات والمُقترَحات.

(٥) من الأمور المفيدة جدًّا لأمير الرحلة والمشاركين أن يُتاح للجميع التعبير عن آرائهم في الرحلة وما يقترحونه في الرحلات القادمة، ويمكن أن يكون الاستطلاع شفهيًّا أو مكتوبًا، وحبَّذا لو يدوِّن أمير الرحلة تلك الآراء والملاحظات، للاستفادة منها في الرحلات القادمة.

(٦) يمكن أن يُستفاد من وقت العودة في أمور تعود بالنفع على المشاركين، وفي الوقت نفسه تُزيل الكَلَل والمَلَل من نفوسهم، مثل توزيع الجوائز على الفائزين في المسابقات أو المشاركين عمومًا، وخاصة الذين كان لهم أدوار ومشاركات مُتميِّزة، لتكون حافزًا للباقين في المشاركة في المرات القادمة.

بعد الوصول إلى مكان الإقلاع:

المُهِمَّة	وقت التنفيذ/طول الفقرة	الأشخاص المسؤولون عنها
نزول المشاركين من الحافلة		
إنزال الأمتعة والمواد المصطحبة في الرحلة وتوزيعها على أصحابها[١]		
تنظيف الحافلة[٢]		

(١) في الرحلات الطويلة غالبًا ما يكون المشاركون مُتعَبين، ولذا يمكن تأجيل هذه الفقرة إلى اليوم التالي.
(٢) على الأمير أن يُكلِّف أشخاصًا مُعيَّنين مُهِمَّة جمع المُخلَّفات من الحافلة، ويمكن هذا عند الوصول أو في اليوم التالي، وأما تنظيفها بالكامل فيمكن أن يُخصَّص له مبلغٌ من مصاريف الرحلة، ويوكَل أمره إلى سائق الحافلة أو أيِّ شخصٍ آخَر.

الفصل الثالث

أعمال لتقوية صلة الأسرة بالأقارب والأرحام والأصدقاء

إذا نظرنا إلى الأسرة على أنها تتكوَّن من الأسرة الصغيرة في البيت والأُسَر الأخرى التي لها علاقة بهذه الأسرة الصغيرة كأُسَر الأقارب والأصحاب وغيرهم، عندها يمكن إنجاز مشاريع وأعمال تزيد ترابطَ هذه الأُسَر التي سنُطلِق عليها مُصطلَح "**الأسرة الكبيرة**"، ومن هذه المشاريع والأعمال ما يأتي:

١ - برنامج لتبادل الزيارات مع الأقارب والجيران

من الأمور التي لا بُدَّ منها لكل أسرة تسعى إلى الارتقاء والنجاح زيارة الأقارب وصلة الأرحام؛ إذ إنه -في كثير من الأحيان- ينشأ الأطفال وهم لا يَعرِفون أقاربهم، وذلك لقِلَّة زيارات الوالدين لهؤلاء الأقارب أو لتأدية الوالدين الزيارة دون اصطحاب أطفالهم؛ ما يجعل الأطفال ينشؤون وهم لا يعرفون أقاربهم، وقد يَأثمون بسبب ذلك؛ إذ إن ديننا الحنيف يحثُّنا على صلة الرحم، بل يُحتِّم علينا ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣)**﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]، وقوله -سبحانه- في الحديث القدسي: ((**أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنِ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**))[1]، ولذا لا بُدَّ من تلافي الوقوع في مثل هذا الإثم من خلال وضع برنامج لتبادل الزيارات مع الأقارب.

(١) صحيح ابن حبان (حديث رقم: ٤٤٣، ج٢، ص١٨٦)، والسنن الكبرى للبيهقي (حديث رقم: ١٣٢١٥، ج٧، ص٤١) من حديث عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه-.

ويجب لهذا البرنامج أن يشمل أيضًا تبادل الزيارات مع الجيران؛ فإن كثيرًا من المجتمعات المسلمة صارت تعاني تفكُّكًا في هذا الجانب؛ فقد يعيش الواحد سنوات في منطقة ما ولا يتواصل مع جيرانه، رغم أن رسولنا -عليه الصلاة والسلام- يقول: ((مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ))[1]، ويمكن لبرنامج الزيارات أن يشمل أيضًا الأصدقاء والزملاء والمعارف.

ويُفضَّل أن يُوكَل إعداد برنامج الزيارات ومتابعته إلى أحد أفراد الأسرة، بدلًا من اقتراحها ارتجاليًّا من الأب أو الأم أو غيرهما، ومع تطوُّر التقنيات يمكن استعمال وسائل التَّواصُل الاجتماعي لمناقشة البرنامج وقت إعداده، وأيضًا للتذكير بالزيارات وترك الملاحظات حولها.

٢- إقامة الدروس العلمية والثقافية للأسرة الكبيرة

يمكن توسيع جانب الدروس، بحيث تكون هناك دروس خاصة للأسرة المُصغَّرة في البيت، ودروس عامة للأسرة الكبيرة يمكن تقديمها في أحد البيوت أو المجالس العامة الخاصة بالأسرة الكبيرة، وإذا علمنا أن غالب الرجال في الأسرة الكبيرة هم من غير المحارم بالنسبة إلى النساء، فيجب مراعاة أن تكون هناك دروس خاصة للنساء ودروس خاصة للرجال لكي لا يحدث اختلاط بينهم، كما يحصل في وقتنا الحاضر بين كثير من أفراد الأُسَر الكبيرة، ويمكن أيضًا حضور الجميع في مكان واحد مع مراعاة وجود حائل بين الرجال والنساء.

(١) صحيح البخاري (حديث رقم: ٦٠١٥، ج٨، ص١٠)، وصحيح مسلم (حديث رقم: ٢٦٢٥، ج٤، ص٢٠٢٥) وغيرهما من أصحاب السنن، من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-.

٣- إنشاء صناديق ومشاريع مشتركة لخدمة الأسرة الكبيرة

هناك العديد من الصناديق والمشاريع المشتركة التي يمكن إنشاؤها لخدمة الشريحة الكبرى من أفراد الأسرة الكبيرة وتلبية احتياجاتهم، ومن تلك الصناديق والمشاريع ما يأتي:

- ✓ صندوق للتكافل الأُسَري يُصرَف على الأفراد الذين يقعون في ضائقات مالية أو يكونون بحاجة إلى قروض يسيرة أو إعانات لشراء بعض المُستَلزمات، ويمكن أيضًا أن يُصرَف من هذا الصندوق لأغراض العلاج ونفقات الزواج ورسوم الدراسة وشراء العقارات أو بنائها.
- ✓ مشاريع تجارية مشتركة بين أفراد الأسرة الكبيرة.
- ✓ جمعيات تعاونية مالية لخدمة أفراد الأسرة الكبيرة.
- ✓ صندوق للاقتراحات لتقوية الصلات والروابط بين أفراد الأسرة الكبيرة.

٤- تقوية الصِّلات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الكبيرة

من الأمور التي يمكن أن تزيد ترابط الأسرة الكبيرة الإعداد بين كل فترة وأخرى لغداء أو عشاء جماعيٍّ لأفرادها؛ بحيث يكون في كل مرة في بيت إحدى الأُسَر الصغيرة، أو يكون خارج البيت عند أحد الأودية أو الجبال، أو تُستأجر استراحة أو مزرعة لهذا الغرض، ويمكن كذلك الاتِّفاق على القيام رحلات جماعية للعمرة أو النُّزهة يشارك فيها مَن يشاء من أفراد الأسرة الكبيرة، سواءٌ أكانت داخل القُطْر أم خارجه.

٥- عقد اجتماعٍ دوريٍّ لمناقشة قضايا الأسرة الكبيرة

على غرار الاجتماع الدوري الذي يُعقَد شهريًّا في الأُسَر الصغيرة، يمكن عقد اجتماع مُوسَّع لمناقشة المواضيع المشتركة المُتعلِّقة بالأسرة الكبيرة، على أن يُعقَد الاجتماع كل عدة أشهر ويحضره شخص أو أكثر من كل أُسْرة صغيرة.

وفي هذه الاجتماعات تُناقَش البرامج الثقافية التي تقيمها الأسرة الكبيرة كالدروس والمهرجانات المُصغَّرة التي تكلَّمنا عنها والبرامج الاجتماعية كالرحلات والزيارات العائلية، ويمكن أيضًا مناقشة سيْر العمل في الصناديق والمشاريع المشتركة المُتعلِّقة بالأسرة الكبيرة، إضافةً إلى ما يتجمَّع في صندوق الاقتراحات الخاص بالأسرة الكبيرة من اقتراحات وأفكار.

٦- إنشاءِ مواقع وحسابات على شبكات التَّواصُل خاصة بالأسرة الكبيرة

يمكن للأسرة الكبيرة أن تنشئ موقعًا لها على (الإنترنت) يحتوي على إنتاجات أفراد الأسرة الكبيرة من كتابات وتلخيصات وأفكار، أو أي معلومات أخرى يحصلون عليها في أثناء تصفُّحهم مواقع (الإنترنت)، أو من خلال مطالعاتهم للكتب والصحف وما يستمعون إليه أو يشاهدونه من محاضرات وبرامج.

ويمكن للموقع أن يحوي أيضًا صورًا ومقاطع فيديو تتعلَّق بالأسرة الكبيرة، على أن لا تشتمل تلك الصور والمقاطع صورًا لنساء من غير ذوي المحارم يمكن للآخرين من أفراد الأسرة الكبيرة أن ينظروا إليها، إلا إن حُددت كلمات مرور لضبط مَن يستطيع مشاهدة الصور والمقاطع الخاصة.

وللتحاور بين أفراد الأسرة الكبيرة حول شؤونها المختلفة يمكن إضافة منتدًى للحوار، أو حسابات على شبكات التَّواصُل تكون بمنزلة المُلتقى لهم، وخاصة إذا كانوا

يعيشون في مناطق أو بلدان متباعدة، ويمكن من خلال هذا المنتدى أو حسابات التَّواصُل التحاورُ حول المشاريع المشتركة التي ينفّذونها.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- على ماذا يُطلَق مُسمَّى «الأسرة الكبيرة»؟
- أُحْصُرْ الأُسَر الصغيرة التي تنتمي إلى أسرتك الكبيرة، واكتب أسماء الأشخاص البارزين في كلٍّ منها.
- ناقِش مع هؤلاء الحاجة إلى تشكيل مجلس لإدارة شؤون الأسرة الكبيرة، وإذا رأيتم ترحيبًا بالفكرة، فبادِروا إلى تحديد مَهَامِّه وتفعيله من خلال الأنشطة المختلفة.

تحدَّث عن كيفية التوفيق بين الرغبة في تفعيل دور أفراد الأسرة الكبيرة وتقوية الصلات بينهم وبين موضوع الاختلاط بين الرجال والنساء من غير المحارم الذي يمكن أن يحدث في الفَعاليات والتجمُّعات المشتركة بينهم.

- ما الصناديق والمشاريع المشتركة التي يمكن إنشاؤها لخدمة الأسرة الكبيرة التي تنتمي إليها؟ ناقش هذا الموضوع في اجتماع مجلس إدارة الأسرة الكبيرة.
- أَعِدَّ تصميمًا للموقع الإلكتروني المشترك الخاص بالأسرة الكبيرة، وتحدَّث عن الآليات التي يمكن من خلالها ضبط استعمال الموقع من خلال أفراد الأسرة الكبيرة وغيرهم من عموم الناس، وخاصة ما يتعلَّق بمشاركة النساء وإظهار صُوَرِهِنَّ.

برنامج تطبيقي رقم (٤):
(مجلس إدارة الأسرة)

يمكن تشكيل المجلس المُقتَرَح هنا لخدمة الأُسَر الصغيرة، وأما الأسرة الكبيرة فقد تحتاج إلى لجان تختلف في مَهَامّها وطريقة تسيير أمورها عن اللِّجان المُوضَّحة أدناه، وإن كانت قد تتشابه في الأهداف وبرنامج العمل، وتُوزَّع المَهَام المُتعلِّقة بالأسرة على لجان يتولَّى رئاسة كل منها أحد أفراد الأسرة.

يتكوَّن مجلس الإدارة من رئيس للمجلس وعضوية رؤساء اللِّجان المختلفة، وفي حال عدم توفُّر العدد الكافي من الأشخاص يمكن لرئيس المجلس أن يكون أيضًا رئيسًا لإحدى اللِّجان، ويتولَّى رئيس المجلس تسيير أموره المختلفة ويترأس أيضًا الاجتماع الدَّوْري للأسرة.

رئيس المجلس

يَنتخِب مجلسُ الأسرة رئيسَ المجلس، ويبقى في منصبه ثلاثة أشهر غير قابلة للتجديد، والسبب في جعل هذا المنصب غير قابل للتجديد لإتاحة الفرصة لبقية أفراد الأسرة للتدرُّب على الأعمال الإدارية التي يُؤدِّيها الرئيس، وأيضًا لكي لا يتسلَّط شخص على بقية الأفراد، وليتسنَّى للباقين إظهار إبداعاتهم وتطبيق طموحاتهم في الارتقاء بالأسرة. من مهام رئيس المجلس ما يأتي:

- ✓ الدعوة لعقد الاجتماع الشهري للأسرة، أو الاجتماعات الطارئة التي يرغب في عقدها أعضاء المجلس.

- ✓ إدارة اجتماعات مجلس الأسرة.
- ✓ متابعة سَيْر العمل في اللِّجان الأخرى.
- ✓ البتُّ في المواضيع التي لم يصل المجلس فيها إلى اتِّفاق.

اللِّجان الأخرى

يُختار رؤساء اللِّجان بأغلبية أصوات المجلس، ويبقى كل منهم في منصبه ستة أشهر قابلة للتجديد، ويمكن لمجلس الإدارة تنحية أحد رؤساء اللِّجان من منصبه وتعيين آخر بدلًا منه، على أن يكون ذلك بموافقة غالبية أعضاء المجلس، وفي حال عدم توفُّر العدد الكافي من أفراد الأسرة يُمكِن للشخص الواحد أن يتولَّى أكثر من لجنة، وكذلك يمكن أن يُمثِّل الفرد الواحد اللَّجنة وأعضاءها. واللِّجان هي:

اللَّجنة الثقافية والعلمية، وتؤدي المَهَام الآتية:

- ✓ إعداد برنامج لنشر الوعي الديني والثقافي والعلمي بين أفراد الأسرة، ويمكن أن يشمل ذلك ما يأتي:
  - الدروس اليومية أو الأسبوعية.
  - حلقات التلاوة.
  - المسابقات الثقافية.
- ✓ إحياء المناسبات الدينية (كشهر رمضان وغزوة بدر ويوم عرفة ويوم عاشوراء والهجرة النبوية والمولد النبوي والإسراء والمعراج)، وذلك بوضع برامج خاصة لكلٍّ منها،

ويمكن أن تشمل تلك البرامج الإفطار الجماعي والدروس وإحياء الليالي بالصلاة والتلاوة والذكر.

- ✓ تعيين أيام مُعيَّنة لصيامها جماعيًّا، والترتيب مع اللَّجنة الاجتماعية لإعداد إفطار جماعي لها.
- ✓ تعيين أيام لقيام الليل، ووضع برنامج إيماني وثقافي لها، والتنسيق مع اللَّجنة الاجتماعية حول الوجبات التي يمكن تقديمها في تلك الليالي.
- ✓ الاهتمام بمكتبات الأسرة المقروءة والمرئية والمسموعة وإعداد برامج لتطويرها والاستفادة منها، ويمكن لتلك البرامج أن تشمل كتابة البحوث والمُلَخَّصات ومسابقات القراءة.
- ✓ إعداد تقرير حول احتياجات مكتبات الأسرة يشمل المواد الموجودة فيها والأخرى التي يراد إضافتها، وكذلك التحسينات المُقتَرَحة للخزانات والأرفف.

اللَّجنة المالية، وتتولَّى المَهَام الآتية:

- ✓ الإشراف على الحساب البنكي للأسرة.
- ✓ إعداد ميزانية الأسرة السنوية والخمسية ومناقشتها في الاجتماع الدوري لمجلس الأسرة.
- ✓ إعداد خطة لتسديد ديون الأسرة وأفرادها.
- ✓ رصد إيرادات الأسرة ومصروفاتها، وإعداد تقرير شهري لمجلس الأسرة بذلك.
- ✓ توفير الاحتياجات المالية للّجان الأخرى.

- ✓ البحث عن فرص استثمارية للأسرة، وكتابة تقارير حولها، ورفعها إلى مجلس الإدارة لمناقشتها وإقرارها.
- ✓ متابعة المشاريع الاستثمارية للأسرة بعد إقرارها من مجلس الإدارة.

اللَّجنة الاجتماعية، وتتولَّى المَهام الآتية:

- ✓ إعداد خطة بالزيارات والرحلات والفَعاليات التي يمكن للأسرة تنفيذها.
- ✓ إعداد برنامج متكامل لكل رحلة أو زيارة أو فعالية تنوي الأسرة تنفيذها، ويكون التنسيق في هذا الشأن مع اللَّجنة الثقافية حول البرنامج الثقافي الذي يمكن تقديمه، واللَّجنة المالية حول توفير الاحتياجات المالية اللازمة.

لجنة الخدمات، وتتولَّى المَهام الآتية:

- ✓ إصلاح الأجهزة والمُعَدَّات والمرافق العاطلة.
- ✓ شراء مُستَلزمات الأسرة من المواد الغذائية والمواد الضرورية الأخرى.
- ✓ إعداد برنامج لتكليف أفراد الأسرة تنظيفَ المنزل ومَرافِقه المختلفة وترتيبها.
- ✓ إعداد خُطَّة حول التحسينات والإضافات التي يُراد إجراؤها في المرافق المختلفة من المنزل.

الباب الخامس

الأعمال التطوُّعية التي تستهدف المحيط الذي يعيش فيه الفرد

تمهيد

لا يمكن للإنسان أن يبقى مُنْطَوِيًا على نفسه، أو يعيش مُنْزَوِيًا في بيته، وإنما عليه أن يُوسِّع دائرة اهتماماته التطوُّعية لتشمل المحيط الذي يعيش فيه، الذي نقصد به القرية أو المدينة التي يعيش فيها الشخص، وقد يتعدَّى المحيط إلى أبعد من ذلك، وقد يكون منحصرًا في أحد الأحياء وخاصة في المدن والعواصم.

ولا شك أن للعمل التطوُّعي ثمراتٍ إيجابيَّةً لخدمة المجتمع قلَّ أن تتحقَّق من خلال مُؤسَّساته الحكومية والخاصة، منها:

- ✓ يُسهِم التطوُّع كثيرًا في سرعة التنمية؛ لما له من جدوى اقتصادية واجتماعية كبيرة.
- ✓ يُؤدِّي إلى التقارب بين فئات المجتمع وتماسكها وتنمية الروابط بينها.
- ✓ يُسهِم إسهامًا ملحوظًا في مساعدة غير القادرين، في حين أن المُؤسَّسات الحكومية والخاصة -في الغالب- تُركِّز على ذوي القدرات والكفاءات.
- ✓ التعرُّف إلى الفجوات الموجودة بين أفراد المجتمع، وتقديم الخدمات المناسبة لردمها وتقليصها، ليُصبِح المجتمع مُنْسَجِمًا مُتماسِكًا.

ورغم أنه على كلِّ واحد منا واجبات كثيرة تجاه مجتمعه، فإن علينا أن ندرك أنه قد يكون من الصعب في الأعمال التطوُّعية التي تستهدف المجتمع تأديتها من خلال فرد بعينه أو حتى مجموعة أفراد، وإنما يجب أن تتشكَّل مجموعات عدة تتولَّى هذه الأعمال، ويمكن أن تكون لهذه المجموعات مَرجِعِيَّات مُوحَّدة تُمثِّلها مُؤسَّساتٌ أو نوادٍ، ودور كل فرد في البداية السَّعْي إلى تشكيل المجموعات المختلفة، وتيسير انخراط أفراد المجتمع فيها.

وبعد تشكُّلها، يمكن لكل مجموعة أن تضع لنفسها البرنامج الذي يتناسب ومجال عملها، ثم بعد فترة زمنية قد تطول أو تقصُر، وبعد ممارسات عملية في واقع المجتمع، يمكن للمجموعة أن تتحوَّل من مُجرَّد تَجمُّع لأفراد لا يجمعهم إلا الرغبة في العمل التطوُّعي والمجال الذي يعملون فيه، لتُصبِح ذاتَ كِيان إداريٍّ أكثر تنظيمًا؛ كأن تتحوَّل -مثلًا- إلى مُؤسَّسة خيرية أو ربما مُنظَّمة مَحَلِّيَّة أو قُطْرِيَّة أو عالَمِيَّة.

ونستطيع أن نُلخِّص أهداف هذه المجموعات التطوُّعية في النقاط الآتية[1]:

- ✓ تحقيق الترابط الاجتماعي وحُسْن الجِوار، وتهيئة وسائل المشاركة الاجتماعية بين سكان الحيِّ الواحد.
- ✓ الإسهام في معالجة المشكلات والظواهر السَّلبية التي تظهر في الحيِّ في سبيل المحافظة على القِيَم الإسلامية وتقاليد المجتمع ومُقوِّماته.
- ✓ العمل على رفع المستوى الإيماني والثقافي والاجتماعي للمجتمع.
- ✓ العناية بالشباب والفتيات وتوفير الإمكانات والدَّعم لهم في مجالات الدراسة والوظيفة والزواج.
- ✓ استثمار الطاقات النسائية الموجودة في الحيِّ، وتوفير الإمكانات اللازمة لتُزاوِلَ المرأةُ أنشطة وبرامج هادفة تُسهِم في بناء الأسرة الصالحة وتنمية المجتمع.
- ✓ تقديم النُّصْح والمشورة والمعلومات النافعة لطالبيها من الأفراد والأُسَر في مختلف المجالات الصحية والوقائية والاجتماعية والدينية.
- ✓ التدخُّل للإصلاح في القضايا الخلافية التي تنشأ داخل نطاق الحيِّ أو القرية.

(١) يحيى بن سيف صالح، (١٤٢٥هـ)، الدور الأمني لمراكز الأحياء، ورقة عمل مُقدَّمة لندوة «المجتمع والأمن" المُنعقِدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض.

وبالتأكيد لا يخلو مجتمع من فاعلي الخير ودعاة الإصلاح، غير أننا نرمي هنا إلى جميع تلك الجهود المُبَعْثَرة وغير المُنظَّمة لتكون ذات صِبغة مُؤسَّسيَّة مُنظَّمة إداريًّا وماليًّا ومنهجيًّا، ومثل هذا التحوُّل يتطلَّب جهودًا مُضنِية وخاصة في فترة التأسيس، نظرًا إلى الإجراءات القانونية التي على المجموعة التطوُّعية المرور بها والتكيُّف معها، وكذلك الخبرات الإدارية والمهاراتية المطلوبة لتسيير شؤون المُؤسَّسة.

غير أن مستوى الأداء والإنتاج -بلا شك- سيزداد كَمًّا وكَيْفًا بمُجرَّد أن تتحوَّل المجموعة من وضعها الارتجالي المُبَعْثَر إلى العمل المُؤسَّسي، ولذا على الحريصين للعمل في إطارٍ جماعيٍّ أن يَسْعَوْا إلى الوصول إلى مستوى العمل المُؤسَّسي مهما كلَّفهم ذلك من وقتٍ وجهد، لما في ذلك من مصلحة ظاهرة وكبيرة لهم ولمجتمعهم.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكُر بعض إيجابيات العمل التطوُّعي الفردي والمُؤسَّسي المُتعلِّق بخدمة المجتمع.
- اذكُر بعض التحدِّيات والفُرَص المُتعلِّقة بالعمل التطوُّعي المُستهدِف للبيئة التي يعيش فيها الفرد. ناقش هذه التحدِّيات والفُرَص مع زملائك وحاولوا تحليل جوانبها المختلفة.
- شارِك مع بعض زملائك إعداد دراسة مُيسَّرة حول المُؤسَّسات والفِرَق التطوُّعية العاملة في مجتمعك، وتطرَّقوا إلى التحدِّيات والعقبات التي تواجهها، وكيفية العمل لمُساعدَتها على تذليلها.
- ادرُس المُتطلَّبات والإجراءات القانونية والبلدية المطلوبة لإنشاء مُؤسَّسة تطوُّعية خيرية في بلدك، ثم ناقِش ما توصَّلتَ إليه مع زملائك، وإذا كان بوُسعِكم تلبية تلك المُتطلَّبات والإجراءات فبادِروا بإنشاء مُؤسَّسة تَخدمُ المحيط الذي تعيشون فيه.

الفصل الأول

الاهتمام بالأُسَر الفقيرة

مشكلة الفقر مردُّها -في الغالب- إلى الإنسان نفسه، سواءٌ أكان بإهماله أم تقاعسه في استثمار ما منَّ المولى عليه من نِعَم، وعدم استغلال الموارد التي تفضَّل بها -سبحانه- عليه، أو بظلمه نفْسَه وغيره من ناحية سوء توزيع الدخول والثروات[١]، وينظر الإسلام إلى الفقر على أنه خطر على العقيدة، وخطر على الأخلاق، وخطر على سلامة التفكير، وخطر على الأسرة والمجتمع[٢].

وفَضْلًا عن ذلك فإن الفقر يُعَدّ بلاءً يُستعاذُ بالله من شَرِّه؛ فعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يتعوَّذ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ))[٣].

لهذا، فإن الإسلام يستهدف من محاربة الفقر تحرير الإنسان من بَراثِنه، بحيث يتهيَّأ له مُستوًى من المعيشة يليق بكرامته التي شرَّفه الله بها، وإذا ضَمِن الإنسان الحياة الطيبة وشعر بنعمة الله، أقبل على عبادة الله في خشوع وإحسان، ومَن ثَمَّ لا ينشغل بطلب الرغيف، ولا يبتعد عن معرفة الله وحُسْن الصلة به[٤].

ولا تقتصر حاجات الإنسان في الإسلام على الطعام والشراب واللباس والمَسكن، وهي التي تُمثِّل الحاجات الأساسية أو حدَّ الكفاف؛ بل تتعدَّاها إلى ما تستقيم به حياته، ويصلُح به أمره، ويجعله يعيش في مستوى المعيشة السائد؛ أيْ حدِّ الكفاية، فلكل فرد في المجتمع الإسلامي حاجات ضرورية تختلف باختلاف الزمان والمكان، فإذا لم تُسْعِفه

(١) عبد الهادي علي النجار، الإسلام والاقتصاد، ص١٤٢.
(٢) يوسف القرضاوي، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها، ص١٨.
(٣) صحيح البخاري (حديث رقم ٦٣٧٦، ج٨، ص٨٠).
(٤) عبد الهادي علي النجار، الإسلام والاقتصاد، ص١٣٥.

ظروفه الخاصة مثل المرض أو الشيخوخة أو التعطُّل عن العمل عن تحقيق المستوى المعيشي المناسب، فإن بيت مال المسلمين أو خزانة الدولة تتكفَّل بذلك أيًّا كانت جنسية هذا الفرد أو ديانته[١].

وبالرغم من نهوض العالم أجمع لمحاربة الفقر بجميع صوره ومُسبِّباته، فإنه ما يزال هناك مليارات من البشر الذين يعيشون في أحوالٍ صعبة وظروف قاسية، ويقول الدكتور ليفن واتكينز، مدير مكتب تقرير التنمية الإنسانية في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي حول «**ردم الهُوَّة المائية الهائلة**»:

«في مطلع القرن الحادي والعشرين، ووسط الازدهار المُتنامي في الاقتصاد العالمي، ثَمَّة ما يزيد على ٢,٦ مليار إنسان لا يتوفَّر لهم حتى مرحاض بدائي، وهناك ما يزيد على مليار إنسان ليس لديهم مصدر آمن لمياه الشرب، وتتضمَّن الأهداف الإنمائية للألفية تعهُّدًا بتقليص هذا العدد إلى النصف في حلول سنة ٢٠١٥م، ولكن العالم بعيد عن هذا المسار بصفة تدعو إلى اليأس»[٢].

وكشفت دراسة لمركز بحوث الإسكان والبناء والتخطيط العمراني في مصر أن ١٨٪ من الأُسَر المصرية تعيش في غرف مشتركة، وأن مُعدَّل التكدُّس يبلغ سبعة أفراد في غرفة واحدة بالمناطق العشوائية، فضلًا عن اشتراك عشرات الأُسَر في دورة مياه واحدة[٣].

وكشَف تقرير للجهاز المركزي المصري للتعبئة والإحصاء أنَّ ١٢ مليون مصري يعيشون في المقابر والعُشَشَ والجراجات والمساجد وتحت السلالم، كما أشارت وزارة الإسكان المصرية في تقاريرها عن حالة الإسكان إلى أن عدد سكان المقابر يبلغ نحو نصف مليون مواطن في القاهرة وحدها، وتُؤجِّر نحو ١١٥٠ أسرة أحواش المدافن التي تقيم فيها، وهناك ٣٠٨٨ أسرة ليس لديها مطابخ و١٢٣٣ أسرة تستعمل مراحيض مشتركة[٤].

إن رعاية الأُسَر الفقيرة يحظى -بحمد الله- في عصرنا هذا باهتمام كبير من مختلف شرائح المجتمع، لِما فيه من الأجر العظيم والفائدة الكبيرة للقائمين عليه، وللدور الكبير

(١) المرجع السابق، ص١٣٧.
(٢) جريدة النهار اللبنانية، (٢٠٠٦م)، حان الوقت لردم الفجوة المائية الهائلة.
(٣) حمدي سليم، (٢٠٠٧م)، حزام الفقر.. هاجس الأمن، مقال في جريدة (الشرق الأوسط)، العدد ١٠٣٢١.
(٤) المرجع السابق.

الذي يمكن أن تُسْهِم فيه الأُسَر الفقيرة في تحفيز الشباب على العمل، وفي الناتج الملموس الذي يمكن أن يحصل عليه المجتمع عندما يفعّل دور تلك الأُسَر.

لكن علينا أن نعلم أن موضوع العناية بالأُسَر الفقيرة لا يمكن لأفراد قلائل إنجازه، وإنما على المجتمع بأَسْره أن يتحرَّك في هذا السياق، ومن هنا فإن واجبنا –بصفتنا مسلمين أولًا، ومُتطوّعين ثانيًا- أن نباشر ما نستطيع إنجازه من أعمال يمكن أن تُخفِّف وطأة ظاهرة الفقر؛ سواءٌ أكانت دراسات، أم مشاريع إنمائية، أم مُجرَّد سدِّ رَمَق بعض الأُسَر وتوفير بعض احتياجاتها الضرورية.

وعلينا أن ندرك أن مساعينا تُجاه حلِّ هذه الظاهرة قد لا تعدو التخفيف من وطأتها، فالحلُّ الأمثل والتام لها يتطلَّب الكثير كما يقول الدكتور عبد الكريم بكار: «**من العسير جدًّا أن نفهم ظاهرة كظاهرة الفقر دون فهم تاريخ البلد الذي توطَّنتْ فيه الظاهرة، وجُغرافيَّته وموارده الاقتصادية، والعادات الاجتماعية السائدة فيه، وطبيعة النظام السياسي الذي يحكمه، وفعاليَّة نظامه القِيَمي في توجيه السُّلوك، ومدى سيادة القانون والنُّظُم فيه**»[١].

لكن رغم أن البداية قد تكون اهتمامات أفراد ومبادرات أشخاص قلائل، قد تكون أنت من تقرأ هذا الكلام أحدهم، فإنه لا بُدَّ أن يتوسَّع الأمر ليشمل شرائح أوسع من المجتمع، ولا بأس بالاستفادة في البداية من التجارب التي أجرَتها المجتمعات الأخرى، ومَن ثَمَّ إنجاز مشاريع مشابهة لها، وفي الصفحات الآتية أورِد بعض المشاريع الصغيرة التي يمكنها خدمة الأُسَر الفقيرة خدمةً مباشرة أو غير مباشرة، وفي الوقت نفسه بمقدور أفراد قلائل أو مُؤسَّسات صغيرة إنجازها.

(١) عبد الكريم بكار، عصرنا والعيش في الزمان الصعب، ص٢٤.

١ - إعداد إحصائيات بالأُسَر الفقيرة وبرامج لخدمتها

من أَوْلى الخُطوات التي يجب أن تخطوها المجموعة التطوُّعية أو المُؤسَّسة التي تحاول الاهتمام بشؤون الأُسَر الفقيرة إجراء دراسة هذه الأُسَر في المحيط الذي تعمل فيه المجموعة أو المُؤسَّسة، على أن تشمل الدراسة حصرًا لهذه الأُسَر، وتحديدًا لاحتياجاتها وعدد أفرادها، ويمكن الاستفادة من الاستبانة المُوضَّحة في البرنامج التطبيقي رقم (٥) لإتمام هذه الدراسة.

وعلى ضوء النتائج التي ستتوصَّل إليها الدراسة يمكن للمجموعة أو المُؤسَّسة أن تضع برنامجًا مناسبًا لمساعدة تلك الأُسَر، ويمكن أن يكون ذلك من خلال إنشاء صناديق لجمع زكاة الفطر أو زكاة المال أو غيرها من الصدقات العامة، أو من خلال جمع تبرُّعات من المُؤسَّسات والهيئات المَحَلِّية، ويمكن أيضًا وضع صناديق لجمع التبرُّعات العَيْنِيَّة من الملابس والمواد الغذائية المُعلَّبة أو غيرها مما يدخل ضمن احتياجات الأُسَر الفقيرة، مع مراعاة أن تكون هذه المواد صالحة للاستعمال مدةً طويلة.

بعد ذلك، توزّع المجموعة أو المُؤسَّسة الخيرية ما يتجمَّع لديها من زكوات وتبرُّعات على تلك الأُسَر، طبقًا للدراسة التي أجرتها، ويمكن أن تشمل المساعدات دفع مبلغٍ من المال لكل أسرة لمساعدتها على تسيير أمورها، ويمكن أيضًا التكفُّل بدفع فواتير الماء والكهرباء والهاتف عنها، ويمكن أن تكون المساعدات على شكل هدايا للمناسبات والأعياد وخاصة للأطفال، أو بتوفير ملابس ومُستَلزمات المدرسة للأطفال.

وحَرِيٌّ بكل مُؤسَّسة خيرية -ولا سيَّما المَعْنِيَّة بالأُسَر الفقيرة- أن تُنوّع برامجها ووسائلها في الحصول على تبرُّعات، ومن أمثلة ذلك ما يُعرَف بالحقيبة المدرسية، التي فيها يتكفَّل فرد واحدٌ أو أفراد عدة من المجتمع بشراء حقيبة مدرسية لأحد أطفال الأُسَر الفقيرة، على أن تشمل الحقيبة كل ما يحتاج إليه الطفل في مدرسته من دفاتر وأقلام ومُستَلزمات أخرى، وحبَّذا لو احتوت أيضًا على مصروف الطفل في المدرسة، سواءٌ أكان ذلك المصروف اليومي أم الشهري أم السنوي -في حال دفع رسوم الدراسة-، وبعد أن

تتجمَّع تلك الحقائب توزِّعها المجموعة أو المُؤسَّسة الخيرية في أوقاتها المناسبة وحسب الدراسة التي أجرتها.

٢- توفير حافلة لتلبية احتياجات الأُسَر الفقيرة

من الصور الأخرى للاهتمام بالأُسَر الفقيرة تخصيص سيارة أو حافلة يمكن استعمالها لنقل أفراد الأُسَر الفقيرة من مكان إلى آخر، وهذه -بلا شك- ستكون لها فوائد كثيرة جدًّا، وستَحُلُّ مشكلات عديدة للأُسَر الفقيرة، وقد ذكرنا في الباب الثاني كيف جمعَ الدكتور عبد الرحمن السميط وبعض أصدقائه وهم في المرحلة الثانوية مبلغًا من المال من مصروفهم اليومي واشتروا به سيارة لنقل العمال البسطاء إلى أماكن عملهم أو إلى بيوتهم دون مقابل، وكان أفراد المجموعة يتناوبون بعد انقضاء دوامهم على نقل هؤلاء.

يمكن استعمال هذه السيارة أو الحافلة لأغراض كثيرة، نذكر منها ما يأتي:

١- نقل أفراد الأُسَر الفقيرة أو أبنائهم إلى المستشفيات، فقد يكون أحد هؤلاء مريضًا أو عليه مراجعة، أو أن إحدى نسائهم حامل وتريد مراجعة المستشفى، أو أن أحد كبار السِّن يُعاني السكري أو ضغط الدم، أو غيرها من الأمراض الأخرى التي تستدعي مراجعة المستشفى باستمرار، وقد يكون المستشفى بعيدًا عنهم، وفي مثل هذه الحالات قد لا يتأتَّى لهؤلاء أن يجدوا مَن ينقلهم إلى المستشفى كل مرة يَودُّون الذهاب إليه، أو حتى أخذ سيارة أجرة تُقِلُّهم إليه، وقد تُكلِّفهم سيارات الأجرة مبالغ ليس بمقدورهم دفعها.

لذلك، ما أحسنَه أن تكون في كل حيٍّ أو قرية أو -على الأقل- في كل مدينة سيارة أو حافلة تُخصَّص لمثل هذه الحالات، وأن يُحجز رقم هاتف خاص بهذه الخدمة يكون بحوزة صاحب السيارة أو مَن يتولَّى قيادتها، ويُوزَّع هذا الرقم على الأُسَر الفقيرة للاتِّصال به في أيِّ وقت يحتاجون فيه إلى وسيلة نقل!

٢- يمكن أيضًا استعمال هذه السيارة أو الحافلة في نقل أفراد الأُسَر الفقيرة لزيارة أقاربهم أو للذهاب إلى المحالِّ التجارية والأسواق، إذ إن هناك الكثير من الأُسَر الفقيرة التي تحتاج إلى شراء احتياجاتها المنزلية وقد لا تجد مَن ينقلها إلى المحالِّ البعيدة والأسواق.

مثل هذه السيارة أو الحافلة قد تكون أفضل وسيلة لهؤلاء، كأن يُخصَّص لهذا الغرض وقت مُعيَّن في فترة الصباح أو المساء، وتُشعَر الأُسَر الفقيرة بذلك الوقت ويُطلَب من كل مَن يريد منهم الذهاب إلى السوق أو المستشفى أو غيرهما من الأماكن أن يتجمَّع في مكان مُعيَّن، وفي الوقت المُحدَّد تمرُّ السيارة أو الحافلة على مكان التجمُّع وتأخذ مَن كان هناك، كلٌّ إلى مبتغاه.

٣- كذلك، فإن المجتمع يتحمَّل جزءًا من مسؤولية العناية بأطفال الأُسَر الفقيرة؛ فمن حقِّ هؤلاء الاستمتاع بطفولتهم كما يستمتع بها غيرهم من الأطفال، وكذلك من حقِّ أفراد الأُسَر الفقيرة -وإن كانوا كبارًا في السِّن- الذهاب للنُّزهة والفُرجة، ولذا يمكن تخصيص يوم في الأسبوع -أو على الأقل يومين في كل شهر- لأخذ هؤلاء إلى أماكن النُّزْهة كالحدائق والمُتَنَزَّهات والشواطئ وغيرها من الأماكن العامة.

حقيقة، قد تكون مثل هذه المبادرات وسيلة طيِّبة لتفريج هموم هؤلاء وكُرَبهم، وتقليص الفجوة الموجودة بين الفقراء وغيرهم من عموم الناس، فعموم الناس قد تكون لديهم القدرة للذهاب إلى الأسواق والمُتَنَزَّهات وغيرها من الأماكن؛ فمعظمهم يمتلكون السيارات وعندهم النقود، وأما الفقراء فقد لا تتوفَّر عندهم تلك الوسائل، فتكون هذه وسيلة طيِّبة لتقليص تلك الفجوة، ويكون لها أثر طيب -إن شاء الله- في تأليف قلوب هؤلاء بدلًا من أن يَشِبَّ الطفل ويرى نفسه من أسرة فقيرة لا حيلة لها ماديًّا في توفير احتياجاته، وفي الوقت نفسه فهو محروم من جميع وسائل الترفيه، ومثل هذه المبادرات الطيِّبة قد تكون سببًا في تحسيس هؤلاء الأطفال -وكذلك أُسَرهم- بأن المجتمع لم ينسَهم ولن ينساهم.

٤- أيضًا، في كثيرٍ من الأحيان قد تتوفَّر المواصلات العامة لنقل أطفال عموم الناس إلى مدارسهم، وكذلك نقل آبائهم وأمهاتهم وإخوتهم إلى أماكن عملهم، وأما أطفال الأُسَر الفقيرة الذين يذهبون إلى المدارس أو المعاهد الخاصة، وذووهم الذين يرغبون في الذهاب إلى أعمالهم، فقد لا يجدون مَن ينقلهم إلى تلك الأماكن، وعندها يكون استعمال مثل هذه الحافلة العامة وسيلة نافعة لهم.

يبقى أن نتحدَّث عن الآلية التي يمكن من خلالها توفير مثل هذه السيارة أو الحافلة، وبالطبع إن كان هناك إمكان لشرائها فالأفضل فعل ذلك، سواءٌ تكفَّل بقيمتها واحد أم أكثر من الميسورين في البلدة، وإن كان قرضًا يتكفَّل مجموعة من أهل البلدة بإرجاعه إليهم على شكل أقساط.

كذلك، يمكن البحث عمَّن يكون بمقدوره التبرُّع بالسيارة أو الحافلة دون شراء، كأن يكون الشخص لديه أكثر من سيارة فيتبرَّع بواحدة منها، وإن كان التبرُّع ليس بصفة دائمة، كأن يُتفَق بين أهل البلدة بأن تتَطوَّع مجموعة منهم بالتبرُّع بسياراتهم في كل شهر أسبوعًا، أو في كل أسبوع يومًا واحدًا، ويمكن أن يكون التبرُّع ساعاتٍ عديدة في اليوم أو فترةً مُعيَّنة في اليوم؛ كأن تكون في وقت وجود الشخص في العمل أو الدراسة، أو في مكان لا يحتاج فيه إلى استعمال سيارته.

في مثل هذه الحالات يُطلَب من السائق الذي تطوَّع لقيادة السيارة أن يُوصِل صاحبها إلى مكان عمله أو دراسته ثم يرجع هو بالسيارة ويَنقُل أفراد الأُسَر الفقيرة إلى الأماكن التي يرغبون في الذهاب إليها.

أما مَن سيقود هذه السيارة أو الحافلة فيمكن الاتِّفاق مع أحد السائقين ودفع أجرة مُعيَّنة له، سواءٌ أكانت على شكل راتب أسبوعي أم شهري أم بعدد المرات التي يُجري فيها النقل، ويمكن أيضًا لأفراد من البلدة التطوُّع لقيادة السيارة حسب جدول مناوبة يتفقون عليه، فيناوب أحدهم مثلًا في فترة الصباح ويناوب آخر في فترة ما بعد الظهر ويناوب ثالث في فترة المساء ويناوب رابع في فترة الليل، ولا شك أن هناك العديد من الناس

-وخاصة من فئة الشباب أو المُتقاعِدين- الذين يرغبون في التطوُّع بمثل هذه الأعمال، فهم يعلمون أنها سبب لنَيل الأجر العظيم من الله، ويدركون أنها وسيلة سهلة وناجحة لتكافل المجتمع ونشر المَحَبَّة والمَوَدَّة بين أفراده.

٣- إيجاد مصادر دخل للأُسَر الفقيرة

على اللِّجان والمُؤسَّسات الخيرية المَعْنِيَّة بشؤون الأُسَر الفقيرة محاولة إيجاد مصادر دخل لكل أسرة تُمكِّنها من الاعتماد على نفسها بدلًا من أن تبقى عالة على المجتمع، ويمكن أن يكون ذلك بإقامة بعض المشاريع الصغيرة التي تُديرها هذه الأُسَر وتكون في محيط سكناها أو خارجه، وتخدم -على الأقل- المحيط الذي تعيش فيه، ويمكن الاستفادة من أموال الزكاة أو التبرُّعات والصدقات لتمويل مثل هذه المشاريع.

وعلى المجموعة أو المُؤسَّسة التي ترعى شؤون الأُسَر الفقيرة أن تدرب في البداية أفراد تلك الأُسَر على بعض الحِرَف اليسيرة كالخياطة أو غسيل الملابس وكيّها، أو على بعض الصناعات البسيطة كصناعة الحلويات والكعكات والمنسوجات اليدوية والسَّعَفِيَّات، أو نجارة الأعمال الخشبية اليسيرة، ثم تدريجيًّا -وبعد توفُّر المبالغ المطلوبة- تستطيع المجموعة أو المُؤسَّسة منح الأُسرة الفقيرة وسيلة الإنتاج التي تُمكِّنها من الاعتماد على نفسها في تغطية نفقاتها واحتياجاتها، ومن ثم الخروج من دائرة الفقر مستقبلًا.

ويمكن تقسيم هذه المشاريع -حسب المُستفيدين منها- إلى نوعين[١]:

- **النوع الأول**: المشروعات الجماعية، وهي التي تعود فائدتها على مجموعة كبيرة من الفقراء؛ مثل حفر الآبار، وتوفير الأجهزة الطِّبية للمستشفيات، وإقامة الصيدليات التي تبيع الدواء بأسعار مُخفَّضة، وإقامة المشروعات الإنتاجية الجماعية من مصانع ومزارع وغيرها.

(١) الطيب لحيلح، (٢٠٠٧م)، دور مشروع الأُسَر المنتجة في مكافحة الفقر، دراسة تطبيقية على محافظة النهود في جمهورية السودان.

- **النوع الثاني:** المشروعات الفردية، وهي التي تستفيد من ناتجها أسرة واحدة فقط، وتختلف هذه المشاريع باختلاف المنطقة؛ ففي الأرياف عادة ما تكون وسيلة الإنتاج قطيعًا من الماشية، أو عربة يجرُّها حمار أو حصان، أو معصرة لقصب السُّكَر، أو مصنعًا لتعليب التمور، أو مطحنة للحبوب والبهارات، أو غيرهما مما يتناسب مع الريف، وأما في المدن فوسائل الإنتاج عادة ما تكون سيارة أجرة أو محلًّا لبيع الحواسيب والهواتف أو صيانتها، أو مخبزًا، أو مطعمًا أو مقهًى، أو مصنعًا صغيرًا أو غيرها مما يتناسب مع المدينة.

ومن أمثلة المشاريع الصغيرة التي يمكن للأُسَر الفقيرة الاستفادة منها شراء ماكينات خياطة أو مُستَلزمات الخياطة لها، ثم توعية الناس الذين يعيشون في محيطها أو في القرى المجاورة بخياطة ملابسهم عند تلك الأُسَر، ويمكن للمُؤسَّسة الخيرية أيضًا فتح حضانات للأطفال في بيوت بعض الأُسَر الفقيرة، وتخصص الأسرة غرفة في بيتها لهذا الغرض، ثم تجهّز المُؤسَّسة الغرفة بالألعاب المناسبة للأطفال، ثم يجري إشعار أهل المنطقة لترك أولادهم عند هذه الأسرة في حال رغبة الأُمَّهات في تأدية أعمالهنَّ الخاصة.

ومع تفشّي ظاهرة استجلاب الخَدَم للعمل في البيوت -وخاصة في دول الخليج-، يمكن التنسيق بين بعض الأُسَر الفقيرة التي لا ترى حرجًا في العمل في البيوت، وبين الأُسَر التي تبحث عن مُعين لتدبير شؤون بيتها أو رعاية أطفالها، فبدلًا من أن تجلب هذه الأُسَر عاملات أجنبيات، يمكنها الترتيب مع بعض النساء من الأُسَر الفقيرة بطريقة مباشرة أو من خلال المُؤسَّسات الخيرية، فتعمل هذه النساء في بيوت الأُسَر الراغبة في فترات مُعيَّنة كفترات غياب الأم عن البيت بسبب العمل أو الدراسة، أو عندما تخرج لزيارة جاراتها أو لقضاء حاجاتها، فتساعد المرأة من الأسرة الفقيرة تلك الأم في تدبير شؤون البيت وترتيبه وفي رعاية الأطفال، وهذا -في حدِّ ذاته- من أنواع التكافل الاجتماعي الذي يمكن أن يبعث الأُلفة والمَوَدَّة والتَّماسُك بين أفراد الأُسَر المُتجاوِرة.

٤- توعية الأُسَر الفقيرة

إن غالبية الشعوب المسلمة تعيش تحت مستوى خطِّ الفقر، ولذا فإنها -في معظم الأحيان- لا تحظى بنصيبٍ وافرٍ من التعليم والثقافة، وإذ إنه معروف حضاريًّا أن العلم يصنع المعجزات، فلذا لا يمكن لهذه المجتمعات أن تخرج من مستنقع الفقر ونغص اللَّهاث وراء لقمة العيش إلا إن استطاعت أن تحظى بقسطٍ وافرٍ من العلم، وعليه يلزم مُؤسَّسات العمل التطوُّعي أن لا تقصُر اهتمامها فقط على توفير الاحتياجات المادية لهذه الأُسَر، وإنما عليها أن تُكرِّس جهودها لتوعيتها ورفع مستواها الإيماني والعلمي والثقافي.

من هنا، فإن الاهتمام بهذا الجانب يعد فريضة دينية ومدنية وحضارية، وأيُّ تقصير فيه يعد جريمة، ليس فقط في حقِّ أفراد هذه الأُسَر وإنما في حقِّ الأُمَّة بأسْرها، والبرامج التعليمية والتثقيفية التي يمكن أن تُفعِّل دور هذه الأُسَر يجب أن تكون مدروسة ومُنظَّمة -وإن كان القائمون عليها مُتطوِّعين- وذلك لخطورة التقصير في هذا الجانب أو عدم الوضوح في أهدافه ووسائله، وإن كان المقام لا يتَّسع هنا لمناقشة هذا الموضوع من جميع جوانبه، إلا أننا سنُؤكِّد هنا بعض النقاط الضرورية وهي:

- ✓ وجوب المبادرة الجادَّة والفعَّالة لإيجاد هيئات تطوُّعية تتخصَّص في الاعتناء بهذا الجانب فقط.

- ✓ وجوب مشاركة جميع فئات المجتمع في مسيرة التغيير التي يرمي إليها هذا المشروع، فهو -بلا شك- مشروع ضخم ويحتاج إلى جهود ودعم مادي ومعنويٍّ متواصل، ولا يمكن للهيئات التطوُّعية تأدية دورها في هذا الجانب إلا إن وَجَدَت التضامن والمشاركة والدَّعم الماديَّ والمعنويَّ من جميع أفراد المجتمع.

- ✓ ضرورة الإخلاص في تنفيذ المشروع، وخاصة فيما يتعلَّق بصياغة أهدافه وتحديد مَعالِمه ووسائله وبلورة مفرداته، فأيُّ تهاون أو تقصير فيه قد يُخرِج مجتمعات بأسْرها من هويتها الإسلامية، فليس العلم والثقافة هما الغاية في حدِّ ذاتهما وإنما أن يسيرا ضمن إطار الشريعة وتعاليم الإسلام.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- ناقِش مع بعض زملائك موضوع الأُسَر الفقيرة في محيطكم، وإمكان تشكيل جمعية أهلية أو فريق خيري يخدم تلك الأُسَر والأمور المُتعلِّقة بها، ثم عليكم صياغة الخطوات الأولى لإخراج الفكرة إلى حيّز التنفيذ.
- ابدأ مع بعض زملائك تطبيق فكرة الحقيبة المدرسية، وذلك بوضع قائمة بما يجب أن تحتويه كل حقيبة وبطرق توزيعها، ثم بادروا بنشر الفكرة بين أفراد المجتمع للحصول على تبرُّعات لشرائها، وأيضًا لمعرفة المُستحقِّين لها.
- اذكُر بعض فوائد الحافلة العامة المُقتَرَح توفيرها لخدمة الأُسَر الفقيرة وسَلْبِيَّاتها.
- اذكُر بعض التحدِّيات المُتعلِّقة بتوفير الحافلة المُقتَرَحة لخدمة الأُسَر الفقيرة وإدارتها، والسُّبُل المطروحة في هذا الفصل للتغلُّب عليها.
- ناقِش مع بعض الأشخاص الذين لهم اهتمامات بخدمة المجتمع إمكان توفير مثل هذه الحافلة، ثم خُذ أنت ورفاقك الخطوات العملية المُقتَرَحة في هذا الفصل لشراء الحافلة العامة وتسييرها.
- اذكُر بعض الأعمال والمشاريع الأخرى المُتعلِّقة بإيجاد مصادر دخل للأُسَر الفقيرة التي لم يُتطرَّق إليها في هذا الفصل.
- ناقِش مع بعض الميسورين وأصحاب الأعمال ومَن لهم اهتمامات بالعمل الخيري في المحيط الذي تعيش فيه إمكان توفير بعض الأعمال والمشاريع المُقتَرَحة في هذا الفصل وغيرها التي ترونها مناسبة لإيجاد مصادر دخل للأُسَر الفقيرة، ثم بادروا بوضع خطة لتفعيلها.
- في نظرك، ما التحدِّيات التي قد تُواجه مَن يريد الاهتمام بجانب تثقيف الأُسَر الفقيرة؟ وكيف يمكن التغلُّب عليها؟

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- أَعِدَّ دراسة عن المستويات التعليمية التي وصل إليها أفراد الأُسَر الفقيرة في محيطك، ثم ناقش نتائج تلك الدراسة مع مَن لهم اهتمامات بهذا الموضوع، وحاولوا وضع بعض البرامج التثقيفية التي تستهدف الأُسَر التي شملتها تلك الدراسة.
- ذُكِر في هذا الفصل أن أيَّ تهاون أو تقصير في البرامج المطروحة لتثقيف الأُسَر الفقيرة قد يُخرِج مجتمعات بأسْرها عن هويتها الإسلامية. ناقش هذه القضية مع بعض زملائك، وتعاونوا على وضع الخطوات الجادَّة لتلافي حدوث مثل هذه الظاهرة.
- اشتَرِك مع بعض زملائك في وضع دراسة حول دور ديننا الحنيف في الاهتمام بالأُسَر الفقيرة، مع تدعيم دراستكم بشواهد من القرآن الكريم والسُّنة المُطهَّرة وأقوال السلف الصالح، وأيضًا ببعض الوقائع التي دُوِّنت في كتب السيرة والتاريخ حول هذا الموضوع.

برنامج تطبيقي رقم (٥)

(استبانة لدراسة أحوال الأُسَر الفقيرة)

هذه الاستبانة مُعدَّة لجمع معلومات عن جميع الأُسَر الموجودة في المحيط الذي تعيش فيه، ومن خلال هذه المعلومات يمكن تحديد الأُسَر الفقيرة، ويمكن تصميم الاستبانة باستعمال برامج قواعد البيانات أو برامج غيرها مثل (وورد) أو (إكسل)، ويمكن طباعتها وملؤها ورقيًّا أو إدخال البيانات مباشرة في البرنامج.

تاريخ جمع المعلومات: _____

اسم الشخص الذي أجرى تعبئة البيانات: _____

بيانات عامة:

رقم الأسرة	_____
اسم الأسرة	_____ البلدة: _____ المنطقة: _____
اسم رب الأسرة	_____
رقم الهاتف	_____
العنوان البريدي	
مصادر دخل الأسرة (اذكر المبلغ الإجمالي من كل مصدر دخل)	راتب وظيفي: _____ عمل حر: _____ ضَمان اجتماعي: _____ إيجار عقار: _____ زراعة: _____ تجارة: _____ أخرى: _____

حالة المنزل	هل المنزل مبني على الطراز الحديث؟ ___ نعم ___ لا عمر المنزل: _____ سنة مكونات المنزل: ____ غرف نوم ____ مجلس رجال ____ مجلس نساء ____ مطبخ ____ دورات مياه تمويل بناء المنزل: ___ الوزارة[1] ___ بنك الإسكان ___ قرض حكومي ___ قرض بنكي ___ تمويل شخصي
ممتلكات أفراد الأسرة (اذكر العدد)	___ بستان زراعي ___ محل تجاري ___ أرض فضاء
السيارات التي تمتلكها الأسرة	عدد السيارات: _____ حالتها: _____
ديون الأسرة (اذكر المبلغ الإجمالي لجميع أفراد الأسرة)	___ قرض بنكي: المبلغ المتبقّي: _____ قيمة القسط الشهري: _____ ___ قرض شخصي: المبلغ المتبقّي: _____ قيمة القسط الشهري: _____

بيانات الأسرة الرئيسة[٢]:

	العُمْر	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
الزوج						
الزوجة						

الأولاد والإخوة والأعمام والأخوال (يُذكَر جميع أولاد رب الأسرة وإخوته وأعمامه وأخواله من غير المُتزوجين):

م	الاسم	الجنس	العُمْر	الحالة الاجتماعية	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
١									
٢									
٣									
٤									
٥									
٦									

(١) يُقصَد بها الوزارة المَعْنِيَّة بالضَّمان الاجتماعي.
(٢) في حال وجود آخرين غير متزوّجين يعيشون مع الأسرة؛ مثل الجد والجدة والإخوة والأعمام والأخوال، يمكن إدراج أسطر إضافية لهم في هذا الجدول، وإن كانوا مُتزوّجين تُدرَج كل أسرة ضمن الأُسَر الفرعية.

٧									
٨									
٩									
١٠									
١١									
١٢									
١٣									
١٤									
١٥									

بيانات الأسرة الفرعية[1] الأولى: (اسم رب الأسرة: _____ علاقته برب الأسرة الرئيسة: _____)

	العُمْر	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
الزوج						
الزوجة						

الأولاد:

م	الاسم	الجنس	العُمْر	الحالة الاجتماعية	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
١									
٢									
٣									
٤									
٥									
٦									
٧									
٨									

(١) يُقصَد بالأُسَر الفرعية أُسَر الأولاد والإخوة والأعمام والأخوال المُتزوِّجين الذين يعيشون في البيت نفسه.

٩									
١٠									

بيانات الأسرة الفرعية الثانية: (اسم رب الأسرة: _____ علاقته برب الأسرة الرئيسة: _____)

	العُمْر	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
الزوج						
الزوجة						

الأولاد:

م	الاسم	الجنس	العُمْر	الحالة الاجتماعية	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
١									
٢									
٣									
٤									
٥									
٦									
٧									
٨									
٩									
١٠									

بيانات الأسرة الفرعية الثالثة: (اسم رب الأسرة: _____ علاقته برب الأسرة الرئيسة: _____)

	العُمْر	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
الزوج						
الزوجة						

الأولاد:

م	الاسم	الجنس	العُمْر	الحالة الاجتماعية	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
١									
٢									
٣									
٤									
٥									
٦									
٧									
٨									
٩									
١٠									

الفصل الثاني

رعاية شؤون الأطفال

كما نعلم، فإنه في أيّ مجتمع من المجتمعات هناك نسبة كبيرة منه تكون في سِنّ الطفولة، وهناك العديد من الواجبات التي على المجتمع أن يُقدِّمها لهذه الشريحة، ولكن –مع الأسف الشديد- معظم مُؤسَّسات المجتمع تُوجِّه معظم خدماتها لتلبية احتياجات الكبار، وأما الصِّغار فالمُؤسَّسات التي ترعاهم قليلة، ولذا فإن هناك فئات من الأطفال يحصلون على أقلَّ جِدًّا من المستوى المطلوب لرعايتهم، ومن هؤلاء -مثلًا- الأيتام وأبناء الأُسَر الفقيرة وأصحاب الاحتياجات الخاصة كالمعوقين وغيرهم.

وعلينا كذلك أن لا ننسى الأطفال الذين كانوا ضَحِيَّة إفرازات الحضارة المعاصرة؛ فقد تكون الأم تعمل –سواءٌ أكانت مُعلِّمة أم طبيبة أم في أيّ عمل آخر- وربما تَدرُس في الجامعة أو الكلية، ويبقى الطفل موكولًا إلى الجَدَّة أو الخادمة، وقد لا تكون هذه الأيادي أمينة أو واعية تستطيع تربية هؤلاء الأطفال أو حتى تلبية احتياجاتهم كما ينبغي، ولذا ندرك أن مجال التطوُّع في هذا الجانب كما هو واسعٌ ورحب فكذلك ضروريٌّ ومُلِحٌّ.

إن التطوُّع هنا قد يكون أفضل وسيلة لحصول هؤلاء الأطفال على الرعاية المطلوبة وتوفير وسائل الترفيه والتسلية المناسبة لأعمارهم، والتي -في الغالب- ما يكونون محرومين منها ويتمنَّوْن أن يحظَوْا باللَّعِب بها، وفيها أيضًا حماية لهم من التسكُّع في الشوارع ومصاحبة رفقاء السوء، وفوق ذلك هي وسيلة مناسبة لتعليمهم أمور دينهم ومناهج دراستهم.

وهنا أنصح الإخوة والأخوات الذين يرغبون في المشاركة في المراكز التطوُّعية التي تُعنى بشؤون الأطفال عمومًا، وأيضًا الفتيات والأُمَّهات الراغبات في مساعدة الأُسَر على تربية أطفالهم ورعايتهم، أنصح كل هؤلاء أن يفقهوا أولًا الوسائل العلمية الصحيحة لتربية الأطفال، التي قد يحصلون عليها من خلال الكتب والمقالات والمحاضرات وغيرها من

الوسائل التي تعالج موضوع تربية الأطفال، وأفضل من ذلك حضور دورات مُتخصِّصة في هذا المجال، وعليهم مواصلة تنمية مهاراتهم وقدراتهم في هذا الجانب لكي لا يسيئوا إلى الأطفال من حيث يريدون الخير لهم.

١ - رعاية اليتامى وكفالتهم

من الأمور التي تصبُّ مباشرة في موضوع الاهتمام بالأطفال الاعتناء باليتامى ورعايتهم وكفالتهم؛ فكلنا يعلم أنه نادرًا ما يخلو مجتمع من أطفال يتامى، وغالبية هؤلاء قد لا يحصلون على ما يُلبِّي احتياجاتهم، وخاصة عندما يفقدون العائل المُهِمَّ الذي كان يرعاهم ويُلبِّي احتياجاتهم وهو الأب أو الأم أو ربما الاثنان معًا، وقد يكون الحال أفضل عندما يكون الأب على قيد الحياة لأنه سيكون باستطاعته أن يتزوَّج بامرأة أخرى لترعى أطفاله اليتامى، وأيضًا قد لا يتضرَّر الأطفال ماديًّا لأن العائل الرئيس لهم -وهو الأب- ما يزال على قيد الحياة، ولكن حال الأسرة قد يسوء كثيرًا عندما يُتوفَّى الأب وتبقى الأم الراعية الأولى -وربما الوحيدة- للأسرة كلها.

وكما نعلم فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أوصى باليتيم خيرًا فقال: ((أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا)) وأشار بالسَّبَّابَةِ والوُسْطى وفَرَّجَ بينهما شيئًا[1]، وهو يدلُّ على الأجر العظيم الذي يحصل عليه مَن يرعى هؤلاء الأيتام، ويقول سبحانه: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، وهو يُصوِّر ما قد يؤول إليه حال الطفل عند فقد أحد والديه أو كليهما.

وقد يقول قائل إن لهؤلاء الأيتام -في الغالب- أُناسًا من ذويهم يكفلونهم ويُلبُّون احتياجاتهم، ولكنهم -ولو سلَّمنا بذلك- قد لا يحظَوْن بالرعاية المطلوبة؛ فقد يعيشون في فقر وحاجة، وخاصة بعد أن تفقد الأسرة الأب وتتحوَّل من وضعها الاجتماعي الذي كانت تعيشه إلى وضع أقرب إلى حياة الأُسَر الفقيرة، وهو ما نشاهده في كثير من الأُسَر التي

(١) شرح السُّنَّة للبغوي (حديث رقم: ٣٤٥٤، ج١٣، ص٤٣، عن سهل بن سعد -رضي الله عنه-.

فقدت العائل الرئيس لها وهو الأب، وعندها يُصبح من واجبات المجتمع مساعدة الأم التي يكون عندها في -كثير من الأحيان- مجموعة من الأطفال الصِّغار أو البالغين، ولا يكون بإمكانها رعايتهم فضلًا عن توفير النَّفقات لهم.

من هنا، قد يكون من أساسيات مشروع كفالة اليتامى القيام أولًا حصر الأُسَر والأيتام الذين يعيشون فيها، ثم إعداد برامج خاصة لهم، كأخذهم للنُّزهة أو تقديم الهدايا لهم بين كل حين وآخر وخاصة في المناسبات، أو زيارتهم لتقديم المساعدات المالية لهم ولأُسَرهم التي تتولى إعالتهم، أو زيارتهم في البيت أو المدرسة لمتابعة دراستهم وأحوالهم الصحية، ومساعدة الأم على أخذهم إلى المشافي للعلاج أو أخذ التحصينات والفحوصات التي يحتاجون إليها.

٢- الاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة

بناءً على الإحصاءات الصادرة عن الأمم المتحدة والمُنظَّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، يُمثّل ذوو الاحتياجات الخاصة (المُعوَّقون) ما نسبته ١٠٪ - ١٥٪ من سُكَّان العالم، وترتفع النسبة في العالم العربي ودول العالم النَّامي إلى أكثر من ذلك، كما تشير الإحصائيات أيضًا إلى أن نسبة كبيرة من هذه الفئة لا تتلقّى الحدَّ الأدنى من الاهتمام والرعاية والدَّعم والتوجيه والتربية والتعليم المطلوبة ليتحوَّلوا إلى فئات مُنتِجة ومُفيدة في المجتمع.

لذا، فإن رعاية هؤلاء وتأهيلهم وتدريبهم تُعَدُّ رسالة سامية ذات أبعاد إنسانية؛ فتقديم الخدمات لهم وإعطاؤهم الحقوق التي تكفُل لهم حياة إنسانية كريمة تُمكّنهم من الاندماج في المجتمع، وتُعين المجتمع على الاستفادة من إمكاناتهم وقدراتهم والطاقات المبذولة من طرفهم، يُعد من واجبات المجتمع تجاههم، وهو ما يساعد على إكسابهم الثِّقة بأنفسهم لكي يُصبِحوا قادرين على ممارسة حقوقهم في العِلم والعمل والإنتاج والإبداع.

وقد وجَّه الإسلام أتباعه إلى الاهتمام بهذه الفئة فعدَّها من فروض الكفاية على الأُمَّة، التي تَأْثَم إن قصَّرت فيها، ولذا حثَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ذلك فقال: ((ابغُوني الضُّعفاءَ، فإنما تُرزَقُون وتُنْصَرون بضعفائِكم))[1]، وقال: ((هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُم))[2]، فكثيرٌ من هؤلاء هم من أشدِّ الناس إخلاصًا في الدعاء، ومن أكثرهم خشوعًا في العبادة لبُعْد قلوبهم عن التعلُّق بزخارف الدنيا؛ فالضعيف غالبًا إذا رأى عجزه تبرَّأ من حوله وقُوَّته واستعان بالله، بخلاف القَويِّ الذي كثيرًا ما يغترَّ بحاله وقُوَّته ويُعجَب بنفسه.

ولا تقتصر رعاية المُعوَّقين على مُجرَّد مساعدات مالية خيرية بسيطة تُقدَّم لهم، بل أصبحت قضية مُهِمَّة ورسالة اجتماعية سامية تحظى باهتمام كبير ومتزايد في دول العالم المُتقدّم، وتستلزم تضافر جهود جميع أفراد ومُؤسَّسات المجتمع لإيجاد ودعم السياسات الواقعية والجادَّة المُتعلِّقة بعلاجهم وتعليمهم وتشغيلهم، إضافة إلى ضمان حقوقهم الإنسانية والصحية والتربوية والنفسية والاجتماعية، وإقامة المراكز والمُؤسَّسات الراعية لهم ولحقوقهم في مختلف المجالات، والمدارس والمعاهد التي تُقدِّم التعليم والتأهيل المناسبَيْن لكل فئة منهم، وتُقدِّم الخدمات التي تُعينهم على تذليل الصِعاب التي تُواجههم من خلال تغيير قناعاتهم واتِّجاهاتهم وأفكارهم نحو الذات والمجتمع، ومساعدتهم على اكتساب مهارات الحياة اليومية التي تُعينهم على حلِّ مشكلاتهم والعناية بأنفسهم.

فعلى سبيل المثال، يجري تعليم أصحاب مُشكِلة السَّمع لغةَ الإشارة والقراءة، وإعطاؤهم الفرصة للإبداع والإنتاج، وأصحاب مُشكِلة البصر يُعلَّمون لغة «بريل»، وكذلك أدوات التحدُّث والسَّماع والتَّعامُل مع المجتمع، ويُعطَون مَهَامَّ تُناسِب قدراتهم، ومَن كانت لديه مشكلات عقلية يُلحَق بالمراكز المُتخصّصة التي تقوم على علاجهم ومساعدتهم ليُصبِحوا فاعلين ومُنتجين في مجتمعاتهم، فكم رأينا وسمعنا عن حفظ كتاب الله من فاقدي البصر، وصار بعضهم يَؤُمُّ الناس في الصلوات بصوته الجميل وحِفْظه المُتقَن! وكم رأينا من أصحاب العاهات والإعاقات المختلفة الذين يتنقَّلون بكراسيَّ مُتحرّكةٍ، ومع ذلك يُبدعون في التصوير والرسم وغيرهما من الفنون!

(١) سنن أبي داود (حديث رقم: ٢٥٩٤، ج٤، ص٢٣٦) من حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه-.
(٢) صحيح البخاري (حديث رقم: ٢٨٩٦، ج٤، ص٣٦) من حديث مصعب بن سعد -رضي الله عنه-.

٣- مساعدة الأُمَّهات اللاتي يعمَلْنَ أو يَدْرُسْنَ أو لَدَيْهِنَّ أطفال كثيرون

لقد أصبح ذهاب المرأة إلى العمل أو مواصلتها الدراسة في الجامعة أو الكلية من الموضات المُستَجِدَّة في هذا العصر، والتي لا مناص من التعايش معها، وهذا الأمر قد يكون من الصعوبة بمكان عندما تكون المرأة مُتزوِّجة ولديها أطفال، فعندها سيُسْنَد أمر هؤلاء -في أغلب الأحيان- إلى الخادمة، وهذه -وإن كانت مسلمة- إلا أنها -غالبًا- لا تعرف اللغة العربية، وقد لا تعرف الطريقة الصحيحة لتربية الأطفال.

لهذا، لا بُدَّ من أن توجد في كل مجتمع من الأخوات الراغبات في التطوُّع لمساعدة أمثال هؤلاء الأُمَّهات، وعلى هذه الأخوات تحسُّس الأُسَر التي توجد فيها مثل هذه الحالات، وإذا وجدت الأخت أسرة بها أطفال صغار، والأب يذهب إلى العمل والأم تذهب إلى العمل أو الدراسة، فعندها يمكن لهذه الأخت أن تبقى مع الأطفال في فترة الصباح أو تأخذهم إلى بيتها أو للنُّزهة إلى حين عودة الأم، وإذا كان بين الأطفال رضيع فيمكن للأخت المُتطوِّعة أن تُقدِّم له في الأوقات المعتادة الحليب الذي تتركه الأم، فمثل هذه المبادرات لها أثر طيِّب في زيادة الترابط والمَحَبَّة بين أفراد المجتمع.

ورغم أن الحديث هنا هو حول التطوُّع، فإنه إن أمكن التَّفاوُض مع الأُمَّهات لِيَدْفَعْنَ مكافآت -ولو قليلة- للأخوات المُتطوِّعات، فعندها يكون الأمر أكثر تحفيزًا لهُنَّ، وإن لم يمكن ذلك فعلى الأخت المُتطوِّعة أن تعلم أنها تكسب بعملها هذا الأجر والمثوبة من الله -سبحانه وتعالى- إن أخلصت النية في ذلك، وفي الوقت نفسه هي فرصة لها لاكتساب الخبرة التي قد تحتاج إليها عندما يكون لديها أطفال، ولا ننسى أيضًا أن هذا العمل نوعٌ من التكافل الاجتماعي، وأسلوبٌ من أساليب الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-.

وهناك أيضًا الأُمَّهات اللاتي يُربِّين مجموعة من الأطفال الصِّغار المُتقارِبين في السِّن، وقد يصعُب عليهنَّ رعايتهم وتربيتهم على الوجه المطلوب بمُفْرَدِهِنَّ، ويصعُب عليهنَّ كذلك تأدية شؤون البيت من تنظيف وإعداد للطعام، ولذا تلجأ بعض النساء إلى ترك الأطفال أمام التلفاز أو الآيباد أو الهاتف، وهذه وسائل تُدمِّر عقول الأطفال وصِحَّتهم، ولذا يمكن

للأخوات الراغبات في التطوُّع الذهاب إلى هؤلاء الأُمَّهات بين كل فترة وأخرى، ومساعدتهن على تأدية شؤون البيت؛ كأن تذهب الأخت المُتطوِّعة في فترة إعداد الغداء، وتأخذ الأطفال للعب أو لتعليمهم شيئًا من القرآن أو تشغل أوقاتهم بالقصص والتَّسالي المختلفة، وبذلك يتهيَّأ للأم الوقت الكافي لتنظيف البيت أو إعداد الغداء وهي مرتاحة البال.

جانب آخر من جوانب التطوُّع في هذا المجال هو في مساعدة هؤلاء الأُمَّهات عندما يَذْهَبْنَ إلى المستشفى، ويَأْخُذْنَ أطفالهن للعلاج أو التطعيم أو الفحص الدوري أو لتنظيف الأسنان، وفي أغلب هذه الحالات يكون من الصعب على الأم -وهي وحيدة في البيت- أن تذهب إلى العيادة بمفردها، فهي ستحتاج إلى قيادة السيارة وفي الوقت نفسه العناية بالأطفال، وقد لا تريد أخذ جميع أطفالها معها إلى المستشفى، ولذا ستحتاج إلى مَن يرعاهم في البيت، وهنا يمكن أن تتطوَّع إحدى الأخوات بالبقاء مع الأطفال في البيت، وربما تتطوَّع أخرى بالذهاب مع الأم في السيارة، وحبَّذا لو أشعرَت الأخوات المُتطوِّعات الأُمَّهات بأنهن مُستعِدَّات لتأدية مثل هذه الأعمال دون مقابل.

ولتسير عملية التطوُّع في هذا الجانب بسلاسة ويُسْر، يُفضَّل أن تشكّل الأخوات الراغبات في التطوُّع فريقًا لهذا الغرض، أو يكون الفريق ضمن فِرَق أو مُؤسَّسات تطوُّعية تخدم المجتمع، وفي الحالتين لا بُدَّ من تنظيم عملية التطوُّع وخاصة ما يتعلَّق بتسجيل المُتطوِّعات والأُمَّهات الراغبات في الحصول على العون والمساندة، إلى ما هناك من أمور إدارية؛ كضبط التبرُّعات والمصاريف، ووسائل وصول المُتطوِّعات إلى الأُمَّهات، وغيرها من الأمور الأخرى.

٤- إقامة رياض للأطفال

من المجالات الأخرى المُهِمَّة في جانب الاهتمام بالأطفال إقامة حلقات أو جلسات لتعليمهم، فيمكن أن تتَّفق بعض الأخوات لجمع الأطفال الصِّغار الذين هم دون سِنِّ

المدرسة -أو حتى في بدايات سِنّ المدرسة- في أحد المنازل أو مدارس تحفيظ القرآن أو غيرها من الأماكن العامة، ثم يُعلِّمنهم الحروف والأرقام، وكذلك القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية، أو غيرها من العلوم النافعة.

مثل هذا المكان سيكون بمنزلة روضة للأطفال، ويمكن أن تتضافر جهود أهل الحيّ للتبرُّع بتوفير وسائل اللَّعِب والترفيه لهذه الروضة؛ ما يكون له دور إيجابيٌّ في إراحة الأُمَّهات لكي يَسْتَطِعْنَ إنهاء أعمالهنَّ المنزلية، أو قضاء بعض الأوقات في القراءة أو زيارة الأقارب أو حتى الذهاب إلى المدرسة.

ولمثل هذه الروضات أيضًا دورٌ إيجابيٌّ آخر وهو مذاكرة الدروس؛ إذ إن أطفال الصفوف الأولى غالبًا لا يذاكرون دروسهم من ذوات أنفسهم، ولذا يمكن أن تُقام في هذه الروضة حلقات مذاكرة لطلاب الصفوف الأولى.

وإضافة إلى التطوُّع في هذا الجانب من الأخوات فإنه يمكن لبعض الإخوة أيضًا -سواءٌ أكانوا مُعلِّمين أم يعملون في وظائف أخرى- أن يتبرَّعوا ببعض أوقاتهم في الفترات التي لا يكون لديهم فيها أعمال كفترة ما بعد العصر أو ما بين المغرب والعشاء، وفيها يساعدونَ طلاب الحيّ من الذكور على مذاكرة دروسهم وحلّ واجباتهم المدرسية، وأما ما يتعلَّق بتقديم الدروس والحلقات العلمية للطلاب، فيمكن ترتيب الأمر بحيث يناوب في الروضة عدد مُعيَّن من الأشخاص، يكون اختيارهم بحسب الفترات التي لا يعملون فيها أو ليست لديهم فيها ارتباطات.

أما المكان الذي سيُخصَّص لروضة الأطفال فإنه سيحتاج إلى تجهيزه بالأثاث والألعاب والأدوات الأخرى كالسبورة والأقلام وربما حواسيب وشاشة عرض، ويحتاج أيضًا إلى خدمات الكهرباء والماء، ويمكن تمويل تكاليف كل هذه الأشياء إما بالتبرُّع بها من أهل الحيّ أنفسهم، وإما بالحصول على معونات مالية من مُؤسَّسات حكومية أو خاصة لها اهتمامات بشؤون الأطفال أو خدمة المجتمع عمومًا.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكُر بعض فئات الأطفال التي تحتاج إلى رعاية من المجتمع.
- اذكُر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحثُّ على الاهتمام باليتامى.
- تحدَّث عن الجوانب المختلفة التي يمكن من خلالها مساعدة الأطفال اليتامى.
- أَجْرِ دراسة لِتَحرِّي عدد الأطفال اليتامى في المحيط الذي تعيش فيه وأحوالهم وأحوال الأُسَر التي يعيشون فيها؛ ماديًّا وعلميًّا، وعلى ضوء تلك الدراسة اتَّفق مع بعض زملائك أو المُؤسَّسات المَعْنِيَّة بالأعمال الخيرية لوضع برنامج لرعايتهم وكفالتهم.
- أُسْرُد عددًا من أصناف ذوي الاحتياجات الخاصة من الأطفال، واذكر بعض الأعمال التطوُّعية التي يمكن إنجازها لخدمة كل فئة منهم.
- اذكُر بعض الصُّوَر المُشرقة في العصر النبوي وعصر الصحابة -رضوان الله عليهم- في الاهتمام بفئة الضعفاء (ذوي الاحتياجات الخاصة).

تحدَّث عن الجوانب التي يمكن من خلالها التطوُّع لمساعدة الأُمَّهات اللاتي لديهنَّ أطفال صغار.

- إذا كانت في بيتكم بناتٌ أو نساء قعيدات المنزل فحاول تشجيعهن لمساعدة الأُمَّهات اللاتي لديهنَّ أطفال صغار، وحبَّذا لو تُجْرون معًا دراسةً مُيسَّرةً عن أولئك الأُمَّهات واحتياجاتهنَّ وسُبُل مساعدتهنَّ.
- تحدَّث عن أهمية رياض الأطفال والدور الذي يمكن أن تُؤدِّيه في المجتمع.

تحدَّث عن الطرق المناسبة لتمويل وتفعيل رياض الأطفال التطوُّعية.

- إذا كانت لا توجد في الحيِّ الذي تقطن فيه روضة أطفال تطوُّعية، فبادر -بالتعاون مع بعض المخلصين- بإنشاء واحدة، وإن كانت في البداية يسيرة من حيث المساحة والإمكانات.

الفصل الثالث

زيادة الترابط بين أفراد الحيِّ أو القرية

بات واضحًا لكل ذي بصيرة أن الحياة المعاصرة قد أضعفت ترابط الناس في القرى والأرياف بنحوٍ ملحوظ؛ فالرجال -وعدد لا بأس به من النساء- ينزحون بعد انقضاء العطلة الأسبوعية إلى المدن والعواصم ليقضوا في وظائفهم أسبوعًا كاملًا أو أسبوعين وأحيانًا أكثر من ذلك، وهناك أيضًا طلاب الجامعات والكليات الذين يرحلون عن ديارهم، ومعظمهم لا يعودون إلى بلدتهم إلا في أوقات الإجازات أو عندما يشعرون بحاجتهم إلى الراحة من عناء الدراسة ونغص الامتحانات، وطلاب المدارس يقضون معظم يومهم في مدارسهم، ولا يبقى في الأحياء والقرى إلا ربَّات البيوت والشيوخ والعجائز وصِغار الأطفال، وفي البلدان -وخاصة دول الخليج- الخدم والمزارعون والعُمَّال الوافدون.

في هذه الأجواء تتقلَّص الأواصر وتَضعُف الروابط وتتفكَّك العلاقات، وتُصبِح الأحياء والقرى مُجرَّد منتجعات لقضاء العطل والإجازات، ومن هنا لزِم تدارك الأمر من خلال بعض الأنشطة والفَعاليات التي على أهل الحيِّ تأديتها لتحفظ لهم هُويَّتهم وتماسكهم، وهذا ما سنتطرق إليه -بإذن الله- في هذا الفصل.

وعلى الشباب والفتيات في كل قرية وحيٍّ أن يأخذوا زمام المبادرة لتقوية الصِّلات وتحفيز الناس على العطاء، ونشر جوٍّ من المَحَبَّة والوئام بين أبناء الحيِّ لكي يبقوا -كما كانوا من قبل- أسرة واحدة متماسكة.

١ - برنامج لتبادل الزيارات

يمكن أن يُعِد مجموعة من الشباب والفتيات برنامجًا لتبادل الزيارات بين أهالي الحيِّ أو القرية، ويمكن أن تكون الزيارات أسبوعية أو شهرية، ويمكن لزيارات الرجال أن تنطلق من المسجد بعد صلاة العصر أو المغرب مثلًا، وفي يوم الزيارة يتوجَّه مَن يرغب من أهل الحيِّ إلى منزل الشخص المقرَّر زيارته في ذلك اليوم.

ويجب تنبيه الناس لِيَنْأَوْا عن الكُلفة فيما يُقدِّمونه للضيوف من طعام وشراب لكي يضمنوا استمرارية هذه الزيارات، ولكي يكون بمقدور جميع أهل الحيِّ أو القرية المشاركة فيها، وكذلك يجب مراعاة حُرُمات البيوت، واحترام ظروف المَزور وأهله؛ فلا يمكث الناس عنده كثيرًا فيُضيِّعوا عليه أو على أهله أوقاتهم وأعمالهم.

٢ - التجمُّع في مكان عام والمشاركة بالقهوة أو بطبق طعام

من الأمور التي كانت منتشرة عندنا كثيرًا في الأحياء والقرى والأرياف تجمُّع الأهالي بين الظهر والعصر أو بعد المغرب أو العشاء للتَّسامُر، واحتساء القهوة والشاي، والترويح عن متاعب ذلك اليوم من خلال القصص والحكايات والأخبار التي يسرُدها بعضهم لبعض، وغالبًا ما يكون اجتماع الناس في مجلس عام أو مكان معروف في الحيِّ أو القرية.

ولقد كادت تلك المشاهد تنقرض، ولذا فحريٌّ بشباب اليوم أن يعيدوا تلك الأجواء لتعود البهجة إلى النفوس، وتتقوَّى الأواصر والروابط، ولِيَشِبَّ الأطفال على تلك العلاقات المتينة والأجواء البهيجة التي عاشها آباؤهم وأجدادهم، وفي ذلك التجمُّع السعيد يشارك الحاضرون بأطباق الطعام وسخانات القهوة والشاي، ويمكن للتجمُّع أن يكون يوميًّا أو أسبوعيًّا، ويمكن أن يطول أو يقصُر حسب العُرْف السائد ورغبة الحاضرين في البقاء.

وفي الوقت الحاضر يمكن أن يشارك في التجمُّع طلاب المدارس، بحيث يأتون بكتبهم ودفاترهم لمذاكرة دروسهم ومساعدة بعضهم بعضًا، ويمكن لهذا التجمُّع أن يُصبِح مُلتقًى للهواة وأصحاب المشاريع والمُؤسَّسات لتبادل الأفكار ومناقشة الأعمال التي يؤدونها.

٣- إقامة وجبة غداء أو عشاء مشتركة

من الأمور التي يمكن أن تنشُر أجواءً من المُتعة، وتزيد تفاعل وترابط أهالي الحيّ التجمُّع لتناول وجبة غداء أو عشاء مشتركة، أو إفطار جماعي في أحد أيام رمضان المبارك، أو غيرها من الأيام التي يُندَب فيها الصيام كيوم عرفة أو عاشوراء، ويجب أن يُراعى اختيار وقت الحدث لكي لا يتعارض مع ارتباطات الناس في الوظائف والمدارس، وكذلك بأن يكون بعيدًا عن أوقات المناسبات العامة كالأعياد، فمثل هذه الترتيبات من شأنها أن ترفع مستوى المشاركة بين الناس وتفاعلهم معها.

ويمكن أن يكون الغداء أو العشاء أو الإفطار شيئًا مُتميّزًا كالأطباق الشعبية التقليدية، ويُحبَّذ أن يطهي الناس أنفسهم الطعام في أثناء تجمُّعهم، وأن لا يُوكَل الأمر إلى مطابخ أو مطاعم، وذلك مما يزيد البهجة والمُتْعة وخاصة بين الشباب والأطفال، ويمكن أن يصاحب الغداء تناول القهوة والشاي والمُرطِّبات والفواكه، ويمكن أن يُلقى فيه أيضًا بعض الفقرات التي تُضفي جوًّا من المرح والتفاعل، كالأناشيد والقصائد الشعرية والمسابقات والمُناظَرات والمُقابَلات.

ويُفضَّل أن يُقام مثل هذا التجمُّع في مكان فسيح خارج المنطقة السكنية ليتسنَّى إقامة المسابقات والفَعاليات المختلفة، ويمكن أن تشارك النساء في هذه الفَعاليات مع مراعاة عدم الاختلاط والتزام الحجاب الشرعي، وحبَّذا تصوير الفَعاليات لإبقاء ذكرياتها للأجيال القادمة.

٤- يوم ثقافي مفتوح

يمكن بين كل حين وآخر الترتيب لإقامة يوم ثقافي مفتوح، وذلك بأن يجتمع أهل الحيّ من الرجال والنساء، ويُقدِّم كل مَن لديه مشاركة الفقرة التي ينوي المشاركة بها، ويمكن أن تُخصَّص فقرات لإجراء مُحاوَرات ومُقابَلات مع المشاركين، ويمكن أيضًا أن تتخلَّل الفعالية فقرات إنشادية أو طرائف أو مسابقات ثقافية أو غيرها من الفقرات الثقافية والترفيهية، مع ضرورة التنبُّه لتصوير الفعالية كلها وجميع تفاصيلها ورفع الصور إلى الموقع الإلكتروني للبلدة كما سنبيّن لاحقًا.

وحبَّذا لو يُقام التجمُّع خارج المنطقة السكنية مع مراعاة ظروف النساء والأطفال، ويجب أيضًا مراعاة الضوابط الشرعية من عدم الاختلاط والتزام النساء الحجاب والتزام الرجال والشباب الملابس الساترة، وأما مدة الفعالية فيمكن أن تكون بضع ساعات ويمكن أن تكون يومًا كاملًا على أن تتخلَّلها وجبة غداء أو عشاء، يمكن توفيرها من خلال الأطباق الخيرية، ويُفضَّل توزيع جوائز للمشاركين لتشجيعهم على المشاركة المستقبلية، على أن تُوزَّع الجوائز بعد كل فقرة أو في نهاية الفعالية.

ويمكن للنساء والفتيات المشاركة في هذه الفعالية، على أن تكون بعيدة عن أنظار الرجال والشباب وأسماعهم، وأما إذا فضَّلت النساء مُجرَّد المشاهدة لما يُقدِّمه الرجال والشباب، فيمكن أن يَبْقَيْنَ في مكان بعيد عن الأنظار، وتُنقل الفَعاليات إليهنَّ عبر الشاشات المُعلَّقة أو أجهزة التلفاز.

٥- إقامة رحلات جماعية

من الأمور المُحبَّبة التي يمكن من خلالها زيادة الترابط الاجتماعي بين أهل الحيّ أو القرية إقامة الرحلات الجماعية، فيمكن -مثلًا- ترتيب رحلة جماعية لأحد المُتَنَزَّهات أو

الأماكن السياحية أو التاريخية أو الأثرية في القُطْر، أو حتى إقامة رحلات للعمرة والحج، ويمكن كذلك تخصيص كل واحدة من هذه الرحلات لخدمة فئة أو أكثر من فئات المجتمع، كأن تكون واحدة للرجال وأخرى للنساء وثالثة للأطفال ورابعة لكبار السِّن وخامسة لذوي الاحتياجات الخاصة، ويجب إعداد برامج مُتميِّزة لكل رحلة ليستمتع المشاركون فيها برحلتهم، ويستفيدوا منها من النواحي الثقافية والفكرية والترفيهية، ويزداد بسببها تآلفهم وترابطهم، ويجب كذلك أن يتولَّى شخصٌ أو أكثر تصوير الرحلة من بدايتها إلى منتهاها.

٦- برنامج لتبادل الهدايا في الأعياد والمناسبات

قد تكون الأعياد من أهم المناسبات التي تُعيد الفرحة للقلوب والبهجة للنفوس، وخاصة بين الأطفال، ومن الطرق التي يمكن أن تُشيع هذا الجوَّ بين أهالي الحيِّ تبادل الهدايا بين الأفراد والأُسَر، وذلك مثلًا بأن تُوضَع في صندوقٍ أسماءُ الأفراد أو العائلات في الحيِّ، ويُطلَب من القادرين على المشاركة أن يسحب كلٌّ منهم ورقة، ثم يشتري الشخص هدية بقيمة مُحدَّدة يُتفق عليها، أو يدفع قيمتها لِتَشتريها لجنة مُشكَّلة لهذا الغرض.

ويمكن إضفاء مشاعر الوُدِّ والمَحَبَّة على الفرد أو الأسرة المُهدى إليها؛ وذلك بإرفاق ورقة صغيرة مع الهدية يكتب فيها المُهدِي عبارة تُجسِّد المشاعر التي يُكِنُّها للشخص أو الأسرة المُهدَى إليها، وبعد تغليف الهدية تُسلَّم إلى المُهدى إليه من خلال لجنة التهادي، ويمكن أن تُرسَل أكثر من هدية إلى الأسرة الواحدة، ويمكن أن يشترك أكثر من شخص لشراء هدية بقيمة أعلى.

ويمكن التوسُّع في هذه الفكرة لتشمل مناسبات أخرى، مثل: زيادة المواليد وعقد القِران والتخرُّج في الجامعة والخروج من المستشفى وعودة الطلاب المُبتَعثين من دراستهم والترقيات الوظيفية وغيرها من المناسبات، مع التنبُّه لعدم الإكثار من ذلك خشية تجافي الناس المشاركة فيها بسبب كثرة المبالغ التي يدفعونها أو الأوقات التي يقضونها في هذا.

٧- ماراثون لأهل الحيِّ أو القرية

من الأنشطة التي بمقدور أهالي كل حيٍّ أو قرية الترتيب لها -وفي الوقت نفسه كفيلة بإفشاء البهجة والمرح بينهم- الخروج في ماراثون يجمع الرجال والنساء والشباب والشيوخ وحتى الأطفال، سواءٌ أكانوا من أهالي ذلك الحيِّ أم القرية فقط أم كانت فعالية يشترك فيها أهالي عدة أحياء وقرى.

ورغم أنه ليس الهدف من الماراثون حصد الجوائز وإنما المشاركة، فذلك لا يمنع من حصول الفائزين فيه على جوائز، ويمكن أن يبدأ الماراثون من مركز الحيِّ أو القرية وينطلق في الطرقات بين المزارع والبساتين والبيوت، ويمكن أن تضاف إلى السِّباق فقرات تُضفي عليه مزيدَ بهجة كتناول القهوة الجماعية بعد انقضائه وكتصوير السباق ليُحتفظ به للأجيال القادمة.

ويجب أن يُراعى في مثل هذه الأنشطة عدم اختلاط الرجال بالنساء؛ فينطلق الرجال أولًا ثم الأطفال وأخيرًا البنات ثم النساء، وكذلك يجب الإعداد لهذا النشاط سابقًا بحيث يُسنَد حفظ النظام فيه إلى مجموعة من الشباب والفتيات لكي لا يحدث فيه ما يُنغِّص جوَّ الفعالية، ويمكن لمجموعة أخرى من الشباب والفتيات أن يتولَّوْا خدمة المشاركين من تقديم الماء لهم أو مساعدة كبار السِّن أو مَن يُصاب بإرهاق أو أي أمور أخرى لم تكن في الحسبان، ويمكن أن تتطوَّع مجموعة ثالثة بتصوير الفعالية ورفعها إلى الموقع الإلكتروني للبلدة.

٨- سباق للدراجات الهوائية

على غرار سباق الماراثون، يمكن ترتيب سباق للدراجات الهوائية لأطفال الحيِّ وحتى الشباب والرجال إن رغبوا في ذلك، ويمكن أن يشارك فيه آخرون من قرى وأحياء

مجاورة، وفي يوم السباق يجتمع المشاركون كل بدراجته الهوائية، ويُذكَّرون بالطريق الذي عليهم أن يسلكوه وبضوابط السِّباق، وأما أهل الحيّ أو القرية فإنهم يصطفُّون على امتداد الطريق لتشجيع المتسابقين، وربما لتزويدهم بالماء أو لمساعدتهم إن أصيب أحدهم أو تعطَّلت دراجته، وفي نهاية السِّباق يجتمع المشاركون والمُنظِّمون للسِّباق ووجهاء الحيّ أو القرية، وتُوزَّع الجوائز على الفائزين، ويمكن أن يعقب ذلك تناول القهوة والمُرطِّبات، وعلى مُنظِّمي السباق التنبُّه لتصوير الفعالية من بدايتها إلى نهايتها لعرضها في معارض الصور التي سنذكرها لاحقًا، وأيضًا لرفعها في الموقع الإلكتروني للبلدة.

٩- صندوق للتكافل بين أهل الحيِّ أو القرية

على غرار صندوق التكافل الأُسَري الذي تكلَّمنا عنه في فصلٍ سابق، يمكن إنشاء صندوق للتكافل بين أهل الحيّ أو القرية، ويمكن استعماله لإعانة الأُسَر الفقيرة واليتامى، ولشراء الهدايا والحقائب المدرسية للأطفال وذوي الدَّخْل المحدود، وكذلك لتمويل إقامة المشاريع الخَدَمِيَّة في البلدة وصيانتها، وتمويل الفَعاليات المختلفة التي تُقام في الحيّ أو القرية.

ويجدُر تشكيل مجلس أو لجنة من أهالي الحيّ أو القرية لمناقشة أمور الصندوق من تجميع الأموال وأوجه صرفها، وأما بخصوص تمويل الصندوق فيمكن فرض مبلغ مُعيَّن على كل فرد في الحيّ أو يُقتصَر فقط على المُوظَّفين والقادرين، ويُحبَّذ أن يُفرَض على الطلاب مبالغ رمزية لكي يعتادوا العطاء، وليتعرَّفوا إلى بعض الأعمال الخيرية التي يمكنهم المشاركة فيها.

١٠- إقامة مشاريع لخدمة الحيِّ أو القرية

تطرَّقنا سابقًا إلى العديد من المشاريع الخَدَمِيَّة التطوُّعية التي يمكن إقامتها على مستوى الحيِّ أو القرية، وهناك العديد غيرها التي سنتطرَّق إليها -بإذن الله- لاحقًا، وفيما يأتي سنذكر مشاريع أخرى يمكن إقامتها، ومنها:

١- إنشاء مدارس جديدة للقرآن الكريم، أو الاعتناء بالقائم منها والمحافظة عليها وترميمها وصيانتها، وتُعَدُّ هذه المُنشآت من المَعالِم المُهِمَّة في كل حيٍّ وقرية للدَّوْر الكبير الذي تؤديه في المحافظة على الأطفال، وتنشئتهم على كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- والأخلاق الإسلامية الفاضلة، وعلى أهل كل حيٍّ وقرية أن يعملوا وُسْعَهم لإقامة هذه الأماكن والمحافظة عليها، وأن يُضَحُّوا بأوقاتهم وأموالهم من أجل ذلك.

ويمكن الاستفادة من مدارس القرآن الكريم لأغراض أخرى تخدُم الحيَّ أو القرية كالاجتماعات العامة التي تُعقَد بين الحين والآخر، وكذلك إقامة المحاضرات والندوات والاحتفالات، وعلى الأهالي الاهتمام بوقف الأموال والأملاك لهذه المدارس -كما كان يفعل الأجداد-، وأن لا يبخلوا عليها بأموالهم وأوقاتهم لتستطيع تأدية الدور المَرجُوِّ منها.

٢- إقامة مكتبة عامة تكون مأوًى للشباب والفتيات، وارتقاءً بمستوياتهم العلمية والثقافية، ويمكن للمكتبة أن تكون في مبنًى مُستَقلٍّ أو يُخصَّص لها مكان في أحد المساجد أو المجالس العامة، وقد تأخذ المكتبة شكلها التقليدي المُتمثِّل في الرفوف والأقسام؛ ما يستدعي تصنيف الكتب بإحدى طرائق التصنيف المُتعارَف عليها، ويمكن أن لا تزيد على مُجرَّد خزانة صغيرة أو دولاب.

أما من ناحية المحتويات فيجب تنويع المواد الموجودة فيها لتحوي الكتب والمجلات والمطويات، وبذا يزيد إقبال الناس عليها واستفادتهم منها، وأما من ناحية التمويل فيمكن فرض اشتراكات شهرية رمزية على القادرين من أهل الحيِّ لشراء مواد المكتبة وصيانتها وسداد فواتيرها.

٣- إقامة دورات مياه عامة ليستعملها أهالي الحيِّ، وخاصة في أوقات الصلوات والمناسبات العامة، وأيضًا ليستعملها الضيوف والسُّيَّاح الذين -في الغالب- قد يجدون حَرَجًا في استعمال دورات المياه الخاصة في البيوت.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- في نظرك، ما الأسباب التي أدَّت إلى -أو تحاول- تفكيك الأواصر والعلاقات بين أهالي الأحياء والقرى؟
- أعِدَّ برنامجًا متكاملًا لماراثون يُقام في الحيّ أو القرية التي تعيش فيها، وتدارَس مع مجموعة من أصدقائك إمكان تنفيذه.
- بادِر مع بعض زملائك من أهل حيّك أو قريتك إلى إعداد جدول لتبادل الزيارات بين الأهالي، ثم ناقِشوا ذلك الجدول معهم، وشجِّعوهم على المشاركة فيه.
- اذكُر بعض المشاريع والبرامج المشتركة التي يمكن إقامتها بين أهل حيّك أو قريتك، والتي يمكن أن تزيد ترابطهم، وتُضفي عليهم أجواءً من البهجة والسُّرور، ثم تعاون مع بعض الشباب لتشكيل لجنة لمناقشتها، ووضع تصوُّرات لتنفيذها.
- ذُكِرتْ في هذا الفصل الكثير من الاقتراحات التي يمكن أن تزيد ترابط الأُسَر والأفراد بين أهالي الأحياء والقرى. أَجْرِ دراسة ميدانية لاستطلاع آراء الناس حول هذه المُقتَرَحات، وأيضًا للحصول على مقترحات أخرى. حاول صياغة نتائج الدراسة وبلورتها بطريقة واضحة، ثم شارك بها مَن تعرف في الأحياء والقرى الأخرى في مدينتك أو القُطْر الذي تعيش فيه، وذلك من خلال طرح نتائج الدراسة في إحدى الصحف المَحَلِّية أو على مواقع (الإنترنت) أو نشرها عبر وسائل التَّواصُل الاجتماعي.
- أَعِدَّ بحثًا حول الفَعاليات والأنشطة المختلفة التي تُقام في المجتمعات الأخرى -المسلمة وغير المسلمة-، وقارنها بتلك التي تقام في مجتمعك، ثم شارك الآخرين بما توصَّلت إليه في هذا البحث، وذلك بإخراجه على شكل كُتيِّب، أو نشره عبر وسائل التَّواصُل الاجتماعي أو مواقع (الإنترنت).
- كما هو معروف، فإنّ أيَّ نشاط أو فعالية تُقام، سواءٌ أكانت على مستوى الحيّ أم المدينة أم القُطْر، تُكلِّف أموالًا وتحتاج إلى بذل جهود. لماذا في نظرك يُكلِّف الناس أنفسهم تأدية مثل هذه الأنشطة والفَعاليات؟ وما الآثار السَّلبية للتخلّي عن إقامتها؟

الفصل الرابع

رفع المستوى الثقافي والعلمي والفكري للمجتمع

نحن نعلم أن المجتمع عبارة عن نسيج مُترابط من الأُسَر، والأُسَر تتكوَّن من الأفراد، والارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري للمجتمع يتطلَّب الارتقاء بالأُسَر، وهذا بدوره يتطلَّب الارتقاء بالأفراد، ولذا على أفراد المجتمع جميعًا أن يُوحِّدوا جهودهم لرفع مستوى الكفاءة والثقافة والفكر في المجتمع الذي يعيشون فيه.

ورغم أن هذا الأمر قد يخصُّ المُثقَّفين قبل غيرهم، وأصحاب الشهادات قبل الأُمِّيين، لكنه يحتاج إلى تكافُل وتَضافُر جهود، لأن هناك فئات كبيرة من الناس ليس عندهم الحدُّ الأدنى من الثقافة، فقد يكون بعضهم أُمِّيًّا لا يُجيد القراءة ولا الكتابة، وقد يكون مِنهم مَن يُجيد القراءة والكتابة ولكنه ليس مُثقَّفًا، وأقصد بالثقافة هنا تنوُّع العلوم والفنون، فالعالم الذي نعيش فيه يتطلَّب من الإنسان أن يكون مُلِمًّا بجوانب كثيرة من المعارف، أو -على الأقل- أن تكون لديه فكرة عامة عنها.

ولا يمكن أن تُناط مسؤولية الارتقاء بالمجتمع في الجانب الثقافي والفكري إلى المُؤسَّسات التعليمية، لأنها -غالبًا- تُوجِّه اهتمامها إلى صِغار الأطفال وطلاب المراحل التعليمية المختلفة، وتبقى هناك فئات عديدة من المجتمع لا تحظى بأيِّ نصيب من العلم والمعرفة، ولذا على المُثقَّفين والمُتعلِّمين في كل بيئة أن يتعهَّدوا تلك الفئات بالرعاية والاهتمام، وذلك من خلال إعداد برامج خاصة لهم، وينبغي التنسيق بين فئات الشباب المختلفة التي ستتطوَّع لتثقيف الناس، لتكون لديها برامج مُعدَّة ومرتَّبة بطريقة جيدة تُؤدِّي الأهداف المنشودة منها، ومن أجل هذا يكون من الأنسب تقسيم الأعمال بين المجموعات؛ فتتولَّى كل مجموعة واحدًا من الأعمال التي سنذكرها في هذا الفصل.

١ - الاهتمام بتعليم كبار السِّن

من الفئات التي أُهمِلت -أو أَهملت نفسها- فئة كبار السِّن، إذ إن هناك الكثير ممَّن فاتهم قطار التعليم في صغرهم ولم يهتموا بالدخول إلى المدارس أو الالتحاق بما تُسمَّى بمراكز محو الأمية أو تعليم الكبار، أو أنهم تركوا المدرسة بسبب الظروف المعيشية في فترة مُبكِّرة من أعمارهم، وعاشوا حياتهم شبه أُمِّيِّين، فأغلبهم -وإن كانوا يعرفون شيئًا من القراءة والكتابة- إلا أنهم يجهلون الكثير من الأمور، وخاصة ما يتعلَّق بالدين.

معظم هؤلاء لديهم معرفة سطحية بالدين، توارثوها من آبائهم وأجدادهم، وقد تكون تأديتهم إياها من قبيل العادة فقط وليس عن فهم وبصيرة، وبعضهم قد لا يُجيد قراءة الفاتحة، ومعظمهم يكاد يُردِّد في جميع الصلوات الفاتحة وسورة أو سورتين من قِصار السُّوَر التي حفظوها في أيام طفولتهم، وأما أمور الدين الأخرى كالغُسْل من الجنابة أو الحيض، أو نواقض الصلاة والصوم فقد لا يعرفون عنها إلا اليسير، ناهيك بعدم معرفتهم أركانَ الصلاة وأحكامها وأحكام الصيام والزكاة والحج وغيرها من العبادات، وجميع هؤلاء بحاجة إلى مَن يُعلِّمهم هذه الأمور وغيرها.

لكن تعليم الكبار من الأمور الحسَّاسة التي يجب أن يُحسَن اختيار مَن يُؤدِّيها؛ وخاصة إن كانوا من فئة الشباب أو الفتيات؛ لأن الكبار ينظرون إلى هؤلاء على أنهم صغار سِنٍّ، وربما يَسْتَنكِفُون عن التعلُّم منهم، ولذا سيحتاج مَن يُعلِّمهم إلى استعمال طرقٍ ذكية وغير مباشرة؛ كأن يُعطي دروسًا عامة في المسجد أو في غيره من الأماكن التي عادة ما يتجمَّع فيها الكبار، ويُشجِّع الصِّغار على حضورها، ثم يعلم الشخص الذي يُقدِّم الدرس الصِّغار الأمور العامة كالصلاة والوضوء، وبمشاهدة الكبار طريقة أداء الصِّغار هذه الأعمال قد يدركون من أنفسهم الأخطاء والنواقص التي عندهم ويصحِّحونها، ويمكن للمُعلِّم أن يُكرِّر هذه الأعمال لكي ترسخ في أذهان الكبار.

وإنْ رأى المُعلِّم تجاوبًا من الكبار، ورغبة منهم في التعلُّم، فعندها يمكنه البدء بتعليمهم القراءة والكتابة ولو تعليمًا يسيرًا، وأيضًا يراجع معهم بعض سور القرآن الكريم، وخاصة القِصار منها، وعليه أن لا يُكلِّفهم حفظ السُّوَر الطويلة إلا مَن كانت لديه رغبة

في ذلك، وعلى المُعلِّم -والمُعلِّمة بالنسبة إلى النساء- التحقق من أن هؤلاء يُتقنون نُطْق ما يقرؤونه من القرآن، وأيضًا تذكيرهم بما ينبغي تأديته من الفرائض والواجبات، وإذا كان عند أحد هؤلاء شيء من المُنكرات، فيمكن تذكيره بكراهية ما يفعله أو حُرمته تدريجيًّا، وبطريقة غير مباشرة.

بالطبع، قد يكون الأمر أصعب لكبيرات السِّن من النساء، بحُكم أن غالب الرجال يختلطون بالآخرين، ويذهبون إلى صلاة الجمعة، ويرتادون الأسواق، ويشاهدون التلفاز، ويكتسبون معلومات من هنا وهناك، وأما كبيرات السِّن فهُنَّ -في الغالب- أُمِّيات لا يُجِدْن القراءة والكتابة، ولا يَعْرِفْنَ من أمور دينهنَّ إلا اليسير، فضلًا عن المعارف الأخرى، وإصلاح حال هؤلاء قد لا يتأتَّى بطريقة مباشرة، وإنما يحتاج إلى نوع من التحايُل؛ كأن تُذكِّر -في جلسة قهوة مثلًا- المرأة الكبيرة وتُعلِّم من خلال حوار مُتَّفق عليه سابقًا بين بعض الأخوات اللاتي يحضُرْنَ ذلك المجلس.

٢- رفع مستوى الثقافة حول التقنيات الحديثة والفنون والمهارات المختلفة

يَعِجُّ عالم اليوم بالكثير من التقنيات والفنون والمهارات، ومجتمعاتنا بحاجة إلى الارتقاء إلى مستويات عالية فيها، فالمجتمع بحاجة إلى عقد دورات وبرامج مُتخصِّصة تُلبِّي احتياجات الناس، وتكون مُوَجَّهة إلى الفئات المختلفة في المجتمع؛ كأن تُرتَّب دورات خاصة للشباب وثانية للأخوات وثالثة لكبار السِّن من الرجال ورابعة لكبار السِّن من النساء وربما دورات أخرى مُتخصِّصة للأطفال، ومجتمعاتنا -بحمد الله- يُوجَد بها الكثيرون ممَّن يُجيدون هذه التقنيات والفنون والمهارات، وهؤلاء بحاجة إلى تحفيز لتخصيص بعض أوقاتهم -وخاصة في فترات المساء والعطل الأسبوعية والرسمية- لخدمة المجتمع في المجالات التي يُتقنونها.

٣- توزيع الكُتيِّبات والمطويات

ما يمكن فعله أيضًا هو إعداد برنامج لشراء وتوزيع الكُتيِّبات والمطويات وخاصة المُتعلِّقة بأمور الدين من صلاة وصيام وزكاة أو ما يتعلَّق بحجاب المرأة أو المعاملات المالية، بمعنى أن تجمع مجموعة من الإخوة أو الأخوات تبرُّعات من القادرين أو يُرتِّبوا فيما بينهم لجمع مبلغ مُعيَّن كل شهر يكفي لشراء بعض الكُتيِّبات والمطويات، ثم يوزعونها على بعض الأُسَر، إما بتوصيلها إلى البيوت مباشرة على شكل هدايا مُغلَّفة وإما بتوزيعها في المسجد وإما بعد صلاة الجمعة، وفي الشهر التالي يُوزِّعونها على مجموعة أخرى من الأُسَر.

٤- إنتاج برامج تثقيفية

من الأمور الأخرى التي يمكنها رفع المستوى الثقافي والفكري للمجتمع إنتاج برامج مطبوعة أو سمعية أو مرئية تستهدف تثقيف الناس ومعالجة بعض القضايا الشرعية، مثل: انتشار الإلحاد، والفكر العَقْلاني، والتصوُّف، والهجوم على القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المُطهَّرة والصحابة الكرام وثوابت الدين وعلماء الأُمَّة ورموزها، وانتشار المصارف الربوية، وكذلك معالجة بعض القضايا الفكرية، مثل: انتشار العامِّية، والعُزوف عن التحدُّث باللغة الفصيحة، وانتشار ظاهرة التحدُّث باللغات الأجنبية وخاصة بين المُثقَّفين، والعُزوف عن القراءة، ونُدْرة التأليف، وانتشار ما يُعرَف بالشِّعْر الحُرّ مُقابِل الشِّعْر الفصيح، وهناك أيضًا القضايا الاجتماعية مثل تفكُّك الأُسَر، وعقوق الوالدين، والاختلاط، والتبرُّج، والعُنوسة، وغلاء المهور، وانتشار الفكر النِّسْوي، والشذوذ والمِثْلِيَّة الجِنْسِيَّة.

ويمكن من خلال هذه البرامج التثقيفية إصدار نشرة شهرية تناقش إحدى القضايا الآنفة الذكر أو غيرها من القضايا المُسْتَجِدَّة، ويمكن أن تتكوَّن النشرة من صفحة واحدة أو صفحتين، وبذا لن تُكلِّف كثيرًا في طباعتها وإخراجها، وكذلك يَسهُل قراءتها، ويمكن

تعليق هذه النشرات في المساجد والمدارس والأماكن العامة، ويمكن توزيعها في البيوت أو خارج الجامع بعد صلاة الجمعة، ويمكن أيضًا وضعها في المكتبات والمَحالِّ التجارية لتسهيل حصول الزبائن والمرتادين عليها.

أيضًا، يمكن تسجيل مادة صوتية أو مرئية، سواءٌ أكانت على شكل مسرحية أم حوار، لمعالجة بعض القضايا التي ذكرناها أو غيرها التي يحتاج الناس أن يكونوا على دراية بها، ويجب تأكيد ضرورة جودة الإخراج للمادة، فالناس تنجذب نفوسهم إلى التصميم الجميل والإخراج الجيّد أكثر من انجذابهم إلى المحتوى، ولذا يُنصح بتصميمها وإخراجها من مُختصِّين بارعين وإن كلَّفت مبالغ أكبر، ويجب كذلك صياغة المادَّة لتُخاطِب أكبر عدد من شرائح المجتمع.

وبعد إنهاء إعداد هذه المواد يمكن توزيعها إما شخصيًّا عن طريق وسائل التَّواصُل الاجتماعي، وإما من خلال المكتبات والتسجيلات، وإما بالاتِّفاق مع إحدى المُؤسَّسات الإعلامية لتسويقها والدِّعاية لها، وكلما كانت المادة أفضل جودة وأنفع للناس لزم البحث عن وسيلة أفضل لنشرها والترويج لها.

وجديرٌ بالذكر أن إنتاج مثل هذه المواد، إضافة إلى كونه عملًا دعويًّا وإنسانيًّا، قد يُشكِّل رافدًا لا بأس به للمُؤسَّسات الخيرية، وذلك إما ببيعها بأسعار رمزية، وإما بتأجير مساحات منها للمُؤسَّسات للإعلان فيها، وإما بِحَثِّ المُؤسَّسات على رعاية إنتاج وتوزيع تلك المواد.

لكن علينا أن ندرك أن أبواب الرزق كثيرة، ولذا يجب مراعاة عدم طُغيان جانب الإعلانات في هذه المواد على هدفنا الأول وهو الارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري للمجتمع؛ فلو رأينا -مثلًا- أن الناس لا يُقبِلون على اقتنائها بسبب ثمنها أو ما تحتويه من دعايات تجارية، فعلينا عندئذ أن نُؤْثِر جانب الاستفادة العلمية على الاستفادة المالية.

٥- رفع مستوى الإنتاجية بين الناس

يعلم الجميع أن معظم الناس يَكدُّون ويَكْدَحون ليلَ نهارَ، سواءٌ أكانوا في بيوتهم أم مزارعهم أم متاجرهم أم ورشهم أم وظائفهم، ورغم ذلك فمستوى الإنتاج لديهم -في الغالب- قليل جدًّا، والسبب قد يكون في افتقارهم إلى المهارات اللازمة لتحفيز هِمَمهم وقِلَّة المعرفة المطلوبة لإتقان أعمالهم، وفي هذا يقول الدكتور عبد الكريم بكار: «**إن من المُجمَع عليه الآن أن ما يتعلَّمه المرء وما يكتسبه من مهارات أهمُّ بكثير مما ورثه من آبائه من ذكاء وأَلْمَعِيَّة؛ فالتقدُّم العلمي الهائل، وما أفرزه من وَضْعِيَّات واعتبارات مختلفة، جعل كل ما هو فطريٌّ ضئيلًا وقليلَ الجَدْوى في التَّعامُل مع الأشياء والنُّظُم المُعقَّدة**»[١].

وتُشير الدراسات إلى أن المسلمين عمومًا -والعرب خصوصًا- هم مِن أدنى الشعوب إنتاجية؛ فمثلًا ذكر تقرير الاتِّحاد العربي للتنمية البشرية لعام ٢٠١٣م[٢] أن مُعدَّل إنتاجية العامل العربي هو من أقلِّ المُعدِّلات في العالم، وأن ساعات العمل الحقيقية للعامل أو المُوظَّف العربي خلال الدوام اليومي تتراوح بين ١٨ و٢٥ دقيقة، في حين أن مُتوسِّط عدد ساعات العمل الحقيقي للعُمَّال في دول مُتقدِّمة مثل اليابان وبريطانيا وفرنسا وألمانيا يزيد على ٧ ساعات.

وفي تقرير أعدَّته مُنظَّمة العمل الدولية[٣] أن إنتاجية العَمَالة قد انخفضت منذ الثمانينيَّات في الاقتصاديَّات العربية عمومًا، وفي اقتصاديَّات مجلس التعاون الخليجي خصوصًا، حتى صارت الدول العربية الأسوأ أداءً عالميًّا من حيث نُمُوُّ الإنتاجية، رغم أن المُتوسِّط العالمي قد سجَّل زيادة بنسبة ٢,١٪، وأن وباء كورونا قد أدَّى إلى ضعف الأداء في المُؤسَّسات العامة، وارتفاع مُعدَّلات البَطالَة.

وقد وصف تقرير للمجلس الاقتصادي والاجتماعي الأردني إنتاجية العامل الأردني بأنها ضمن أدنى المستويات العالمية[٤]، وأما في مصر فإن إنتاجية العامل المصري لا تتجاوز

(١) عبد الكريم بكار، حول التربية والتعليم، ص٣٢٥.
(٢) جريدة الخليج، (٢٠١٣م)، ١٨ دقيقة في اليوم مُتوسِّط إنتاجية العامل العربي.
(٣) موقع أخبار الأمم المتحدة، (٢٠٢٢م)، تقرير: منطقة الدول العربية الآن هي الأسوأ أداءً على الصَّعيد العالمي من حيث نُمُوُّ الإنتاجية.
(٤) جريدة الوطن القطرية، (٢٠١٦م)، إنتاجية العامل الأردني ضمن الأدنى عالميًّا.

١٧ دقيقة يوميًّا مقارنة بعدد الساعات المُحدَّدة للعمل، التي تصل إلى ٨ ساعات يوميًّا وَفقًا لمعايير مُنظَّمة العمل الدولية، وفي تقرير آخر[١] فإن مُتوسِّط إنتاجية العامل المصري ٣٠ دقيقة في اليوم، والجزائري ٢٢ دقيقة، والسوداني ٢٠ دقيقة.

لذا، من المُهِمّ جدًّا إعداد برنامج مُتكامل من محاضرات وورش عمل لتنمية المهارات بين الفئات المختلفة في المجتمع التي يمكن أن تُعزِّز إنتاجيةَ الأفراد والمُؤسَّسات، وإذا كان لا يُوجَد من بين فئات المجتمع مَن هو مُؤهَّل لتقديم هذه المحاضرات وورش العمل فلا بأس بالاستعانة بآخرين عندهم القدرة على التحدُّث في المهارات المراد إيجادها أو تنميتها وتدريبهم عليها، ويمكن فرض رسوم رمزية على هذه الفَعاليات -وخاصة ورش العمل- لتغطية نفقات إقامتها والترتيب لها أو لتمويل مشاريع خيرية أخرى، ويمكن تمويل هذه الفَعاليات من خلال المُؤسَّسات الخيرية والتطوُّعية وحتى الحكومية والخاصة المَعْنِيَّة بجانب تطوير العمل.

٦- اكتشاف المواهب والاستفادة منها

وسيلة أخرى يمكن تأديتها لرفع المستوى الثقافي في المجتمع هي البحث عن أصحاب المواهب والكفاءات المغمورة في المجتمع، فكما يقول ألكسيس كاريل[٢]، فإن هناك عباقرة في كل مجتمع يمكن أن يُقدِّموا للمجتمع خُلاصَة نبوغهم الفَذّ، وبسببهم تتقدَّم الحضارات ذلك لأن الإنسانية يَدْفَعها إلى الأمام عدد قليل من الأشخاص غير العادِيِّين، وبذلك اللَّهَب المُتأجِّج من ذكائهم، وبِمَثلهم الأعلى في العلم والإحسان والجمال، فالأشخاص الذين يتتبَّعون مُثُلًا أخلاقية أو علمية أو دينية عُليا لا ينشدون الأمان أو طول العمر، وإنما يُضحُّون بأنفسهم في سبيل هذه المُثُل العُليا.

(١) جريدة الخليج، (٢٠١٣م)، ١٨ دقيقة في اليوم متوسط إنتاجية العامل العربي.
(٢) ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ص١٥٢.

لذا، علينا وضع برامج للاستفادة منها، وأيضًا لتنميتها من النواحي الثقافية والفكرية والعلمية، ومعلوم أن الكثير من الشباب والفتيات -وحتى الأطفال- لديهم من المهارات والهوايات والمواهب ما لو طُوِّرَت ونُمِّيَت لَبَرَعُوا فيها وأبدعوا، وهم بحاجة إلى توجيه ما لديهم من مهارات وهوايات ومواهب إلى الوِجْهة الصحيحة التي ستعود عليهم وعلى أُمَّتهم بالنفع.

من هنا، على المُثقَّفين والواعين في كل بلدة أو مجتمع البحث عن هؤلاء الموهوبين، والتعرُّف إليهم من خلال المحاضرات وورش العمل التي يحضرونها، والمسابقات العلمية والثقافية التي يشاركون فيها، أو من خلال وضع استبانات خاصة لهذا الغرض، أو من خلال مشاركات هؤلاء في النوادي واللقاءات المختلفة.

وبعد اكتشاف هؤلاء يأتي دور إعداد برامج خاصة للاستفادة منهم ومن قدراتهم، ويقع على عاتق هذه البرامج توفير البيئة المناسبة الكفيلة بتنمية مواهب هؤلاء ومهاراتهم، وقد تكون النوادي العلمية والثقافية ونوادي الحاسوب وغيرها من المُؤسَّسات مَحاضِن لهؤلاء، وبيئة خصبة لتفعيل قدراتهم وتفريغ طاقاتهم.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- ما مُسوِّغات الاهتمام بتثقيف فئات المجتمع؟ ولماذا لا يُترَك الأمر للناس ليهتمَّ كل واحد منهم بنفسه؟
- تُعَدُّ فئة كبار السِّن والعجائز من الفئات القليلة عددًا نسبيًّا ومن الذين ليس لهم تأثير كبير في المجتمع، فلماذا -في نظرك- نحتاج إلى الاهتمام بها؟
- فكِّر في بعض السيناريوهات التي يمكن استخدامها عند محاولة تعليم كبار السِّن، ثم ناقش الأحوال التي يمكن استعمال تلك السيناريوهات فيها.

اذكُر بعض التقنيات الحديثة والمهارات والفنون التي يمكن لمجتمعاتنا الاستفادة منها.

- قسِّم الناس في المحيط الذي تعيش فيه إلى فئات مختلفة كالمُثقَّفين وكبار السِّن والأطفال، وحاول أن تضع برنامجًا خاصًّا يُمَكِّن كل فئة من الاستفادة من التقنيات والمهارات والفنون التي أشرتَ إليها في إجابتك عن السؤال السابق، وناقش نتائج ما توصَّلتَ إليه مع المُهْتَمِّين بثقافة المجتمع في محيطك، وحاولوا الشروع في تنفيذ بعض تلك البرامج.
- عِدَّ بحثًا حول المهارات المرغوب في توفُّرها في الإنسان لكي يُصبِح ذا همة عالية، وتُصبِح جودة الإنتاج عنده أيضًا عالية.
- أَعِدَّ -مع بعض زملائك- دراسةً ميدانية حول المهارات الموجودة والمرغوب فيها بين الشرائح المختلفة في مجتمعك، وبعد بلورة نتائج تلك الدراسة حاولوا ترتيب برامج لسدِّ الفجوة بين واقع الناس وطموحاتهم فيما يتعلَّق بجانب المهارات والإنتاجية.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكُر بعض القضايا العلمية والفكرية والثقافية التي يحتاج إليها الناس أو تثير اهتماماتهم، وناقش مع بعض دور النشر والتسجيلات إمكانَ التعاون معها لإنتاج وإخراج وتوزيع مواد تُعالج تلك القضايا، ثم ابحَثْ مع المُؤسَّسات الخيرية والتجارية العاملة في المحيط الذي تعيش فيه إمكان الاستفادة ماليًّا من بيع تلك المواد أو تأجير مساحات إعلانية فيها.

الفصل الخامس

إقامة مُؤسَّسات خيرية لرعاية شؤون المجتمع

إن علينا تجاه مجتمعاتنا واجباتٍ وحقوقًا عظيمة ومُتشَعِّبة، وغالبية ما يتحتَّم علينا إنجازه لا يمكن الوفاء بمُتطلَّباته وأبعاده فرديًّا، ولا حتى من خلال لجانٍ أو مجموعاتٍ صغيرة، وإنما يستلزم إنشاء مُؤسَّسات لها كيانها المرموق في المجتمع، ولها نظامها الإداري والمالي، وفي هذا الفصل سنتطرَّق إلى بعضها، وفي الفصول القادمة سنتعرّض لأخرى غيرها.

١ - المكتبات العامة

إن رُقِيَّ الأمم والشعوب لا يُقاس بكثرة قاطنيها ولا بالثروات التي يمتلكونها بقَدْر ما يكون بمستوى النُّضج المعرفي والإنتاجي الذي وصلوا إليه، وإنه مما لا ريب فيه أن الكتب والمخطوطات هي وِعاءُ الفكر الإنساني وثمرة جهده ومَكنون أسراره، وإنه لا يمكن لأُمَّة أن تنهض وهي لا تحتضِن الكتب دِثارًا يحفظها من غوائل الدهر، ومَنارًا تَنْبَلِج أمامه مُدلَهِمَّات الخُطوب.

لأجل هذا، فإن الاعتناء بالمكتبات الخاصة منها والعامة يُعد قبل كل شيء وفاءً بحقِّ الإنسانية لصيانة تاريخها وتراثها من الضَّياع والتَّلَف، وحفظًا للجنس البشري من الانحطاط فكريًّا وسلوكيًّا إلى مراتب الأجناس الأخرى، وهو كذلك وفاءٌ بحقِّ أسلافنا الذين أَفنَوْا أعمارهم وأموالهم، وأَنْضَبُوا دماءهم ومُقَلهم وهم يحصدون ثمار الحضارات ويعصرون زاكي الأفكار ليُقدِّموا لنا في وُريقات معدودة وسطور قليلة خلاصة الخلاصة ولُبَّ العبارة؛ علَّنا منها نستفيد ومن محتواها نسترشد.

من هنا، فإن من أوجب الواجبات على الأفراد والجماعات في كل كيان بشري أن يهتَمُّوا بدُور الثقافة والمعرفة أكثر من اهتمامهم بدُور سكناهم ومعاشهم، وعليهم أن يُوحِّدوا جهودهم في إنشاء ما يستطيعون من مكتبات، وفي تفعيل الأدوار التي يجب أن تناط بها، وأن يسْعَوْا جهدهم إلى مُنافحة كل مَن لا يُعير تلك المنابر الاهتمام الكافي، وأن لا يتهاونوا في رَدْع كل مَن يحاول المِساس بتلك الصروح المُنيرة، سواءٌ أكان مِساسًا بهويَّتها، أم بطبيعة الأنشطة التي يُفْتَرض أن تؤديها، أم كان نَيْلًا من الداعمين لها والمُسيِّرين لشؤونها.

ومما لا يخفى على عاقل أنه لا يقف أحدٌ موقفًا ينال فيه من هذه المُؤسَّسات المجتمعية الخيرية أو المُهْتَمِّين بشؤونها إلا كان من أعداء الأُمَّة، أدرك ذلك أم لم يدرك، وحُقَّ للعقلاء من أبناء الأُمَّة أن يَصِمُوه بالعمالة والخيانة لأُمَّته وبني جنسه.

والاهتمام بالمكتبات العامة لا يقف عند حدود تأسيسها، وإنما يجب أن يستمرَّ باستمرار الحياة؛ فهي بحاجة إلى مَلْئها بالكتب والمخطوطات ووسائل المعرفة الأخرى، وبحاجة إلى إدارةٍ وتمويلٍ لتسيير شؤونها، وبحاجة إلى صيانة مرافقها وترميمها وتوسيعها، وبحاجة إلى تفعيل دورها في خدمة المجتمع من خلال البرامج والأنشطة التي يطرحها القائمون عليها، وبحاجة إلى تفعيل دورها للاستفادة مما تحويه من موادَّ وما تُقِيمه من فعاليات.

لكل هذا، فإن باب التطوُّع في هذا المجال واسع جدًّا، وخاصة إذا علمنا أن المكتبات العامة لا تنحصر في ذات المباني الضَّخمة والأدوار العديدة التي تحوي الآلاف وربما الملايين من الكتب والمواد الأخرى، وتحتلُّ مساحات شاسعة من الأراضي، وإنما هناك أيضًا المكتبات الصغيرة التي يجب أن لا يخلو منها مسجد ولا جامع ولا حيٌّ ولا قرية ولا نادٍ علمي أو ثقافي، ولذا على الشباب والفتيات -وخاصة المُثقَّفين منهم- أن يجعلوا من أولويات اهتماماتهم التطوُّعية المشاركة في إقامة المكتبات العامة وإدارتها وتفعيل دورها.

٢- النوادي العلمية والثقافية

لقد تنوَّعت مجالات الثقافة في عالمنا المعاصر، فأصبح من الصعب استيعاب كل قطاعات المعرفة من خلال المنافذ التقليدية المُستَخدمة لرصدها ونشرها كالأفراد أو المجموعات الصغيرة، وبات إنشاء نوادٍ مُتخصِّصة لكل فنٍّ أمرًا لا مَفَرَّ منه، ولذا ينبغي للنُّخَب المُثقَّفة في كل مجتمع السَّعْيُ الحثيث والجادُّ إلى تأسيس هذه النوادي، والعمل بجدِّية لتزويدها بما يُؤهِّلها لتأدية الدور المنوط بها.

ومن غريب المفارقات في مجتمعاتنا أنه لا تكاد تخلو بلدة من نوادٍ رياضية، في حين قد لا نجد -ولو على مستوى الدولة- إلا القليل من النوادي الثقافية والأدبية فضلًا عن النوادي العلمية أو نوادي الحاسوب، ومن هنا فعلى الشباب والفتيات الواعين المُتعلِّمين أن يُعطوا اهتمامًا كبيرًا لهذه المُؤسَّسات، وإنشاء مثل هذه النوادي قد لا يكون بتلك الصعوبة من النواحي المالية والمادية، وإن وُجِدَت صعوبة فقد تكون في الحصول على التراخيص القانونية والحكومية، ولو طالت مدة الحصول على تلك التراخيص، فذاك لا يعني ترك الأمر بالكلية.

وأُولى المبادرات في هذا الصَّدد قد تضع نُخْبة من الشباب المُثقَّف من أصحاب الهِمَم العالية التصوُّرات اللازمة لما يُراد تأسيسه من هذه النوادي، ويمكن البَدْء بنوادٍ تخدم شرائح كبيرة من المجتمع ولا تحتاج إلى تصاريح وإجراءات قانونية مُعقَّدة، وفي الوقت نفسه تكون ملتقًى للمُتخصِّصين والباحثين عن المعرفة، ومنها:

أ- نوادي الحاسوب والتقنيات الأخرى

من ذلك إمكان إنشاء نادٍ للحاسوب يضُمُّ أنواعًا من أجهزة الحاسوب ومُلحقاتها، ثم يُحَثُّ الناس على ارتياده، ويُفضَّل أن يكون الانتساب إليه بطريق العضوية، ويمكن فرض رسوم للعضوية لتغطية مصاريفه، ويمكن للنادي إجراء حملات لجمع التبرُّعات

له إما مباشرة عن طريق فريق من أعضائه وإما من خلال المُؤسَّسات الإعلامية والثقافية الأخرى.

وما يجدُر تأكيده هو أن الناس قد لا يتشجَّعون للتبرُّع للنادي إلا عندما يَرَوْنه قد أقيم فعلًا على أرض الواقع، وإن كان مكانه صغيرًا وإمكاناته يسيرة، وبعد قيام النادي يكون من السهل الذهاب إلى أحد التجار أو الأغنياء ويُطلَب منه التبرُّع لتطوير النادي أو توسعة مبناه أو شراء أجهزة له، وعندما يرى أولاده وبناته قد بدؤوا ارتياد النادي والاستفادة منه، يدرك أهمية مثل هذه المُؤسَّسات، وقد يتشجَّع للتبرُّع لها.

ويمكن أن يشمل النادي صالة خاصة تكون بمنزلة متحف لتاريخ الحواسيب، بحيث تحوي مجموعة من الحواسيب التي كانت متداولة في الماضي، وكذلك البرامج التي كانت سائدة في زمانها، وفي حال تعذُّر الحصول على نماذج حقيقية لتلك الحواسيب والبرامج، فلا أقلَّ من تزويد الصالة بصور لها ومعلومات عنها، ويمكن كذلك أن تضمَّ نماذج ومعلومات عن الهواتف والأجهزة الأخرى التي كانت مستعملة في الماضي.

ب- النوادي العلمية

من الإنجازات التطوُّعية التي تستوجب السَّعْيَ الحثيث إنشاء نادٍ علميٍّ يجد فيه الإنسان مَرْتعًا مناسبًا لتنمية ثقافته العلمية وممارسة هواياته المختلفة، ولذا ينبغي في كل مدينة أن تخاطب نخبة من المُثقَّفين فئات المجتمع المختلفة والمُؤسَّسات الحكومية والخاصة لإقامة هذا الصَّرح المهم في المجتمع، وبعد إقامته عليهم التكاتف مع غيرهم من مرتادي النادي من خبراء وباحثين وطلاب لتفعيل دوره الرِّيادي من قبيل صنع الأجهزة أو إجراء دراسات تخدم المجتمع.

ولا شك أن النوادي العلمية تحتاج إلى تجهيزات من نوع خاص لكي تستطيع الوفاء بتطلُّعات ورغبات المجتمع، فهي تحتاج إلى مختبرات للحاسوب وأنابيب الاختبار والمحاليل

الكيميائية والأجهزة الدقيقة التي يحتاج إليها الباحث والدارس، وجميع ذلك يحتاج إلى أموال وجهود كبيرة، ولذا لا بُدَّ من تضافر جهود أفراد المجتمع ومُؤسَّساته لتحقيق ذلك.

ج- النوادي الثقافية

النوادي الثقافية تضع الإنتاجات الفكرية والثقافية في متناول الجميع، ولها دورٌ ملموس في الارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري بين أوساط المجتمع، وعلى المُثقَّفين في كل مدينة أن تتضافر جهودهم لإنشاء ناديها.

ويجب أن لا يقف دور النوادي العلمية والثقافية في حدود مبناها التقليدي، وإنما عليها أن تَمُدَّ سواعدها لمساعدة فئات المجتمع المختلفة من خلال الفَعاليات والأنشطة التي ترعاها، ومن خلال تفعيلها للكوادر المُثقَّفة المغمورة في المجتمع، وإذا كانت مجتمعاتنا ما تزال لا ترعى مثل هذه النوادي بكثير اهتمام فلا بُدَّ من الشروع في إقامتها وتفعيلها لترقى بسببها أنماط التفكير عند الناس، ويزدادون وعيًا بواقعهم وإلمامًا بثقافتهم.

٣- مراكز وشبكات المعلومات

إن المجتمع المَدَنِيّ المعاصر قد ارتبط بعالم المعلومات بعَقْد قِران لا طلاق فيه ولا خُلْع، ولذا على مجتمعاتنا أن تسعى إلى مواكبة الطَّفَرات المُتلاحقة في عالم المعلومات، وذلك من خلال إنشاء وتفعيل مراكز وشبكات المعلومات، ورغم أن هذه المراكز والشبكات قد صارت من الانتشار بحيث يُوصَم من لا ينتمي إلى أيٍّ منها بالرجعية والتخلُّف، فإننا نرمي هنا إلى مراكز وشبكات عامة على غرار المكتبات العامة والنوادي العلمية والثقافية العامة، التي هي حقٌّ لكل فرد في المجتمع.

والحاجة إلى مراكز وشبكات معلومات عامة بات ضروريًّا من وجوه عدة، نذكر منها:

١- خدمة المُؤسَّسات التطوُّعية العامة كالمكتبات والنوادي العلمية والثقافية ومراكز البحث العلمي والمدارس وحتى المساجد والجوامع؛ فكل هذه المُؤسَّسات بحاجة إلى الاتِّصال بالعالم الخارجي وذلك إما لجلب المعلومات، وإما لنقل ما تُجريه من أنشطة وفعاليات، أو لمُجرَّد التَّواصُل مع الخبراء وذوي المعرفة في القطاعات الأخرى.

٢- كذلك، فإن الكثير من الخدمات التي تُقدِّمها هذه المُؤسَّسات تُعَدُّ امتدادًا للخدمات التي تُقدِّمها مُؤسَّسات تطوُّعية أو تجارية أخرى في داخل القُطْر الذي توجد به تلك المُؤسَّسة أو خارجه، فمثلًا هناك آلاف الكتب والمجلات والنشرات المُتوفِّرة إلكترونيًّا على شبكة المعلومات والتي يمكن الحصول عليها مجانًا أو بأسعار زهيدة، ولهذا فإنها تُشكِّل أحد الروافد المُهِمَّة للمعلومات بالنسبة للمكتبات والنوادي العلمية والثقافية والمدارس ومراكز الدراسات والبحوث.

٣- وإذا علمنا أن المُؤسَّسات التطوُّعية تعتمد في مواردها على ما تجود به أيادي المحسنين في المجتمع، فإن توفير مراكز وشبكات معلومات مجانية أو بأسعار رمزية سيُعينها كثيرًا على مواصلة رسالتها دون عوائق مالية أو تقنية تُذكَر.

٤- نحن نعلم أن الارتقاء بالمستوى التَّقَني والمعلوماتي للأفراد يُعد من الأهمية بمكان لكي يضاهي جانب الاهتمام بمستواهم الثقافي والعلمي، وذلك لما له من دور فعَّال في رفع كفاءة الإنسان في التعامل مع مفردات الحياة المدنية الحديثة، التي في غالبها رَقْمِيَّة أو شبه رَقْمِيَّة، ولذا فإن دور مراكز المعلومات سيكون في توفير التقنيات الحديثة للفرد مجانًا أو بتكلفة يسيرة، إضافةً إلى دورها في الرُّقِيّ به إلى المستويات المطلوبة من خلال بيئة المعلومات التي تُوفِّرها هذه المراكز والدورات التدريبية التي تطرحها.

٥- كما ذكرنا من قبل، فإنه يعيش بيننا أناس لا يستطيعون الاستفادة مما أنتجته ثورة المعلومات والتقنيات الحديثة؛ وذلك إما لقِلَّة ذات اليد التي تمنعهم من الوصول إلى ما تتسابق إليه أيادي الآخرين، وإما لعدم استشعارهم بأهمية ثورة المعلومات في

حياة الناس، ولهذا فإن توفير خدمة المعلومات لهم بيُسر وبتكلفة زهيدة قد يساهم في تلاشي هذه الطبقة من المجتمع.

من النقاط السابقة التي ذكرناها يتبيَّن أن الاهتمام بإنشاء مراكز وشبكات معلومات عامة -وربما مجانية- قد لا يقِلُّ أهمية عن إنشاء المُؤسَّسات المدنية الأخرى، ولذا على مُتخصِّصي التقنيات وأصحاب الأموال والمُثقَّفين ومن تَشْرَئِبُّ إليهم الأعناق في المجتمع أن يتعاونوا ويُبادروا لإقامة مثل هذه المُؤسَّسات، وأن لا يبخلوا على مجتمعاتهم وبَنِي جلدتهم بما حباهم الله به من علم ومال ومهارات.

٤- مُؤسَّسات لرعاية المُسِنِّين

من المُؤسَّسات الخيرية الأخرى التي ينبغي الاهتمام بها تلك المَعْنِيَّة برعاية المُسِنِّين، وهذه منتشرة كثيرًا في بلاد الغرب، وأما في مجتمعاتنا فبفضل الله ثم تعاليم ديننا الحنيف فإن المُسِنَّ -غالبًا- ما يجد مَن يرعاه من أبنائه أو أحفاده، إلا أنه قد تكون هناك بعض البيئات -وخاصة في العواصم- لا يجد فيها المُسِنُّون مَن يتولَّى أمورهم، والاهتمامُ بهؤلاء قد لا يكون من نواحٍ مالية أو معيشية فقط، وإنما هم بحاجة إلى مَن يأخذهم لزيارة أصحابهم والتَّسامُر معهم وسَرْد الحكايات والقصص عن ماضيهم، وكذلك أخذهم إلى أماكن للنُّزهة خاصة بهم، وهم بحاجة أيضًا إلى مَن يأخذهم للفحوصات الدورية أو لتسلُّم أو شراء الأدوية التي يتناولونها، وأيضًا بحاجة إلى برامج ثقافية وترفيهية خاصة بهم، وكل هذه الأمور تحتاج إلى مُؤسَّسة مُتخصِّصة تُكرِّس كل خدماتها لهذه الفئة فقط.

ويمكن التطوُّع في هذا الجانب إما بإيجاد المُتَنَزَّهات والمُلتقيات الخاصة بهم، وإما بتخصيص أشخاص لأخذهم إليها ورعايتهم فيها؛ فقد يحتاج أحدهم مثلًا إلى الذهاب إلى دورة المياه، وقد يحتاج إلى تناول القهوة أو الشاي وبعض الوجبات الخفيفة في أثناء بقائه

فيها، وقد يحتاج إلى مساعدة عند ركوب السيارة والنزول منها، وكذلك عند دخول الأماكن المُخصَّصة لهم وعند التجوُّل فيها.

وعمل هذه المُؤسَّسة لن ينحصر فقط في تقديم الخدمات للمُسِنّين، وإنما قد يتعدَّى إلى تثقيف المجتمع باحتياجاتهم، وتوجيهه إلى الاهتمام بهم، ومخاطبة الجهات الحكومية والشَّعبية الأخرى للمساهمة في رعايتهم وتخفيف ما يُعانونه من وَحدة وعُزلة، وربما أوجاع وأسقام في أحيان كثيرة، وقد يتعدَّى دور المُؤسَّسة إلى توفير الأجهزة التي يحتاجون إليها مثل الكراسي المُتحرِّكة، وربما توفير ما يحتاجون إليه من أدوية وأدوات، أو على الأقل إحضارها لهم.

٥- مُؤسَّسات لرعاية المُعوَّقين وذوي الاحتياجات الخاصة

مجتمعاتنا بحاجة ماسَّة أيضًا إلى مُؤسَّسات مُتخصِّصة لرعاية المُعوَّقين وذوي الاحتياجات الخاصة، ورغم أن مجتمعاتنا الإسلامية -ولله الحمد والمنة- تُعير هذا الجانب اهتمامًا لا بأس به، فلا بُدَّ من وجود أماكن ومراكز ومعاهد ومدارس خاصة بهؤلاء، فقد يحتاجون إلى رعاية خاصة وبرامج خاصة داخل -وربما خارج- المُؤسَّسات التي ترعاهم.

ونظرًا إلى كون غالبية المُعوَّقين وذوي الاحتياجات الخاصة من الفئات غير القادرة على القراءة، فيمكن التطوُّع في هذا الجانب بقراءة بعض الأشخاص كتبًا وقصصًا ومقالات لهؤلاء، سواءٌ أكان ذلك في بيوتهم أم في المُؤسَّسات التي ترعاهم، ويمكن للمُتطوِّعين أن يخطوا خطوات أبعد في هذا الجانب؛ وذلك بقراءة الكتب والقصص وغيرها من المواد النافعة وتسجيلها في الهواتف أو الأقراص المُدْمَجَة، ثم إرسالها أو توزيعها عليهم، وتُوجَد حاليًّا برامج مُتخصِّصة تحوي العديد من الكتب الصوتية، وتُمَكِّن من إضافة كتب أخرى إليها، وهناك أيضًا وسائل تُعين هؤلاء على استعمال الحاسوب، ولذا يَبقى دَوْر المُتطوِّع في توجيههم نحو استعمال هذه التقنيات ومساعدتهم على ذلك.

ويحتاج هؤلاء أيضًا إلى مَن يُعلِّمهم أمور دينهم ويُحفِّظهم كتاب ربهم، وقد لا يجدون مِن أهلهم مَن هو على استعداد لذلك؛ إما لقِلَّة علمهم وإما لانشغالهم بمُلْهِيات الحياة، ويمكن للمُؤسَّسات المَعْنِيَّة بهم توفير تقنيات بالهاتف أو الحاسوب تُعينهم في هذا الجانب بالصوت والصورة، ويمكن أيضًا تنفيذها من خلال المُتطوِّعين أنفسهم.

٦- مُؤسَّسات لمساعدة المُدْمِنين وأُسَرِهم

من المُؤسَّسات المنتشرة في البلدان غير الإسلامية، وخاصة بلدان الغرب، تلك التي تقوم على مساعدة المُدْمِنين؛ سواءٌ أكانوا مُدْمِني دخان أم خمور أم مُخدِّرات، وأيضًا مساعدة أُسَرهم على كيفية التعامل السليم معهم، وقد يعجب القارئ مما أقوله هنا؛ إذ كيف نساعد أولئك المجرمين بدلًا من أن نعاقبهم على ما يقترفون؟!

وللإجابة عن هذا علينا أن نتذكَّر قول المولى -سبحانه-: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، ونتذكَّر كذلك سيرة المصطفى -عليه الصلاة والسلام- مع مَن ارتكبوا المُوبِقات وجاؤوا إليه ليُقيم عليهم الحدَّ، فكان الرحيم -بأبي هو وأُمِّي- يصرفهم عنه رغبة في أن يستروا أنفسهم ويتوبوا إلى ربهم، ولذلك عندما سُئِل الشيخ محمد الغزالي عن عقوبة تارك الصلاة قال: «**أن تأخذه معك إلى المسجد**».

لذا، فبالرغم من كون هؤلاء يُعدون شرعًا من مرتكبي الكبائر، فإن علينا واجب دعوتهم ومساعدتهم على التخلُّص من الإدمان، وذلك بتذكيرهم بالله، وتخويفهم من عقابه، وتوضيح مفهوم التوبة لهم، وشروط التوبة النَّصُوح، وما يَعِدُه الله لمَن يُقلِع عن تلك المُوبقات ويتوب إليه، كما أن أُسَر المُدمِنين بحاجة إلى مساعدة؛ إذ إن تلك الأُسَر تقع -في كثير من الأحيان- في مشكلات نفسية واجتماعية عويصة بسبب إدمان أحد أفرادها.

لذا، على المُؤسَّسة التي تتولى شؤون هؤلاء أن تُوفِّر الإمكانات والمواد والبرامج الصحية والتثقيفية التي يمكن من خلالها مساعدتهم على التوقُّف عن الإدمان أو التقليل منه تدريجيًّا، ومعالجة المشكلات النفسية والاجتماعية التي يتعرَّضون لها أو تتعرَّض لها أُسَرُهم، فمثلًا لو كان إدمانهم بسبب ضائقات مالية أو مشكلات عائلية، فدور هذه المُؤسَّسة سيكون في تقديم العَوْن المالي والمادي لهم ولأُسَرهم، مع ضمان عدم استعمال المُدمِن لتلك المساعدات في شراء مواد إضافية تُفاقِم إدمانه.

٧- مُؤسَّسات لمساعدة العاطلين عن العمل

البَطالَة مشكلة اقتصادية واجتماعية وإنسانية ذات خطر لا يُستهان به، وإذا لم تجد العلاج الناجع تفاقم خطرها على الفرد والأسرة والمجتمع؛ فهي خطر على الفرد اقتصاديًّا وصحيًّا ونفسيًّا واجتماعيًّا، وهي خطر على الأسرة؛ إذ يفقد العائل شعوره بالقدرة على تحمُّل المسؤولية، وتفقد الأسرة شعورها بالاطمئنان إلى مقدرة العائل والثِّقة به، ويواجه الجميع حالة من التوتُّر والقلق والخوف من الغد المجهول.

ولا ننسى أيضًا أن البَطالَة خطر على المجتمع بأسره؛ فاقتصاد المجتمع يختلُّ بتعطيل طاقات قادرة على الإنتاج، وتماسكه يختلُّ بسبب ما يكتنف نفوس العاطلين من شعور ضدَّ الفئات الأخرى، وأخلاقه تختلُّ لأن الفراغ والقلق لا يُنبِتان إلا الشرور والجرائم[١].

لقد أصبحت البَطالَة مُتفشِّية في معظم بلدان العالم، وخاصة العربية والإسلامية، والعاطلون قد أصبحوا عالة على مجتمعاتهم، وسببًا لكثير من المشكلات التي تحدث فيها، سواءٌ أكانت تحدث لهم أنفسهم أم لأُسَرهم وأطفالهم، وأصبحت قِلَّة الوظائف تؤدي دورًا أساسيًّا في هذا.

(١) يوسف القرضاوي، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها، ص٩.

ذكرت دراسة[١] صدرت عن مجلس القوى العاملة في المملكة العربية السعودية، بمشاركة مركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية عام ١٤١٨هـ، أن الجرائم بين العاطلين السعوديين خلال الفترة بين ١٤١٠هـ و١٤١٦هـ ارتفعت بنسبة ٣١٩,٥٣٪ وبمُعدَّل نمو سنوي بلغ ١٥,٤٢٪، وتصدَّرت جرائم السرقة قائمة الجرائم التي يرتكبها العاطلون عن العمل، فقد أوضحت الدراسة أن غالبية أُسَر العاطلين من مُرتكبي الجرائم تقلُّ دخولها الشهرية عن ٣٠٠٠ ريال سعوديٍّ، و٥٠٪ من عيِّنة الدراسة تقلُّ دخول أُسَرهم عن ١٥٠٠ ريال شهريًّا، ويسكن ٥٠٪ منهم في مساكن مُستَأجرة.

وبيَّنت الدراسة أن غالبية مُرتكبي الجرائم من العاطلين عن العمل كانت مدة تعطُّلهم قبل ارتكاب جرائمهم تتراوح بين سنة وسنتين، وقد حاول معظم هؤلاء السَّعْي إلى الحصول على عمل قبل ارتكاب جرائمهم، إلا أن غالبيتهم لم يُوفَّق في ذلك، وأن نحو ٨٤٪ ممن شملتهم الدراسة يعدّون أن البَطالَة هي السبب في جنوحهم نحو الجريمة.

ولا شك أن هناك أسبابًا عديدة لمشكلة البَطالَة، مثل انتشار العمالة الوافدة التي تُفوِّت فرص العمل عن المواطنين، وهناك أيضًا قِلَّة المهارات وأحيانًا تدنِّي المستوى العلمي والثقافي عند العاطلين مما لا يُمكِّنهم من الحصول على أعمال مناسبة، وتذكُر الأستاذة الجازي بنت محمد الشبيكي أنه بالرغم من أن هدف خصخصة المُؤسَّسات الحكومية هو زيادة الفرص المُتاحة للقطاع الخاص، ورفع مستوى الكفاءة والقدرة التنافُسية للاقتصاد الوطني، فإنها أيضًا قد تُسهِم في زيادة حجم البَطالَة في المجتمع، وما ينجُم عن ذلك من مشكلات اجتماعية نتيجة انخفاض الدخول[٢].

هذه الدراسات وغيرها تُبيِّن بجلاء أن الاهتمام بمساعدة العاطلين عن العمل يُعد عملًا اجتماعيًّا خيريًّا بالغ الأهمية، وعلى المجتمع أن يسعى حثيثًا إلى احتواء هذه الظاهرة، ومساهمته قد تكون في إنشاء مُؤسَّسات تحاول من ناحية رفع كفاءة العاطلين، وفي الوقت نفسه تحاول البحث عن فرص عمل مناسبة لهم في المُؤسَّسات والهيئات الحكومية والخاصة، وقد يكون دورها في إقامة مُؤسَّسات جديدة تُوفِّر فرص العمل المناسبة لهؤلاء.

(١) علي القحطاني، (٢٠٠٣م)، دراسة حكومية حديثة: ارتفاع نسبة البَطالَة في السعودية إلى ٣١,٧٪، جريدة (الوطن) السعودية.
(٢) الجازي بنت محمد بن فهد الشبيكي، (٢٠٠١م)، الجمعيات النسائية الخيرية والمساهمة في التنمية الاجتماعية، بحث مُقدَّم إلى جمعية الملك عبد العزيز الخيرية بالقصيم.

ولا ننسى أن للزكاة دورًا مُهِمًّا في محاربة البَطالَة، وإن كان هذا مستغربًا لدى بعض المعاصرين ممَّن لم يدرسوا المغزى الحقيقي للزكاة، وربما توهَّم بعضهم أنها تُغري بالتبطُّل أو تُعين عليه، ما دام أهل البَطالَة يجدون في صندوق الزكاة عونًا ومَدَدًا وهم قاعدون مستريحون، وهذا وَهْمٌ لا أساس له من تعاليم الإسلام لأن وظيفة الزكاة الصحيحة تكمُن في إيجاد مصدر دخل ثابت للفقير يغنيه عن طلب المساعدة من غيره.

إن هذا يستوجب من القائمين على جباية الزكاة وتوزيعها، سواءٌ أكانوا جهات حكومية أم هيئات أم أفرادًا، أن يُخصِّصوا نصيبًا من الزكاة لمعالجة مشكلة البَطالَة، بحيث يُوضَع برنامَجٌ لتشغيل العاطلين عن العمل من خلال توفير بيئة مناسبة لهم من مال الزكاة، تُعينهم على الحصول على دخلٍ كافٍ لإعالتهم هُم وأُسَرهم.

وعلى المُهْتَمِّين بشؤون المجتمع في كل بلدة أن يُجْروا دراسة أوضاع العاطلين في المحيط الذي يعيشون فيه، والاحتياجات اللازمة لإخراجهم من حالة البَطالَة إلى العمل، وأن ينسِّقوا مع القائمين على توزيع الزكاة من أجل البدء في تنفيذ مشاريع صغيرة يعمل فيها هؤلاء العاطلون، إما أفرادًا وإما بالاشتراك مع آخرين.

وقد تكون هذه المشاريع على شكل محالَّ أو ورش يمارس فيها هؤلاء المِهَن التي يُتقِنونها، وقد تكون كذلك بتوفير آلات، كماكينات خياطة أو أجهزة حاسوب للطباعة، أو آلات نسخ وتصوير، وقد تكون أبعد من ذلك، كأن تكون سيارة أجرة، أو حراثة، أو مركبة لنقل البضائع، وعلى المُؤسَّسات المَعْنِيَّة بهؤلاء أن لا تقف عند حدِّ إمدادهم بما يلزم لبدء المشروع، وإنما عليهم أن يتعهَّدوهم بالمتابعة والتقويم وتقديم التوجيهات، وربما تدريبهم في المِهَن التي يعملون فيها، إن لزم الأمر.

ويجب التنبُّه أنّ مَن يُقصَدون بالإعانة من الزكاة ليس كل العاطلين عن العمل، فهناك فئة منهم قادرة على العمل ولا عائق يحول بينها وبين السَّعْي والكسب، ولكنهم يرغبون في إراحة أنفسهم من أعبائه، ويُؤثرون العيش عالة على غيرهم إما بالحصول على الزكوات وإما المساعدات الأخرى، فهؤلاء تعوَّدوا الأخذ دون العطاء، والانتفاع من المجتمع، ويستهلكون من خيراته ولا ينتجون، دون أن يفيدوه بشيء.

أمثال هؤلاء -وإن كان تفرُّغهم للعبادة- فليس لهم حظٌّ من الزكاة، وإنما يمكن العمل معهم لإخراجهم من البَطالَة التي هُم فيها، وذلك بتذكيرهم بخطورة الشرِّ الذي أوقعوا أنفسهم فيه بسبب قعودهم عن كسب لقمة عيشهم وإعالة أُسَرهم، وعلى القائمين بشؤون الزكاة توعية الناس بأن لا يُؤتوا زكاة أموالهم لأمثال هؤلاء الكسالى المُتَمَسْكِنين -وإن أوهموا الناس بعجزهم عن العمل- فإن هناك مصارف أَوْلى بالزكاة من تشجيع هؤلاء على أن يبقوا في بطالتهم، ويخرج من هؤلاء المُتفرِّغون لطلب العلم، وإن اشترط بعض العلماء فيهم النَّجَابة لما يُرجى من انتفاع المسلمين بعلمهم[١].

وقد يكون من أوجه المساعدة الفعَّالة لهؤلاء البطَّالين تدريبهم على المهن التي يرغبون في مزاولتها، وذلك بالاتِّفاق مع أصحاب الورش، وإن كان دون أجرٍ ماديٍّ، ويمكن أيضًا أن تلحِقهم المُؤسَّسة التطوُّعية المَعْنِيَّة بهم في دورات تدريبية يُقدِّمها مُتخصِّصون في المِهَن والمهارات المختلفة، ويمكن أيضًا إلحاقهم بمعاهد ومراكز تدريبية للحصول على شهادات مُعترف بها يمكن أن تُؤهِّلهم للحصول على وظائف، أو مزاولة أعمالهم في المشاريع الصغيرة التي تفتتحها المُؤسَّسة التطوُّعية لهم.

٨- الصناديق والجمعيات المالية

إن الوضع المالي للمجتمعات الإسلامية في هذه الأيام ليس بالمُفْرِح؛ إذ إن معظم الناس مُتورِّطون في الديون، وخاصة من البنوك الربوية، ويمرُّ كثير منهم بأزمات وضائقات مالية لأسباب شتَّى؛ فقد يقع أحدهم في حادث ويحتاج إلى علاج، أو يُفصَل من وظيفته، أو يقع في مَأزِق قانوني، أو يحتاج إلى مبلغ من المال لتغطية تكاليف الزواج أو مواصلة الدراسة، أو حتى لشراء سيارة أو بناء بيت.

لأمثال هؤلاء وغيرهم يكون إنشاء صناديق أو جمعيات مالية إحدى الوسائل المُهِمَّة لمساعدتهم على تلبية احتياجاتهم، أو الخروج من الأزمة التي يمرُّون بها، وخاصة إنْ تعلَّق

(١) يوسف القرضاوي، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها، ص١٦.

الأمر بالتخلُّص من القروض الرِّبَوِيَّة، وعلينا أن نعلم أنه لا بُدَّ لأفراد المجتمع من التكافل، إذ ليس كل غنيٍّ يبقى دومًا في غناه، وليس كل فقير محكومًا عليه أن يبقى في فقر؛ فالغنيُّ يمكن أن تحدث له ظروف تجعله يفقد أمواله، والفقير يمكن أن يُصبِح غنيًّا -أو على الأقل أن يُحسِّن أحواله- إذا وجد المساعدة اللازمة.

لكن هذه الصناديق ستحتاج إلى تمويل، وتمويلها إما أن يكون تطوُّعيًّا؛ وذلك بتشجيع مَن كان عنده فضل مال أن يُودِعَه في الصندوق قرضًا أو تبرُّعًا، وإما بجعل الأمر إجباريًّا على فئات مُعيَّنة من المجتمع؛ كأن يدفع الشخص مساهمة شهريَّة لذلك الصندوق على اعتبار أنها قرض، ومن هذه الأموال المُتَجَمِّعة يُساعَد أصحاب الديون والضائقات المالية، ومتى أدَّى هؤلاء سداد ما عليهم للصندوق، يُرجِع الصندوق تلك المبالغ إلى أصحابها.

ولكي تُؤدِّي هذه الصناديق رسالتها على الوجه المطلوب لا بُدَّ لها من نظام يناسب المُقرِضين والمستفيدين؛ فلا يكون فيه استغلال من أحد المستفيدين، ولا إجحاف بحقوق المُقرِضين، ومن المُهِمّ جدًّا لنجاح هذه الصناديق قانونية النظام الذي يحكمها، ويمكن صياغته من محامين معروفين، ومن الأفضل أيضًا -حمايةً للمُقْرِض والمُستفيد- استخراج التصاريح الرسمية اللازمة لإنشاء الصندوق، والتصديق على نظامه من الجهات الرسمية المَعْنِيَّة.

٩- لجان ومُؤسَّسات لرعاية الأوقاف والأملاك التابعة لبيت المال

الزكاة والوقف من أهم ما جاء به الإسلام من تشريعات مالية، ويُعَدّان رُكْنَيْن أساسِيَّيْن من أركان النظام الاقتصادي الإسلامي، وقد أصبحت الزكاة -طوال التاريخ الإسلامي- المُؤسَّسة الأولى لتمويل الإنفاق التحويلي في الدولة الإسلامية، وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين أبناء المجتمع المسلم، كما أصبح الوقف المُؤسَّسة الأولى لتمويل

بقية النَّفَقات العامة التي لا تشملها الزكاة، وخاصة النَّفَقات الضَّرورية لتنمية المجتمع وتَحضُّره، وفي مُقدِّمتها التعليم والصِّحَّة[١].

يُعرَّف الوقف[٢] بأنه «**حَبْسُ العَيْن** (عَقارًا أو بستانًا مثلًا) **وعدم التصرُّف بها** (كبيعها أو هِبَتها لشخص آخر) **مع التصدُّق بمنافعها** (أي صافي الإيرادات منها) **في مجال الخير** (مثل كفالة الأيتام وطلاب العلم أو بناء المشافي)»، وغالبًا ما يُطلَق الوقف على المال أو العين الموقوفة.

ويُذكَر أن أول وقف خيري عُرف في الإسلام هو وقف النبي -صلى الله عليه وسلم- لسبع حوائط (أي بساتين) كانت لرجل يهودي اسمه مُخَيْريق[٣]، ثم تبع ذلك شراء سيدنا عثمان بن عفان بئر «رومة»، وجعلها كلها وقفًا على المسلمين.

أ- أهمية الوقف

كما نعلم فإن الزكاة مُخصَّصة لمصارف مُحدَّدة لا يمكن تجاوزها، إلا أنها تمتاز بأنها نظام إلزامي، فلا بُدَّ من كل مُقْتَدِر في المجتمع أن يدفعها، وهذا على عكس الوقف؛ فهو -من ناحية- تطوُّعي واختياري، ومن ناحية أخرى ليس فيه إجبار لأحد على المشاركة فيه، رغم أنه يمتاز بسَعَة مجالاته التي تشمل كل وجوه البِرّ، ويُراعي أغلب جوانب الحياة وحاجات الناس.

والوقف بمفهومه الواسع، وشموليته وتنوُّع أغراضه، وعدم مَحدُودِيَّته، واتِّساع آفاق مجالاته، يُعَدُّ أصدقَ تعبيرٍ وأوضحَ صورة للصدقة التطوُّعية الدائمة، وهو تجسيد حيٌّ لقِيَم التكافل الاجتماعي التي تسري في كيان الأُمَّة، وتعبير صادق عن وعي الفرد المسلم بمسؤوليته الاجتماعية، وإدراكه وتفاعله مع هموم إخوانه المسلمين وقضاياهم في كل مكان.

(١) عبد الله بن مُصْلِح الثمالي، (بدون تاريخ)، وقف النقود – حكمه، تاريخه وأغراضه، أهميته المعاصرة، استثماره، كتاب إلكتروني، ص٤.
(٢) نقلاً عن الموقع الرسمي للهيئة العالمية للوقف (www.worldwaqf.org).
(٣) برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر، الإسعاف في أحكام الأوقاف، ص٥.

«ولقد كانت الأوقاف هي حجر الأساس الذي قامت عليه كل المُؤسَّسات الخيرية التي قامت في ديار المسلمين؛ فلقد كانوا يُفكِّرون في المشروع ويُقيمون له الوقف ليُنفَق عليه من دخله، ولا يكتفون بإنشاء المشاريع دون تفكير في مستقبلها وضمان استمرار تشغيلها، ولذلك كانت هذه المُنشآت تقوم بدورها في المجتمع بغضِّ النَّظر عن ما يحصل لموقفها من طوارئ الزمان»[١].

ويُعدُّ الوقف الإسلامي إحدى الركائز الأساسية للنهضة الإسلامية الشاملة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية، فعلى مدى عقود طويلة مرَّت في تاريخ الأُمَّة الإسلامية، مارس الوقف بمُؤسَّساته ونظامه الشُّمولي التَّنْموي الرائد أدوارًا بالغة الأهمية في دَعْم مختلف نواحي الحياة في الدولة المسلمة؛ حتى غَدَت مُؤسَّسة الوقف الإسلامي التي نشأت وتطوَّرت في ظِلِّ الحضارة الإسلامية من أكبر المُؤسَّسات التمويلية التي عرفها التاريخ.

ونظرًا إلى توسُّع مجالات الوقف وتعدُّدها، لم تنحصر الأموال الموقوفة على العقارات والأموال المنقولة، وإنما اعتمدَت المُؤسَّسات الوقفية الحديثة على الطرق العلمية في الدعاية للوقف وإدارته وتنويع مجالاته، واتِّباع الطرق المُبْتَكَرة لتنميته واستثماره، فأعادت إلى الوقف أهميته ودوره التاريخي العظيم، ليُكمِل وظيفته ذات الأساس الشرعي في الإسهام في تنمية الشعوب والمجتمعات الإسلامية وَفْقًا لمُعطيات كل عصر.

ب- مجالات الوقف

تتعدَّد مجالات الوقف لتشمل جميع أعمال البِرِّ والخير، وتقديم الخدمات والمنافع للأفراد والمجتمعات، فكان من ذلك الإنفاق على طلاب العلم والدعاة وكفالة اليتامى والفقراء والمساكين والسَّهَر على شؤونهم، وانتشرت «التَّكايا" لتوفير الطعام لطوائف كثيرة من الفقراء والمساكين وابن السبيل وطلبة العلم، وكانت «التَّكِيَّة» تُقدِّم وجبات مجانية مرتين في اليوم لكل مَن يقصدها، وكانت تُستَخدم أحيانًا لاستضافة الغرباء والمسافرين، وتارة لإيواء الفقراء والمساكين، وتارة أخرى لإقامة طلبة العلم.

(١) صالح كامل، (١٩٩٣م)، دور الوقف في النُّمُو الاقتصادي، ص٣١.

وأسهم الوقف كذلك في تأسيس المساجد والجوامع والمدارس والمعاهد والجامعات والمكتبات والمستشفيات والمقابر وإدارة شؤونها، وامتدَّتْ اهتمامات الواقفين لتشمل النواحي العسكرية، مثل إنشاء الأربطة والحصون، وتجييش الجيوش، وتجهيزها للذَّوْد عن الديار الإسلامية[١].

واهتمَّ الواقفون أيضًا براحة المسافرين؛ فأنشؤوا لهم الاستراحات على الطرق الرئيسة التي كانت تربط بين البلدان، وتوسَّع اهتمامهم حتى بالحيوانات والطيور؛ فوَقَفوا أملاكًا لإطعام الطيور في فصول الشتاء حينما يكسو الجليد المزارع.

ج- الوقف المُبْتَكَر

يُقصد بالوقف المُبْتَكَر «**تلك الأفكار الجديدة والأصيلة التي يُقصَد من تطبيقها تطوير الأوقاف من حيث الأصول التي يتمُّ وقفها، ومصارف تلك الأوقاف، وتنظيم إدارتها، ورسم سياساتها، لتتَّسع فكرة الوقف من خلال هذه الأبعاد لآفاق أرحب من الوقف التقليدي وصوره المعروفة**»[٢].

ويهدف الوقف المُبْتَكَر إلى إتاحة فرصة المشاركة في إنشاء أوقاف جديدة لجميع فئات المجتمع والمُؤسَّسات مهما كان حجمها (صغيرة، متوسطة، كبيرة)، وعدم الاقتصار على أصحاب الثروات الكبيرة، وذلك من خلال أيِّ نوع من الأصول، ويهدف كذلك إلى عدم التقيُّد بالمصارف التقليدية للوقف؛ فمن ناحية الأصول يمكن وقف أيِّ نوعٍ من الأصول (عينية أو معنوية)، سواءٌ أكانت تملكها المُؤسَّسات أم الأفراد، وسواءٌ أكانت أصولًا تقليدية مثل العقارات والأراضي، أم أصولًا مُبْتَكَرة سنُبيِّنها بعد قليل، وأما ما يتعلَّق بالمصارف المُبْتَكَرة فإنها تُركِّز على الأمور التنموية للمجتمع التي سنُبيِّن بعضَها لاحقًا.

(١) محمد عبد القادر الفقي، (٢٠٠٩م)، دور الوقف الإسلامي في التنمية وحماية البيئة، مقال في مجلة (الوعي الإسلامي)، العدد: ٥٢٢.
(٢) نجاة محمد المرزوقي، الوقف المُبْتَكَر: أصالة المبدأ وضرورة الفكرة، ص١٧.

من أمثلة الأصول المُبْتَكَرة للوقف ما يأتي:

- **إعلانات صحفية وقفية:** يمكن للصُّحُف تخصيص صفحات وقفية يعود رَيْع الإعلانات فيها لخدمة المجتمع من خلال الوقف المُبْتَكَر.
- **طاولات مطعم وقفية:** قد لا يكون بإمكانك وقف مطعم بأكمله، ولكن إن كنتَ صاحب مطعم فيمكنك تخصيص طاولات مُعيَّنة يعود رَيْعها للوقف.
- **ملعب وقفي:** يمكن للأندية الرياضية الإسهام في خدمة المجتمع من خلال تخصيص مقاعد مُحدَّدة يعود رَيْع تذاكرها لهذا الغرض.
- **سيارات أجرة وقفية:** إن كنتَ صاحب سيارة أجرة فيمكنك تخصيص يوم في الأسبوع -أو حتى في الشهر- يكون رَيْع ذلك اليوم لصالح الوقف، وبالمثل فإن كنت تمتلك شركة لسيارات الأجرة أو تأجير السيارات فيمكنك تخصيص سيارات بعينها يعود رَيْع إيجارها للوقف.
- **غرف مستشفيات وقفية:** يمكن للمستشفيات الخاصة تخصيص غرف مُعيَّنة يعود رَيْع إيجاراتها أو العلاج فيها للوقف.
- **غرف فنادق وقفية:** يمكن للفنادق أيضًا الإسهام في الوقف المُبْتَكَر، وذلك بتخصيص غرف مُحدَّدة يعود رَيْع إيجاراتها للوقف.
- **أسهم وقفية:** يمكن للمشاريع الصغيرة تخصيص نسبة من أسهمها لصالح الوقف، بحيث يعود رَيْعها لخدمة المجتمع في أحد المجالات.
- **ساعات وقفية:** يمكن للشركات الاستشارية تخصيص ساعات مُعيَّنة، تُقدَّم فيها الاستشارات المجانية لخدمة بعض مُؤسَّسات الوقف أو فئات مُعيَّنة من المجتمع.
- **خدمات وقفية:** يمكن للمُؤسَّسات الخاصة تعيين خدمات بعينها تعود رسومها لخدمة الوقف، وكذلك يمكنها تخصيص ساعات مُحدَّدة تُقدِّم خلالها بعض الخدمات التي تخدم أغراض الوقف مجانًا.

- **بوابات وقفية:** يمكن للمُتنزَّهات والمرافق السياحية والترفيهية تحويل إحدى بواباتها إلى بوابة وقفية يعود رَيْع التذاكر منها لخدمة الوقف.
- **شاشات وقفية:** يمكن للمراكز التجارية تخصيص شاشات بعينها يعود رَيْع الإعلان فيها لخدمة الوقف، أو يُتاح الإعلان فيها للمُؤسَّسات والمشاريع الوقفية، ويمكن كذلك للمواقع ومِنَصَّات التَّواصُل الاجتماعي تأجير مساحات إعلانية فيها لخدمة الوقف.
- **ثوانٍ وقفية:** يمكن لقنوات الإذاعة والتلفاز تخصيص بعض الثواني في الإعلانات التي تبثُّها ليكون رَيْعها لصالح الوقف، أو لخدمة مُؤسَّسات ومشاريع وقفية.
- **مواقف وقفية:** يمكن للجهات التي تمتلك مواقف خاضعة للرسوم تحديد بعض تلك المواقف ليعود رَيْعها لصالح الوقف.
- **رفوف وقفية:** يمكن لمحالِّ التجزئة تخصيص رفوف مُعيَّنة يعود رَيْع تأجيرها أو رَيْع بيع المنتجات المُباعة عليها لصالح الوقف.
- **أجهزة وقفية:** يمكن للمُؤسَّسات التي تؤجِّر أجهزة طبية أو كهربائية أو إلكترونية تحديد أجهزة مُعيَّنة يذهب رَيْعها لخدمة الوقف.

وهناك أمثلة عديدة أخرى للأوقاف المُبْتَكَرة مثل وقف العمل المُؤقَّت[١]، والوقف السياحي[٢] الذي قد يدخل من ضمنه وقف المتاحف، وهناك وقف المُبدِعين[٣] الذي يهدف إلى توفير البيئة الحاضنة للإبداع وتنمية مهارات المُبدِعين من خلال إشراكهم في دورات تنموية لتوسيع مداركهم الإبداعية.

(١) حسن محمد الرفاعي، (٢٠٠٦م)، وقف «العمل المؤقَّت» في الفقه الإسلامي، كتاب إلكتروني.
(٢) أحمد صالح سالم العمري وحسن محمد الرفاعي، (٢٠٢١م)، الابتكار في الوقف السياحي – وقف المُتاحف أُنموذجًا، مجلة (البحوث العلمية والدراسات الإسلامية)، العدد: ١٣، الرقم: ٤، ص٣٧٣–٣٨٨.
(٣) https://waqfcenter.com/ar/product/notebook-for-your-creative-observation.

وفيما يخصُّ الابتكار في مصارف الوقف، فيمكن -على سبيل المثال- تخصيص رَيْع الوقف ليخدم ما يأتي[١]:

- ✓ دعم البحوث العلمية والطبية في الجامعات والمراكز البحثية.
- ✓ دعم العلوم والتكنولوجيا بشتَّى الصور التي تُشجِّع الإبداع والابتكار، وترتقي بمستوى التعليم في بلدان المسلمين.
- ✓ تمويل المِنَح الدراسية والبحثية للطلاب والأساتذة والعلماء.
- ✓ دعم المشاريع البحثية والدراسات، وكذلك مشاريع الشباب الخدمية والتجارية.
- ✓ التدريب وتنمية المهارات، ويمكن ذلك بإقامة المراكز المُتخصِّصة للارتقاء بمستوى الناس أو فئات مُعيَّنة من المجتمع.

د- دورنا تجاه الوقف

تُجمِع الدراسات والبحوث العديدة على ضرورة ردِّ الاعتبار لمُؤسَّسة الوقف، والعناية بما يكفُل تطويرها وتجديدها، وحَفْز المُحْسِنين وعامة الناس إلى الاهتمام بالوقف ابتغاء وجه الله والدار الآخرة أولًا ثم مواساةً لذي الحاجات في المجتمع، فالوقف كان سلوكًا مُجْتَمَعِيًّا بامتياز قبل تدخُّل الدولة، وكان الأمراء والحكام يُنشِؤون أوقافًا من خالص أموالهم وبصفتهم الفردية[٢].

من هنا، فإن من الجهود التطوُّعية المُهِمَّة التي يمكن بذلها في هذا الجانب إنشاء لجان لحصر الأوقاف والأملاك التابعة لبيت المال، وأيضًا لمتابعة شؤونها والاهتمام بها، وأقترح إنشاء لجنة خاصة بالوقف في كل بلدة تتولَّى حصر الأملاك التي جرى وقفها، ثم تتولى الاهتمام بها ومتابعة شؤونها.

(١) مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة، (بدون تاريخ)، الوقف المُبتَكَر.
(٢) محمد سالم إنجيه، إحياء ثقافة التطوُّع وبذل الجهد، كتاب إلكتروني.

ومما يُؤسَف له كثيرًا أنه، بالرغم من أن الآباء والأجداد قد وَقفوا أملاكًا كثيرة كالأراضي أو البساتين، أو غيرها من الأمور الأخرى التي يمكن الاستفادة منها واستثمارها لتلبية احتياجات المساجد والمدارس والمقابر وأغراض الحياة المختلفة، فإن هذه الأوقاف لم تحظَ بالاهتمام المطلوب، واختُلِست بعضها وأُدرِجت ضمن الأملاك العامة، وبيع الكثير منها.

لذا، فإن متابعة مثل هذه الأملاك، ومعرفة أصولها وطبيعة ما وُقِفَت من أجله، والمصير الذي آلت إليه، يُعد من أهمّ الأعمال التطوُّعية، بل من ألزم الواجبات على المسلمين، وستجد اللَّجنة أو المُؤسَّسة التطوُّعية أن كثيرًا من الأوقاف تحتاج إلى رعاية، ووكلاؤها القائمون عليها حاليًّا -في الغالب- غير مُهْتَمّين بها، رغم أنها كانت في الماضي تُدِرُّ أموالًا طائلة لبيت المال، لكنها كادت الآن تندثر بسبب إهمال القائمين عليها لشؤونها، وأصبح ما يُنفَق عليها أكبر من عائداتها.

ونذكر فيما يأتي بعض الاقتراحات الأخرى المُتعلِّقة بالوقف، التي يمكن أن يكون لها أثر طيّبٌ في موضوع العمل التطوُّعي:

- تشجيع المشايخ والوجهاء على إنشاء أوقافٍ جديدة ليكونوا قدوة لغيرهم، فقد ورد في الحديث الشريف أن رجلًا قال: «**يا رسول الله، أيُّ الصدقة أفضل؟**» قال: ((**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الغِنَى، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ**))[1]، وأَوْلى الناس باتِّباع سنة المصطفى -عليه الصلاة والسلام- هم المُتصدِّرون لهداية الناس وإرشادهم.
- تشجيع الناس على وقف المواد العينية المنقولة، كالسيارات، ليستطيع القائمون على الوقف توجيهها في استعمالات العمل الخيري المختلفة[2].

(١) صحيح البخاري (حديث رقم: ١٤١٩، ج٢، ص١١٠) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.
(٢) عبد الله بن مُصْلِح الثمالي، (بدون تاريخ)، وقف النقود - حكمه، تاريخه وأغراضه، أهميته المعاصرة، استثماره، كتاب إلكتروني.

- تشجيع الناس على وقف النقود[١]، وذلك بأن يجعل المسلم مقدارًا نقديًّا، ولو كان قليلًا، وقفًا، ويمكن أن يُحدِّد الواقف كيفية التصرُّف في ذلك المال؛ كالمُتاجَرة به والاستفادة من عائده في أوجه البِرِّ، أو إقراضه للمُحتاجين؛ كأصحاب الدُّيون، أو مَن يرغبون في الزواج، أو لتغطية نفقات الدراسة، وبعد أن يُسهِّل الله على المُقْتَرِض يمكنه سداد ما اقترضه، لإقراض ذلك المال مرة أخرى لشخص آخر، وهكذا.

«ورغم أن هذه [أي أوقاف النقود] مسألة فقهية اختلف الفقهاء حولها كثيرًا، غير أن حُجَّة المُجيزين لها هي أن النقود -وإن كانت من المنقولات التي تُستَهلَك عند الانتفاع بها- إلا أن وقفها لا يُقصَد منه مَنْحُها لمَن يستهلكها إلى غير بَدَل، بل المقصود منه الانتفاع إلى بَدَل يقوم مقام ما استُهْلِك منها بإقراضها ثم ردِّ بَدَلها، أو المُتاجَرة بها والإنفاق من الرِّبح، وبالتالي لا تَعارُض بين القول بجواز وقف النقود، وبين شرط التأبيد وبقاء العَيْن، لأن البَدَل يقوم مقام المُبْدَل وكأنه لم يُسْتَهْلَك»[٢].

١٠- لجان ومُؤسَّسات لرعاية المَعالِم الأثرية والتاريخية

ترك الأجداد لنا تراثًا ضخمًا مُتجسِّدًا في القلاع والحصون والأبراج والأسوار وغيرها من المُنشآت كالمكتبات العامة، ومع الأسف فقد اندثرت مَعالِم الكثير من تلك الكنوز التاريخية، وما تبقَّى منها يُعد ذُخْرًا وكنزًا للأجيال القادمة، ومتى تأخَّر الاهتمام بها كان سببًا في اندثارها وزوالها.

لذا، فإن من المشاريع التطوُّعية التي يمكن تنفيذها إنشاء لجنة في كل بلدة أو مدينة لحصر تلك المَعالِم التاريخية، ودعوة الناس والهيئات الحكومية والخاصة إلى

(١) ينظر: المرجع السابق، ويُنظَر أيضًا: أحمد بن يوسف الدريويش، (١٤٢٠هـ)، الوقف: مشروعيته وأهميته الحضارية، بحث مُقدَّم إلى ندوة "مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية" المنعقدة في مكة المكرمة.
(٢) أحمد بن يوسف الدريويش، مرجع سابق، ص١٢.

ترميمها والاهتمام بها، وعلى هذه اللَّجنة تشجيع الناس للتبرُّع لترميمها والمحافظة عليها، ثم بعد استخراج التصاريح الرسمية المطلوبة، يمكنها لتنفيذ تلك المشاريع التَّعاقُد مع بعض الشركات المُتخصِّصة في ترميم مثل هذه المَعالِم.

١١- مُؤسَّسات للارتقاء بالمستوى التجاري المُؤسَّسي في المجتمع

لا يخفى على أحد أن ثقافة العمل التجاري المُؤسَّسي المُنْتَشِرة في أوساط المجتمع -وحتى بين أصحاب المُؤسَّسات أنفسهم- لا تعدو مُجرَّد تصوُّرات واستنتاجات فردية لا يمكن التعويل عليها في نجاح تلك المُؤسَّسات، وإذا استثنينا بعض الشركات والمُؤسَّسات الكبرى، فنادرًا ما نجد مُؤسَّسات تجارية قامت على أُسُس علمية صحيحة، وبناءً على دراسات وتجارب علمية مُؤطَّرة، ورغم أن العقلية التجارية والمُؤسَّسية قد باتت جزءًا لا يتجزَّأ من هوية المجتمعات الغربية والشرقية، فقد تكون شبه مفقودة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

من هنا، لا نعجب إن رأينا الفرد عندنا يعيش حياته عبدًا مملوكًا لوظيفة لا تُوفِّر له إلا قسطًا يسيرًا من احتياجاته المالية، فضلًا عن توفيرها لاحتياجاته الإنسانية والفكرية، ولا نعجب كذلك أن نرى أصحاب المُؤسَّسات يتجرَّعون ويلات الخسائر ويقْنعون -في أحسن الأحوال- بزهيد الأرباح، ولا يُكلِّفون أنفسهم عناء التطوير والتحسين لمُؤسَّساتهم والعاملين لديهم.

ورغم أنه قد لا يتأتَّى لمعظمنا تغيير ثقافة مجتمع بأسره وإعادة هيكلة مُؤسَّساته، فعلينا أن نبذل ما في وسعنا لنشر الوعي بأهمية الجانب التجاري واحتياجاته ومُتطلَّباته، وأن نعمل جاهدين على البدء في رَدْم الهُوَّة السحيقة بين واقع مجتمعاتنا واحتياجاتها في هذا الجانب، ويمكن أن يتأتَّى التغيير المنشود من خلال المحاضرات والندوات والتأليفات

والدراسات التي تستهدف الأفراد، كما تستهدف أيضًا أصحاب المُؤسَّسات والمسؤولين في الدولة وصُنَّاع القرار.

إن التطوُّع للاهتمام بتطوير المُؤسَّسات التجارية يُعبِّر عن فكر إنسانيٍّ وحضاريٍّ فريد؛ إذ إن المُتطوِّع قد نذر وقته وجهده -وربما ماله- للارتقاء بمُؤسَّسات يعلم أن عائداتها المُتمثِّلة في الثروة والشهرة ستصُبُّ -ظاهريًّا- في جيوب أصحابها، وهو لا يرجو من وراء ذلك منفعة مادية ولا حتى ثناءً وشكرًا، وهذا ما يُميِّز الإنسان الحضاري من غيره.

وقد يقول قائل إنّ الأرباح التي ستجنيها تلك المُؤسَّسات ستصبُّ في جيوب أصحابها، ولن يستفيد المجتمع منها شيئًا، وهذا غير صحيح؛ فإن أصحابها عندما يرون أن هناك من المجتمع مَن يهتمُّ بهم فإنهم سيهتمون أيضًا بالمجتمع، إضافةً إلى أن مساعدتنا لهم هي في حقيقتها مساعدة لأنفسنا؛ بمعنى إما أن نترك تلك المُؤسَّسة في وضعها الحالي، ونحصل على خدماتها بمستواها المُتدَنِّيِ أو الرَّديء، وإما أن نتعاون معها للارتقاء بمستواها وإنتاجها ونحصل على خدمات مُتميِّزة، وإن عزفنا عن مساعدتها وفضَّلنا الذهاب إلى بلدان مجاورة لنحصل على الخدمات التي نريدها، فإن ذلك سيُكلِّفنا إضاعة الكثير من الوقت، وربما مصاريف مالية إضافية وجهودًا أكبر.

والدَّوْر الذي علينا تأديته لمساعدة تلك المُؤسَّسات قد يبدأ بحصر المحالِّ التجارية والمُؤسَّسات المختلفة الموجودة في المجتمع، ثم دراسة أوضاعها المالية والقانونية والإنتاجية، ومعرفة مستواها المالي والإنتاجي الحالي والمستوى الذي يمكن أن تصل إليه، ثم وضع برامج للارتقاء بها وبالخدمات التي تُقدِّمها.

وإضافةً إلى مساعدة تلك المُؤسَّسات على الارتقاء بمستواها المالي والاستثماري، فإن علينا مساعدتها أيضًا على التخلُّص من العمَالة الوافدة الموجودة عندها؛ ما سيُوفِّر فرص عمل لأبناء المجتمع، ومثل هذا الإجراء سيجعل المنفعة مُتبادَلة؛ فالمُؤسَّسة ستحمي نفسها من المَضارِّ والمشكلات التي تجلبها العمالة الوافدة لها وللمجتمع، وفي الوقت نفسه

سيساعد ذلك على إيجاد فرص للعاطلين من أبناء البلد، ويُخفِّف وطأة البَطالَة والمشكلات التي يمكن أن تحدث بسببها.

١٢ - مُؤسَّسات للاعتناء بالوافدين

الوافدون -مسلمين كانوا أو غير مسلمين-، شئنا أم أبينا موجودون بيننا، ويعيشون معنا، وقد يكونون سببًا لمشكلات وقعت أو تقع عندنا، وقد يكونون -بالمقابل- السبب في تطوير مجتمعاتنا وتنميتها، والمسلمون -كما نعلم- عندما ذهبوا إلى البلدان الأخرى في القرون الأولى للإسلام، سواءٌ أكان للتجارة أم لتحصيل العلم أم لفتح تلك البلدان، فإنهم قد حَظَوْا باهتمام إخوانهم المسلمين من قاطني تلك البلدان ورعايتهم، وأما اليوم فإنه من المؤسِف حقًّا أن يأتي إخواننا المسلمون من البلدان الأخرى ليعملوا عندنا، ولا يحدث أيُّ تواصل بيننا وبينهم خارج نطاق الخدمات التي يُقدِّمونها -إلا في أحيان قليلة-، كالتقائهم في المسجد في يوم الجمعة أو في الصلوات المختلفة.

وهؤلاء -بلا شك- لهم حقوقٌ علينا؛ فهم أولًا ضيوف عندنا، وعلينا تأدية حقوق الضِّيافة من إكرامٍ للضَّيف، ومراعاة لأحواله، ومساعدته في أوقات الشِّدَّة عندما يمرض أو يقع في ضائقات مالية أو نحوها، ولهم علينا أيضًا حقُّ تعليمهم وتثقيفهم.

ومن حقوقهم علينا كذلك أن لا نعاملهم كأجانب؛ إذ إن الأجنبي هو الذي أتانا من دولة غير دولتنا ووطن غير وطننا، وأما هؤلاء فإنهم أتَوْنا من نفس دولتنا ووطننا؛ فدولة الإسلام دولة واحدة ووطن الإسلام وطن واحد، وما هذه التقسيمات الجغرافية والسياسية إلا حديثة طارئة، ونسأل الله أن يكتب لها الزوال، ولذلك علينا الاهتمام بهؤلاء الذين أَتَوْا إلينا من مسافات بعيدة، كما نهتمُّ بمَن هم حولنا وفي محيطنا، وعلينا أن نُشعِرهم بأنه لا فرق بيننا وبينهم.

وواجب تأدية أمر الوافدين من إخواننا المسلمين لا يمكن لأفراد قلائل السَّعْي فيه، وإنما الأمر بحاجة إلى مُؤسَّسات مُتخصِّصة لرعايتهم والاهتمام بشؤونهم، بحيث تضع برامج لتعليمهم أمور دينهم، والارتقاء بمستوياتهم الثقافية والفكرية، وبرامج لتجميعهم في المناسبات من خلال النوادي أو المُلتقيات الخاصة بهم.

كذلك، فنحن بحاجة إلى الاهتمام بغير المسلمين، وعلينا واجب دعوتهم، وإيصال الإسلام إليهم، وإنه من المؤسِف حقًّا أن يعيش هؤلاء بيننا سنوات متواصلة، ثم يعودوا إلى بلدانهم ولم يتعرَّفوا إلى شيءٍ من ديننا، ولذا علينا المبادرة بإنشاء مُؤسَّسات مُتخصِّصة لدعوة غير المسلمين، بحيث تستعمل الأساليب الصحيحة المُثلى لمخاطبتهم، وتتولى إنتاج المواد الدعوية المناسبة وإيصالها إليهم.

ويمكن لهذه المُؤسَّسات أن تضع برامج لجعل هؤلاء يتعرَّفون إلى المسلمين عن قرب؛ كاستضافتهم في الأعياد والمناسبات، أو أخذهم في رحلات سياحية لتعريفهم إلى المناطق الأثرية والمَعالِم الشهيرة في كل بلد، ويُربط كل ذلك بأمجاد الإسلام وثقافته.

وقد يقول قائل إن هؤلاء لا يفتؤون عن فعل ذلك بأنفسهم، وهذا صحيح، ولكنْ هناك فرقٌ بين سياحتهم في بلداننا بأنفسهم، فيفهمون ما يشاهدون ويسمعون حسب معتقداتهم وخلفياتهم الدينية والثقافية، وبين أن تكون سياحتهم من خلال برامج هادفة ومدروسة تُوضِّح لهم ما ينبغي أن يعرفوه عنا وعن ديننا وتراثنا بأسلوبنا نحن وبالطريقة التي نرضى عنها.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- في نظرك، لماذا لا يمكن التعويل على المُؤسَّسات الحكومية والتجارية للاهتمام بالأعمال الخيرية؟
- أَعِدَّ دراسة تتعرَّف فيها إلى المُؤسَّسات الخيرية العاملة في بلدك، وحاول تصنيفها بحسب النشاطات التي تؤديها والقطاعات التي تُركِّز عليها.
- أَعِدَّ دراسة حول الاحتياجات الإدارية والفنية والمالية والقانونية لإنشاء مُؤسَّسات خيرية في القُطْر الذي تعيش فيه.
- أَعِدَّ بحثًا تتعرَّف من خلاله إلى المكتبات العامة المنتشرة في القُطْر الذي تعيش فيه والمُؤسَّسين لها والقائمين عليها، والوسائل المُستَخدمة في تمويلها ودعمها.
- زُرْ إحدى المكتبات العامة في المحيط الذي تعيش فيه، وتعرَّف إلى الأنشطة التي يمكنك المشاركة بها لخدمة تلك المكتبة.
- شارِك بعض زملائك في وضع تصوُّرٍ لنادٍ علمي أو ثقافيٍّ يخدم المحيط الذي تعيش فيه، وبعد الانتهاء من بلورة التصوُّر خاطِبوا ذوي الشأن والاختصاص في محيطكم لنقل ذلك التصوُّر إلى حيّز التنفيذ.
- اذكُر بعض الفوائد المرجُوَّة من إقامة مراكز وشبكات معلومات مجانية، والعقبات والتحدِّيات التي تقف في وجه انتشارها.
- اشرَح كيف يمكنك مساعدة أحد المُدْمِنين، واذكر الآثار الإيجابية والثمار الطيِّبة التي يمكن أن يجنيها ذلك الشخص وأسرته من جرَّاء مساعدتك له.
- أَجْرِ دراسة ميدانية تستكشف من خلالها أعداد العاطلين عن العمل في المحيط الذي تعيش فيه، والأسباب التي وقفت عائقًا في حصولهم على وظائف مناسبة.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- شارِك بعض زملائك في تشكيل مجموعة أو مُؤسَّسة صغيرة تهتمُّ بشؤون العاطلين عن العمل، واشرعوا في التعرُّف إلى المُؤسَّسات والجهات التي يمكن أن يستفاد منها في حلِّ مشكلة البَطالَة في محيطكم؛ إما بتوظيف العاطلين عن العمل، وإما بتدريبهم وتطوير مهاراتهم.
- تكلَّم عن الدور الذي يمكن أن تؤديه الصناديق والجمعيات المالية في المجتمعات المسلمة، والسُّبُل إلى إيجادها والنهوض بها.
- نسِّق مع المُهْتَمِّين بشؤون الأوقاف في المحيط الذي تعيش فيه لإجراء دراسة حول تلك الأوقاف، والتعرُّف إلى أوضاعها المالية وسُبُل المحافظة عليها والاعتناء بها.

زُرْ أحد المَعالِم الأثرية في المحيط الذي تعيش فيه، وتعرَّف إلى وضعه واحتياجاته، ثم خاطِب الجهات المَعْنِيَّة للاهتمام به.

- اذكُر بعض الجوانب التي يمكن من خلالها مساعدة المُؤسَّسات التجارية.
- أَجْرِ دراسة لاستقصاء المُؤسَّسات التجارية العاملة في المحيط الذي تعيش فيه، وتعرَّف إلى سُبُل تطويرها والارتقاء بها.
- هل يُوجَد وافدون في المحيط الذي تعيش فيه؟ ومن أيِّ الجنسيات هم؟ وما الأعمال التي يمارسونها؟ وهل توجد مُؤسَّسات لرعايتهم وتوفير الخدمات لهم؟

ضع لنفسك برنامجًا تتعرَّف من خلاله في كل شهر إلى أحد الوافدين المسلمين وآخر من غير المسلمين، وفكِّر في وسائل للتعامل مع كل منهم واستخدم أساليب الدعوة إلى الله معهم لتحبيبهم إلى الإسلام.

الفصل السادس

المشاركة في مُؤسَّسات المجتمع المختلفة

إن كل المجتمعات المعاصرة تتكوَّن من منظومات اجتماعية وإدارية فريدة، وتنتظم فيما بينها بتشكيلات مختلفة، ولذلك لا بُدَّ من وجود روابط مناسبة تربط بين المنظومات والتشكيلات المُتعدِّدة في المجتمع، فمثلًا لا بُدَّ أن يكون هناك رابط يربط التُّجار، وثانٍ يربط المزارعين، وثالث يربط المُعلِّمين، ورابع يربط المُثقَّفين، وآخَر يربط الرياضيين، وهكذا. ومن أجل هذا، علينا أن نعي هذه الروابط، ونعرف المنظومات التي يمكننا المشاركة فيها.

١ - المشاركة في إنماء العملية التدريسية

المدرسة بناء اجتماعي يستمدُّ مُقوِّماته المُؤسَّسية وفلسفته وسياساته وأهدافه من التكوين الاجتماعي العام، وتسعى المدرسة إلى تحقيق أهدافها من خلال الوظائف والأدوار التي تؤديها، ولذا فهي تتميَّز عن غيرها من المُؤسَّسات التربوية والاجتماعية بخصائص، منها[١]:

- ✓ أنها بيئة تربوية مُيسَّرة؛ إذ ترى المدرسة لزامًا عليها تيسير ما في المجتمع لكي يستطيع التلاميذ فيها فهمه وتقبُّله حسب أعمارهم ومراحل نُمُوِّهم من خلال الأسلوب التدريجي أو التسلسل المنطقي.
- ✓ أنها بيئة تربوية مُطهَّرة؛ فتحرص المدرسة على ألا تنقل إلى الجيل الجديد غير الخير والجمال، وأن تُهيئ له بيئة نقية وخالية من الفساد.

(١) أبو النوف، (بدون تاريخ)، المُؤسَّسات التربوية في المجتمع، بحث مُقدَّم لكلية التربية (قسم التعليم الأساسي)، الجامعة الإسلامية بغزة.

✓ أنها بيئة تربوية مُتَّزِنة مُتنوّعة؛ تحاول فيها المدرسة أن تُوجِد نوعًا من التقارب بين مختلف التلاميذ في جميع المستويات الاجتماعية والثقافية والخلقية وغيرها، وتحاول التقريب بين أنماط سلوكهم لأجل تحقيق وحدة الأفراد.

✓ أنها بيئة تربوية مُتجدِّدة؛ فالتلاميذ والمُعلِّمون والإداريون ينبغي أن يكونوا جميعًا مُتزامِنين مع ما يستجدُّ في العالم من تطوُّرات، وما يحدث فيه من ابتكارات واختراعات.

من هنا، فمن أجل أن تستطيع المدرسة تأدية رسالتها على أكمل وجه، يلزم أن يكون هناك حبلُ تواصلٍ مُسْتَمِرٌّ بينها وبين البيت، ومن أهم أساليب التعاون بين البيت والمدرسة ما يأتي[١]:

✓ تهيئة الجوِّ المناسب في البيت ليتمكَّن الطالب من مذاكرة دروسه وحلِّ واجباته المنزلية.

✓ المتابعة المُسْتَمِرَّة من أولياء الأمور للتقارير والشهادات التي ترسلها المدرسة للوقوف على المستوى التحصيلي لأبنائهم.

✓ زيارة أولياء الأمور المدرسة للاطِّلاع على أحوال أبنائهم، والاجتماع بالهيئة الإدارية والتدريسية لتجاذب الحديث حول العملية التدريسية عمومًا ومستويات أبنائهم خصوصًا.

✓ مساهمة أولياء الأمور بفاعِليّة في إنجاح الأنشطة التي تُخطِّط لها المدرسة، وتشجيع أبنائهم على المشاركة فيها، وتقديم المساعدات المادية والمعنوية لأبنائهم وللمدرسة عندما تدعو الحاجة إلى ذلك.

✓ المشاركة في مجالس الآباء والأُمَّهات بالحضور وتقديم الاقتراحات للقائمين عليها، وكذلك بتفعيل الأنشطة التي اقترحتها.

(١) المرجع السابق.

«ولا شك أن هناك الكثير من الاقتراحات والحلول المطروحة للنهوض بالتعليم، لكن ستَظَلُّ الأمور تزداد سوءًا ما لم تحدث تحوُّلات جذرية في أوضاع المدارس وفي العلاقة بين البيت والمدرسة. وقد آن الأوان ليُساهِم الآباء في تأمين تعليم جيِّد لأبنائهم من خلال تشكيل عدد كبير من مجالس التعليم في الأحياء والقرى، ويكون لها صلاحيات واسعة جدًّا في بحث أوضاع المدارس وتوجيهها ومحاولة النهوض بها. ولا بُدَّ من الآن فصاعدًا من أن يُخصِّص كل واحد منا جزءًا من ميزانيته الخاصة لمُؤازرة المدارس في القيام برسالتها من خلال التوسُّع في مبانيها وتدعيم مختبراتها وتجهيزاتها المختلفة»[١].

إضافة إلى النقاط السابقة، فهناك الكثير غيرها من أوجه المشاركة التي يلزم أولياء الأمور خصوصًا والمجتمع عمومًا تنفيذها، ومن أوجه التعاون المشترك بين المدرسة والمجتمع، والبالغ الأهمية في إنماء العملية التدريسية، وضع برامج للاهتمام بالطلاب المُتميِّزين والمُبدِعين في المدارس، الذين يمكن التعرُّف إليهم من خلال مدارسهم أو من خلال المنشآت الثقافية والعلمية الأخرى، كنوادي الحاسوب والنوادي العلمية والثقافية وغيرها، ثم وضع برامج خاصة للاهتمام بهم، وتوفير ما يحتاجون إليه لإنماء مواهبهم ومهاراتهم، وأيضًا للاستفادة منها وتوجيهها فيما يخدم أنفسهم وأُمَّتهم.

ومن أوجه المشاركة الأخرى التعرُّف إلى الطلاب من ذوي التحصيل المُتدنِّي الذين قد لا تخلو مدرسة من مجموعة منهم، فهؤلاء لا يمكن إهمالهم وتركهم بلا رعاية، ولو فعلنا ذلك لشبُّوا وهم يتصوَّرون أنفسهم فاشلين، ويبقون عالة على المجتمع، وربما يُصبِحون سببًا لفساد المجتمع وإفساد الآخرين.

لذا، علينا أن نتعاون مع المدارس للتعرُّف إلى هؤلاء، ثم نوجِد برامج لمساعدتهم، كمذاكرة الدروس لهم، ومحاولة إيجاد وسائل بديلة لما تستعمله المدارس لتوصيل المعلومات إليهم، والتعرُّف إلى أسباب تخلُّفهم وما إذا كانوا يعانون مشكِلاتٍ عائلية أو مالية أو نفسية أو غير ذلك، وأن نحاول جادِّين معالجة تلك الأسباب لكي يستطيعوا أن يشبُّوا صالحين، وينبُغوا في مدارسهم وبيئتهم كما ينبُغ غيرهم.

(١) عبد الكريم بكار، المشروع الحضاري، ص٥٠.

٢- المشاركة في نشر الوَعْي الصِّحِّي

رغم أن الجانب الصِّحِّي هو من أكثر الجوانب التي تحظى بالاهتمام بين أوساط الشعوب الإسلامية، فإن التركيز -في غالبيته- هو على موضوع العلاج والبُرء من الأوبئة والأمراض المُتفشِّية في مجتمعاتنا، وأما الحديث عن الوقاية من تلك الأمراض فيكاد يكون معدومًا بسبب غياب الوَعْي بأهمية المحافظة على الصِّحَّة.

تُشير الدراسات[١] إلى أن حجم الإنفاق العالمي على الصِّحَّة قد ارتفع بين عامَيْ ١٩٩٥م و٢٠٠٥م من ٢,٦ تريليون دولار إلى ٥,١ تريليونات دولار، ولذا فإن درهم وقاية -كما يقال- خيرٌ من قنطار علاج، وهذا يعني أن على المجتمع أن يُعير جانب الوقاية من الأمراض والمحافظة على الصِّحَّة اهتمامًا أكبر بكثير من الاهتمام بجانب الأدوية ووصفات العلاج، ونشر الوَعْي الصِّحِّي يجب أن يبدأ من المراحل الأولى للطفل، ولذا على الأسرة أن تُنشِّئ أطفالها على ثقافة الاعتناء بالصِّحَّة والمحافظة عليها قبل أن تُنشِّئهم على سُبُل العلاج وطرائقه.

ومن أَوْلى ما يتعلَّمه الطفل عن الصِّحَّة موقف ديننا الحنيف منها؛ فالقرآن الكريم قد حضَّ في كثير من الآيات على أكل الطيِّبات، ونَفَّرهم من أكل الخبائث؛ لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وكذلك فالسُّنَّة المُطهَّرة زاخرة بالعديد من الأحاديث التي تُبيِّن آداب الطعام، وتأمر بالتزام التَّوازُن في الأكل، وتُرشِد إلى تعليم الأبناء السِّباحة والرِّماية وركوب الخيل، وكلها أمورٌ تصبُّ في جانب الوقاية.

(١) فتيحة لمعاشي، (٢٠١٣م)، الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية.

وفيما يأتي نضرب بعض الأمثلة للدَّوْر الذي يمكن أن تؤديه الأسرة في هذا الجانب:

- على الأسرة أن تُعوِّد أطفالها تناوُلَ الوجبات الصِّحِّية التي تكثر فيها الخَضراوات والفواكه وتقلُّ فيها الدُّهون والزيوت والسُّكَّريات، «**فمن المعروف جيِّدًا أن أَهْلِيَّة الأنسجة تنخفض بتناول طعام شديد الدَّسْم أو فقير في العناصر المُغذِّية**»[١].

- أن تُعوِّد الأسرة أطفالها المحافظة على وجبة الإفطار قبل مغادرة البيت، وأن تكون وجبة مليئة بالعناصر المُهِمَّة لتنشيط الطفل جسديًّا وذهنيًّا.

- أن تُعوِّد الأسرة أطفالها اصطحاب وجبات خفيفة وسندويشات تحتوي على مواد صِحِّية كالبيض والجبن والخضراوات بدلًا من إعطائهم نقودًا لشراء ما يحلو لهم من المشروبات الغازية والبوظة والحلويات، التي جميعها تضرُّ بصِحَّة الطفل أكثر من أن تفيده.

- أن تضع الأسرة مكافآت وهدايا لكل من يتقيَّد يوميًّا بالسِّواك والاستحمام ونظافة الملبس والمشاركة في نظافة البيت.

- يمكن للأسرة أن تُقيم برنامجًا رياضيًّا خاصًّا بأفرادها، سواءٌ أكان يوميًّا أم أسبوعيًّا، لكي ينمو الطفل وفي مُخيِّلته ذلك الحدث المُتراتب الذي تُقيمه الأسرة، والذي من خلاله ينشأ -بإذن الله- سليمًا مُدركًا لأهمية الرياضة ودورها في الوقاية والتخلُّص من الأمراض المختلفة.

أما المدرسة، فإن عليها أن تأخذ دورًا قياديًّا في هذا الصَّدَد؛ وذلك بتعميق مفاهيم الاعتناء بالصِّحَّة والوقاية من الأمراض من خلال المناهج الدراسية والأنشطة المدرسية والفَعاليات التي تقيمها لخدمة طلابها والمجتمع، ومن أمثلة ما يمكنها فعله ما يأتي:

(١) ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ص١٢٢.

- توفير مطعم لتقديم وجبات الإفطار والغداء للأطفال، فمعظمهم –مع الأسف الشديد- يذهبون إلى مدارسهم ولم يفطروا بعد، ويبقون في المدرسة إلى ما بعد الظهر، وقليلٌ منهم يكون قد اصطحب معه نقودًا تكفيه للحصول على ما يحتاج إليه من أطعمة تسدُّ جوع بطنه، فضلًا عن أن تفيد صِحَّته، ولذا فإن توفير وجبات صِحِّية وبسِعْر مَجانيّ أو مُخفَّض في مطعم المدرسة سيُعوِّد الأطفال تناول الوجبات الأساسية، وأيضًا فهي لن تتيح للطفل صرف نقوده في أمور قد تضرُّ بصِحَّته، وكلا هذين الأمرين نوع من التثقيف والتنشئة السليمة للطفل.

- تعويد الأطفال أن يبدؤوا يومهم الدراسي ببعض التمارين الرياضية، سواءٌ أكان ذلك في طابور الصباح أم داخل الصفوف.

- توعية الأطفال بأهمية الصِّحَّة والمحافظة عليها من خلال الصُّور والرُّسومات التي تُعلَّق على جدران المدرسة والفصول الدراسية، والتي تُوضِّح الأطعمة المفيدة والأخرى الضارَّة، ويمكن كذلك الإكثار من مجلات الحائط التي تُخصَّص لتغطية فوائد أنواع مُعيَّنة من الأغذية والوجبات، وكذلك بعض الأمراض والعادات السيئة.

- إقامة مسابقات رياضية وأخرى ثقافية تصبُّ في سياق نشر الوَعْي الصِّحِّي والوقاية من الأمراض.

- وضع برامج للفحوصات الدورية لكل طفل، لتحسيس الطفل أن الهدف منها المحافظة على صِحَّته قبل الوقوع في المرض، ويمكن أن تشمل تلك الفحوصات قياس ضغط الدم والسُّكر وفحص الأسنان والعيون والآذان.

وأخيرًا، فإن على بقية أفراد المجتمع المشاركة الفعَّالة في هذا الجانب، كل حسب تخصُّصه وعمله وفراغه، وهذا النوع من المشاركة قد يحتاج إلى تدريب وتشجيع من بعض المُتخصِّصين والهواة، وخاصة العاملين في الحقل الصِّحي، ونذكر فيما يأتي بعض الأمثلة التي تُوضِّح الدور الذي على المجتمع تأديته في جانب نشر الوَعْي الصِّحِّي:

- تثقيف التاجر بأن الأرباح والعوائد المادية ليست هي كل ما يجب أن يحرص عليه، وإنما عليه خدمة مجتمعه من خلال ما يبيعه من مواد ومنتجات، فعليه تجنُّب بيع المنتجات التي قد تضرُّ بصِحَّة الناس كالسجائر والمشروبات الغازية، وأن يحرص كل الحرص على عدم بيع المنتجات المنتهية الصلاحية أو التي تحتوي على مواد مُسَرطَنة أو ضارَّة.

- أما المزارع فعليه أن يدرك أن استعمال الأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية والهرمونات التي تُعجِّل نُمُوّ أو نضوج الثمار قد تأتي له بعوائد مالية مُرْبِحة، ولكنها بالمقابل قد تكون سببًا في تدمير المجتمع من خلال الأمراض والمشكلات الصِّحِّية التي تنتج عن تناول تلك المحاصيل والمنتوجات الزراعية، وعلينا أن نشرح له البدائل التي عليه اللجوء إليها من استعمال الأسمدة العُضْوِيَّة والبيوت المَحْمِيَّة وغير ذلك من الطرق.

- أما العامل في ورشته فعليه أن يعلم أن عوادم السيارات ومخلفاتها تضرُّ بالبيئة -ومَن ثمَّ الإنسان- ضررًا بالغًا، ولذا عليه أن يحرص على التخلُّص من نفايات السيارات كالزيوت وقطع الغيار والإطارات القديمة بطريقة صِحِّية سليمة، وأن يوصلها إلى المرادم المُخصَّصة لذلك، وإن كلَّفه ذلك مبالغ إضافية.

٣- المشاركة في جمعيات المرأة والطفل

لسوء حظِّ شعوبنا المنكوبة -أو قُل لحُسن حظِّها؛ فرُبَّ ضارة نافعة- أن يتعاون الأعداء والأصدقاء على ما يسمُّونه بتحرير المرأة، وإذا كانت هذه الحَمْلة الشعواء والعاصفة الهوجاء التي بدأت تقذف بحُمَمها في عالمنا العربي والإسلامي منذ مطالع الثلاثينيات من القرن الميلادي الماضي قد أفرزت كثيرًا من المظاهر السَّلبية لمجتمعاتنا، والخدوش العميقة

في هُوِيَّتنا وثقافتنا، فإنه ما كان أن يكون لها ذلك الأثر السَّلبي العميق في نسائنا وبناتنا وأجيالنا لو استقبلتها عقول مُفكِّرة واعية، وسخَّرتها فيما يعود على مجتمعاتنا بالخير.

لقد تطوَّرت ما تُسمَّى بحملات تحرير المرأة، وتَقَوَّى عُودها، وخرجت من سراديبها التي كانت تقبع فيها وهي تُخطِّط لكل ما يمكن أن يكون له أكبر الأثر وأعمقه في إخراج المرأة من بيتها عارية لاهثة وراء الموضات وبيوتات الأزياء، وإخراجها تُتاجر بشرفها؛ وتكشف جسدها، وتتغنَّج في مشيتها وكلامها دون حياء أو مُوارَبة، ثم ظهرت ما يُسمَّى بجمعيات المرأة كأحد أبرز مَعالِم تلك المسيرة الشائنة في تاريخ أُمَّتنا.

وجمعيات المرأة قد صارت –مع الأسف الشديد- مأوًى لكل حمقاء جاهلة، وسوقًا للنخاسة تبيع فيها النساء أخلاقهن وعاداتهن بأحجار وقلائد يصنَعْنَها، ورُقيعات وجلابيب يَخِطْنَها، وتشكيلات من الحلوى والكعك يخبِزْنَها، وما إن تستقرّ قلوبهنَّ لهذه الجمعيات وتَسْكُن نفوسهن إليها، حتى تبدأ القائمات على تلك الجمعيات في تنفيذ برامج السَّلْخ من الهُوِيَّة الدينية والثقافية لأولئك المُغفَّلات، فتعود الواحدة منهن إلى بيتها بوِقْرٍ من المنسوجات والمُعجَّنات وسِفْرٍ من الأفكار المسمومة والتعاليم المُسْتَوْرَدة.

ورغم أن الوصف الذي سُقْتُه لجمعيات المرأة قد لا يفي بحقِّها فيما تفعله من طمسٍ لمَعالِم ديننا، وغمطٍ لحقوق أصحاب الحقوق من أئمتنا وعظمائنا، وتشويهٍ لتراثنا وعاداتنا، فإنها يمكن أن تكون -بالمقابل- منابر إشعاع لأجيالنا المتلاحقة، ومَعاوِل هدمٍ لما شَيَّدَ في سابق تاريخنا وحاضره من قلاع الفجور وأسوار الرذيلة، وممحاة لكل ما سُطر في قلوب أجيالنا المتلاحقة وعقولهم من فكرٍ موبوء وثقافة مُزيَّفة.

وإذ إن واقع جمعيات المرأة الحالي والواقع الإيجابي الذي يمكن أن تكون عليه لا يمكن أن يتغيَّر بين عَشِيَّة وضُحاها ولا يمكن أن يأتي بالأحلام والأمنيات، لذا فإن مسيرة العمل التطوُّعي يمكن أن تَلِج هذا الباب، وتنثُر عليه رياحينها، وتسكُب عليه من شهدها، والخطاب هنا ليس مقصورًا على النساء المُخلِصات المؤمنات الصادقات المُثقَّفات الواعيات فحسب، وإنما على الرجال والنساء على السواء أن يشاركوا في هذا الجانب.

وكما بدأتْ مسيرة سلخ المرأة من هويتها الدينية والثقافية بالتدرُّج وبتخطيطٍ واعٍ وحذِر، فأيضًا على مسيرة إعادة الإعمار والتأهيل أن تنتهج الطريق نفسه، ولذا عليها تركيز جهودها في أول الأمر على ترسيخ أقدامها في كيانات تلك الجمعيات الإدارية والشعبية؛ فمن ناحية إدارية على النساء المُخلِصات أن يبدأن التخطيط للإمساك بزمام تلك الجمعيات ليُصبِح بأيديهن صنعُ القرار ووضع المناهج والبرامج لها، ومن ناحية شعبية فإن على الجميع بذل قصارى جهدهم في إنجاح هذه المسيرة الخيِّرة من خلال الدعم المادي والمعنوي، والمشاركة الفِعْلِيَّة لأنشطة وفعاليات جمعيات المرأة، وعلينا جميعًا أن ندرك أن أفضل وسيلة للتغيير هي الإزاحة؛ بمعنى إقصاء العيِّنات الشاذَّة الفاسدة، وتعويضها بكوادر سليمة صالحة.

أما الجمعيات التي تُعنى بالطفل، سواءٌ أكانت لرعايته أم تعليمه أم ترفيهه، فإنما هي أيضًا جمعيات ظاهرها عسلٌ مُصَفًّى، وباطنها خلايا سرطانية تَفتِك بكل مَن يقترب من حماها، سواءٌ أكانوا من الأطفال أم حتى من أُسَرِهم، ونهجُ معظم هذه الجمعيات -كما تدَّعي- هو تهيئة المناخ الصِّحِّي لنُمُوِّ الطفل، وهو في حقيقته مناخٌ يُزرع فيه بذور الشرِّ وأفكار الولاء والعُهْر في تلك العقول الطاهرة النقية لتشِبَّ أبواقًا تتغنَّى بأمجاد الحُكَّام، وجنودًا تحرُس أفكار السادةِ، ومُبيدات تَئِدُ يَرَقات الفكر الإصلاحي.

وبطبيعة الحال، لا يمكن لمثل هذه الجمعيات أن يكون لها ذلك الأثر إلا عندما أُوكِل أمرها إلى مُتخصِّصين وخبراء حملوا على عاتقهم راية التخريب والإفساد في عالمنا الإسلامي، سواءٌ أكانوا من المُعلِّمين والمُعلِّمات الذين يستقبلوننا بالابتسامة والترحيب، أم كانوا من المُخطِّطين والمُتنفِّذين الذين يصنعون القرارات ويُنفِّذون الخُطَط والاستراتيجيات.

وكما هو الحال بالنسبة إلى جمعيات المرأة، فإن الجمعيات المُهْتَمَّة بشؤون الطفل يمكن أن يكون لها أثرٌ إيجابيٌّ في تربية النشء، وفي الحفاظ على هُوِيَّة المجتمع الدينية والثقافية، لو قيَّض الله لها مَن يرعاها، ويُوجِّه مسيرتها نحو الإصلاح، ولذا فإن الاهتمام بها قد يكون أكثر أهمية من الاهتمام بجمعيات المرأة، ناهيك بالاهتمام بالمُؤسَّسات الأخرى.

من أجل ذلك، يجب أن تتضافر جهود التطوُّع من المُخلِصين من أبناء الأُمَّة وبناتها -وخاصة المُثقَّفين منهم- لِلوُلوج إلى هذه الجمعيات، ومحاولة تغيير مسيرتها وإصلاح كياناتها الإدارية والفنية، ووضع برامج لتربية أجيالٍ مستقيمة وواعية تستطيع حمل رسالة البناء للأُمَّة، وإعادة الإعمار لها.

٤- المشاركة في النوادي المختلفة

كما ذكرتُ في فصل سابق، فإنه قد لا يخلو مجتمع من المجتمعات من نوادٍ رياضية وثقافية وأدبية وعلمية، والتي -في غالبها- قد أُنشِئت كمُؤسَّسات حكومية، ولكنه -في معظم الأحيان- لا يرتادها -رغم كثرة إمكاناتها ومواردها- إلا قِلَّة من الناس، وذلك لنقص الوَعْي في مجتمعاتنا بأهمية هذه النوادي، ومن هنا فعلى فئات المجتمع المختلفة -وخاصة الشباب والفتيات- أن يكون لهم دورٌ ملموسٌ وإيجابيٌّ في تفعيل هذه المُؤسَّسات.

والمشاركة فيها لا تقتصر فقط على حضور الفَعاليات التي تُقيمها، وإنما أيضًا بالمشاركة في الإعداد والتخطيط لهذه الفَعاليات، وفي تنظيمها وإقامتها، وفي تقويمها وتحليل أسباب نجاحها أو فشلها، وهذه النوادي أيضًا بحاجة إلى المشاركة في التوجيه وصنع القرار، وذلك من خلال المشاركة في جمعياتها العمومية وإداراتها المُنْتَخَبَة ولجانها المختلفة، وهي بحاجة كذلك إلى الدعم المالي -وإن كانت مدعومة حكوميًّا- لأن الأنشطة التي تزاولها -أو يُرجى أن تؤديها- قد تفوق مواردها المادية المُتاحة لها.

ولعلَّ من أهم أوجه المشاركة في إنجاح هذه النوادي الدعاية لها، وتعريف عموم الناس بها، ونشر الوَعْي بأهميتها، ووضع البرامج لتنشئة الأطفال على التعلُّق بها والاستفادة من إمكاناتها، وهذا النوع من المشاركة قد يكون -بل يُحبَّذ أن يكون- بالتنسيق مع إدارات هذه النوادي وذوي الاهتمام بها، وذلك للحيلولة من الإضرار بسمعتها، ولكي لا تتعارض مع سياساتها وبرامجها التي تسير في السِّياق نفسه.

ويمكن لهذا النوع من المشاركات أن يأخذ صورًا عديدة؛ فهناك الدِّعاية الشَّفَهِيَّة لها لغرض تشجيع الناس على حضور الفَعاليات المختلفة متى ما أقيم شيءٌ منها، ومنها الترويج الإعلامي من خلال الإعلانات واليافطات والنَّشَرات التي يمكن توزيعها عند الإعلان عن فعالية مُعيَّنة أو حدثٍ مُهِمٍّ يتبنَّاه أحد هذه النوادي، وأخيرًا يمكن المشاركة بإصدار المجلات والكتب والتقارير الإخبارية التي تتحدَّث عنها بعُمْق، وتحاول بناء جسر التَّواصُل بينها وبين شرائح المجتمع المختلفة.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكُر بعض أوجه المشاركة في إنماء العملية التدريسية التي بمقدور كثيرٍ من الناس تأديتها.
- زُرْ إحدى المدارس في المحيط الذي تعيش فيه، وتعرَّف إلى ما في تلك المدرسة من إمكانات وما وضعته إدارتها من برامج للتعامل مع الطلاب الموهوبين وأيضًا ذوي التحصيل المُتَدَنّي، وناقِش مع إدارة المدرسة أوجه المشاركة التي بمقدورك تأديتها. تعرَّف إلى مجالس الآباء والأُمَّهات في مدارس المحيط الذي تعيش فيه، والدور الذي تؤديه، وحاول المشاركة فيها ولو بالحضور والاستماع.
- كيف يمكن أن نساهم في تثقيف شرائح المجتمع المختلفة للمحافظة على الصِّحَّة والوقاية من الأمراض؟
- تطرَّقَ الفصل إلى نماذج لبعض الأعمال والأنشطة التي يمكن تنفيذها لترسيخ ثقافة الاعتناء بالصِّحَّة. اذكر أمثلة أخرى وناقش الفئات المُسْتَهْدَفة منها وسُبُل تطبيقها.
- وضِّح كيف يمكن لمُؤسَّسات معروفة ومنتشرة في المجتمع كجمعيات المرأة والطفل أن يكون لها دورٌ تخريبي في المجتمع، ووضِّح كيف يمكن لنا تغيير مسيرة تلك الجمعيات لتُصبِح فعَّالة بنَّاءة.
- زُرْ بعض جمعيات المرأة والطفل المنتشرة في المحيط أو القُطْر الذي تعيش فيه، وتعرَّف إلى برامجها وأنشطتها، وما إذا كانت ما زالت على الصورة القاتمة التي وصفناها بها في هذا الفصل، أم أنها قد بدأت تتحوَّل إلى الصورة المشرقة التي أوردنا بعض ملامحها. تحدَّث مع إدارات هذه الجمعيات وطاقمها، وناقش معهم إمكان التغيير إلى الأفضل.
- اذكُر بعضَ أوجه المشاركة في النوادي المختلفة، وابحث عن إمكان تطبيقك بعضَ هذه الأوجه وبمشاركة بعض أقاربك وزملائك.

الفصل السابع

رعاية شؤون المساجد

كان المسجد أول مُؤسَّسة أنشأها النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد الهجرة؛ لتكون هذه رسالة إلى عموم المسلمين حول مِحْوَرِيَّة المسجد في حياتهم، وكيف أنه ليس مكانًا للصلاة فحسب، بل مركز لإدارة شؤون الناس، وتسيير مصالحهم الدنيوية، وحلِّ مشكلاتهم اليومية، وهو أيضًا يدعم التَّواصُل الاجتماعي، ويساعد على اصطفاء الأصدقاء، ويشغل أوقات الفراغ، ويُفرِّغ الطاقات.

كما أن للمسجد خصوصية في حياة الشباب؛ فهو يُقدِّم لهم ما عجزت عن تقديمه الأجهزة والمُؤسَّسات الأخرى، كالمنزل والمدرسة ووسائل الإعلام، ويُؤكِّد علماء النفس والاجتماع[1] أن مرحلة المراهقة والشباب هي الفترة التي يكون فيها الدين بالنسبة إلى الشباب هو المخرج والمُتنفَّس الوحيد الذي يُحقِّق لهم الأمان من الضغوط النفسية والمشكلات الانفعالية؛ ففي أجوائه الربانية تربَّى الصحابي الجليل أسامة بن زيد -رضي الله عنه- الذي قاد جيشًا فيه أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- وعُمُره وقتها سبعة عشر عامًا، وفي المسجد كان شباب الصحابة يقومون الليل ويتدارسون القرآن، فإذا أقبل النهار صاروا فرسانًا وجنودًا في خدمة الدين.

لقد أسَّس نبيُّ الإسلام -عليه أفضل الصلاة والسلام- كيان المسجد ليكون المركز الذي تُدار منه دولة الإسلام، والمنبر الذي تُذاع من خلاله التعاليم والنُّظُم، والمدرسة التي يتربَّى بين جدرانها قادة الأُمَّة وعلماؤها، والمَشْفى الذي تُعالَج فيه الأفئدة والأجساد، والمُلتقى الذي يأوي إليه الخائف والمسافر وصاحب الحاجة.

وقد أدركت أجيال المسلمين المُتعاقِبة على امتداد القرون نُبْل الرسالة التي على المساجد حَمْلُها، فجَدُّوا وشمَّروا وأفنَوا أوقاتهم وأموالهم بكل ما آتاهم ربهم من قدرة

(١) موقع (إسلام ويب)، (٢٠٠٣م)، دور المسجد في بناء الشباب.

وحكمة في ترسيخ أركانها وتدبير شؤونها ومواصلة رسالتها، وبذلوا في سبيل ذلك الغالي والنفيس.

لكن المساجد في العصور المُتأخِّرة لم تَحْظَ بالاهتمام المُرجوّ، ليس في بلد بعينه، وإنما في كثير من البلدان الإسلامية؛ فكثير من الناس -جزاهم الله خيرًا- تبرَّعوا بإنشاء هذه المساجد ثم لم تحظَ فيما بعد بالمتابعة والاهتمام، وأصبح بعضها كالخراب يتحاشى المُصلُّون استعمال مرافقها، وخاصة مُصلَّيات النساء ودورات المياه، وأدهى من هذا وذاك التراجُع الملحوظ الذي طرأ للدَّوْر الذي يجب أن تُؤدِّيه المساجد في نشر رسالة الإسلام.

لقد أدرك أعداء الأُمَّة -سواءٌ أكانوا من أعدائها التقليديّين، أم الخَوَنة من أبناء جلدتها والمُندَسّين بين صفوف المُخلِصين منها- أنْ لا سبيل لتدمير كيانها إلا بتدمير مراكز قيادتها ومنابر إشعاعها ومَحاضِن علمائها وطلابها، المُتمثِّلة في المساجد، فلم يألُوا جُهْدًا في الانتقاص منها، وتحييد دورها، وإغماد الأَسِنَّة في قلب كل مَن يأوي إلى أركانها.

وقد بقيتْ تلك الحملات الشَّعواء في تأجُّج مُسْتَمِرٍّ إلى أن وصلت إلى ذروتها في هذا العصر، وخاصة بعد أن استطاع المُخلِصون من أبناء الأُمَّة أن يُعيدوا إليها بعض حَيَوِيَّتها وأنوارها، وبدأت تُخرِّج الرجال وتنشُر الدعوة إلى دين الله، فبنى أولئك الملاعين مراكز للدراسات وعقدوا الندوات والمؤتمرات ونشروا الكتب والمقالات من أجل الانتقاص من دور المسجد، ومحاولة صَرْف ضِعاف الإيمان عنها، وقد نجحوا في بعض مُخَطَّطاتهم، ولكن أمر الله هو الغالب، وشرعه سيظلُّ هو النافِذ.

من هذا المنطلق، يجب أن يسعى أهل الصلاح والخير في كل حيٍّ وقرية إلى تتويج بيوت الله بتاج النور الذي ألبسها إياه ربُّ العِزَّة -سبحانه وتعالى-، وحَرَس حِماه رحمةُ رب العالمين -عليه أفضل الصلاة والتسليم-، ولذا يجب أن لا تخلو بلدة من مشاريع خاصة ومُؤسَّسات خيرية تهتمُّ بشؤون المساجد وترعى أحوالها.

وعلى هذه المُؤسَّسات الخيرية أن تُجرِي أولًا حصر المساجد، ودراسة أحوالها، ومعرفة ما يحتاج منها إلى ترميم وتلك التي تحتاج إلى إصلاح أو توسعة، ثم عليها التعرُّف إلى ما ينقصها من مُستَلزمات، كالمصاحف وغيرها، ويجب كذلك أن تكون هناك مشاريع

لإعادة الحياة لها من خلال البرامج الدعوية والثقافية التي تجعل منها مُنطلقًا لكل خير وصلاح في كل بلدة.

إن هذا الأمر يحتاج إلى تضافر جهود أفراد المجتمع على السَّواء، وخاصة في تأسيس اللِّجان والمُؤسَّسات التي تعتني بشؤون المساجد، ويمكن لهذه اللِّجان والمُؤسَّسات جَمْع الأموال اللازمة لأنشطتها إما عن طريق التبرُّعات وإما بإيجاد وسائل لإعمار الأملاك المُوقَفة لتلك المساجد والمحافظة عليها وتثميرها، وإما بإنشاء أوقاف واستثمارات جديدة لها، وفيما يأتي نتطرَّق إلى بعض الأنشطة والبرامج التي يمكن التطوُّع لتنفيذها في محيط المسجد.

١ - الدروس والمحاضرات

كانت المساجد على توالي الأزمان دار حضانة تسكُن إليها قلوب الصِّغار والكبار، وجامعة يهفو إليها عطشى العقول ليَرْوُوا ظَمَأهم من حلقات الذكر ودروس العلم التي يديرها ورثة الأنبياء وهُداة العالم، وإنه لحريٌّ بالمساجد أن تبقى كذلك في كل عصر ومصر.

غير أنه في زماننا هذا تقلَّص دور المساجد، وأصبح لا يُسمَع بين جدرانها -في الأغلب- إلا تكبيرات الأذان والصلوات الخمس، وصار القائمون عليها حريصين على المحافظة على الأوقات التي يفتحون أبوابها أمام المُصلِّين ويُغلِقونها، فتراهم يُحْكِمون إغلاق أبوابها إلا ما بين الأذان وبضع دقائق بعد انقضاء كل صلاة.

إنه يجب أن تعود الحياة إلى المساجد من جديد، وأن يُردَّ إليها دورها في التربية والتوجيه للصغار والكبار، وعلى أهل كل حيٍّ أو قرية أن يُولُوا مساجدهم بالغ الاهتمام، وذلك بوضع برامج علمية وثقافية لها على امتداد العام، ويمكن لتلك البرامج أن تشمل الدروس العلمية في المجالات المختلفة كالفقه والتفسير والحديث واللغة والتاريخ وغيرها من العلوم، ويمكن كذلك استضافة العلماء والمشهورين في المعارف المختلفة الذين يمكن أن يكون لمحاضراتهم ودروسهم دورٌ رئيسٌ في دفع عجلة الثقافة والمعرفة لخطوات بعيدة.

ويمكن أن تتولَّى رعايةَ الجوانب الثقافية والعلمية في المساجد لجانٌ مَحَلِّيَّة في كل مدينة أو منطقة، ويمكن أن تكون مُؤسَّسات على مستوى القُطْر، وكلما اتَّسع نطاق عمل المُؤسَّسة وتنوَّعت أنشطتها، أدَّت المساجد رسالتها على وجهٍ أفضل، ولهذا على اللِّجان المَحَلِّية في الحيِّ أو القرية أن تكون على تواصل مع اللِّجان الموجودة في الأحياء والمدن الأخرى، وأن تسعى جادَّة إلى توحيد أنشطتها من خلال مُؤسَّسات قُطْرية.

ومع تقدُّم التقنيات الحديثة وبرامج التَّواصُل أصبح نقل الدروس والمحاضرات والفَعاليات الأخرى إلى كل أرجاء القُطْر -بل والعالم بأسره- أمرًا مُيسَّرًا، وصارت المشاركة عن بُعْد في متناول اليد، ناهيك بخدمات الإعلان لهذه الفَعاليات والتسجيل لها، ومن هنا فعلى القائمين بشؤون المساجد في كل بلدة الاستفادة من هذه التقنيات؛ وذلك بوضع شاشات عرض كبيرة داخل المساجد تُسَهِّل على مرتاديها متابعة الدروس والمحاضرات والفَعاليات المختلفة التي تُقام في مساجد أخرى وحتى المشاركة فيها، وفي الوقت نفسه فهذه الشاشات لا تُكلِّف كثيرًا من النواحي الإدارية والمالية.

٢- الأنشطة والفَعاليات

يجب أن لا يقتصر نشاط المسجد على الدروس والمحاضرات، وإنما ينبغي أن يكون له دورٌ في إحياء الأمسيات وإقامة الفَعاليات والأنشطة المختلفة على امتداد العام، فمثلًا يجب أن يكون هناك برنامج مُميَّز في شهر رمضان تمتزج فيه الجلسات الإيمانية بالفقرات الثقافية، وترتبط فيه اهتمامات الشباب برغبات الشيوخ.

كذلك، يجب أن تحظى المناسبات الأخرى كالهجرة النبوية والإسراء والمعراج وغيرها من المناسبات باهتمام القائمين على المسجد والبحث عمَّا يمكن أن يثير اهتمام الناس ويُنمِّي فيهم القدرات ويُقوِّي بينهم الصِّلات، ويمكن أن تتخلَّل هذه الأنشطة -أو بعدها- أنشطة أخرى تجذب الناس إليها وتزيد عدد المشاركين فيها، ومن أمثلة ذلك تغيير النمط

التقليدي لإقامة تلك الفَعاليات، ومنها توزيع المطويات والكُتيّبات التي تصبُّ في موضوع الفعالية وأهدافها، ومنها تقديم الحلوى والوجبات الخفيفة وحتى العشاء بعد كل فعالية.

ويجب أن لا تُحصَر الأنشطة التي تُعنى بها المساجد على الفَعاليات الوَقْتِية في المناسبات المختلفة، وإنما يجب أن يكون للمسجد دورٌ بارزٌ في ربط الناس به من جهة، وربط بعضهم ببعض من جهة أخرى، وذلك من خلال الأنشطة والفَعاليات المُتنوّعة التي يقيمها كالمراكز الصيفية وحلقات تحفيظ القرآن الكريم والدورات المختلفة في العلوم النافعة كالتجويد وإتقان علوم النحو والبلاغة، وكذلك محاضرات ودورات في العلوم العصرية والمعارف والمهارات وكل ما فيه صلاح وإفادة للناس، ولا يخرج عن الإطار الشرعي والآداب الإسلامية.

ويمكن للمُؤسَّسات المَحَلِّية أو القُطْرية التي أشرتُ إليها قبل قليل أن تُعِدَّ البرامج والأنشطة التي تستهدف المساجد على مستوى الحيّ أو المدينة أو القُطْر ومتابعتها، ويمكن للمُؤسَّسة القُطْرية أن تُقيم أنشطة أكبر حجمًا وأعمق أثرًا من تلك التي تُقام على مستوى الحيّ أو القرية، وذلك من خلال ما يُتاح للمُؤسَّسات القُطْرية من إمكانات ماديَّة وعلمية، وما يمكن أن تحظى به من احترام وتقدير واهتمام من المشايخ والعلماء والمسؤولين في الدولة.

ومن أمثلة تلك الأنشطة عقد الندوات والمؤتمرات القُطْرية وحتى العالمية، ومنها إقامة الدورات التدريبية وورش العمل من أساتذة ومُتخصِّصين، وتكون المشاركة في هذه الفَعاليات إما بالحضور المباشر وإما عن بُعْد عبر منَصَّات التَّواصُل المُتاحة.

٣- لوحة المسجد

تُعَدُّ لوحة المسجد من الأمور التي يجب أن لا يخلو منها مسجد، وأن يكون لها دورٌ فعَّال في تعريف الناس أمور دينهم، والقضايا المعاصرة التي تستجدُّ بين حين وآخر، واللوحة قد لا تعدو عن أن تكون مساحة في أحد جدران المسجد تُعلَّق عليها بعض الفتاوى أو المواضيع الساخنة، وقد تكون مكانًا مُنظَّمًا داخل المُصلَّى أو خارجه لتحوي المواضيع والفقرات المنتقاة بعناية فائقة، بحيث تنسقها وترتبها أيادٍ ماهرة مُتخصِّصة، وبعد تقدُّم التقنيات تحوَّلت اللوحة إلى شاشة تلفاز عملاقة يمكن التحكُّم بمحتواها عن بُعْد، ويمكن برمجتها لتشمل أوقات الصلوات والإعلانات والتلاوات والمعلومات المفيدة، وحتى البثَّ الحيَّ للمحاضرات والفَعاليات.

وأيًّا كانت طبيعة اللوحة، فيجب تأكيد أهميتها وإن كانت لا تحظى بالتحديث المطلوب لمحتوياتها وما يُعرَض عليها، ولذا يجب أن يكون ضمن اختصاصات إدارة المسجد البحث عمَّن يمكن أن يتولَّى شؤون اللوحة، ومَن يمكن أن ينتقي مواضيعها ويُجدِّد محتوياتها والمعلومات المعروضة عليها، وحبَّذا لو تكون هناك لجنة على مستوى المدينة أو القُطْر تُعنى بشاشات العرض هذه في جميع المساجد، بحيث تتعهَّدها بالصيانة وانتقاء محتوياتها وما يُبَثُّ من خلالها.

٤- تبادل الزيارات

يمكن للمسجد -بل يجب- أن يكون له دور فعَّالٌ في ترابط الناس وتقوية الصِّلات بينهم، وذلك من خلال برنامج لتبادل الزيارات بين أهل الحيّ أو القرية أو حتى بين جماعة المسجد أنفسهم إن كان في الحيِّ أو القرية أكثر من مسجد، ويمكن أن يشارك في البرنامج مَن يرغب من جماعة المسجد، سواءٌ أكانوا رجالًا أم نساءً أم أطفالًا، ويمكن كذلك أن تكون الزيارات أسبوعية أو كل عدة أسابيع، ويمكن أن تكون بعد العصر أو المغرب أو العشاء.

وفي موعد الزيارة تنطلق جماعة المسجد إلى بيت المُستَضيف، ويبقون معه لتناول القهوة أو الشاي والتحدُّث فيما يحلو لهم من مواضيع وقضايا، وقد تكون تلك الزيارات بمنزلة المُلتقى الذي يتبادل فيه أهل الحيّ الحديث عن قضايا المسجد أو الحيّ، وقد يصعب الحديث عنها في أوقات أخرى بسبب انشغال الناس في أعمالهم ووظائفهم.

وانطلاق تلك الزيارات من المسجد يُحيي في نفوس الناس -وخاصة الناشئة- ذكريات الأمجاد التي ارتسمت مَعالِمها في هذه الأُمَّة منذ نشأتها، والتي كان المسجد مَهْدها ومَحْضنَها، وكان في الوقت نفسه نقطة الانطلاق لما تبعها من نجاحات وانتصارات، ومع انتشار وسائل التَّواصُل الاجتماعي بات التنسيق لتلك الزيارات والاحتفاظ بذكرياتها المكتوبة والمصوَّرة أمرًا ميسورًا.

وينبغي التنبيه لضرورة عدم التكلُّف في الضيافة ليستطيع الجميع المشاركة فيها، ولكي لا تكون عبئًا على المضيف وأهله، وأيضًا التنبُّه لمراعاة حرمات البيوت وغضِّ الأبصار، ومراعاة الحشمة وعدم الاختلاط في حال مشاركة النساء في هذه الزيارات.

٥- نظافة المسجد

يتردَّد على المساجد كل يوم أعدادٌ لا بأس بها من المُصلِّين، وخاصة في الجوامع والمساجد القريبة من الشوارع العامة التي يرتادها المسافرون بكثرة، وإذ إن ثقافة مجتمعاتنا وشعوبنا الإسلامية ما زالت لا تهتمُّ كثيرًا بجانب النظافة على مستوى الفرد أو البيت، فلذا نادرًا ما نرى اهتمامًا بذلك من المُتردِّدين على المساجد، بل -في أحيانٍ كثيرة- يكون الحال على عكس ذلك، فقد يتعمَّد بعض المُصلِّين -غفر الله لنا ولهم- تلويث مرافق المساجد وخاصة دورات المياه.

من أجل ذلك، لا بُدَّ أن تهتمَّ اللِّجان المَحَلِّية المَعْنِيَّة بشؤون المساجد في الأحياء والقرى بنظافة المساجد ومرافقها المختلفة، وأن تضع لنفسها برنامجًا يوميًّا أو أسبوعيًّا

لتنظيف المساجد والمرافق التابعة لها، ويمكن تعيين أشخاص -بأجور أو تطوُّعًا- لتأدية مهامّ التنظيف، ويجب أن يشمل برنامج النظافة المرافق العامة في المسجد، كدورات المياه وأماكن الوضوء والمُصلَّيات، إضافة إلى المرافق الأخرى مثل مكتبة المسجد وحديقته ومواقف السيارات الخاصة به.

ومن البرامج التطوُّعية المُثيرة والمُفيدة المُستهدِفة للمساجد ويمكن تنفيذها في الأحياء والقرى تخصيص أحد أيام العطل والإجازات لإقامة مُعَسْكَر يشارك فيه الأطفال والشباب والكبار، ويُخصَّص لتنظيف المساجد وصيانتها وترميم مرافقها وشراء ما تحتاج إليه لتعويض المواد التالفة أو القديمة، ويمكن أن يتخلَّل المُعَسْكَر فترات لتناول القهوة الجماعية، أو حتى وجبة غداء جماعية.

٦- صيانة المسجد

كلنا يعلم أن المساجد تحتوي على أجهزة تكييف وسجاد ونوافذ ومصابيح ومُكبِّرات صوت وبرَّادات مياه، إضافة إلى دخول أجهزة التقنيات الحديثة من شاشات العرض وشبكات الواي فاي والأجهزة الرقمية الأخرى، وجميعها تحتاج إلى متابعة وصيانة دورية، واستبدال أخرى جديدة بالقديم منها أو التالف، إضافة إلى صيانة المرافق التابعة للمسجد نفسه من دوراتٍ للمياه وأماكن الوضوء والمكتبات وغرف التدريس وغرف الإدارة والاجتماعات والفناء الخارجي ومواقف السيارات، وأيضًا ما تحويه المساجد من أجهزة وميكروفونات ومصاحف وكتب وغيرها.

لذا، فإن الدور الكبير الذي على أهل الحيّ تأديته في عمارة المساجد لا يقتصر على إنشائها، وإنما قد يكون في بقاء استمراريتها لتُؤدِّي رسالتها بجدارة وتميُّز، وعلى غرار اللَّجنة المَعْنِيَّة بالشؤون الثقافية والعلمية للمساجد، أرى أن تكون هناك مُؤسَّسة أخرى على مستوى القُطْر، أو -على الأقل- لجنة في كل مدينة، تهتمُّ برعاية مرافق المساجد وتُوفِّر احتياجاتها.

وليس من الضروري أن تتكوَّن هذه اللِّجان أو المُؤسَّسات من العديد من العاملين فيها، ولا أن تكون كبيرة في إمكاناتها، وإنما يكفيها شخص واحد أو اثنان يتجوَّلان بسيارتهما الخاصة أو بسيارة تابعة للمُؤسَّسة، ويطوفان على مساجد الحيّ أو المدينة أو القُطْر كله، ويقيّمان حالة كل مسجد والمرافق التابعة له، مع كتابة تقرير عن احتياجات كل منها إلى الصيانة أو المواد والأجهزة المختلفة.

وبعد أن تتسلّم اللَّجنة أو المُؤسَّسة التقرير من الأشخاص المَعْنيّين، تشرع في عملية الصيانة وتوفير المواد اللازمة لكل مسجد، وذلك إما عن طريق فنيّين ومهنيّين تابعين للمُؤسَّسة نفسها، وإما بتفويض أمر الصيانة وتوفير الاحتياجات المطلوبة إلى ذوي الخبرة من الأشخاص والمُؤسَّسات الأخرى المُتخصِّصة في الخدمات المطلوبة، وأما الاحتياجات المالية -فغالبًا- ما تكون من خلال التبرُّعات التي تَرِد إلى اللَّجنة، بعدِّها المسؤولة عن شؤون المساجد في الحيّ أو المدينة أو القُطْر، أو تكون من خلال عائدات الأوقاف التابعة للمساجد التي تتولى اللَّجنة رعايتها.

٧- خدمات رائدة ومُبْتَكَرة

يجب أن لا يقتصر دور المسجد على الخدمات التقليدية التي اعتادت المساجد تقديمها للناس، ولذا ظهرت نماذج عديدة لخدمات مُبْتَكَرة يمكن أن تُدرج ضمن خدمات المساجد المألوفة، ونسوق فيما يأتي بعضَ تلك الأفكار الإبداعية التي استخلصناها من نماذج واقعية لبعض المساجد والجوامع التي بدأت تظهر في وقتنا المعاصر:

- تصميم المساجد بحيث تُعين المُصلِّي فيها على الرُّوحانية والخشوع وهو بداخل المسجد، وقد يكون ذلك بالتقليل من الزخارف والنقوش، سواءٌ أكانت على الجدران والسقف أم على سجَّاد المسجد، وقد تكون من خلال نوع الإضاءة داخل المسجد وكمِّيتها.

- تصميم المساجد بأساليب هندسية ومعمارية تُضفي جمالًا وهَيْبة لمرتاديها، وفي الوقت نفسه تُقلِّل استهلاك الكهرباء وأجهزة التكييف.

- إضافة خدمات إلكترونية وتقنية جديدة -وخاصة في الجوامع الكبيرة التي تتكوَّن من طوابق عديدة ومرافق مُتعَدِّدة- تُعين المُصلين على متابعة الإمام والخطيب والمحاضر من خلال الشاشات الإلكترونية أو البثِّ المباشر عبر قنوات التَّواصُل الاجتماعي.

- التوسُّع في تقديم الخدمات المألوفة تقديمًا عصريًّا جاذبًا ونافعًا؛ مثل قاعات تحفيظ القرآن الكريم، وفصول تعليم اللغة العربية للأطفال وغير الناطقين بها، وفصول خاصة مُجهَّزة لإقامة الدورات العلمية والتدريبية المُتخصِّصة، ومكتبة تحوي طاولات للقراءة وحواسيب لإنجاز الأعمال عليها، مع وجود مُوظَّفين دائمين يُقدِّمون الاستشارات ويُجيبون عن الأسئلة، إضافة إلى إلحاق غرف لانتظار أولياء الأمور والمرافقين الذين يأتون بأولادهم وأهليهم إلى هذه الدروس والدورات.

- تقسيم مرافق الجوامع الضَّخمة لتقديم خدمات جديدة غير مألوفة؛ من قبيل وجود مكتب استعلامات ومكاتب للإدارة، ووجود محالَّ ومقاهٍ ومطاعم وبرادات تُقدِّم المأكولات والمشروبات المُتنوِّعة، وتوفير حضانة وأماكن للعب الأطفال، وتوفير قاعات للاجتماعات وعقد القِران والمناسبات الأخرى، وكذلك توفير صالات رياضية للرجال والنساء، وتوفير أجهزة ذكية ومُتطوِّرة تُعين مرتادي الجامع على إجراء المعاملات المالية الإسلامية وخاصة ما يتعلَّق بدفع الزكوات والتبرُّعات.

- إضافة الجوانب الجمالية والعناصر المفيدة خارج مبنى المسجد، ومن أمثلة ذلك كثرة المُسطَّحات المائية والنوافير والأشجار، وزرع الأشجار المُثمرة والنافعة التي يمكن -إضافة إلى جوانبها الجمالية- أن تُشكِّل مصدر دخل للمسجد.

- تصفية وإعادة استعمال المياه التي تُهدَر في أماكن الوضوء في ريِّ الأشجار والمزروعات التابعة للمسجد أو الجامع.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- تكلَّمْ عن طبيعة الرسالة التي يجب أن تُؤدِّيها المساجد.
وضِّحْ كيف تَقلَّص دور المساجد أو كاد يختفي، وكيف يمكن أن تعود المساجد إلى حمل رسالتها من جديد.
- ذكرنا في هذا الفصل جوانب مختلفة لأنشطة وفعاليات يمكن أن تُعيد الحياة إلى المساجد. ناقِش هذه الأنشطة والفَعاليات مع القائمين على المسجد الذي كثيرًا ما تتردَّد عليه -وخاصة فئة الشباب-، وتباحثوا حول إمكان إقامتها في ذلك المسجد.
اتَّفِقْ مع بعض الشباب الصالحين المُتردِّدين على المسجد الذي تُصلِّي فيه لوضع برنامج متكامل لدروس ومحاضرات وفعاليات على امتداد العام، وكذلك برنامج لصيانة وتنظيف المسجد، وبعد اكتمال تلك البرامج اعرِضوها على إدارة المسجد أو القائمين عليه، وناقشوا إمكان تنفيذها وتوفير مُتطلَّباتها.
- من الأمور التي يجب أن لا يخلو منها مسجد لوحة المسجد. ناقِش مع إدارة المسجد الذي تُصلِّي فيه إمكان شراء شاشة عرض تُستَخدم كما وصفناها في هذا الفصل، ثم نسِّق مع بعض زملائك لتحديثها بالمواضيع المفيدة والنافعة والإعلانات المُهِمَّة المُتعلِّقة بدروس العلم والمحاضرات.
- ناقِش مع بعض مرتادي المسجد الذي تُصلِّي فيه إمكان البدء ببرنامج الزيارات، ثم شجِّعوا بقية جماعة المسجد عليه.
- إن كنت ترى أن مساجد الحيّ أو القرية التي أنت منها لا تحظى بكبير اهتمام في جانب النظافة والصيانة، فاشرع مع بعض أصدقائك لإنشاء لجنة مَحَلِّيَّة تتولَّى ذلك الأمر، ثم ناقشوا مع مرتادي المساجد المختلفة إمكان تفعيل دور هذه اللَّجنة.
- ذكرنا في هذا الفصل بعض الخدمات المُبْتَكَرة المَعْنِيَّة بالمساجد. اذكر غيرها وإمكان تطبيقها في قريتك أو مدينتك.

الفصل الثامن
إقامة المعارض

من المشاريع أو الأنشطة الأخرى التي يمكن أن تُضفي حيويَّة وتفاعُلًا شعبيًّا كبيرًا على أعمالنا التطوُّعية إقامة المعارض المُتنوِّعة، فهي تُعَدُّ من الفَعاليات الاجتماعية المُهِمَّة؛ إذ فيها يجتمع الكثير من أهل البلد من الرجال والنساء والأطفال، فتكون وسيلة للالتقاء والتحدُّث عن همومهم ومشكلاتهم، وتُقوِّي الترابط الاجتماعي بينهم، وتبعث فيهم البهجة والمرح، وترتقي بمستوياتهم الفكرية والثقافية.

وفي هذا الفصل سنتطرَّق إلى أنواع مختلفة من المعارض التي بمقدور أهالي كل قرية أو مدينة الترتيب لإقامتها.

١ - معارض للصور القديمة

من الأنشطة المُهِمَّة -والمُثيرة في الوقت نفسه- التي على الشباب إقامتها بين حين وآخر معارض للصور القديمة المُتعلِّقة بالقرية أو الحيِّ لكي تبقى الأجيال المُتلاحقة على اطِّلاع وثيق بحياة آبائهم وأجدادهم، وأحوال قريتهم والأحداث التي مرَّت عليها أو على ساكنيها، أو التغيُّرات التي تطرأ على المباني والمَعالِم الأثرية في القرية، وأيضًا الفَعاليات السابقة التي أقيمت في البلدة كما بيَّناها في ثنايا الكتاب.

ويمكن تجميع تلك الصور من أهل القرية أو ممَّن لهم اهتمامات بحفظ التراث من غير أهل القرية، ثم الحصول على نسخة إلكترونية من كل منها، ثم يُجري المُنظِّمون للمعرض طباعتها وتغليفها ووضع تعليقات أو شروحات عليها، ليسهُل على زائري المعرض

التعرُّف إليها وما تحويه من مَعالِم وشخصيات، وبعد انقضاء المعرض تُرجَع الصور الأصلية إلى أصحابها، ويُحتفظ بالصور المنسوخة للأعوام المُقبِلة لاستعمالها في معارض أخرى.

ويمكن إقامة مثل هذه المعارض في المناسبات العامة كمهرجانات الأعياد أو الاحتفالات التي تكون في نهاية برامج المراكز الصيفية، ويمكن تخصيص وقت مُعيَّن في كل عام أو عدة أعوام لإقامتها، ويمكن إقامتها في المجلس العام للبلدة أو في إحدى القاعات أو مدارس القرآن الكريم، ويمكن أن يشمل برنامج المعرض إقامة مسابقات أو فقرات ثقافية أو مُقابلات مع كبار السِّن للتحدُّث عن ماضي البلدة والأجداد.

٢- معارض لبيع منتجات البيئة

من المعارض المُهِمَّة التي ينبغي أن تُقام في كل قرية -أو على الأقل في كل مدينة- تلك التي تُعنى ببيع منتجات البيئة التي نعيش فيها؛ إذ إن الكثير من المزارعين والتُّجار وأصحاب الحِرف والمِهَن المختلفة يحتاجون إلى تسويق بضائعهم ومنتجاتهم، وقد لا يجدون الوسيلة التي تُمكِّنهم من ذلك؛ فالمحالُّ والأسواق التي يمكنهم تسويق منتجاتهم فيها قد تكون غير موجودة أو ليست بالصورة المطلوبة، ومثل هذه المعارض ستكون وسيلة مناسبة لكسب الرزق لهؤلاء المُنتِجين، وأيضًا ففيها تشجيع لفئات المجتمع المختلفة على الإنتاج، عندما يَرَوْنَ أن هناك وسيلة مناسبة لبيع منتجاتهم.

ورغم أن الأسواق الشعبية وأسواق الجمعة أو الخميس التي انتشرت أخيرًا في بلداننا شبيهة بهذه المعارض، فهي لا تُحقِّق النتائج الإيجابية الكثيرة التي ذكرناها في بداية هذا الفصل، ولذا فمن المُهِمّ جدًّا إقامة مثل هذه المعارض بين فترة وأخرى، فهي ستُعين -بإذن الله- أهل كل بلدة على بيع ما عندهم من سعفيات ومُطرَّزات ومنتجات خشبية وحديدية وحلويات وكعكات، وستفتح الفرصة أمام الناس لشراء المُنْتَج المَحَلِّي والتَّخَلِّي عن المنتجات المستوردة التي -غالبًا- ما تأتينا من الدول الأجنبية.

٣- معارض لبيع المواد والأجهزة القديمة والمُسْتَعمَلة

تعوَّد الناس تغيير الأثاث والمواد والأجهزة التي يستعملونها عندما تتلَف أو تظهر أخرى أفضل منها، وبعض الناس لا يتخلَّص من التالِف أو القديم وإنما تتكدَّس في المخازن والأقبية، وبسبب التفاوت في المستويات المعيشية فإن ما يراه بعض الناس قديمًا أو غير مناسب للاستعمال يعدُّه آخرون مناسبًا لهم، ولذا فإن إقامة معارض لبيع مثل هذه المواد والأجهزة والأثاث ستكون ذات منفعة للطرفين، وقد تكون أيضًا فرصة ليقتنيها الهواة أو أصحاب الوِرَش.

ومثل هذه المعارض لا تحتاج إلى جهود كبيرة لإقامتها أو تمويلها أو إدارتها، وإنما يكفي وضع إعلانات لها، ومع وجود وسائل التَّواصُل الاجتماعي قد ينتشر خبرها بسرعة وإلى مناطق جغرافية بعيدة؛ ما يجعل بعض الناس تأتيها من قرًى ومدن بعيدة، ويمكن أن يُشارِك فيها أصحاب الأكشاك المُتنقِّلة أو الباعة المُتجوِّلون لتلبية احتياجات الزائرين من الماء والعصائر والوجبات الخفيفة.

٤- معارض لبيع الكتب والحواسيب والهواتف ومُستَلزمات المدارس

يمكن أيضًا إقامة معارض لبيع الكتب والحواسيب والهواتف والأجهزة الأخرى إضافةً إلى مُستَلزمات المدارس، وهذه المعارض تُعَدُّ وسيلة للارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري للمجتمع، لأنه عندما يشتري شخص كتابًا أو حاسوبًا فإن مستواه يتحسَّن من خلال المادة العلمية والفكرية في الكتاب، وقد يفتح الحاسوب لمُشتريه آفاقًا جديدة من العلوم والمهارات، وقد يكون سببًا لإيجاد وسيلة دخل مناسبة له، إذ إن المهارات والمواهب

التي يُنمِّيها الحاسوب عنده قد يحصل بسببها على وظيفة مناسبة، أو يرتقي بسببها في وظيفته ومهنته الحالية، أو يُنتج بعض البَرْمَجِيَّات التي يستطيع تسويقها.

ويمكن لهذه المعارض أن تُشكِّل رافدًا تمويليًّا مناسبًا للمُؤسَّسات الخيرية؛ إذ بإمكان المُؤسَّسة الخيرية التفاوض مع دُور النشر ومحالِّ بيع الحواسيب والهواتف لإقامة مثل هذه المعارض على أن تحصل المُؤسَّسة الخيرية على نسبة مُعيَّنة من المبيعات مقابل ما تؤديه من ترتيبات لإقامة المعرض وتنظيمه، وهذا لن يُكلِّف المُؤسَّسة كثيرًا؛ فمكان المعرض قد يكون مجلسًا عامًّا أو مدرسة أو ناديًا في المجتمع، والقائمون على المعرض قد يكونون مُتطوِّعين من الشباب والفتيات.

٥- معارض لإبداعات الشباب والفتيات

من المعارض المُهِمَّة جدًّا في كل مجتمع تلك المَعْنِيَّة بإبداعات الشباب والفتيات، وخاصة أنها تُعين كثيرًا في التعرُّف إلى ذوي المواهب والمهارات في مجتمعنا من خلال ما يشاركون به في المعرض من إنتاجات، وفي الوقت نفسه فهذه المعارض وسيلة لمساعدتهم على تنمية مهاراتهم ومواهبهم والاستفادة منها.

ويمكن أن يُخصَّص كل واحد من هذه المعارض لمجال مُعيَّن؛ فمثلًا قد يُخصَّص معرض للرسَّامين، وثانٍ لهواة الحاسوب والهواتف الذَّكِيَّة، وثالث للإلكترونيات وهواة اللاسلكي، ورابع للحِرَف والصناعات التقليدية، وخامس لهواة التصميم والديكور والأزياء، وآخَر لهواة الزينة والتشجير، إلى غير ذلك من المعارض، ويمكن أن تتاح في المعرض فرصة بيع المعروضات لتُشكِّل رافدًا لأصحابها لتغطية بعض النفقات التي تحمَّلوها في إعداد معروضاتهم، وأيضًا للمُؤسَّسات الخيرية التي تنظّمها.

كذلك، يمكن لكل نوع من هذه المعارض تقديم دعوة المشاركة إلى المُؤسَّسات التي تُقدِّم خدمات مشابهة أو -على الأقل- تُعنى بالمجال نفسه، فمثلًا عندما يقام معرض للصور

الفوتوغرافية يمكن تقديم دعوة المشاركة للمُؤسَّسات التي تبيع الكاميرات ومُستَلزمات التصوير وأجهزة وبرامج الحاسوب المُتعلِّقة بدبلجة أو تحرير الصور أو الاحتفاظ بها، وإذا كان المعرض مُخصَّصًا لهواة الزينة والتشجير، يمكن تقديم دعوة المشاركة للمُؤسَّسات والشركات المَعْنِيَّة بالحدائق المنزلية والأخرى المُختصَّة بتوفير مُستَلزمات التشجير من تربة وأسمدة ومبيدات وأصائص.

٦- معارض للفرص الوظيفية

تحدَّثنا سابقًا عن موضوع البَطالَة المُتفشِّية في بلداننا وطرحنا بعض الأفكار للحدِّ منها، ومن الطرق الناجحة في هذا الصَّدَد إقامة معرض للفرص الوظيفية تُدعى فيه المُؤسَّسات المعروفة في المحيط المَحَلِّي -أو حتى على مستوى القُطْر-، ليُطلَب منها عرض ما لديها من فرصٍ وظيفية.

كذلك، يمكن دعوة المُؤسَّسات والمراكز المَعْنِيَّة بالتدريب والتأهيل للمشاركة في هذا المعرض بما لديها من برامج تدريبية، ويمكن أن يتخلَّل المعرض بيع الكتب وبرامج الحاسوب التي تتحدَّث عن قضايا التطوير والتدريب للأفراد، وسُبُل الارتقاء بالجوانب العلمية والمِهنِيَّة لديهم.

كذلك، يمكن أن يشمل المعرض محاضرات وندوات تشرح للشباب والفتيات احتياجات السوق المَحَلِّية والعالمية من المهارات والقدرات المختلفة، ويمكن أن تُطرَح في أيام المعرض بعض الدورات التدريبية المجانية أو بأسعار مُخفَّضة تُقدِّم للباحثين عن وظائف طرق إعداد السيرة الذاتية وآلية تحديد الأهداف والخُطَط التي يمكن أن يسير عليها المرء للارتقاء بذاته والحصول على الوظيفة التي يصبو إليها.

٧- معارض لتمويل المشاريع الخيرية

أشرنا في ثنايا هذا الكتاب إلى العديد من المشاريع والأعمال الخيرية، وهناك الكثير غيرها التي لم نتحدث عنها أو نُشِر إليها بعد، وغالبية هذه المشاريع والأعمال الخيرية تحتاج إلى تمويل، وقد تكون المعارض إحدى الوسائل لتوفير هذا، فيمكن مثلًا ترتيب معرض للأطباق الخيرية، وذلك بتشجيع الأُسَر في الحيّ أو القرية على المشاركة بطبق من الحلويات أو الكعكات أو الفواكه أو السَّلَطات أو غيرها، ويُخصَّص العائد من بيع تلك الأطباق لصالح الأُسَر الفقيرة أو لتمويل بعض المشاريع الخيرية، ويمكن كذلك ترتيب معارض لبيع السَّعَفِيَّات والمشغولات اليدوية وملابس الأطفال وغيرها، ويُخصَّص رَيْعُها أو نسبة منه لصالح مشاريع خيرية أخرى.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكُر بعض فوائد المعارض في خدمة المجتمع.
- كيف يمكن للمعارض أن تزيد ترابط المجتمع ورفع مستوياته الثقافية والفكرية؟
- وضِّح كيف يمكن للمعارض أن تُشكِّل مصدر دخلٍ للمؤسسات التطوُّعية. وفي نظرك، ما الآليات التي يمكن أن تزيد فرصة نجاحها وسُبُل الاستفادة منها؟
- زُرْ أحد الأسواق الشعبية التي تُقام في المحيط الذي تعيش فيه، وتعرَّف إلى أهميتها من خلال المنتجات المعروضة فيها وإقبال الناس عليها. ما علاقة هذه الأسواق بفكرة المعارض التي تحدَّث عنها هذا الفصل؟
- نسِّق مع بعض أفراد قريتك لإقامة معرض للصُّوَر القديمة في إحدى المناسبات القادمة، ثم اشرعوا في تفعيل ذلك بجَمْع ما تستطيعون الحصول عليه من الصُّوَر.
- اتَّصِل ببعض المُهْتَمِّين بإقامة المعارض في المحيط الذي تعيش فيه، سواءٌ أكانوا أفرادًا أم مُؤسَّسات، وناقش معهم إمكان إقامة واحدٍ أو أكثر من المعارض المذكورة في هذا الفصل أو تلك التي لم نتطرَّق إليها.
- تعرَّضنا في هذا الفصل إلى نماذج مختلفة من المعارض التي يمكن إقامتها. اذكر معارض أخرى لم نتطرَّق إليها، وناقِش إمكان إقامتها في المحيط الذي تعيش فيه.

الفصل التاسع
إقامة المُعَسْكَرات

تعرَّفنا في الفصل السابق إلى أهمية المعارض في الارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري للمجتمع، وفي تشجيع الناس على الإنتاج والبذل والعطاء، وفي تقوية الصِّلات والعلاقات بين أفراد المجتمع بعضهم بعضًا، وبينهم وبين المُؤسَّسات العاملة في المجتمع، إلى غير ذلك من الإيجابيات، وبجانب المعارض فإن للمُعَسْكَرات أيضًا أهمية بالغة في المجتمع؛ وذلك من نواحٍ أخرى كالعناية بالنظافة والترتيب وجمال البيئة، التي قد يصعُب على المُؤسَّسات الحكومية أو الأفراد تنفيذها.

إن إقامة المُعَسْكَرات فيها مصلحة كبيرة جدًّا للمجتمع؛ فهي -من ناحية- تجعل المساجد والشوارع وغيرها من الأماكن التي يستهدفها المُعَسْكَر في وضع نظيف ولائق ومُتميِّز، ومن ناحية أخرى ففيها تفعيل لقُدرات الشباب المشاركين ومواهبهم، فبدلًا من قضاء أوقاتهم في اللَّعِب واللَّهْو، أو الجلوس في الشوارع والبيوت، أو متابعة المسلسلات، أو الانهماك في الرياضات المختلفة، يمكن تصريف طاقاتهم في هذه المُعَسْكَرات التي تعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالنفع.

يمكن للمُعَسْكَرات أن تُقام في فترات الإجازة أو أيام العطل الأسبوعية، ويمكن أن تكون يومًا كاملًا ويشارك فيها الشباب - وربما الفتيات في مُعَسْكَرات خاصة بِهِنَّ تُراعى فيها الضَّوابط الشرعية-، وقبل إقامة المُعَسْكَر فإن الأمر سيحتاج إلى تخطيط وإعداد، وخاصة لتوفير احتياجاته من المواد والأدوات التي ستُستَعمل فيه، وكذلك لتوفير وجبات الطعام للمشاركين، والهدايا وشهادات التقدير لهم جميعًا أو للمُتميِّزين منهم، وكل هذه يمكن توفيرها إما بالتبرُّع من الأفراد والمُؤسَّسات التجارية، وإما بشرائها وتخصيصها للأعمال الخيرية.

١ - مُعَسْكَرات للنظافة

في كلِّ حيٍّ وقرية العديد من الجوانب التي تحتاج إلى نظافة؛ إما بصورة مُتراتِبة أو في مناسبات مُعيَّنة، ويمكن تخصيص كل مُعَسْكَر لغرض مُعيَّن كتنظيف المساجد أو الشوارع أو المدارس أو الحدائق أو المُتَنَزَّهات أو الأفلاج.

أ- مُعَسْكَرات لتنظيف الطرق وإصلاحها

يمكن بين فترة وأخرى الترتيب لمُعَسْكَرات لتنظيف شوارع الحيِّ أو القرية، وإصلاح ما يحتاج منها إلى إصلاح، ويمكن أن يَسبِق تلك المُعَسْكَرات حملة لجمع تبرُّعات لشراء المواد والأدوات اللازمة، ثم في صباح يوم المُعَسْكَر يمرُّ المشاركون على الطرقات ويُزيلون ما فيها من شجيرات أو مُخَلَّفات، وإن وجدوا أماكن تحتاج إلى صيانة وإصلاح فعلوا ذلك، ويمكن أن يتخلَّل المُعَسْكَر إفطار للمشاركين وتناول القهوة والفواكه والعصائر لاحقًا، ويجب تصوير الفعالية لتبقى من الذِّكريات الجميلة في البلدة.

ب- مُعَسْكَر لتجهيز مُصلَّى العيد

من المُعَسْكَرات المُهِمَّة التي يمكن تنفيذها تلك المُوجَّهة للاعتناء بمُصلَّى العيد الخاص بالحيِّ أو القرية -إن كان موجودًا-، ويمكن إقامته قبل كل عيد بيوم أو أكثر لتنظيف المُصلَّى وإزالة ما نما فيه أو حوله من حشائش وشُجَيْرات، وأيضًا لفرشه بالبُسُط وتركيب مُكبِّرات الصوت والميكروفونات التي ستُستعمل في أثناء صلاة العيد، إضافة إلى تركيب المصابيح والشاشات إن كانت ستُقام فيه فعاليات في فترة المساء، وإذا كان سيُباع في فترة العيد الهدايا والحلويات وغيرها من الأصناف، فيمكن في المُعَسْكَر ترتيب الأماكن الخاصة بالبيع وتركيب المَظَلَّات عليها.

ج- مُعَسْكَر لتنظيف المجلس العام للبلدة

على غرار الاعتناء بمُصلَّى العيد، يمكن بين فينة وأخرى تنظيم مُعَسْكَر شبابي لتنظيف المجلس العام في الحيّ أو القرية، وخاصة قبل استعماله في الأعياد والمناسبات العامة مثل العزاء ومناسبات عقد القِران والإفطار الجماعي والاحتفالات العامة، وذلك للتحقق من صلاحية المُكيّفات والمصابيح فيه، وتوفير المواد اللازمة للمناسبة مثل الفواكه والحلوى والماء والمناديل، ويمكن للمُعَسْكَر أن يتضمَّن تنظيف حديقة المجلس والمواقف التابعة له.

د- مُعَسْكَر لتجهيز التَنُّور

توجد في بلدنا عمان -وربما في غيرها من البلدان العربية والإسلامية- عادة دَفْن جزءٍ من لحم العيد في تنُّور عميق يخصُّ كل بلدة، ويُترَك يومًا أو أكثر لنُضْجه، ومثل هذه التنانير تحتاج إلى عناية قبل إشعال النار فيها؛ وذلك لإزالة الرَّماد والمُخَلَّفات المُتبَقِّية فيها من المناسبات السابقة، ويحتاج إلى جمع كميات كبيرة من الأخشاب له، ثم يحتاج إلى إشعال النار ورعايتها، وأخيرًا يحتاج إلى رَمْي أكياس الشِّواء في التنُّور ثم إغلاقه، ثم فتحه بعد يوم أو يومين وإخراج الأكياس منه، ولذا فإن إقامة مُعَسْكَر شبابي للاعتناء بتَنُّور البلدة، وخاصة في الأعياد والمناسبات العامة أمرٌ في غاية الأهمية.

هـ- مُعَسْكَر لتنظيف الأفلاج والأماكن السياحية

تحظى بلداننا -بحمد الله وفضله- بالعديد من الأفلاج والأودية ومَجاري المياه والمَعالِم الطبيعية التي صارت مَقْصِدًا للسُّيَّاح من داخل القُطْر وخارجه، وكما نريد أن نظهر أمام الناس بهيئة حسنة، فكذلك علينا الاعتناء بنظافة البيئة من حولنا للحفاظ

على جمالها وجاهِزِيَّتها لارتياد الناس لها، ناهيك بما في ذلك من أثرٍ بالغٍ في القضاء على الحشرات والزواحف التي قد تُؤذي الناس وتُسبِّب لهم الأمراض.

وإقامة مُعَسْكَرات لتنظيف هذه الأماكن -وخاصة الأفلاج والأودية- له مردوده الإيجابيُّ الكبير على الناس والبيئة، الذي منه إعانة المزارعين والأهالي في الحصول على المياه النظيفة والوفيرة، ولذا على الأطفال والشباب والكبار والمُؤسَّسات أن يتكاتفوا لتفعيل مثل هذه المُعَسْكَرات، ويمكن أن يشارك فيها الأفراد بجهودهم والمؤسسات بمُعَدَّاتهم والتُّجار بتبرُّعاتهم العينية والمالية لتغطية احتياجاتها ومُستَلزماتها.

٢- مُعَسْكَرات لمساعدة المزارعين على أعمال الفلاحة

ظاهرة فريدة ومُمْتعة كُنا نعايشها عندما كنا أطفالًا؛ وهي تسابُق الناس -وخاصة الأطفال والشباب- لمساعدة المزارعين على حراثتهم الأرض أو زراعتهم النبتات الجديدة أو رَيِّهم المحاصيل، ولا ننسى كذلك مواسم الحصاد وما كان يحصل فيها من اجتماع الناس وتسابُقهم في جَنْي المحاصيل أو تخزين التمور وأصناف الحبوب، ومع الأسف الشديد كادت تلك المَشاهد المُمْتعة تَنْقَرِض ويَنْقَرِض معها ما كانت تُثيره في النفوس من البهجة وفي المزارعين من الراحة والسعادة، وخاصة إذا علمنا أنها لا تُكلِّفهم مبالغ تُذكَر؛ ما يجعلهم لا ينسَوْن الفضل لأهل قريتهم، فيجودون عليهم بشتَّى أنواع المحاصيل والتمور والحبوب.

وإذا كانت تلك الظاهرة قد اختفت -أو كادت تختفي-، فعلينا أن نسعى إلى إيجاد ذلك الجوِّ الشاعري ولو فترات معدودة خلال العام، وذلك بالتنسيق مع بعض المزارعين على إقامة مُعَسْكَرات لمساعدتهم على زراعة محاصيلهم أو جنيها أو تخزينها، ثم دعوة الأطفال والشباب للمشاركة فيها، ويمكن أيضًا إقامات مُعَسْكَر يومًا كاملًا يخرج فيه الرجال صغارًا وكبارًا، ويمرُّون على البساتين واحدًا تلو الآخر، وما احتاج منها إلى إصلاح أصلحوه وما احتاج إلى ريٍّ عمدوا إليه فَسَقَوْه، وبالطبع يجب أن يكون كل ذلك بالتنسيق

مع أصحابها أو القائمين على شؤونها، ويجب توثيق هذه الفَعاليات بالصور ومقاطع الفيديو.

٣- مُعَسْكَرات لترميم المساجد ومدارس القرآن الكريم والمواقع الأثرية

ينبغي أن تُخصَّص بعض المُعَسْكَرات لغرض ترميم المساجد ومدارس القرآن الكريم، إذ إن هناك -كما ذكرتُ سابقًا- من مدارس القرآن الكريم والمساجد التي أقيمت منذ فترة وتهدَّمت وباتت تنتظر مَن يُرمِّمها ويُعيد لها رَوْنقها، وهناك أيضًا القلاع والحصون وغيرها من الأماكن الأثرية التي بناها الأجداد، وصارت بحاجة إلى إعادة الحياة إليها.

وهذا النوع من المُعَسْكَرات يحتاج إلى تخطيط وإعداد سابق، وربما بشكلٍ كبيرة ولمدة طويلة، وخاصة في استخراج التصاريح الرسمية لتنفيذ عملية الترميم، وأيضًا في مخاطبة الشركات والمُؤسَّسات وأهل الخير للمُساهَمة العَيْنِيَّة والمالية في تكاليف الترميم، ثم في مخاطبة بعض المقاولين أو المُؤسَّسات المُتخصِّصة لتنفيذ عملية الترميم، ويكون دور المُعَسْكَر مساعدة هذه المُؤسَّسات على تنفيذ أعمالها، وذلك لتقليص التكاليف وتسريع عملية الترميم.

٤- مُعَسْكَرات لإصلاح بيوت الفقراء والمَعُوزين

كم من الفقراء والمُحتاجين يعيشون بيننا، وبفضل الله وهَدْي ديننا الحنيف يتكاتف المسلمون لرعاية إخوانهم الضُّعفاء والفقراء وأصحاب الحوائج، ولكن معظم المساعدات التي تُقدَّم إليهم قد لا تعدو الطعام والملبس، وتبقى لهؤلاء حوائج كثيرة، وقد ذكرنا سابقًا وسائل لإعانتهم لتلبية هذه الاحتياجات.

لكن ما نتكلَّم عنه هنا قد لا يفطِن إليه إلا القليلون، بل قد صعُب تنفيذه إلا من خلال مُؤسَّسات أو -على الأقل- لجان خيرية؛ فالفقير قد يعيش بين جدرانٍ من طينٍ أو إسمنت، ولكنَّ حالَ ذلك المأوى قد لا يكون مناسبًا لنشأة الأطفال ولا لسُكنى الكبار، فالبيوت -كما نعلم- تحتاج إلى إصلاح ما فيها من أجهزة وأدوات، وترميم ما تهالك من جدرانها وأسقفها وأرضياتها، وفي أحيانٍ كثيرة لا يمكن إصلاح العاطل من الأجهزة ولا ترميم المُتهالِك من البناء؛ ما يستدعي أهل الخير أن يشدُّوا عزيمتهم، ويتعاونوا على إعادة بناء بيت الفقير، وقد يتطلَّب ذلك أيضًا استئجار مكان له ولأسرته في أثناء عملية إعادة البناء.

وأما الإصلاحات اليسيرة للأجهزة وأرجاء المبنى فيمكن إجراؤها من خلال مُعَسْكَر يجتمع فيه ثُلَّة من شباب البلدة، إضافةً إلى بعض المهندسين والفنِّيين، فيُصلِحون ما يستطيعون إصلاحه، وربما أخذ الأجهزة العاطلة إلى مُتخصِّصين في المحالِّ والوِرَش، ومثل هذا المُعَسْكَر سيحتاج إلى تنسيق سابق مع أهل البيت لإخلائه في أثناء فترة الإصلاح، وربما يحتاج أيضًا إلى الحصول على تصاريح من الجهات المَعْنِيَّة لإتمام عملية الصِّيانة.

ونظرًا إلى انتشار كثيرٍ من الفِرَق والمُؤسَّسات الخيرية في بلداننا، فيمكن التعاون معها لتقديم العَوْن المالي وربما شراء المواد والأجهزة، ويُجري المُتطوِّعون في المُعَسْكَر عملية الإصلاح والترميم بإشراف هذه المُؤسَّسة، وبذلك يكون هناك تكاتف بين الأهالي والمُؤسَّسات الخيرية، وخاصة إن كان للمُؤسَّسة برنامج معروف لصيانة مثل هذه البيوت، فبذلك تسهُل الأمور، ويزيد المجتمع تكاتفًا وتضامُنًا.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكُر بعض الأهداف العامة للمُعَسْكَرات، والجوانب التي يمكن أن تشملها، والنتائج التي يمكن أن تُحقِّقها.
- تعاوَن مع بعض زملائك في وضع خُطَّة لمُعَسْكَرِ يومٍ كامل لتنظيف شوارع الحيِّ الذي تعيش فيه، بحيث تشمل الخُطَّة المَهَام المختلفة، وتوزيعها على المشاركين، والجدول الزمني لتنفيذ تلك الخُطَّة، إضافة إلى تقديرات بالمواد المطلوبة وطرق توفيرها. وبعد أن تفرغ من إعداد الخُطَّة، ناقِش أنت وزملاؤك مع أهالي الحيِّ -وخاصة الشباب منهم- المُقتَرَحات المُتعلِّقة بتنفيذ ذلك المُعَسْكَر، ثم اشرعوا في تنفيذه، وبعد إقامته قيّموا ما أنجزتموه فيه، وناقشوا إمكان إقامة مُعَسْكَرات شبيهة به في المستقبل، وخاصة تلك التي تهتمُّ بجوانب أخرى غير تنظيف الشوارع.
- ذُكِرتْ في هذا الفصل بعض المُعَسْكَرات الشبابية التي يمكن إقامتها لخدمة الأحياء والقرى. اذكر مُعَسْكَرات خَدَمية أخرى يمكن إقامتها، وحاول الاتِّفاق مع بعض أهل بلدتك لإقامة شيءٍ منها.
- اشرَح كيف يمكن أن يُؤدِّي التطوُّع لمساعدة المزارعين من أهالي الأحياء والقرى إلى ترابط الناس.
- في نظرك، هل يمكن لمُعَسْكَرات ترميم المساجد والمدارس والمواقع الأثرية أن تكون ذات فائدة؟ وضِّح إجابتك بشيءٍ من التفصيل.
- هل ترى أن مُعَسْكَرات ترميم وإصلاح بيوت الفقراء مُجْدِيَة؟ ولماذا قلنا إنها تحتاج إلى العديد من الإجراءات والتنسيقات الإدارية والتنظيميَّة؟
- معظم المُعَسْكَرات التي ذكرناها في هذا الفصل تتعلَّق بالشباب. اذكر مُعَسْكَرات يمكن فيها مشاركة النساء والأطفال وكبار السِّن، أو تختصُّ بواحدة أو أكثر من هذه الفئات.

الفصل العاشر
المراكز الصيفية

إن فترة الإجازة الصيفية تكون -في الغالب- في حدود ثلاثة أشهر، أي ربع السنة، وهذا يعني أن الطفل يقضي ربع عمره -على الأقل- في اللَّهْو واللَّعِب، وفي تعلُّم الصناعات أو الصنائع الفاسدة والأخلاقيات الشائنة، إن لم تُوجَّه طاقاته إلى شيء آخر.

لهذا، فإن المراكز الصيفية تُعَدُّ من الفَعاليات المُهِمَّة في المجتمع؛ فهي -من ناحية- تقوم على تثقيف الشباب والفتيات، وخاصة صِغار السِّن، وتعليمهم كتاب الله وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، ورفع مستواهم الثقافي والفكري، وفي الوقت نفسه تحاول المحافظة عليهم في فترة الإجازة الصيفية الطويلة من التسكُّع في الشوارع، أو قضاء أوقاتهم فيما لا يعود عليهم أو على مجتمعهم بالنَّفع.

وموضوع المراكز الصيفية شائكٌ ومُتشعِّب، ويحتاج -في حقيقة الأمر- إلى وقفة تأمُّل، ومحاولة جادة لتصحيح الوضع الحالي لكيفية قضاء الطلاب لإجازتهم الصيفية، وهو ما تعانيه معظم المجتمعات، ولذا فعلى كل واحد منا أن يبادر بالمشاركة في هذه المراكز، وليس هناك شخص معذور، سواءٌ أكان من الشباب أم الفتيات، أم كان من الصِّغار أم الكبار، أم كان من الرجال أم النساء، وقد أفردتُ لموضوع المراكز الصيفية كتابًا مُسْتَقِلًّا بالعنوان نفسه ناقشتُ فيه العديد من جوانب الارتقاء بهذه المُؤسَّسات المُجْتَمَعِيَّة المُهِمَّة، فأنصحُ بالرجوع إليه.

الفصل الحادي عشر

إقامة الفَعاليات الثقافية والاجتماعية في المجتمع

كما ذكرتُ في مُقدِّمة الكتاب، فإن أحد الأهداف من وراء عرض موضوع العمل التطوُّعي هو تكوين مجتمع مترابط ومتماسك، تنتشر فيه الأخلاقيات والسُّلوكات الحسنة المُتميِّزة، ويكون على مستوًى عالٍ من الإيمان والثقافة والفكر، ويكون الناس فيه مُتعاونين مُساعدين على حلِّ مشكلاتهم، والتعرُّف إلى قضاياهم، ومحاولة إيجاد الحلول والبدائل لها.

ولا يمكن للناس الوصول إلى ذلك الهدف كلٌّ على انفراد، وبلا وَعْيٍ وثقافة وعلم، ومن أجل ذلك لا بُدَّ من وجود فعاليات ثقافية واجتماعية تُعين الناس على الارتقاء بمستوياتهم العلمية والفكرية، واكتساب المهارات والثقافات المُستَجِدَّة، وزيادة ترابطهم والتعرُّف إلى احتياجات بعضهم بعضًا.

ولا شك أن هذه الفَعاليات ستحتاج إلى جهود فردية، تبدأ بالمشاركة في تبنِّي فكرة إقامتها، ثم في تشجيع الآخرين على الإعداد لها وتنظيمها، وأيضًا في تشجيع الآخرين على المشاركة فيها، وأخيرًا في دعمها من النواحي المالية والمادية كتوفير السيارات والأجهزة والأماكن، ويُفضَّل أن تُشكَّل لرعاية هذه الفَعاليات مُؤسَّسات أو لجان دائمة ومعروفة في المجتمع، بحيث يكون لها برنامجها الخاص بها على امتداد العام، وتكون لها إمكاناتها المرصودة ومرافقها المعروفة من فئات المجتمع.

١ - إحياء المناسبات الدينية

تمرُّ على المسلمين الكثير من المناسبات التي يمكن الاستفادة منها في توعية الناس، ورفع المستوى الثقافي والفكري عندهم، ومنها شهر رمضان والحج ودخول السنة الهجرية والمولد النبوي والإسراء والمعراج وغيرها من المناسبات، وفي هذه المناسبات يحتاج الناس إلى مَن يُذكِّرهم بأهميتها من النواحي الشرعية والاجتماعية، وأيضًا إلى مَن يُوجِّههم إلى الوسائل المُثلى للاستفادة منها والتفاعُل معها.

فعلى سبيل المثال، يمكن في شهر رمضان وضع برنامج متكامل يضمُّ المحاضرات والأمسيات والبرامج الثقافية الأخرى التي يمكن تقديمها في فترة هذا الشهر، ويَلْزَم لهذه الفَعاليات أن تستوعب معظم فئات المجتمع من الصِّغار والكبار، الرجال والنساء، ويمكنها أن تُقام في المساجد والمراكز الثقافية والتجمُّعات النسائية، ويمكنها أن تتعلَّق بشهر رمضان والصِّيام أو بغيره من القضايا الفكرية والثقافية الأخرى.

ولكون شهر رمضان موسمًا حافلًا بمثل هذه الفَعاليات، ويتميَّز بتهيُّؤ نفوس الناس لتقبُّلها، فعلى المُهْتَمِّين بشؤون المجتمع أن يشاركوا في وضع البرامج المفيدة، وتقديم المحاضرات والدروس المُمْتعة، وإحياء الأمسيات المختلفة كليلة القدر أو غزوة بدر، أو غيرها من الفتوحات الإسلامية التي حدثت في هذا الشهر الفضيل.

ويُفضَّل إقامة هذه الأمسيات بغير الأنماط المُعتادة التي قد يملُّها الناس وتُنفِّرهم من حضورها، والأنماط المفضَّلة قد تكون على شكل مهرجانات إنشادية أو مسرحيات أو مسابقات ثقافية أو غيرها من النماذج التي يمكن أن تُشجِّع الناس على الحضور والتفاعل والاستفادة من جوِّ هذا الشهر الكريم.

كذلك، يمكن ترتيب برامج للإفطار الجماعي، سواءٌ أكانت في المساجد أم المُلتقيات والمجالس العامة أم في النوادي الثقافية، أم في غيرها من الأماكن التي يرتادها الناس، ويمكن إعداد إفطار جماعي لعامة الناس أو لفئة مُعيَّنة منهم أو لأهل بلدة مُعيَّنة.

ويُفضَّل أن يُصاحِب الإفطار الجماعي برنامج ثقافي؛ كأن يُقدِّم بعد الإفطار وصلاة المغرب مثلًا وجبة عشاء للحاضرين، ثم يتبع ذلك درس أو محاضرة أو ندوة أو أمسية شعرية أو ثقافية أو مسرحية أو غيرها من الفَعاليات، التي يمكن أن تُحفِّز الناس على المشاركة؛ ما يُعينهم على إنماء مستواهم الثقافي والعلمي، وأيضًا زيادة الترابط فيما بينهم.

ويمكن كذلك تشجيع الناس على الصَّوْم الجماعي في الأوقات الأخرى غير شهر رمضان، مثل صيام يوم الاثنين أو الخميس أو يوم عرفة أو عاشوراء أو غيرها من الأيام التي تُعين على رفع المستوى الإيماني وزيادة الترابط الاجتماعي بين الناس.

وفي المناسبات الأخرى التي ذكرناها، يمكن التركيز على ما يبعث في النفوس البهجة، ويُشجِّع الناس على المشاركة كالاحتفالات والمهرجانات والمسابقات والمسرحيَّات، ولا بأس أن تتخلَّلها بعض المحاضرات والدورات والمُقابلات، أو أن تُقدَّم فيها الوجبات أو -على الأقل- القهوة أو العصائر.

٢- إقامة المسابقات الثقافية والأمسيات الشعرية والمهرجانات الإنشادية

كما ذكرتُ قبل قليل، يمكن إقامة هذه الفَعاليات ليس فقط في شهر رمضان، وإنما في المناسبات الأخرى كالأعياد أو في فترة الصيف التي يكون فيها طلاب المراحل الدراسية المختلفة وكثير من المُوظَّفين في إجازة، فتكون مناسبة لإقامة هذه الفَعاليات، ولكن يجب التنبيه أنْ ينأى المُهْتَمُّون بإقامة هذه الفَعاليات عن العشوائية والارتجال، وإنما عليهم الإعداد السابق والمُنظَّم لها، وإعداد تصوُّرات تفصيلية حول احتياجاتها وسُبُل توفير مُستَلزماتها، بحسب الإمكانات المُتاحة لديهم.

ويُفضَّل أن تتخلَّل الفَعاليات مشاركات للجمهور لإتاحة الفرصة لأكبر شريحة من الناس للاستفادة منها والتفاعل معها، ويجب أن تكون هناك تغطية إعلامية مَحَلِّيَّة وقُطْرية لتحفيز القائمين عليها ومَن يقرأ عنها أو يشاهدها على إقامة المزيد منها، ويلزم أن يكون هناك توثيق لها بالصور والفيديو لتبقى ذكرياتها للأجيال القادمة.

٣- تنظيم الأعراس الجماعية

إننا في هذا الكتاب نسعى من خلال عرضنا موضوع العمل التطوُّعي إلى إيجاد مجتمع سليم في تصوُّراته ومعتقداته وسُلوكاته وأخلاقه، وإني لَأحسبُ أن القارئ يشاطرني الرأي في أن إفرازات الحياة المعاصرة والاندماج الحضاري والتَّواصُل المعرفي الذي كان له ظهور ملحوظ في العقود المُنْصَرِمة قد أدَّى إلى إيجاد أنماط عديدة من السُّلوكات والتصوُّرات التي تُعَدُّ غريبة -إن لم تكن دخيلة- على مجتمعات المسلمين التي غالبيتها مجتمعات محافظة، ومن هذه السُّلوكات التي أثَّرت كثيرًا في التركيبة الاجتماعية في عالمنا العربي والإسلامي ما يأتي:

- الرغبة الجادَّة لدى الشريحة الكبرى من الشباب والفتيات في مواصلة تعليمهم الجامعي وما بعد الجامعي، وهي -بلا شك- ظاهرة لا تُنكَر إيجابياتها، بل وعلى المجتمع ومُؤسَّسات الدولة تشجيعها وتمهيد السُّبُل لاستمراريتها، ولكن الانهماك المُتزايِد في الحصول على أعلى الشهادات العلمية والمهاراتية قد أدَّى إلى عزوف الشباب والفتيات عن الزواج؛ ما أوجد جيلًا منهم لا يشعرون بأهمية الزواج وآثاره الإيجابية، سواءٌ أكان على مستوى الفرد أم المجتمع.

من هنا، أصبحت الكليات والجامعات في كثير من بلدان العالم العربي والإسلامي مُنتجعات ومُتَنَزَّهات للشباب والفتيات بسبب الاختلاط الموجود -والفاضح في أحيان كثيرة-، وهذا الاختلاط، ومع تزايُد الصَّيْحات المُتعالِية لتحرير المرأة،

والسُّيول الجارفة من الموضات والأغاني الماجنة والأفلام الخليعة، قد أدَّى إلى تنافس كلا الجنسين في الظهور للجنس الآخر بأبهى حُلَّة وأجمل صورة.

ورغم ما لهذه السُّلوكات الشائنة من استنزاف لمُدَّخرات الشباب والفتيات واقتصاديات الأُمَّة فيما لا يعود عليهم وعليها بالنفع، ورغم ما تُسبِّبه من انحطاط في مستويات التحصيل العلمي والثقافي، فإن الطامَّة الكبرى تكمُن في عزوف الشباب والفتيات عن الزواج لشعورهم بأن ما يحيط بهم من مناظر، وما يجري في أوساطهم من مغازلات وأخلاقيات شائنة قد يُعوِّضهم عن الزواج الشرعي، وخاصة عندما يتذكَّرون مُتطلَّبات الزواج الباهظة التي أفرزتها العادات والتقاليد المذمومة المُتفشِّية في مجتمعاتنا.

ومع تعالي هَيَجان الحركة النِّسْوِيَّة التي طالت النساء والرجال على حدٍّ سواء، حدث تهميش -بل سخرية واحتقار- للزواج، ولم تعُدْ المُسوِّغات الآن مُجرَّد غلاء المهور أو بعض التقاليد التي كانت سائدة في مجتمعاتنا، وإنما لغرض نشر الرذائل والمُوبقات، والتَّعَدِّي على السُّنن الكونية والفِطْرية، وتدمير الكِيانات الأُسَرية والمُجتمعية.

- في كثير من الأحيان لا يكتفي الشاب والفتاة بتحصيل الدرجة العلمية وإنما يَسْعيان إلى الحصول على وظيفة مرموقة، تُوجِد لهما مكانًا في مجتمعهما، وتعينهما على تلبية المُتطلَّبات المتزايدة للحياة المعاصرة، وهو ما يُعين على تفاقم ظاهرة العنوسة تفاقمًا كبيرًا، وبروز ظاهرة الاختلاط والانحطاط الأخلاقي بروزًا لافِتًا؛ فالشاب والفتاة -إلا من رحم الله- لا يهتمَّان في بيئة العمل التي يقضيان فيها غالب يومهما بمراعاة النواحي الشرعية والخلقية والاجتماعية، بل قد تكون بيئة العمل تفعيلًا للتربية الفاسدة التي تلقَّياها في المدرسة أو الكلية أو الجامعة، فتجدهما يقضِيان ساعات العمل في النظرات المُتبادَلة والمُغازلات الفاضحة والضَّحَكات المسموعة، والحوارات «الهادفة» التي في حقيقتها هائمة وهادمة.

كذلك، لا ننسى أن الشباب والفتيات عندما ينظرون إلى المستقبل الذي ينتظرهم، ولا يَرَيان فيه إلا قوائم طويلة من مُتطلَّبات الحياة، من توفيرٍ للبيت أو الشقة، وشراءٍ للسيارة، ومن مصاريف الخدمات والضرائب والرسوم والفواتير التي عليهم دفعها باستمرار، فذلك يجعلهم لا يُعيرون موضوع الزواج أدنى اهتمام؛ ما يزيد تَفَشّي ظاهرة العنوسة وانتشار الأخلاقيات الفاسدة الناتجة عن ذلك، ومن انحطاطٍ للقِيَم والمبادئ التي عادة ما تربط نسيج المجتمع، وتحجزه عن التَّساقُط والانفلات.

- أدَّت العادات والتقاليد الموروثة والظواهر الاجتماعية المُستَحْدَثة إلى صرف أنظار الشباب والفتيات عن التفكير في الزواج، فضلًا عن الإقدام عليه، فنحن نعلم أن التخلُّف العلمي والفكري الذي مرَّت به الأُمَّة في العصور المُتأخِّرة قد أدَّى إلى إيجاد الكثير من الظواهر المَشِينة في مجتمعاتنا، كظاهرة المُغالاة في المهور وطلبات الزواج، وتنافس أولياء الأمور على التقدُّم بقوائم طويلة من الطَّلَبات عند تزويج بناتهم، وجميع ذلك ساهم في صرف أنظار الشباب والفتيات عن التفكير في الزواج.

- انتشرت في الآونة الأخيرة ظواهر اجتماعية لا تخدُم المجتمع وإنما تهدم ما بقي فيه من أخلاقيات وترابط، ومن هذه الظواهر ما نشاهده من استدعاء فِرَق الرقص والمُجون في حفلات الأعراس، ومن إقامة حفلات الأعراس في الفنادق الضَّخمة والصَّالات الفاخرة، ومن التنافس في اقتناء أغلى أثواب الأعراس أو دبلات الخطوبة، ومن غيرها من الظواهر التي لم تكن معروفة في مجتمعاتنا، وكلها تَقصِم ظهور الشباب والفتيات، فتجعلهم يَحسُبون للزواج ألف حساب قبل التفكير في الإقدام عليه.

من هنا، فإن على عاتق العقلاء من أبناء الأُمَّة أمانة عظيمة وحِمْلًا جسيمًا، ليس فقط في التصدِّي لهذه الظواهر البغيضة التي كادت تُصبِح من مَعالِم مجتمعاتنا المُتميِّزة، وإنما أيضًا لإيجاد الحلول والبرامج التي يمكن أن تُخرِج مجتمعاتنا من طامَّاتها وأوحالها.

وقد تُعَدُّ الأعراس الجماعية التي بدأت تظهر في مجتمعاتنا في الآونة الأخيرة من الخطوات الجريئة والمُؤثِّرة في هذا السياق، والتي يُرجى أن يكون لها أثرٌ بالغٌ في الأخذ بحُجَز مجتمعاتنا نحو الصَّواب والرَّشاد بإذن الله.

لقد أصبحت الأعراس الجماعية ظاهرة اجتماعية لها أثرٌ كبيرٌ في حلِّ الكثير من المشكلات الاجتماعية، وأيضًا في زيادة الترابط الاجتماعي بما تُضفي عليه من جوٍّ مُتميِّزٍ في قلوب أبناء المجتمع، ولذا فإن الإسهام فيها والتشجيع على إقامتها يُعدان من الأعمال التطوُّعية المُهِمَّة.

ولا تقتصر المساهمة في هذه الفعالية الاجتماعية المُهِمَّة فقط على المُتزوِّجين وأُسَرِهم وأقاربهم، وإنما على أفراد المجتمع ومُؤسَّساته المختلفة أن تتضافر جهودهم لإنجاحها والإكثار منها، والمساهمة فيها لا تقتصر كذلك على شكل واحد أو نشاط بعينه، وإنما هناك أنماط مختلفة وأوجُه مُتعَدِّدة للمساهمة في إنجاحها، فمثلًا تحتاج هذه الفَعاليات إلى تخطيط وتمويل وتنظيم وترويج إعلامي، إضافة إلى تشجيع وحثٍّ للشباب والكبار للمساهمة فيها بالحضور والتمويل.

وأُحِبُّ التنبيه لضرورة تشجيع هذه الظاهرة وإن كان مستواها بسيطًا؛ كأن تكون عُرْسًا جماعيًّا لشخصين أو ثلاثة، فالأمر المُهِمُّ في البداية يكون في انتشارها وليس في حجمها، ثم عندما تُصبِح من الفَعاليات المُتكرِّرة والمألوفة والمرغوب فيها في مجتمعاتنا، يبدأ التفكير في الوصول بها إلى مستويات أفضل؛ كأن تشمل أعدادًا أكبر من المشاركين وتتطلَّب مصاريف أقل، وكذلك يمكن الاستفادة مما قرَّره أهل العلم[1] من جواز مساعدة الراغب في الزواج من مال الزكاة، بشرط أن لا يجد من كسب يده ما يستطيع به أن يستُر عِرْضه.

(١) يوسف القرضاوي، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها، ص٢٦-٢٧.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- ما المناسبات الدينية التي يمكن الاستفادة منها لرفع المستوى الثقافي والفكري والاجتماعي بين أوساط الناس؟
- شارِك بعض زملائك في وضع برنامج مُتكامل للاستفادة من شهر رمضان المبارك؛ بحيث تشمل الأنشطة المُقتَرَحة في البرنامج فئات المجتمع المختلفة، وتكون ذات تأثير واضح في رفع المستوى الثقافي والعلمي والاجتماعي في المجتمع.
- اذكُر بعض العادات والسُّلوكات السيئة التي بدأت تنتشر في مجتمعاتنا والتي أدَّت إلى تَفَشّي ظاهرة العنوسة بين الشباب والفتيات.
- تحدَّث عمَّا تفعله الحركة النِّسْوِيَّة في هدم قِيَم الحياء والعفاف، ودورها في الحدِّ من الزواج لغرض تفتيت الأُسَر ونشر الرذائل والمُوبِقات.
- شارِك بعض أهل بلدتك أو مدينتك الذين لهم اهتمامات بموضوع الأعراس الجماعية، وأعِدُّوا كُتيِّبًا يتحدَّث عن أهمية هذه الظاهرة، وسُبُل الارتقاء بها، والعقبات والتحدِّيات التي تحُدُّ انتشارَها في المجتمع، وسُبُل التغلُّب عليها. كذلك، يمكن أن يتضمَّن الكُتيِّب تجارب سابقة ولقاءات مع الأشخاص الذين كان لهم دورٌ بارزٌ في إقامتها والتخطيط لها. وأخيرًا، يجب أن يشمل الكُتيِّب مُتطلَّبات إقامة هذه الفعالية وبرنامجًا مُتكاملًا ليوم العرس الجماعي. وبعد إنهاء إعداد الكُتيِّب، يمكن التعاقد مع إحدى دُور النَّشْر أو المُؤسَّسات المَعْنِيَّة بموضوع الأعراس الجماعية، لتبَنِّي نشره لتشجيع هذه الظاهرة في المجتمع، ولكي يُستفاد من رَيْعه في تمويل هذه الأعراس الجماعية أو غيرها من الأنشطة الاجتماعية والثقافية، وإن تعذّرت طباعة الكُتيِّب فيمكن نشره عبر وسائل التَّواصُل الاجتماعي لِتَعُمَّ الفائدة منه.

الباب السادس

الأعمال التطوُّعية التي تُغطِّي القُطْر الذي نعيش فيه

تمهيد

ذكرتُ في الباب السابق أن علينا واجبات تجاه المحيط أو البيئة التي نعيش فيها، وأقول هنا إن علينا أيضًا واجبات والتزامات تجاه القُطْر الذي نعيش فيه كله، وكما أنه لا يكفي للواحد منا أن يبقى مُنزويًا على نفسه، قابعًا في بيته، فكذلك عليه أنْ لا يكتفي بالاهتمام بالمجتمع الذي يعيش فيه، وإنما يجب عليه أن يُوسِّع دائرة اهتمامه لتشمل أرجاء الدولة التي يعيش فيها.

ونقصد بالقُطْر في سياق هذا الكتاب ما اصطُلِح عليه بمفهوم الدولة في حدودها الجغرافية والسياسية، وأتمنى أن لا يفهم القارئ من تركيزي في هذا الباب على القُطْر أنها دعوة للتعصُّب لبلد دون آخر، وإنما الأمر لا يعدو أن يكون نوعًا من التدرُّج في مستوى التكليف والاهتمام، وكما أن مُصطَلح «المحيط» الذي استخدمناه في الباب السابق قد لا يعني بالضرورة الحيَّ أو القرية، وإنما يمكن أن يشمل المدينة أو الولاية أو المنطقة أو المحافظة، فكذلك مُصطَلح «القُطْر» قد يبدأ بالحدود الجغرافية للدولة التي يعيش فيها الإنسان، ولكنه يمكن أن يمتدَّ إلى إقليم بأكمله مثل دول الخليج العربي أو منطقة بأسرها مثل منطقة الشرق الأوسط.

والأعمال التطوُّعية التي سنتطرَّق إليها -بإذن الله- في هذا الباب هي من التوسُّع والشُّمُولِيَّة بحيث لا يمكن لفردٍ واحدٍ أو مجموعة صغيرة إنجازها، وإنما تحتاج إلى مُؤسَّسات تعمل على مستوى القُطْر أو ربما أبعد من ذلك، ولكن هذا لا يعني رفع المَلام عن عزوف الأفراد والجماعات في المشاركة؛ فإن غالبية ما سنتطرَّق إليه من أعمال تطوُّعية ما زالت مفقودة في كثير من بلدان المسلمين.

إن الدور الذي يمكن أن يُؤدِّيَه الفرد في وضع اللَّبِنات الأولى لهذه الأعمال يفوق في أهميته الدور الذي سيقع على عاتق المُؤسَّسة التي ستتبنَّى تلك الأعمال لاحقًا، ودور الفرد في هذا الإطار قد تتعدَّد جوانبه؛ فمن مشاركات مالية إلى تخطيط لوضع التصوُّرات

والمُقتَرَحات، وحتى الترويج للفكرة قبل وبعد بلورتها، وهذا الدور يجب أن لا يقف عند حدود التأسيس والتَّدْشين لهذه الأعمال التطوُّعية، وإنما على الفرد أن يبقى مشاركًا في جميع مراحلها، والله يجزي كل فاعل خيرٍ قدر جهده وبحسب إخلاصه وتفانيه.

الفصل الأول

نَشْر تاريخ وتراث الأئمة والعلماء والمشاهير

كما هو معروف، فإن كل قُطْر من أقطار العالم الإسلامي لديه من الأئمة والأعلام ما لا يحصى عدُّه، ولكل واحد من هؤلاء تراث حضاريٌّ ضخم، سواءٌ أكان تراثًا مكتوبًا، أم قائمًا على الأرض كالقلاع والحصون، إضافة إلى المُؤسَّسات التي أقاموها والأملاك التي وقفوها، والأعمال التي سنتطرَّق إليها في هذا الفصل تهدف إلى جمع ذلك التراث وإبرازه للمجتمع والعالم بأسره.

ولا ريب أن مثل هذا التوجُّه له من الفوائد العظيمة التي لا تغيب عن ذي بال؛ منها الوفاء بأيسر الحقوق لأولئك الأعلام؛ وذلك بتعريف الناس بما أفنَوْا حياتهم فيه، وتشجيعهم على الاستفادة منه، ومنها أيضًا رفع معنويات الشباب والفتيات للسَّيْر حذْوَ أولئك الأخيار في سلوك طريق العلم، وبَذْل قُصارى الجُهْد للوصول إلى أعلى المراتب فيه، ومنها تعريف العالم بأننا أمة حضارة وعلم، وأن الواقع المُخزي الذي تمرُّ به الأُمَّة ما هو إلا مرضٌ عارضٌ سيزول -بإذن الله-، وليس سِمَة من سِمَاتها كما يزعُم أعداؤها.

١ - نشر التراث العلمي والأدبي لأعلام القُطْر

إن من أَوْلى الأعمال التي يمكن تأديتها على مستوى القُطْر تدوين موروثات الأئمة والعلماء ونشرها، ولأنه قد يكون من الصعب من البداية تَقَصِّي أو نشر كل ما أنجزه أولئك الأئمة والأعلام من مُؤلَّفات وتراث ضخم، علينا أولًا التعرُّف إليهم وإلى سِيَرهم والتراث الذي ورَّثوه للأجيال التي أتت بعدهم، والأعمال التي أنجزوها.

إذن، خطوتنا الأولى في هذا المقام هي فقط لغرض التعرُّف إلى سِيَر هؤلاء العظماء، والأعمال الجليلة التي أنجزوها، ثم بعد ذلك ننشر ما نستطيع نشره عنهم، سواءٌ أكان عن طريق (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل، أم على شكل كُتيِّبات، أم في حلقات تُبَثُّ في الإذاعة والتلفاز أم تنشر في الصحف، إلى ما هناك من وسائل أخرى قد تتاح لنا.

والخطوة التالية ستكون في إخراج الموروث العلمي والأدبي لهؤلاء العظماء، وذلك يتطلَّب جهودًا جبارة وأموالًا كبيرة تُصرَف في رَقْن المخطوطات، ثم في طباعة الكتب وتوزيعها ونشرها، وقد تتعدَّى هذه الجهود القدراتِ الفردية، وتستلزم إنشاء مُؤسَّسات رائدة تَفِي بمُتطلَّباتها.

وعلينا أن لا نكتفي فقط بنشر ذلك التراث، وإنما يلزمنا أيضًا تحليله من خلال تحقيق المخطوطات وعمل البحوث والدراسات والندوات والمؤتمرات حول تلك المؤلَّفات، وإخراج ذلك التراث بثوب جديد وأسلوبٍ عصريٍّ يختلف عن الأسلوب القديم المُتَّبع في التأليف، ويتوافق مع البيئة التي نعيش فيها ومُتطلَّبات عصرنا الحاضر.

٢ - نشر تاريخ القُطْر

أمرٌ يصبُّ في هذا السياق يتعلَّق بتدوين ما جرى في الحِقَب التاريخية المختلفة من أحداث ووقائع وتحليلها ونشرها، سواءٌ أكانت منحصرة فقط في القُطْر الذي نعيش فيه، أم تتعدَّى إلى أقطار أخرى، ويمكننا البدء أولًا بالقُطْر الذي نعيش فيه، فنحاول استقصاء تلك الأحداث والوقائع، ثم تدوينها وتحليلها، ثم نشرها إما عن طريق (الإنترنت) ووسائل التَّواصُل وإما عن طريق الكتب وغيرها من الوسائل.

ويمكننا ذلك بشتَّى الصُّوَر؛ كإعداد عروض مرئية باستخدام برامج الحاسوب المُتوفِّرة كبرنامج (الباوربوينت)، بحيث يحكي كل عرض حِقْبة من حِقَب التاريخ في القُطْر

الذي نعيش فيه، ويُذكَر في كل حقبة العلماء والأعلام الذين عاشوا فيها، والحروب والوقائع السياسية والظواهر الاجتماعية والكوارث الطبيعية التي وقعت فيها.

كذلك، يمكننا تصميم عرض آخر يهتمُّ بمشاهير القُطْر ويعرض نبذة عنهم حسب التسلسل الزمني لحياتهم، وبعد أن يكتمل كل عرض ومراجعته لغويًّا وعلميًّا وفنيًّا، يمكن تقديمه على شكل محاضرة، أو إرساله عبر وسائل التَّواصُل الاجتماعي، أو نشره في مواقع (الإنترنت) لكي تعمُّ الفائدة منه.

ويمكن أيضًا إعداد مُلخَّصات لكتب التراث، أو للأحداث والوقائع التي جَرَت في القُطْر، أو لفنٍّ مُعيَّن من الفنون التي اشتهر بها القُطْر، ويمكن استخلاص كل ذلك إما من الكتب المُتوفِّرة، وإما بالنقل عن المشايخ والعلماء وكبار السِّن الذين هم على دراية بتلك الأمور، وبعد أن تتوفَّر لدينا تلك المُلخَّصات يمكن طباعتها ونشرها بالوسائل التي ذكرناها، ويمكن كذلك صياغتها على شكل مسرحيات تُناسِب الكبار والصِّغار والنساء والرجال.

٣- التعريف بالمَعالِم الأثرية

إن المَعالِم الأثرية التي لا يكاد يخلو منها قُطْر من أقطار المسلمين شاهدٌ على عظمة هذه الأُمَّة ومَن حمل لواءها وبنى أمجادها في العصور السابقة، وفي الوقت نفسه فهي تحوي تاريخًا عظيمًا وفنونًا لا يُستهان بها، يمكن أن يستفيد منها المسلم وغير المسلم، ومع الأسف الشديد عانت هذه المَعالِم الأثرية إهمالَ أصحابها وجَوْر أعدائها وقسوة الظروف البيئية عليها؛ ما أدَّى إلى اختفاء الكثير منها وتهالُك البَقِيَّة الباقية، ولذا فإن الدور الذي على الأجيال المعاصرة واللاحقة في حقِّ هذه المَعالِم قد يكون أكبر وألزم من نشر التراث العلمي المُدوَّن.

والاهتمام بهذه المَعالِم قد يأخذ صورًا شتَّى، نذكر منها ما يأتي:

- **ترميم المَعالِم**: كما ذكرتُ، فإن غالبية هذه المَعالِم الأثرية الموجودة في عالمنا الإسلامي قد اندثرت أو في طريقها إلى ذلك، وعلينا تداركها قبل فنائها بالكامل، وبحمد الله فقد اهتمت في الآونة الأخيرة مُؤسَّسات حكومية ودولية ببعض هذه المَعالِم وترميم الكثير منها، ولكن علينا أن لا نكتفي بتلك الجهود -وإن كانت جهودًا مُقدَّرة- وإنما علينا المبادرة إلى ترميم المَعالِم المُتبقِّية بأنفسنا، سواءٌ كنا أفرادًا أم مُؤسَّسات خيرية أم مُؤسَّسات تجارية.

ولأن هذه المَعالِم الأثرية تُعَدُّ ثروة وطنية للبلدان الموجودة فيها، فإنها -بالمقابل- تتطلَّب تصاريح حكومية وإجراءات قانونية قبل إمكان المِسَاس بها والشروع في ترميمها، ومن هنا فإن البدء بهذا الجانب مُهِمٌّ جدًّا؛ إذ إن استكمال الإجراءات القانونية -فضلًا عن الترميم نفسه- قد يستغرق مدة طويلة.

- **التعريف بأهمية المَعالِم**: بالرغم من مشاهدة الكثير من الناس لهذه المَعالِم -وأحيانًا بصفة يومية- فإن الغالبية لا يدرون شيئًا عن هويتها التاريخية ومكانتها العلمية، ولذا فإن على الأكاديميّين والإعلاميّين والعلماء والباحثين دورًا مهمًّا في الاعتناء بها أيَّما عناية، وذلك بإعداد الدراسات والبحوث المُتعلِّقة بها ونشرها، وإقامة المحاضرات والندوات من أجلها، وتأليف الكتب ونشر المقالات عنها، وإعداد البرامج والتَّغطيات الإعلامية لها، وتشجيع أهل البلد والسُّيَّاح على زيارتها والتعرُّف إليها، وإضافة إلى ما يمكن أن تؤديه هذه المُبادرات من ترويج ونشر وتثقيف لهذه المَعالِم، فقد تكون أيضًا رافدًا لجمع الأموال المطلوبة لترميمها والاهتمام بها.

- **تحويل بعض المَعالِم الأثرية إلى مَتاحِف أو مراكز للدراسات**: قد تكون إحدى الخطوات الجريئة للاهتمام بالمَعالِم الأثرية المُهِمَّة وتعريف العالم بها تحويلها إلى

مَتاحِف أثرية تحكي للأجيال المُعاصِرة واللاحقة الأحداث التاريخية التي كانت سببًا في إنشائها، والعلماء والمشهورين الذين أسهموا في بنائها أو صُنْع أمجادها، والحِقَب المتلاحقة التي مرَّت بها، ويمكن إدخال التقنيات الحديثة، كالمؤثرات الصوتية والتسجيلات السمعية والتقارير الإخبارية لإبراز أو توضيح الجوانب المختلفة التي يحكيها كل مَعلَم.

أما تحويلها إلى مراكز للدراسات فهذا لا يقلُّ أهمية عن تحويلها إلى مَتاحِف؛ فالمَتاحِف ستستقطب الزوار للمُتعة وربما الاستفادة العلمية، وأما مراكز الدراسات فإنها ستستقطب العلماء والباحثين، وتكون مَحَطَّ أنظار العالم، إضافةً إلى الإنتاجات التاريخية والأدبية والعلمية التي يمكن أن تَنْبَثِق عن أنشطة وفعاليات تلك المراكز.

- **إقامة المهرجانات والفَعاليات الثقافية والاجتماعية:** قد يكون من المناسب إقامة بعض المهرجانات والحفلات والمسرحيات داخل المَعْلَم الأَثَري أو في المحيط القريب منه، وخاصة إن كانت تلك الفَعاليات مُتعلِّقة بالتاريخ أو الآثار، وهذا سيُؤدِّي إلى لفت أنظار المشاركين في تلك الفَعاليات إلى أهمية ذلك المُعلِّم، إضافةً إلى أنه سيبعث في نفوسهم الفضول -إن لم يكن الاهتمام- للتعرُّف إلى ذلك المُعلِّم عن قرب، وربما يُؤدِّي إلى الاهتمام به في المستقبل.

وقد يكون مما يُحفِّز الإثارة والفضول في نفوس الناس جعل ديكور الفَعاليات، وثياب المشاركين فيها، والأدوات المُسْتَعملة ترتبط بالتراث الشعبي، إضافة إلى تعليق الصور والمنشورات التي تحكي تاريخ البلدة والعلماء والمشاهير الذين تشتهر بهم.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- تعرَّف إلى بعض المشاهير في بلدك وما أنتجوه من تراث علمي وأدبي، ثم تعرَّف إلى ما طُبع من مؤلفاتهم، والأخرى التي ما زالت على شكل مخطوطات. شارك الآخرين هذه المعلومات بنشرها في وسائل التَّواصُل الاجتماعي.
- تعرَّف إلى الأدوار التي تؤديها بعض المُؤسَّسات ودور النشر في الاعتناء بنشر تراث الأجداد، وناقش ما توصَّلتَ إليه مع بعض زملائك، ثم ناقشوا سُبُل مُضافَرة جهود تلك المُؤسَّسات ودور النشر، لتزيد فاعليتَها في هذا الجانب.
- اختَر حِقْبة مُعيَّنة من تاريخ القُطر الذي تعيش فيه، واشرح كيف يمكنك تغطية ما جرى في تلك الحِقْبة من وقائع وأحداث باستعمال التقنيات الحديثة.

تحدَّث عن أهمية المَعالِم الأثرية والدور الذي تؤديه في ربط الأجيال اللاحقة بالأجيال السابقة.

- ما بعض الاقتراحات التي وردت في هذا الفصل التي تصبُّ في جانب الاهتمام بالمَعالِم الأثرية؟
- أَعِدَّ دراسة حول المَعالِم الأثرية الموجودة في القُطْر الذي تعيش فيه، وتحدَّث عن الأهمية التاريخية والعلمية لتلك المَعالِم، وأحوال مبناها، ومدى اهتمام الأفراد والمُؤسَّسات والمسؤولين بها.
- تعاقَد مع بعض زملائك على إنشاء موقع على (الإنترنت) يحتوي على واحد أو أكثر من الجوانب الآتية:
  - نبذة عن حياة أحد الأئمة أو العلماء في القُطْر الذي تعيشون فيه، إضافةً إلى تجميع مُؤلَّفات ذلك الإمام أو العالم، سواءٌ المطبوعة أم المخطوطة.
  - الحِقَب التاريخية التي مرَّ بها القُطْر، مع ذكر الوقائع والمشاهير لكل حقبة.
  - فهرس بأعلام القُطْر، ونبذة عن كل واحدٍ منهم، إضافةً إلى إنتاجاتهم العلمية والأدبية.
  - فهرس بالمَعالِم الأثرية في القُطْر، مدعومة بالصُّور ونبذة عن كلٍّ منها.

الفصل الثاني

الاهتمام بأحوال الحُجَّاج والمُعْتَمِرين

في كل عام يذهب من أهل كل بلد من البلدان الإسلامية عشرات بل ربما مئات الآلاف من الحُجَّاج والمُعْتَمِرين، ومعظم هؤلاء من كبار السِّن ومن عوام الناس الذين ليس عندهم الحصيلة الكافية من العلم الشرعي التي تعينهم على أداء مناسك الحجّ والعُمرة على الوجه الصحيح، ولذا علينا أن نُعين هؤلاء على أداء مناسكهم بطريقة صحيحة، من خلال الكُتيِّبات والنشرات وغيرها من المواد التثقيفية التي علينا إعدادها وتوفيرها لهم.

١ - إعداد الكُتيِّبات والنشرات

قبل بدء موسم الحجّ في كل عام علينا طباعة الكُتيِّبات والنشرات، وربما تسجيل مواد سمعية ومرئية تشرح المناسك تسجيلًا مُيسَّرًا، يخاطب فئات الحُجَّاج والمُعْتَمِرين حسب مستواهم العلمي والفكري، ويمكن إخراج هذه المواد بلغات عدة، لتغطي المواطنين والوافدين على حدٍّ سواء، ويمكننا أيضًا إقامة محاضرات وندوات تُعرِّف هؤلاء بمناسك الحج والعمرة، ويمكن كذلك إقامة دوراتٍ مُصغَّرة لتوضيح المناسِك لهم عمليًّا.

أيضًا، يمكننا إعداد نشرة مُيسَّرة من ورقة واحدة تُلخِّص المناسك، ثم نصورها ونوزِّعها في المساجد بعد صلاة الجمعة، أو نضعها في الأماكن التي يرتادها الناس كالمكتبات والنوادي والمحالِّ التجارية وغيرها، ويمكن أيضًا تجميع ألبوم مُتكامل يحتوي على بعض النَّشَرات والتَّسجيلات التي تختصُّ بالحجّ والعُمرة، ثم نضع هذا الألبوم في متناول الراغبين

في الذهاب إلى الديار المُقدَّسة، إما مجانًا وإما بقيمة رمزية تُغطِّي تكاليف إنتاجه وإخراجه، وإما ببيع الألبوم في المكتبات التجارية أو المُؤسَّسات الخيرية المَعْنِيَّة بهذا الموضوع.

٢- تسيير حملات خاصة بالمُسنِّين وذوي الاحتياجات الخاصة

يمكن للمُؤسَّسات التطوُّعية المَعْنِيَّة بكبار السِّن وذوي الاحتياجات الخاصة تسيير حملاتٍ للحجِّ والعمرة، إما مدفوعة التكاليف من هذه المُؤسَّسات، وإما على الأقل تضمّ نخبة من المُتطوّعين القادرين على الاعتناء بهاتَيْن الفِئتَيْن، رجالًا ونساءً، منذ مغادرتهم البلاد وإلى يوم رجوعهم إليها.

ولا شك أن الاعتناء بهؤلاء -بجانب الأجر العظيم- هو إعانة لهم على تأدية مناسك الحجِّ والعُمرة التي عادة ما تكون شبه مستحيلة لأغلبهم، نظرًا إلى ضعف أجسادهم، واحتياجهم إلى الرعاية المُتواصلة والمُتكاملة في معظم أوقاتهم، وقد تشمل تثقيفهم بالجوانب الشرعية لأداء المناسك، وتوفير الأدوات اللازمة لهم في الطريق، وفي مكَّة المُكرَّمة والمدينة المُنوَّرة، وتوفير ما يحتاجون إليه من أدوية وتغذية خاصة، إلى ما هناك من الاحتياجات الأخرى التي لا بُدَّ لهم منها يوميًّا.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- تعاوَن مع بعض رفاقك على جمع الفتاوى الشرعية المُتعلِّقة بالحجِّ والعُمرة، وبعد ترتيبها وتنسيقها اعرضوها على أحد مشايخ العلم، وبعد مراجعتها يمكنكم الاتِّفاق مع إحدى المكتبات أو دور النشر لإخراجها على شكل كُتيِّب لِتَعُمَّ الفائدة للجميع.
- استَخدِم أحد برامج الحاسوب لإنتاج عرضٍ مُصوَّرٍ يشرح كيفية أداء مَناسِك الحجِّ والعُمرة، ثم انشره في شبكات التَّواصُل الاجتماعي، أو قدِّمه على شكل محاضرات، وذلك بعد مراجعة مادته من أحد المشايخ.
- أُحْصُرْ ما تستطيع إحصاءه من المواد السمعية والمرئية والمقروءة المُتوفِّرة على شبكة المعلومات والمُتعلِّقة بالحجِّ والعُمرة، ثم اختَر مجموعة منها ورتِّبها وانسخها في قرص مُدْمَج، ثم تعاون مع بعض أصدقائك لنسخ القرص وتوزيعه على مَن يرغبون في الذهاب إلى الدِّيار المُقدَّسة.

الفصل الثالث

الاهتمام بما يجري داخل القُطْر

معظمنا –مع الأسف الشديد- لا يدري ما يجري في العالم من أحداث ووقائع وفعاليات، حتى داخل القُطْر الذي نعيش فيه، ونحن نعلم أن الصحف والمجلات ومحطات الإذاعة والتلفاز لا تطالعنا إلا بالأحداث والوقائع التي هي -في تقدير رجال الإعلام- مُهِمَّة وتَستَحِقُّ النَّشْر، ولكن -في الغالب- ما يُذاع أو يُنشَر قد يكون مُهِمًّا للحكومة أو السِّياسيين في البلد، ولكنه قد لا يكون مُهِمًّا بالنسبة إلى المُثقَّفين أو الباحثين، وما يكون مُهِمًّا للنساء قد لا يكون مُهِمًّا للأطفال، وما يكون مُهِمًّا للعَلْمانيين وغير المُتديِّنين قد لا يكون مُهِمًّا للدعاة.

إن علينا أن نعي أن هناك أحداثًا ووقائع وفعاليات تحدث في كل بلد ولا تحظى باهتمام وسائل الإعلام ولذا فهي لا تُنشَر، ومن هنا علينا التعرُّف إلى الأمور التي لا تهتمَّ بها وسائل الإعلام أو لا نُجري نحن تغطيتها، ولأنه قد لا يكون بمقدور الأفراد فعل هذا، فإننا بحاجة إلى إنشاء مراكز مُتخصِّصة للدراسات والبحوث تَنْبَثِق من خلال لجان أو مُؤسَّسات تطوُّعية تُعنى بهذا الجانب، وهذه المراكز سيكون لها الأثر العميق في الارتقاء بمستوى الثقافة والفكر في البلد، وسيكون لها أيضًا دور مُهِمٌّ جدًّا في عملية الإصلاح والتغيير.

١ - تحليل المراسيم والقرارات

تصدر في كل بلد -وفي بعض الأحيان يوميًّا- مراسيم وقرارات رئاسية أو وزارية، وقد تكون هذه المراسيم والقرارات مَعْنِيَّة بوزارات مُعَيَّنة أو مُؤسَّسات وهيئات مُحدَّدة أو فئات بعينها من الشعب، وقطعًا لا تصدُر القرارات والمراسيم اعتباطًا، وإنما بناءً على دراسات وقرارات لكبار السِّياسيين في البلاد، ولهذا علينا محاولة تحليلها لنتعرَّف إلى المضامين التي تحملها، والأهداف والمغازي التي صدرت من أجلها، وما إذا كانت لها آثارٌ -مباشرة أو غير مباشرة- علينا أو على ديننا وأُمَّتنا.

ومعلومٌ لدى مَن يُتابع شؤون الأُمَّة أن هناك من القرارات والمراسيم التي تصدُر بناءً على توجيهات سياسيين مُعيَّنين في البلاد، أو لدعم تكتُّلات أو أحزاب مُعيَّنة، أو ربما بسبب ضُغوطات إقليمية أو دولية، وكل ذلك يستوجب علينا تحليل تلك القرارات والمراسيم لنتعرَّف إلى أبعادها ومغازيها.

مثلًا، إذا صدر قرار بإنشاء هيئة جديدة، فعلينا أن نتساءل عن هُوِيَّة هذه الهيئة، والمغزى من قيامها، والمَهَام التي أنيطت بها، والخدمات التي ستُقدِّمها، والقائمين على إدارتها، ونوعية الناس الذين سيعملون فيها أو يتعاملون معها.

إن تحليلنا هذه القرارات والمراسيم ليس بالضرورة أن يكون لأغراض سَلبية، بمعنى محاولة تَقَصِّي واكتشاف المُستهدَفين من إصدار تلك القرارات والمراسيم من الأفراد والجماعات، وإنما قد يكون لأمور إيجابية؛ فقد نكتشف أنه ليس من الصالح العام للبلاد أن تُقام مثل هذه الهيئات في هذا الوقت بالتحديد لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو أمنية، أو قد نكتشف أن هناك تعارضًا بين المَهَام المنوطة بالهيئة الجديدة وتلك المُتعلِّقة بمُؤسَّسات أخرى قائمة، وعندها قد نتساءل أكثر عن أسباب تكرار مثل هذه المُؤسَّسات.

بالمقابل، قد نكتشف أن هناك فوائد لقيام هذه الهيئة، فقد تكون مُساعِدة لمُؤسَّسات أخرى، وقد تكون مُساعِدة لفئات مُعيَّنة من الناس يعيشون في داخل القُطْر أو

خارجه، وقد تكون سببًا لتحوُّلٍ سياسيٍّ أو اقتصاديٍّ أو اجتماعيٍّ مرغوب أو مُرتَقَب، ولكن لا يمكننا الوصول إلى هذه الاستنتاجات فقط لمُجرَّد سماع المرسوم أو القرار.

وما يمكننا فعله كذلك محاولة اكتشاف الاتِّجاهات السياسية والفكرية البارزة في البلاد، وهذا قد لا يتأتى إلا من خلال دراسة القرارات والمراسيم التي صدرت في البلاد في أعوام عدة وتحليلها، وبعد تحليلنا لها قد يتَّضح لنا ما إذا كان هناك نهج مُعيَّن تسير عليه هذه القرارات، وما إذا كانت تتَّجه نحو غاية مُحدَّدة.

إننا قد نكتشف -مثلًا- أن هناك نهجًا معينًا قد بدأت الحكومة باتِّباعه، أو سياسة مُعيَّنة تسير وَفْقها فيما يخصُّ التعليم أو الوافدين أو الهجرة والتجنُّس أو غيرها من الأمور، وقد نحتاج إلى اكتشاف هذه الجوانب وغيرها كدراسة وتحليل للمراسيم والقرارات التي صدرت خلال عقود مُتوالِية، وبمثل هذا النَّهْج يمكننا دراسة وتحليل المراسيم والقرارات التي تُعنى بقطاع بعينه، أو تلك التي صدرت في حقِّ هيئة أو جماعة مُعيَّنة.

ومن خلال تلك الدراسات والتحليلات كثيرًا ما نستطيع التوصُّل إلى فهم العقليات المختلفة التي تقف وراء تلك القرارات، فقد تكون عقليات يمكن الاستفادة منها لخدمة الأُمَّة، وقد تكون عقليات علينا أن نقف ضدَّها، وربما علينا محاربتها والتقليل من شأنها، فقد تكون مُغرِضة أو مدعومة من جهات أو مُنظَّمات خارجية معروفة بعدائها لديننا وأُمَّتنا.

كذلك، علينا محاولة فهم المَضامين المُستَقبلية التي قد يحملها صدور تلك المراسيم والقرارات، فمثلًا إذا صدر قرارٌ بشأن تولية شخص لمنصب مُعيَّن، فلنحاول معرفة ماذا يمكن أن يحمل هذا القرار بالنسبة إلى هذا الشخص في المستقبل، فربما نستنتج أن القرار ما هو إلا تمهيد لإعداد الشخص ليُصبِح من قيادات الدولة، وعندها علينا أن نعرف إن كان ذلك في صالحنا أم لا، وما يمكننا فعله في هذه المرحلة.

مثلًا، إذا كان الشخص يجري إعداده ليُصبِح من صُنَّاع القرار في البلاد، فعلينا أن نتساءل ونُقرِّر: هل من الأصلح لنا ولوطننا وأُمَّتنا التقرُّب إليه؟ أم المصلحة في معاداته وكشف أوراقه وفضحه -إذا كانت له سوابق شائنة-؟ هل علينا إجراءات أخرى استعدادًا

لحين تَولِّي هذا الشخص لمنصبه المُزمَع تولّيه في المستقبل؟ وهكذا، نستطرد في طرح التساؤلات التي علينا البحث عن إجابات لها.

وبالمثل، إذا كان القرار يتعلَّق بتَنْحِيَة شخص من منصبه، فعلينا أن نتعرَّف إلى الدوافع التي كانت وراء تَنْحِيَته؛ فقد تكون إجراءً أمينًا مُوفَّقًا لمصلحة البلد، وقد تكون بداية أو ضمن سلسلة من تصفية حسابات بين جهات مُعيَّنة ذات اتِّجاهات متباينة، وعندها علينا أن نأخذ حِذرنا من أن نصبح ورقة رهان لأهواء أصحاب المصالح والنُّفوذ.

وكما نلاحظ من الأمثلة التي سُقْناها، فإن إجاباتنا عن تلك التساؤلات تُعَدُّ دراسة في حدِّ ذاتها، ولكن أهمَّ من ذلك هو أنه بعد التوصُّل إلى نتائج وإجابات مفيدة ومُقنعة، علينا نشرها على شكل دراسات، وإذا كانت الأوضاع السياسية في البلد الذي نعيش فيه أو في العالم لا تسمح بنشرها، فعلينا نشرها بوسائل أخرى؛ فإذا كنا لا نستطيع نشرها -مثلًا- في الصحف والمجلات أو في الإذاعة والتلفاز، فيمكننا نشرها عبر مواقع (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل الاجتماعي، وإذا كنا لا نستطيع نشرها عبر مواقع التَّواصُل أو (الإنترنت)، فيمكننا إرسالها عبر البريد الإلكتروني أو غيره من الوسائل، وإذا لم تَسْنَح لنا الفرصة لنشرها في أيٍّ من تلك الوسائل، فلا أقلَّ من تدوينها ووضعها في مكان آمن إلى أن يُهيِّئ الله -سبحانه وتعالى- لها الظرف المناسب لنشرها.

٢- التعرُّف إلى هُوِيَّة المُؤسَّسات الموجودة داخل القُطْر

أمر آخر شبيه بموضوع تحليل المراسيم والقرارات التي تصدر في البلاد هو التعرُّف إلى المُؤسَّسات الموجودة داخل القُطْر الذي نعيش فيه، سواءٌ أكانت مُؤسَّسات سياسية أم اقتصادية أم ثقافية أم دينية أم علمية، وسواءٌ أكانت قائمة أم يُراد إنشاؤها، فعلينا واجب التعرُّف إلى طبيعتها، والأدوار التي تُمارِسها، والأشخاص القائمين عليها أو العاملين

فيها، والأفراد أو الهيئات والمُؤسَّسات التي تتعامل معها، والمُخرَجات والإنتاجات التي تصدر عنها أو بسببها.

علينا استقصاء واقع تلك المُؤسَّسات من خلال دراسات نُجريها، أو تحليلات نتوصَّل إليها، وحينها قد نكتشف نَمَطًا مُعيَّنًا في عمل تلك المُؤسَّسات أو الأفراد القائمين عليها، فقد نكتشف مثلًا أنه يمتلكها أفراد ينتمون إلى توجُّه فكريٍّ أو سياسيٍّ مُعيَّن، أو حزب أو جماعة مُعيَّنة، وليس بالضرورة أن يكون توجُّههم غير أخلاقي أو غير مرغوب فيه، فقد يكونون من الإسلاميين أو الإصلاحيين، أو من فئة المُثقَّفين، وقد يكونون ممَّن لهم اهتمامات أدبية وعلمية، وقد يكونون من الذين لهم اهتمامات تطوُّعية وأعمال خيرية، وبالمقابل فقد تكون لهم توجُّهات لا نرضاها، كأن تكون لهم انتماءات إجرامية، أو يعملون لحساب جهات خارجية مشبوهة.

بالطبع، لا يمكننا الوصول إلى هذه الاستنتاجات الخطيرة التي ستحكُم علاقاتنا بتلك المُؤسَّسات أو أصحابها، من خلال مشاهدة مباني تلك المُؤسَّسات فقط، وإنما يستوجب علينا مراقبة ما يجري داخلها وخارجها؛ فعلينا التعرُّف إلى نوعية المُتردِّدين عليها، والأوقات التي يذهبون فيها ويخرجون منها، وعلينا كذلك معرفة ما يدور داخل تلك المُؤسَّسات؛ كأن نتعرَّف إلى ميزانياتها وأرباحها والمُموِّلين لها.

وعلينا التعرُّف كذلك إلى ما إذا كانت هناك جهات أخرى تَدْعَم هذه المُؤسَّسات، وما إذا كانت المُؤسَّسات الدَّاعمة حكومية أو خاصة أو مُنظَّمات خارجية، وهل صدرت بحقِّ هذه المُؤسَّسات قرارات حكومية أو مُلاحقات قانونية؟ وما علاقة المسؤولين في الدولة بها وبأصحابها؟ وبعد التوصُّل إلى نتائج مفيدة عنها نبحث عن إمكان نشرها، بالوسائل والكيفيات التي أشرنا إليها آنفًا.

وقد يعترض أناس على ما نقوله هنا من أنه يتداخل مع مَهَام وصلاحيات الجهات الأمنية والقانونية في البلاد، وأن المعلومات التي نجمعها والتحليلات التي نجريها والاستنتاجات التي نتوصَّل إليها قد تقع في أيادٍ غير أمينة أو جهات خارجية ربما تستفيد منها وتُسخِّرها لمصالحها أو للإساءة إلى الدولة أو الحكومة أو أشخاص بعينهم، ونحن نؤكِّد

أن هذه التوجُّسات في مَحَلِّها، ولذا لا يمكن لأيِّ شخص أو هيئة أو مُؤسَّسة تطوُّعية فعل هذا، ولا بُدَّ أن تكون الجهة التي ستتولَّى هذه المُهِمَّات مُنْبَثِقة من مراكز الدراسات والبحوث الموثوقة والمُصرَّح بها من الدولة.

وإذا كنا نتخوَّف من عدم السَّماح لمثل هذه المراكز بإجراء هذه الدراسات، يمكننا تنفيذها من خلال دراسات أكاديمية في الجامعات والكليات التي -غالبًا- ما تضبطها مَنْهَجِيَّة علمية واضحة ومقبولة على جميع الأصعدة، ولا تكون بالسِّرية التي يمكن أن تتخوَّف منها الدولة أو غيرها من الجهات.

٣- التعرُّف إلى المُؤسَّسات الخيرية والثقافية والعلمية

من أَوْلى الواجبات على كل واحد منا في مجال العمل التطوُّعي التعرُّف إلى المُؤسَّسات الخيرية والثقافية والعلمية التي تعنى بشؤون الناس داخل القُطْر وخارجه؛ فهناك نوادٍ ثقافية وعلمية وأدبية ومُؤسَّسات خيرية ومُنظَّمات إغاثة، بعضها يعمل داخل القُطْر وبعضها لديه أنشطة في دول أخرى، وعلينا التعرُّف إليها والمشاركة في أنشطتها قَدْر المستطاع.

إنه لا يكفي فقط أن نعرف أن هناك مُؤسَّسة تزاول أعمالًا خيرية، وإنما علينا أولًا زيارتها والتعرُّف إلى الأنشطة التي تمارسها والخدمات التي تُقدِّمها، ثم علينا التعرُّف إلى طبيعة تلك الأنشطة والخدمات، وما إذا كانت تُقدِّمها داخل البلاد أو خارجها، ثم علينا ثانيًا أن نسأل عن الدور الذي يمكننا المشاركة به؛ فمعظم هذه المُؤسَّسات غير ربحية، ولذلك علينا أن نُعينها بكل ما في وُسْعِنا، سواءٌ أكانت مُؤسَّسات وطنية -بمعنى أنها انبَثَقَتْ من البلاد التي نعيش فيها- أم مُؤسَّسات عالمية.

أيضًا، هناك من المُؤسَّسات والمُنظَّمات الخيرية الدولية التي لها أنشطة ومكاتب تمثيل في الكثير من أقطار المسلمين، وعلينا أن نتعرَّف إليها ونُساهم في أنشطتها؛ إما بالمال

والمواد العَيْنِيَّة وإما -على الأقل- بتشجيع الناس على المشاركة في أنشطتها، وإما بالمساعدة على نشر إعلانات ودعايات تُعرِّف الناس بها، وإذا كانت هذه المُؤسَّسات تُصدِر نشرات أو مجلات أو كتبًا أو دراسات، فقد تكون مساعدتنا لها بشراء منتجاتها، وتشجيع غيرنا على اقتنائها.

٤- التعرُّف إلى الفَعاليات الثقافية والعلمية والترفيهية

تُقام يوميًّا في كل قُطْر من أقطار العالم المختلفة الكثير من الفَعاليات الثقافية والعلمية والاجتماعية والترفيهية، ويقوم على إعدادها ورعايتها أفراد أو مُؤسَّسات، وتكون مُوجَّهة إلى عامة الناس أو إلى فئات مُعيَّنة، وما علينا هو التعرُّف إلى طبيعة الفَعاليات التي تُقام في القُطْر الذي نعيش فيه وأهدافها والقائمين عليها، وإلا قد نُفاجأ بحدوث تغيُّرات في مجتمعاتنا دون أن نعرف أسبابها أو آثارها.

إن التعرُّف إلى طبيعة هذه الفَعاليات والقائمين عليها أمرٌ في غاية الأهمية؛ فقد تُقام فعاليات لأغراض تخريبية، كدعم تيارات وأفكار قد تضرُّ بمجتمعنا ودِيننا وقِيَمنا ومبادئنا ولغتنا، وقد تضرُّ بفئات مُعيَّنة من الناس؛ كأن تستهدف فئة النساء أو الأطفال أو الكبار أو الصِّغار، وقد تكون سببًا في ظهور وتَفَشِّي أفكار وسُلوكات لا تليق بمجتمعاتنا، وعلى ضوء تحليلاتنا واستنتاجاتنا علينا تشجيع النافع منها، ونصحِّح الأخطاء التي قد تكون موجودة في بعضها، وأما الفَعاليات التي نَصِل إلى قناعات بخَطَرِها وضررها على ديننا ومجتمعنا وأُمَّتنا فعلينا الوقوف في وجه القائمين عليها، والعمل على توعية الناس بخطرها وضررها، ومحاولة إيجاد البديل لها.

إنه لا يمكننا التعرُّف إلى هذه الفرص والإمكانات والمعلومات إلا من خلال المشاركة الفعلية في تلك الفَعاليات والأنشطة المختلفة، والتعرُّف إلى مَن يُجري تنظيمها أو دعمها أو المشاركة فيها، والتعرُّف كذلك إلى المُؤسَّسات الراعية لها، والمُخرَجات المُتوقَّعة من إقامتها.

من المُهِمّ استقصاء واقع تلك الفَعاليات بشتَّى الوسائل المُتاحة لنا؛ إن أمكن بالحضور والمشاركة فيها فذاك أولى، وإن لم يَتَسَنَّ لنا ذلك فبالسؤال عنها، والتعرُّف إليها من خلال ما يُنشَر عنها من نشراتٍ وتأليفاتٍ وتسجيلات وغير ذلك، وعلينا أيضًا التعرُّف إلى القائمين عليها وتوجُّهات كلٍّ منهم، وبعد دراستها والتعرُّف إلى القائمين عليها، يمكننا التعاون معهم على إنشاء مُؤسَّسات تخصُّصية تُولي تلك الفَعاليات اهتمامًا أكبر يضمن لها بقاءها واستمراريتها.

ويمكن حينئذ دعوة النُّخَب المُتميّزة في المجالات المختلفة للمشاركة في هذه المُؤسَّسات؛ ما يُعين على مضاعفة إنتاجاتهم، وتسهيل نشرها وتعريف الناس بها عن طريق مواقع (الإنترنت) والتَّواصُل الاجتماعي، أو من خلال المواد المطبوعة والسمعية والمرئية التي ستُنتِجها المُؤسَّسة.

ومن الفَعاليات الثقافية التي علينا دعمها وتشجيع الناس على المشاركة فيها المحاضرات والندوات والمُؤتمرات، إذ إنه -في الغالب- لا يحضرها إلا أفراد قليلون، وليس المجال هنا الحديث عن أسباب عزوف الناس عنها، فقد يكون السبب في المحاضر أو المُنظِّمين، وقد يكون في الموضوع أو المكان أو الوقت، وقد يكون في عدم معرفة الناس بها إلا بعد انقضائها، وقد لا يُسمَح بحضورها إلا بدعوة من الجهات المُنظَّمة، وقد تكون قِلَّة المشاركة فيها بسبب ما يتخلَّلها من مُنكَرات أو مخالفات شرعية.

٥- التعرُّف إلى ما يُعقَد من دورات تدريبية

تُعقَد في أوطاننا في كل عام عشرات بل مئات الدورات التدريبية في مختلف المجالات وعلى مختلف المستويات، وقد لا تكون أهداف تلك الدورات واضحة من خلال ما يُنشَر عنها في الصحف والإذاعات ووسائل التَّواصُل فقط، ولذلك علينا التعرُّف إليها من خلال المشاركة فيها، والتعرُّف إلى المعاهد التدريبية والمُؤسَّسات والشركات والهيئات التي تُقدِّمها،

وعلينا التعرُّف كذلك إلى طبيعتها وما إذا كانت مُوجَّهة إلى فئات مُعيَّنة من الناس، أو أنها ترمي إلى نشر فكر مُعيَّن أو ثقافة بعينها أو إعداد المجتمع ليسير في اتِّجاه سلوكيٍّ أو فكريٍّ مُريب.

وقد يساعدنا حضور تلك الدورات على اكتشاف خبرات مَن يحضرونها ومهاراتهم، سواءٌ أكانوا مُدرِّبين أم مشاركين، وعندئذٍ يمكننا الاستفادة منهم في أعمالنا الدعوية والتطوُّعية؛ فمثلًا إذا عرفنا أن الشخص الذي يُقدِّم الدورة يُقدِّمها مجانًا ودون مقابل، يمكننا مثلًا دعوته لإقامة دورات يكون عائدها لصالح المُؤسَّسة الخيرية، أو على الأقل دورات مجانية للارتقاء بالمجتمع في المجال الذي تطرحه الدورة.

٦- التعرُّف إلى السُّلوكات غير المرغوب فيها ومحاولة تخليص المجتمع منها

تَعِجُّ مجتمعات المسلمين –مع الأسف- بالكثير من السُّلوكات السيئة كالتدخين، وإلقاء المُخلَّفات في الشوارع والمُتَنَزَّهات والأماكن العامة، والعَبَث بالممتلكات العامة كالمُتَنَزَّهات والحدائق، وعدم الاكتراث بالنظام، سواءٌ أكان في الشوارع أم عند مراجعة الدوائر الحكومية والخاصة للحصول على خدمات مُعيَّنة.

وهناك ما هو أدهى وأمَرّ؛ فكثير من المُصلِحين والدعاة يشكون الفساد المُنْتَشِر في أوساط المجتمع بنحوٍ غير عاديٍّ ولا يدرون أسبابه ومُروِّجيه، وإذا كانت وزيرة الثقافة الدنماركيَّة اشتكت هَيْمَنَة الثقافة الأمريكيَّة، وقالت: «**لم يعُدْ يُتحمَّل هذا الغزو**»، وإذا كان الرئيس الفرنسي السابق (فرانسوا ميتران) وقف يخطب في الجموع المُحْتَشِدة مُحذِّرًا من تفشِّي ظاهرة لبس الجينز بين الشباب الفرنسي، وعدَّه من مظاهر الغزو الأمريكي[١]،

(١) إبراهيم ناصر النَّاصر، العولمة: مقاومة واستثمار، ص٢٧.

فيلزمنا نحن المسلمين أن نكون أشدَّ حذرًا منهم، وأشدَّ إصرارًا على المحافظة على هُوِيَّتنا وخُصوصِيَّاتنا وقِيَمنا، وعدم التشبُّه والاقتداء بأعداء الإسلام.

«إن المشكلة الحقيقيَّة التي يُواجِهها المجتمع العربي المسلم تكمُن في قُصور نظرته إلى معنى الانتماء، وفي انتشار بعض الأفكار والمظاهر المُسْتَوحاة من الغرب، والتي تحمل في ظاهرها معاني تختلف عنها في باطنها، لكنها تنتشر بسبب عدم التفكُّر العميق فيما تتضمَّنه»[١]، ومعلوم بالبديهة أنه لا يمكن لأيِّ نمط من السُّلوكات أو الأفكار -حسنةً كانت أم قبيحة- أن ينتشر إلا إن وُجِد له مَن يُسوِّقه في شكل مرغوب ومُحبَّب.

كذلك، فلا يمكن لأيِّ فئة من الناس أن تتبنَّى تلك الأنماط إلا عن قناعة، والقناعات لا تُكتَسب إلا بترويج فكر مُعيَّن يستطيع تغيير المفاهيم والقناعات السابقة الموجودة عند الناس إلى المفاهيم والسُّلوكات الجديدة المُراد تحويل المجتمع إليها، وبعد أن تُوجَد القناعات وتنْعَقِد في أذهان الناس يمكن غرس أنماطٍ جديدة من التفكير، ومن خلالها يكون اكتساب السُّلوكات الجديدة وممارستها.

يقول مالك بن نبي: **«إن تنظيم المجتمع وحياته وحركته، بل وفوضاه وخموده وركوده، كل هذه الأمور ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار المُنْتَشِرة في المجتمع؛ فإذا ما تغيَّر هذا النظام بطريقة أو بأخرى فإن جميع الخصائص الاجتماعية الأخرى تتعدَّل في الاتِّجاه نفسه»**[٢].

من هنا، فعندما نرى تغيُّرات غير مألوفة تحدث في المجتمع، علينا أن نعلم أنه ليس من المنطقي أن تحدث في شريحة كبيرة من المجتمع لمُجرَّد أنها اختارت فجأة بين يوم وليلة أن تُصبِح على نمط جديد من السلوك أو التفكير، ولكنه قد تكون وراء ذلك هيئات ومُؤسَّسات وضعت برامج وبذلت جهودًا في إعداد وتطوير وتهيئة تلك الشريحة دون أن يشعُر أصحابها أو الآخرون بذلك.

(١) شريف علي حماد، (٢٠٠٥م)، مستوى إدراك الشباب الجامعي الفلسطيني لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية الثقافية والانتماء، ورقة عمل مُقدَّمة إلى مؤتمر «الدعوة الإسلامية ومُتغيِّرات العصر»، الجامعة الإسلامية بغزة.
(٢) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص١٣.

لذا، فإن واجبنا جميعًا -أفرادًا ومُؤسَّسات، شعوبًا وحكومات- تحرّي الأفكار والمبادئ والسُّلوكات الجديدة التي تبزُغ في المجتمع بين حين وآخر، ومحاولة التعرُّف إلى مَن ينشرها ويروّج لها، ولا يمكننا ذلك من خلال تتبُّع أسمائهم في دليل الهاتف، وإنما واجبنا أن نعايش أولئك الأشخاص ونراقبهم على أرض الواقع، لنستطيع التعرُّف إلى تصوُّراتهم وأفكارهم، والمبادئ التي يعتنقونها، والمُؤسَّسات التي تدعمهم أو تلك التي ينتمون إليها، والأفكار التي يُروِّجون لها، والإنتاجات الأدبية كالكتب والمقالات التي يُؤلِّفونها أو يهتمُّون بنشرها.

علينا جمع تلك المعلومات وأكثر ليكون بمقدورنا اكتشاف السُّلوكات الشاذَّة الجديدة وهي ما زالت في مهدها، أي في الوقت الذي يبدأ أصحابها التخطيط لها والإعداد لنشرها، وبذلك قد نستطيع وَأْدها في مراحلها الأولى قبل أن ينتشر خبرها ويعمَّ ضررها.

وعلينا أن لا تقف جهودنا عند هذا الحدِّ، وإنما ينبغي أن نسعى إلى وقف زحف الأفكار والمبادئ والسُّلوكات الشائنة التي عمَّ المجتمع بها وطمَّ، وأن نُبصِّر الناس بخطرها، ونحارب القائمين عليها والمُروِّجين لها بشتَّى الوسائل المُتاحة لدينا، وعلينا أن ندرك أننا نعيش في زمن العولمة، الذي يُحتِّم علينا أن لا ننخدع بأوضاعنا السياسية والاجتماعية ظانِّين استحالة أن تكون بيئة خصبة لأولئك المفسدين، وإنما علينا أن نعي أن هناك تياراتٍ ومُنظَّمات مَحَلِّيَّة وأجنبية تعمل جهدها لتدمير كياننا وهُويَّتنا، وتستخدم لذلك أبناء جلدتنا ومَن يتكلَّمون بلغتنا، وهذا أمرٌ لا يصعب على مَن تمرسُّوا في الخداع والمكر، ومن أجل هذا يجب أن يكون فهمنا لواقعنا وتحليلاتنا له عميقة تستطيع اكتشاف منابع البلاء ورؤوس الشر، وأن تكون خُطَطنا وبرامجنا للتصدِّي لها على درجة عالية من الرُّقي والفاعِلية، على قَدْر عُمْق البلاء وتشعُّب جذوره.

٧- رَصْد تحرُّكات الوافدين وأنشطتهم

تعاني بلداننا الإسلامية -وخاصة دول الخليج العربي- مشكلةَ العمَالة الوافدة، إذ يعيش في مجتمعاتنا الملايين من هؤلاء الذين جاؤوا من بلدان عديدة، ويحملون تصوُّراتٍ وعاداتٍ وأفكارًا شتَّى، ولديهم طموحات وأهداف -وربما مُخطَّطات- لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

وصحيح أن الكثير منهم ما أَتَوْا إلى بلداننا إلا لكسب لقمة العيش، ولكن علينا أن ندرك أيضًا أنه قد تندَسُّ بينهم شرائح أتَتْ لمآرب وأغراض أخرى، سواءٌ أكانت أغراضًا شخصية أم لتحقيق أهداف ومُخطَّطات جهات خارجية، وقد يكونون ما جاؤوا إلا لنشر أفكار هدَّامة وتخريبية، أو إنشاء مُؤسَّسات ثقافية أو علمية أو صِحِّيَّة أو صناعية أو تجارية ذات أهداف تتعارض مع قِيَمنا ومبادئنا وتعاليم ديننا.

النـاسُ في غَفْلَـةٍ عمَّـا يُـرادُ بِهِـمْ ... وَمِمَّا يُفِيقُونَ حَتَّى يَنْفَدَ الْعُمُرُ[1]

إن هؤلاء -عادة- يزاولون أنماطًا مختلفة من الأنشطة، ويستعملون أنواعًا شتَّى من الأساليب والوسائل لتحقيق مآربهم في بلادنا، ومع الأسف الشديد فإن حكوماتنا لا تقوم بما يكفي من الرَّقابة والتَّحرِّي حول ما يقومون به، ولذلك علينا -نحن المواطنون- أن نضطلع بإنشاء المُؤسَّسات والهيئات والتنظيمات التي ترصد تحرُّكاتهم وتتبع أنشطتهم.

من خلال هذه المُؤسَّسات والهيئات والتنظيمات قد نتمكَّن من اكتشاف مُؤسَّسات مَحَلِّيَّة أو خارجية هدفها الترويج للدعارة أو الخمور في أوساط المجتمع، أو تنشر شيئًا من المبادئ الهدَّامة، أو التقليل من شأن الدين في نفوس الناس، أو النَّيْل من الرموز الدينية أو الفكرية أو العلمية عندنا، أو نشر الولاء لجهات ومُنظَّمات أجنبية، أو تمييع الشباب والفتيات وبثِّ وسائل الانحراف بينهم، أو تخريب المُؤسَّسات التعليمية من خلال تغيير

مناهجها أو إفساد مُعلِّميها وطلابها، أو تخريب المُؤسَّسات الصِّحِّيَّة والاجتماعية والعلمية

(١) عبد العزيز بن محمد السلمان، موارد الظمآن لدروس الزمان، ج٥، ص٦٠٤.

والثقافية والتجارية، أو غير ذلك. وصدق الشاعر إذ يقول:

واللهِ لو كُشِفَ الغِطاءُ لَهَالَنا خُطَطٌ لِمَقْتَلِنا مع الإمضاءِ[١]

كذلك، علينا أن ندرك أن الوافدين قد أَتَوْا إلى بلداننا وهم يحملون معهم عاداتهم وطقوسهم، والكثير منهم قد بَنَوْا لهم في بلداننا معابد وكنائس ومدارس ومحالَّ وشركات، وبعضهم أقاموا لهم تجمُّعات وتنظيمات، وهذا يعني أن علينا رصد تحرُّكاتهم وأنشطتهم لنكون على يقين بأنه لا يُوجَد في المُؤسَّسات التي يتولَّوْن شؤونها والمعابد والمدارس التي يَرْعَوْنها، والشعائر والطقوس التي يمارسونها أي مخالفات شرعية، وليس فيها ما يمكن أن يكون مصادمًا لمبادئنا وأخلاقياتنا.

كذلك، فإنه قد لا يخلو بيت في كثيرٍ من الأقطار الإسلامية -وخاصة بيوت الخليجيين- إلا وفيه عامل وافد -ذكرًا كان أو أنثى-، وقد تجد في البيت الواحد أشخاصًا عدة؛ فهناك الخادم والخادمة والسائق، وهناك مثلًا مَن هو مُخصَّص لطهي الطعام فقط وثانٍ يتولَّى شؤون الأطفال وآخر بستانيٌّ يرعى حديقة البيت، والكثير من هؤلاء أَتَوْا من دول إسلامية؛ ما يستوجب علينا إحسان الظنِّ بهم، ولكن المؤسِف حقًّا أن مجموعة منهم هم من غير المسلمين، وهؤلاء خطرهم مُضاعَف.

فأما الخدم المسلمون فإنهم -في الغالب- يكونون على درجة كبيرة من الجهل؛ فلا يدركون طبيعة عاداتنا وتقاليدنا ومبادئنا، فيصعب عليهم التأقلُم معها، ولذا نبدأ نحن في التأقلُم معهم؛ فيُكسِّر الواحد منا لغته ولهجته من أجل أن يفهم أولئك ما نريد إيصاله إليهم.

وفي كثير من الأحيان يأتي هؤلاء -بسبب جهلهم وتدنِّي ثقافتهم ومستواهم التعليمي- بأفكار ومبادئ وعادات تضرُّ أكثر من أن تنفع، ولكونهم يقومون على تربية الأجيال الناشئة فإن ضررهم يتضاعف، لأن الطفل ينشأ على تلك الأفكار والمبادئ والعادات، وقد ينحرف بسببها فكريًّا وسلوكيًّا وأخلاقيًّا، ولكون غالب أهل البيت مشغولون بوظائفهم وأعمالهم

(١) البيت للشاعر العماني عاصم بن محمد السعيدي.

ومدارسهم، فلا يجد الخادم أو الخادمة مَن يراقب أقوالهم وتصرُّفاتهم وما يغرسونه في الأطفال من أفكار وعادات، وبسبب ذلك ينشأ الطفل في ثوب المواطن، ولكنه بفكر الوافد وأخلاقه وسُلوكاته.

أما الوافدون غير المسلمين فالطَّامة أعظم؛ لأنهم قد أَتَوْا إلى بلداننا إما لحاجة مادية وإما لأغراض ومآرب أخرى، وكثير منهم ما أَتَوْا إلا لنشر مبادئ وأخلاقيات وسُلوكات يريدون زرعها في مجتمعاتنا، وطبعًا فإن أفضل وسط لتقبُّل تلك المبادئ والسُّلوكات والأفكار هم الأطفال الذين لا يَدْرون عنها شيئًا، ولا يُميِّزون بين ما هو جيد أو خبيث، وما هو نافع أو ضار.

وكما ذكرتُ، فقد لا يجد الوافد في الأسرة مَن يستطيع اكتشاف مُخطَّطاته ووسائله في تنشئة الأطفال، وقد يتعدَّى ضرره إلى جوانب أخرى قد تكون سببًا في تدمير البيوت؛ فمثلًا احتكاك الخادمات بالأولاد الكبار أو الرجال في البيت أمرٌ لا مفرَّ منه؛ ما قد ينتج عنه الوقوع في مخالفات شرعية أقلُّها النظرات المُحرَّمة والخلوة، وربما أدَّى إلى ارتكاب مُحرَّمات وفواحش، وقد يتحرَّش الخادم بالزوجة أو البنات؛ ما يُؤدِّي إلى الوقوع في المحذور والعياذ بالله.

ومن الأضرار الأخرى التي قد تنتج عن عمل الخدم الوافدين في البيوت ما يترتَّب عن إعداد بعضهم الطعام في البيت وتقديمه، فقد تضيف الخادمة مثلًا مواد في الأكل تُؤدِّي إلى الإثارة الجنسية عند الرجال أو النساء، أو تُؤدِّي إلى عكس ذلك من ضمورٍ أو تقليصٍ للغريزة الجنسية؛ ما قد يُؤدِّي إلى مشكلات عائلية أو ربما يُفضي إلى الطلاق، وأيضًا قد يضيف هؤلاء مواد تسبب تسمُّمات للأطفال والكبار، وقد يصعُب في البداية اكتشاف تلك التسمُّمات؛ ما سيجعل من الصعوبة اتِّهام الخادمة بذلك، إلا إن تكرَّر الأمر.

وليت الحال يقف عند هذا، ولكن هناك ما هو أعظم جُرْمًا وأشدُّ خطرًا؛ فكم شاهدنا وقرأنا في وسائل الإعلام والتَّواصُل الاجتماعي عن خادمات يضرِبْنَ الأطفال وقد يصل الحال إلى خنقهم وتسميمهم، وكم أشعلت عاملات المنزل النار في البيت أو قتلت

صاحبته! وكم ضَربَ خادم أو خادمة مسنًّا أو عجوزًا! ناهيك بجرائم السرقة والزنا التي لا يُكتَشف منها إلا القليل.

هذه بعض المخاطر التي تقع بسبب وجود الخدم الوافدين في البيوت، وهناك مخاطر وجرائم كثيرة غيرها تزدحم بها المحاكم والمراكز الأمنية، وما يلزمنا هو تَقَصِّي الأحداث والوقائع الحقيقية التي تحدث بسبب هؤلاء، واستخدامها في نشر الوَعْي، وشنِّ حملاتٍ للتخلُّص -أو على الأقل- التقليل من وجود الخادمات -وخاصة غير المسلمات- في البيوت، وأن نشجِّع الناس على توظيف أجيرات من المواطنات الفقيرات للمساعدة في البيوت، كما أشرنا إلى ذلك في فصل سابق.

إن علينا أن لا نحسن الظَّن بكل مَن حلَّ في أوطاننا واستقرَّ بيننا، وإنما علينا التعرُّف إليهم عن قُرْب من خلال إجراء دراسات تستكشف سَلبيات وجودهم بيننا، وسَلبيات ما يحملونه من أفكار ومبادئ هدَّامة، وما يُشيِّدونه من معابد ومدارس ومعاهد وغير ذلك، وعلينا أن ندرك أن مُجرَّد وجودهم بيننا له أثر سلبي في مجتمعاتنا، سواءٌ أكان ذلك بسبب محاكاتنا لهم وتقليدنا إيَّاهم في العادات والطقوس التي يؤدونها، أو ما يمكن أن يُؤدِّي وجودهم بيننا من خلخلةٍ للتركيبة الاجتماعية والأُسَرية، أو يُحدِثُه من انتزاع لفرص التعليم والوظائف والإمكانات المُتعلِّقة بإنشاء محالَّ تجارية أو مُؤسَّسات أو غير ذلك، ومجال التطوُّع في هذا الجانب واسع جدًّا قد لا يستوعبه عدد المُتطوِّعين ولا القدرات والإمكانات التي عندهم.

٨- دراسة المطاعم والمقاهي والمحالِّ التجارية

من الأمور الأخرى التي ينبغي وضع دراسات حولها المطاعم والمقاهي والمحالِّ التجارية المنتشرة في كل مكان، حتى الأحياء الصغيرة، ومعظم الذين يعملون فيها -وخاصة في دول الخليج العربي- هم من الوافدين.

ولا شكَّ أن غالبية هذه المقاهي والمطاعم والمحالِّ التجارية تُقدِّم الخدمات المُتعارَف عليها بين الناس من تقديم الوجبات بالنسبة إلى المطاعم والمقاهي أو بيع المواد والمنتجات بالنسبة إلى المحالِّ التجارية، غير أن هناك من المقاهي والمطاعم والمحالِّ التي قد تؤدي أعمالًا وأنشطة أخرى غير المُصرَّح لها بها، كأن تكون أوكارًا للدّعارة أو مُلتقيات لتنظيمات سِرّية؛ إذ إن الكثير منها تحوي غرفًا وصالات خاصة لا يدخلها عامة الناس، وإنما هي مُخصَّصة لأشخاص مُعيَّنين، وبترتيبات خاصة مع إدارة هذه الأماكن.

في هذه الغرف أو الصَّالات الخاصة تحدث المنكرات؛ إذ إن بعضها مُخصَّص لالتقاء الشاذِّين جنسيًّا، وبعضها مُخصَّص لارتكاب فاحشة الزنا، وبعضها مُخصَّص لشرب الخمر، وبعضها مُخصَّص لتدخين السجائر أو الشيشة أو ربما تعاطي المُخدِّرات.

وفي بعض الأحيان، قد لا تكون هناك أماكن مُخصَّصة لعمل هذه المُوبقات داخل المقاهي والمطاعم والمحالِّ، وإنما يُؤدِّي العاملون فيها دور القوَّادين لشواذ وزانيات وعاهرات يعيشون في أماكن أخرى، ولا ننسى أن هذه الأماكن كانت -وما زالت- سببًا في ترويج وإدخال منكرات عديدة على مجتمعاتنا، كما دخلت الشيشة في معظم البلدان بسبب جلب الوافدين لها، وعرضها لزبائنهم في المطاعم والمقاهي، أو بيعها في المحالِّ التجارية، وكذلك الحال بالنسبة إلى العادات الأخرى.

وما ينبغي فعله في البداية عمل دراسة ميسَّرة حول هذه المطاعم والمقاهي والمحالِّ التجارية تشمل مالكيها والعاملين فيها أو المُتردِّدين عليها، والأنشطة التي تزاولها، والأشياء التي تُباع فيها، والوجبات التي تُقدِّمها، وأنواع اللحوم والمنتجات الأخرى التي تُباع أو تُطْهى فيها.

إننا لو أجرينا مثل هذه التحرِّيات اليسيرة لربما اكتشفنا أن من اللحوم التي تباع أو تُقدَّم في تلك الأماكن هي ممَّا لا يَحسُن -بل لا يجوز لنا المسلمين- أكله مثل لحم الخنزير أو لحم الكلاب وغيرها من الحيوانات، كما أُعلِن عنه في وسائل الإعلام والتَّواصُل الاجتماعي من بيع بعضها أو طَهْي لحوم الحمير أو الدواب الميِّتة، وقد نكتشف أيضًا أنه يباع في

بعضها ما لا يجوز بيعه كالسجائر أو الخمور أو منتجات الخنزير، أو المواد التي يدخل فيها شيء من ذلك.

من هنا، علينا المبادرة بإجراء هذه الدراسات، وأن لا نُحسِن الظنَّ بيافطات أو معروضات هذه الأماكن، فقد تُثبِت الدراسات لنا عكس ما نتصوَّر، وإن وُجِدت في بعض الدول مُؤسَّسات لحماية المُستهلِك من شرور هؤلاء فعلينا أن نتعاون معهم؛ إما بالإبلاغ عن أي مواد أو أنشطة مشبوهة نلاحظها، وإما بمساندتهم ماليًّا وعمليًّا إن كان النظام يسمح بذلك، وإما على الأقل تكريمهم والإشادة بهم.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- في نظرك، مَن المَعنِيُّ بما يجري داخل البلد من أحداث وفعاليات؟ ولماذا؟
- اذكُر بعض إيجابيات تحليل المراسيم والقرارات التي تَصدُر في كل بلد.
- ما المنهجية التي يمكن اتِّباعها في تحليل المراسيم والقرارات؟
- حاوِل التعرُّف إلى الكتب والنَّشَرات الرَّسمية وغير الرَّسمية التي تُعنى بنشر المراسيم والقرارات الحكومية بكل تفاصيلها، وكتدريب على ما ورد في هذا الفصل، اجمع المراسيم والقرارات المُتعلِّقة بظاهرة مُعيَّنة، كالتعليم الأساسي، أو هيئة مُعيَّنة أو فئة مُعيَّنة من الشعب، ثم اتَّفق مع بعض معارفك ومَن تثقون بخبرته وإخلاصه من الأكاديميين والقانونيين، وحلِّلوا ما تجمَّع لديكم من تلك المراسيم والقرارات، ثم لخِّصوا النتائج التي توصَّلتم إليها، وشاركوا بها إخوانكم في المجتمع؛ إما بإصدارها على شكل كُتيِّب، وإما بنشرها في مواقع (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل الاجتماعي.
- اذكُر بعض الفوائد التي يمكن الحصول عليها من دراسة المُؤسَّسات الموجودة في كل قُطْر، والآلية التي يمكن اتِّباعها لإجراء تلك الدراسات.
  اختَر إحدى المُؤسَّسات العاملة في المحيط الذي تعيش فيه، واجمع أكبر قَدْر من المعلومات عن تلك المُؤسَّسة، ثم شارك بعض زملائك في تحليل المعلومات التي توصَّلت إليها.
- ما الدور الذي علينا تجاه المُؤسَّسات الخيرية والثقافية والعلمية العاملة في بلادنا؟
- ما نوع الفَعاليات التي تُقام في البلد الذي تعيش فيه؟ وكيف يمكنك التعرُّف إلى طبيعة كل منها؟
- اذكُر نماذج لبعض الفَعاليات الجيِّدة والمفيدة التي تُقام في القُطْر الذي تعيش فيه، ونماذج لبعض الفَعاليات المشبوهة.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- وضِّح كيف يمكن الاستفادة من الدورات التدريبية في اكتشاف الكفاءات التي تحتاج إليها مُؤسَّسات العمل التطوُّعي.
- ناقِش الفرق بين ما يدعو إليه هذا الفصل من الوقوف في وجه الأفكار والمبادئ والسُّلوكات المشبوهة وبين حُرِّية الرأي والتعبير.
- تعرَّف إلى بعض الأفكار والمبادئ والسُّلوكات المشبوهة التي ظهرت في المجتمع الذي تعيش فيه، وحاول استقصاء الأسباب التي أدَّت إلى ظهورها وانتشارها.
- اذكُر بعض الأخطار التي يحملها الوافدون إلى بلاد المسلمين.
- ما الخطر من وجود وافدين يعملون في بيوت المسلمين؟
- ما الفارق بين إدخال وافدين للعمل في بيوت المسلمين، وبين تأجير مواطنين لذلك؟ كيف يستطيع المسلمون حماية أنفسهم من الأخطار المُترتِّبة على وجود الوافدين الأجانب بينهم؟
- ذكرنا في فصل سابق أن علينا حقوقًا نحو الوافدين إلى بلداننا، وخاصة المسلمين منهم. كيف تُوفِّق بين ما ذُكِر في ذلك الفصل وبين ما ورد في هذا الفصل من ضرورة رصد تَحرُّكاتهم والدعوة إلى التقليل من وجودهم؟
- تعاوَن مع بعض زملائك في إعداد دراسة بأعداد الوافدين العاملين في المحيط الذي تعيشون فيه، وصنِّفوهم حسب جنسياتهم وديناتهم ومستوياتهم التعليميَّة، ونوع الأماكن التي يعملون فيها، والرواتب التي يتقاضَوْنها، ثم حلِّلوا البيانات التي تجمَّعت لديكم، مع استنباط الأضرار والمخاطر التي قد يتعرَّض لها المجتمع بسببهم، وبعد اكتمال الدراسة انشروا ما توصَّلتم إليه في إحدى الصحف أو المجلات أو مواقع (الإنترنت) أو شبكات التَّواصُل، واستعملوا نتائج تلك الدراسة في توعية الناس -وخاصة مسؤولي الدولة منهم- بمخاطر وجود الوافدين في بيئاتنا.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- شارِك مع بعض رفاقك إجراء دراسة لبعض المطاعم والمقاهي والمحالِّ التجارية في المحيط الذي تعيشون فيه، وبعد تحليل المعلومات التي جمعتموها، حاولوا التعرُّف إلى ما إذا كانت تُوجَد في تلك الأماكن أو بين العاملين فيها أو القائمين عليها سُلوكات مشبوهة أو غير مرغوبة، وناقشوا مع ذوي البصيرة والرأي ما بوسعكم فعله للحدِّ من بقاء تلك السُّلوكات أو انتشارها.
- في رأيك، ما المنافذ الرسمية والقانونية في بلدك التي يمكنكم الاستفادة منها والتعويل عليها في تقصِّي أخطار الأماكن المشبوهة، ومُعاقبة مالكيها أو العاملين فيها، أو -على الأقل- الحدِّ من خطرها؟

الفصل الرابع

دراسة الظواهر المُنْتَشِرة في مجتمعاتنا

أصبحت مجتمعات المسلمين تَعِجُّ بالظواهر والأحداث المختلفة التي تقع بين حين وآخر، ورغم أنها قد أصبحت سائدة ومنتشرة وواضحة لدى الجميع، فإنها -في الغالب- لم تحظَ بالدراسة والتحليل كما ينبغي، ولذا صار الناس يأخذونها على أنها جزء من الحياة المعاصرة التي عليهم التأقلم معها، ولا يُجْرون دراسات تكشف ما إذا كانت لها آثار سَلبية على المدى القريب أو البعيد، وأما نحن فعلينا أن لا ننخدع بوجودها وكثرة حدوثها، وعلينا كذلك فعل ما نستطيع للتخلُّص منها أو -على الأقل- تقليص آثارها.

١ - دراسة حوادث السَّيْر

نحن نعلم -مثلًا- أن حوادث السَّيْر قد أصبحت ظاهرة يومية مألوفة، فهل نُسلِّم لمَن يقول إنه ما دمنا بحاجة إلى سيارات فلا بُدَّ من وقوع حوادث سَيْر؟ الكل يدرك أن هذا منطق خاطئ؛ إذ إنه يمكن أن تكون لدينا شوارع وسيارات دون أن تكون هناك حوادث سَيْر، فمثلًا لو انتشرت مبادئ القيادة السليمة ومفاهيمها بين الناس، وانتشرت عادة احترام قوانين السَّيْر بينهم، وأحسَّ الناس بالمسؤولية تجاه الآخرين، فقد تَقِلُّ حوادث السَّيْر، رغم أنها قد لا تختفي كليًّا.

كذلك، لو أجرينا دراسة لتصرُّفات الناس في أثناء قيادتهم مَرْكباتهم، ودراسة طبيعة الشوارع الموجودة أو تلك التي يُراد إنشاؤها، وكذلك طبيعة المَرْكبات المُستَخدمة، وبعدها وضعنا تصاميم إبداعية للشوارع الجديدة، لكان بإمكاننا تلافي أو تقليص الكثير

من حوادث السَّيْر، وكلنا يعلم -مثلًا- أن الشارع المزدوج تقلُّ فيه حوادث السَّيْر أكثر من الشارع الأُحادي المسار.

كذلك، علينا دراسة المواصفات التي وُضِعت للسيارات والمَرْكبات المُستَخدمة في بلادنا، والتعرُّف إلى مدى ملاءمتها لبيئتنا، وما إذا كان بالإمكان وضع مواصفات أخرى للتقليل من حوادث السَّيْر الناجمة عنها، أو التقليل من استهلاك السيارات للوقود، ومَنْ ثمَّ تقليل مخاطرها البيئية المختلفة.

٢- دراسة الظواهر الطبيعية

تحدُث في بلداننا العربية والإسلامية الكثير من الظواهر الطبيعية من جدبٍ أو نزولٍ للأمطار أو حدوثٍ للفيضانات أو موجاتٍ للبرد أو الحَرّ، ولكن غالبية بلدان المسلمين لا تُعير هذه الظواهر اهتمامًا بحثيًّا يُذكَر، وذلك بعدِّها ظواهر طبيعية لا دخل للإنسان فيها.

لكن الحقيقة هي أنه قد يكون للإنسان دور مباشر أو غير مباشر في بروز تلك الظواهر وتكرارها، فمثلًا الكلُّ يعلم أن نُدْرة المياه في منطقة الخليج خصوصًا ومنطقة الشرق الأوسط عمومًا هي بسبب نُدْرة الأمطار، وبسبب كثرة استنزاف المياه الجوفية، ومع ذلك فهذه الظاهرة لم تحظَ بدراسات كافية، ولم تظهر مشاريع تُذكَر للحدِّ منها أو لإيجاد بدائل لها، وكذلك يُقال بالنسبة إلى موجات البرد والحرّ التي تتعرَّض لها مناطق المسلمين من وقت إلى آخر، فإنها نادرًا ما تحظى بدراسات علمية عن أسبابها وآثارها وسُبُل الحدِّ منها أو تقليل آثارها في مجتمعاتنا وشعوبنا.

٣- دراسة الآفات الزراعية

كذلك، علينا دراسة الآفات التي تُصيب المحاصيل الزراعية في بلداننا، والتعرُّف إلى سُبُل مكافحتها، والتعرُّف أيضًا إلى المحاصيل الزراعية المُقاوِمة لها التي يجب تكثيرها والأخرى التي يجب التقليل منها، إذ إن المزارعين -في أحيان كثيرة- يزرعون أنواعًا محدودة من المحاصيل؛ ما ينتج عنه تغريق الأسواق بها، في حين تُستورَد باقي المحاصيل من الخارج.

لماذا لا تُوضَع دراسات حول احتياجات السوق من المحاصيل الزراعية المختلفة، وبعدها تُقام ندوات ودورات لتوعية المزارعين والمواطنين لتوجيههم نحو السُّبل الأفضل لزراعة الأنواع المختلفة من المحاصيل الزراعية، وأيضًا السُّبُل الأمثل لتجنُّب الآفات الزراعية، ومَن ثم زيادة الإنتاج؟ كذلك، ذكرنا قبل قليل أهمية إجراء دراسات حول إمكان تلافي أو تخفيف الآثار الناتجة عن موجات البرد والصقيع التي قد تعُمُّ بعض الأقطار العربية والإسلامية، وهذه الظواهر -بلا شك- لها دخل مباشر باهتمامات المزارعين واحتياجات السوق.

من هنا، لا بُدَّ للمُهْتَمِّين بالشؤون الطبيعية والبيئية أن يكون لهم دورٌ بارزٌ في تثقيف المزارعين -والمجتمع عمومًا- حول الترابط بين الزراعة والبيئة، وضرورة دعم المجتمع لهذين الجانبين في المناحي المختلفة.

٤- دراسة التجارة المُستَتِرة

من الظواهر الأخرى المنتشرة في البلدان العربية ظاهرة التجارة المُستَتِرة، وهي جلب عمَالة وافدة لتعمل في مِهَن وتجارات مختلفة مقابل أن يدفع الوافد مبلغًا زهيدًا جدًّا من المال لكفيله، وعلينا أن نلاحظ هنا أننا **نحن** مَنْ يجلب هؤلاء الوافدين إلى بلادنا، **ونحن**

مَنْ يدفع للحكومة كفالات وضمانات مالية تتعلَّق بهم، وأما مَن يُؤدِّي المهنة أو التجارة ومَن يُدِيرها ويُموِّلها فإنما هو الوافد.

الوافد يُنشئ المحلَّ التجاري، ويَملؤُه بالسِّلَع والبضائع المختلفة، ولا يتحمَّل المواطن شيئًا من ذلك، وبالمقابل ماذا يجني المواطن من وراء كل ذلك؟ رغم أن الوافد يتحمَّل جميع المصاريف، بما فيها مصاريف التأشيرات وإجراءات تخليص معاملة جلب ذلك الوافد، إضافةً إلى قيمة التذاكر ومصاريف الإقامة والإعاشة وغيرها من المصاريف، غير أن المواطن لن يحصُل -في الغالب- إلا على مقدار رمزيٍّ من النقود يعطيه الوافد له شهريًّا.

إن المواطن الذي لا يبالي بالمنفعة العامة للبلاد، ولا يَهُمُّه إلا مصلحته الشخصية، فإنه لن يتردَّد في جلب وكفالة عشرات أو ربما مئات الوافدين ليحصل في مقابل ذلك على مئات أو ربما آلاف الريالات في كل شهر، وبهذا تنمو ثروة المواطن وأمثاله دون عناء يُذكَر، ولكن إذا تساءلنا عن المستفيد الحقيقي من كل هذا، سندرك -بلا شكَّ- أن الوافد هو المستفيد الأول والأخير.

الوافد يحصل على أموال تفوق ما يحصل عليه المواطن بمئات أو ربما آلاف المرات، فهو يبدأ -في الغالب- بمحلٍّ صغير، ثم بعد أن تنمو تجارته يكسب من وراء ذلك المحلِّ الآلاف المُؤلَّفة، وقد يتوسَّع المحلُّ ليُصبِح مُؤسَّسة كبيرة ضخمة، وقد يحتكر تجارة مُعيَّنة في البلاد بسبب كبر حجم مُؤسَّسته، وربما يُصبِح -بحكم اتِّساع نفوذه- ممَّن لهم تأثير في صناعة القرار السِّياسي في البلاد، وممَّن يُحسَب له ألف حساب عندما يصدر أيُّ مرسوم أو قرار.

كذلك، فإن خطورة هذه التجارة المُستَتِرة لا تكمن فقط في الضرر الاقتصادي الذي يحدث عندما يُغرِق الوافد السوق بتجارته، وتنتشر محالُّه في طول البلاد وعرضها، وإنما في الآثار الجانبية المُترتِّبة عن ذلك من قبيل رفع نسبة البَطالَة بين المواطنين بسبب عدم قدرتهم على فتح مثل تلك المحالِّ ومنافسة ذلك الوافد، وأيضًا بسبب جلب الوافد لآلاف العاملين من بلده ليعمل في محالِّه ومُؤسَّساته، وكذلك بسبب احتكاره بعض السِّلَع

يُصبِح هو مَن يتحكَّم في الأسعار، فيستطيع رفعها بلا ضوابط؛ ما يجعل المواطن المُتضرِّر الأول والأخير من كل ذلك.

إن الوافدين يمتصُّون خيرات البلاد ويتحكَّمون في اقتصادها من جوانب عدة؛ سواءٌ أكان فيما يحصلون عليه من أرباح في تجارتهم، أم كان من تلاعبهم في الأسعار التي يفرضونها لبضائعهم، أم بسبب الفرص التجارية والسياسية التي يستحوذون عليها ويحرمون المواطن من الحصول عليها، أم بسبب نفوذهم القوي الذي يُجبر مسؤولي الدولة للانصياع لطلباتهم ورغباتهم التجارية والدينية والسياسية، ولذا علينا أن ندرك بجلاءٍ خطورة التجارة المُستَتِرة، وأن ندرس المَضارَّ المُترتّبة عليها، ونوعّي الناس عمومًا والمسؤولين في الدولة خصوصًا بمخاطرها، والعمل مع الجهات الرسمية لسَنِّ قوانين وتشريعات تحارب هذه الأنماط الشاذَّة من التجارة.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- كيف يمكن الحدَّ من حوادث السَّيْر التي تقع في بلداننا؟
- أَعِدَّ دراسة عن أعداد حوادث السَّيْر التي تقع في بلدك، وصنِّفها حسب نوعها ومُسبِّباتها والخسائر الناجمة عنها، ثم حاول أن تكتشف أسبابًا غير ظاهرة لتلك الحوادث، كنوع الشوارع التي تقع فيها، والسيارات المُستَخدَمة في أثناء وقوع الحوادث، وأعمار ومستوى التعليم لمن كانوا سببًا في وقوعها، ثم انشر تلك الدراسة في إحدى الصحف أو المجلات أو مواقع (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل.

اذكُر بعض الدراسات التي يمكننا إجراؤها والمُتعلِّقة بالظواهر الطبيعية والمحاصيل والآفات الزراعية.

- اشرَح المقصود بالتجارة المُستَتِرة، واذكر بعض الآثار الخطيرة المُترتِّبة عن انتشارها في بلدان المسلمين.
- ما دور المواطن للحدِّ من انتشار ظاهرة التجارة المُستَتِرة؟

ادرُس أنت وبعض أصدقائك القوانين والضوابط المستخدمة في البلدان الإسلامية للحدِّ من التجارة المُستَتِرة، وقارِن ما توصَّلتم إليه بالقوانين والضوابط المعمول بها في القُطر الذي تعيشون فيه، ثم انشروا نتائج دراستكم في الصحف المَحَلِّية ومواقع (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل. كذلك رتِّبوا لإلقاء محاضرات وندوات لتوعية المجتمع حول خطورة هذه الظاهرة.

الباب السابع

الأعمال التطوُّعية التي يمكن تأديتها على مستوى العالم

الفصل الأول

الارتقاء بمستوى الأعمال والأنشطة التطوُّعية القُطْرية لتستهدف العالم بأَسْره

إن النَّجاحات الباهرة التي يُحقِّقها المُخلِصون من أبناء الأُمَّة على مستوى أقطارهم قد لا تحتاج إلا إلى بعض الجهود الإضافية لترتقي إلى مستوى العالمية، سواءٌ أكانت لخدمة الأقطار الإسلامية أم لتُصبِح ذات صبغة عالمية، فهناك من والمُؤسَّسات التي تعمل داخل بعض الأقطار، واشتهرت بمستويات عالية من الجودة والجِدِّية والإنتاجية، ورغم ذلك فإن أصحابها لا يَخْطون الخُطْوة التالية للخروج من حيِّز القُطْرية إلى آفاق العالمية، وإنهم بتحجيم أنشطتهم لتخدُم أقطارًا بعينها يمارسون نوعًا من الأنانية التي حثَّنا الإسلام على التخلُّص منها، فإخواننا في الأقطار الأخرى قد يكونون أكثر حاجة منا إلى تجاربنا وخبراتنا والأعمال التي نؤديها.

كذلك، علينا أن نعي أن عدم السَّعْي إلى العالمية هو مخالف لطبيعة رسالتنا الإسلامية التي تسمو بالفرد والمُؤسَّسة لقيادة العالم، ولهذا فإن افتتاحنا منافذ جديدة لأنشطتنا خارج الأقطار التي نعيش فيها هو نوع من الدعوة لهذا الدين والدِّعاية له، وانتقالنا من حيِّز القُطْرية إلى العالمية قد لا يُكلِّفنا كثيرَ جهد أو مال؛ فقد تكون في أقطار أخرى مُؤسَّسات مشابهة لمُؤسَّساتنا، ولكنها عاجزة عن الوفاء بمُتطلَّبات القُطْر الذي تعمل فيه، ولهذا فإن مدَّ يد التَّواصُل معهم سيعطيهم الدافع والمدَد لمواصلة أعمالهم الخيرية.

إن الأعمال التطوُّعية التي تطرَّقنا إليها في المباحث السابقة قد تكون صالحة -بعد لمسات طفيفة عليها- لأن ترقى إلى مستوى العالمية، ولذا فإني لن أعيد ذكرها في هذا الباب،

وإنما أترك للقارئ المجال ليَسْبَح بفكره وخياله وإبداعاته لاختيار ما يراه مناسبًا منها، وتحويره ليأخذ الصِّبغة العالمية.

لكني أودُّ الإشارة إلى أن الانتقال إلى العالمية قد يحتاج إلى حكمة وبصيرة، وخاصة إذا علمنا أن هناك مئات أو ربما آلاف أو ملايين التجارب والخبرات الشبيهة التي أجراها غيرنا، ولذا فإننا بمحاولتنا الانتقال إلى مستوى العالمية نضع أنفسنا وأُمَّتنا ودِيننا في المواجهة مع التيارات والثقافات والأفكار الأخرى التي قد تُرحِّب بنا، أو قد تعمل ما في وسعها لعَرْقَلَتِنا.

من هنا، علينا أن نعي بعض الضوابط التي علينا التزامها عند اتِّصالنا بالعالم الآخر وتعرُّضنا لفئاته المختلفة، ومن هذه الضوابط ما يأتي:

أ- **الدين المعاملة**: علينا أن ندرك أننا أصحاب رسالة وحَمَلة قِيَم، ولذا علينا أن لا تَستَفِزَّنا المواقف لتَناسي رسالتنا أو التَّغاضي عن شيءٍ من قِيَمنا، وإنما علينا التعامل مع الآخرين من واقع رسالتنا ومبادئ ديننا، رضي الآخرون بذلك أم لم يرضَوْا. مثلًا، علينا أن لا تحملنا رياح المنافسة لمحاولة إسقاط الطرف الآخر، وإنما علينا أن نعطي كل ذي حقٍّ حقَّه وأن لا يجرمَنَّنا شَنَآن قوم على أن لا نعدل، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

إن أخلاقنا وسُلوكاتنا المُنْبَثِقة من تعاليم ديننا قد تكون السبب في فتح قلوب الناس لنا وترحيبهم بنا، ومَن يدري؟ فقد تكون بداية للخير الذي سيجري على يد أولئك، سواءٌ أدخلوا في ديننا أم كانوا له أنصارًا.

ب- **التزام الجودة**: من المؤسِف حقًّا أن نكون أمة لا تعي قيمة الجودة فضلًا عن ممارستها، بالرغم من أن ديننا يحثُّنا على إتقان الأمور في كل أعمالنا، كما في قوله

-عليه الصلاة والسلام-: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ))[١]، ولذا فإننا عندما نغيّر لافتات مُؤسَّساتنا بإدخال كلمات العالمية عليها دون أن نُغيِّر سُلوكاتنا ووسائلنا فإننا -بلا شكٍّ- سنُعرِّض أنفسنا -ومَن ثَمَّ أُمَّتنا ودِيننا- للتساؤل وربما للهَجْر.

إننا إن لم نلتزم الجودة في خُطَطنا وأعمالنا ومعاملاتنا، فالآخرون -بلا شك- لن يُسلِّموا لنا بادِّعائنا أن ديننا يطالبنا التزام الجودة، وقد تهجُر غالبية شرائح المجتمعات الأخرى خدماتنا وإنتاجاتنا، وخاصة عندما يَرَوْن الفارق الكبير بين ما لدينا وما لدى غيرنا.

لذا، فإن الولوج إلى العالمية يتطلَّب منا فهمًا عميقًا شاملًا لمعاني الجودة، بحيث تكون نابعة من أصالتنا وديننا، وأن تشمل كل مَناحي حياتنا، والفهم وحده لا يُغني، ولذا لا بُدَّ من أن ترى مُؤسَّساتنا وأنشطتنا تجسيدًا حيًّا لمفاهيم الجودة وقواعدها، والتزام الجودة قد لا يكون سببًا في الارتقاء فقط بالجانب التطوُّعي إلى مستوى العالمية وإنما بالجوانب الأخرى كذلك، وهذا ما يمكن أن يخطو بالأُمَّة لتسير حثيثة في ركب العالمية والقيادة.

ج- **المؤمن كَيِّسٌ فطن**: إن انتقالنا إلى مستوى العالمية -وإن كان بمباركة الآخرين لنا- قد لا يعطينا الضوء الأخضر للتصرُّف مع الآخرين أو في ديارهم كما يحلو لنا، ومع أنه قد يظهر لنا الآخرون في أثواب النُّسَّاك المُبَجِّلين لأعمالنا وجهودنا، فإن ذلك يجب أن لا يُنسينا أننا غرباء في ديارهم فكرًا وجنسًا؛ ولذا فإنهم قد يُخْفُون ضدَّنا ما لا يُبْدُوه لنا، وهذا يجعلنا نتعامل معهم بحذر تام، ولكن دون أن يجرُّنا ذلك للبدء بالإساءة أو حتى مفاقمة الأمور إن حدث ما لا يُرجى حدوثه. يقول سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "**لستُ بالخِبِّ ولا يخدعني الخِبُّ**"[٢]. إن علينا أن نكون

(١) الأوسط للطبراني (حديث رقم: ٨٩٧، ج١، ص٢٧٥) من حديث السيدة عائشة –رضي الله عنها–.
(٢) الخب: بالفتح والكسر الرجل الخدَّاع، وتُنسَب المقولة إلى سيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، كما جاء في: الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص١٨.

دومًا في موقف الاستعلاء، وذلك من خلال بقائنا على تأهُّبٍ لما يمكن أن يحدث، وأيضًا بالتصرُّفات والانفعالات التي يمكن أن تصدُر منا عندما نُجبَر على ذلك.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكـــر بعض المُسوِّغات التي سيقت في هـــذا الفصل للارتقـــاء بالأعمـــال التطوُّعية القُطْرية لتأخذ الصبغة العالمية.
- اذكُر بعض الأمثلة التي تُوضِّح الضوابط التي سيقت في هذا الفصل والتي تحكم علاقتنا بالآخرين.

الفصل الثاني

التفاعُل مع الأحداث العالمية

علينا أن ندرك أننا نعيش ضمن مجتمع عالمي، ما يجري فيه من أحداث قد يكون سببًا لتغيُّرات نتأثَّر بها نحن، سواءٌ أكانت تلك التغيُّرات مباشرة أم غير مباشرة، ولذا علينا أن ندرك أنه ليس من مصلحتنا أن نعيش منعزلين عمَّا يجري في العالم من أحداث، لأن تلك الأحداث -كما قلتُ- ستطولنا شئنا أم أبينا، عاجلًا أم آجلًا.

إن معظم الأحداث التي تقع في العالم -وإن كنا في منأًى عنها بسبب بُعْدها المكاني-، قد تمسُّنا -أفرادًا وأمة- من قريب أو بعيد، ولذا علينا التَّفاعُل معها بالطرق والأساليب التي تُجنِّبنا خطرها وضررها، وفي الوقت نفسه تجعلنا نستفيد منها -بل نُسخِّرها- لمصلحة أُمَّتنا وخدمة قضايانا.

إضافةً إلى هذا، فإن توجُّهات الأفراد والمُؤسَّسات والمُنظَّمات في الدول الأخرى قد تكون لها علاقة كبيرة بنا نحن المسلمين أو بأُمَّتنا، ولذا علينا أن لا نكتفي فقط بمتابعة الأحداث، وإنما علينا التعرُّف إلى ما هو في الدول الأخرى وما يحدث فيها:

- علينا أن نتعرَّف إلى طبيعة الخطاب المُوجَّه نحونا نحن المسلمين من قِبَل الأفراد والمُؤسَّسات والمُنظَّمات في الدول الأخرى، ونوعية ذلك الخطاب، وما إذا كان علينا التفاعل معه بالإيجاب والقبول أو الرفض والاعتراض.
- علينا أن نعرف التكتُّلات الموجودة في البلدان الأخرى، وطبيعة الفكر الذي تحمله، والفكر الذي يتبنَّاه الأفراد المعروفون في كل دولة.

- علينا أن نعرف العلماء المشهورين في الأبحاث الطِّبية، والتربويّين المعروفين على مستوى العالم، وعلماء الاقتصاد الذين يمكن الاستفادة منهم إذا ألَمَّت بأُمَّتنا ضائقة اقتصادية، إلى غير مَن هناك من العلماء والمشاهير.

إن معرفتنا بهذه الأمور وغيرها قد تكون لها إيجابيات ضخمة على واقعنا ومستقبلنا، سواءٌ تكلَّمنا عن أنفسنا أفرادًا أم أمةً.

ومن ناحية أخرى، علينا نحن المسلمين أمانة عظيمة وواجبٌ كبيرٌ تجاه العالم، وهو ما يُحتِّم علينا أن نكون على اتِّصال دائم بما يحدث فيه، وأن نحاول تغيير تلك الأحداث وتوجيهها بما يتوافق ومبادئ ديننا وقِيَمنا وأخلاقنا، لأن من طبيعة المسلم وطبيعة رسالته أن لا يكون فقط مُسْتَهلِكًا للأحداث وخاضِعًا لنتائجها، وإنما عليه أن يكون من صُنَّاع تلك الأحداث والمُوجِّهين لها.

علينا أن ندرك أن الأحداث التي تقع في هذا العالم لا ينبغي بالضرورة أن تسير وَفْق ما يريد لها أصحابها، وإنما علينا أن نتفاعل معها لنستطيع تغيير مُجرياتها إن رأينا فيها خطرًا علينا، أو لا تصبُّ في مصلحة أُمَّتنا وديننا، فمثلًا عندما تُجرى انتخابات في إحدى الدول الغربية أو الشرقية فإنما تُجرى لأن دستور تلك الدولة -في الغالب- قد نصَّ على أن تقام فيها انتخابات في كل عدة سنوات، ومع ذلك فهذا لا يمنعنا من أن نُؤثِّر في مُجرياتها ونتائجها.

مثلًا، قد يكون في هذه الانتخابات من المُرشَّحين لرئاسة الدولة أو لشغل المناصب العُليا فيها مَنْ لهم توجُّهات سياسية لا تتَّفق مع توجُّهات الأُمَّة الإسلامية، أو قد تكون توجُّهات بعضهم أقرب لتوجُّهات أُمَّتنا من غيرهم، وقد يكون بعضهم يدعو إلى انحرافات أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية أو يتبنّاها.

هنا، ينبغي أن نتعرَّف عن قُرْب إلى ما يجري داخل تلك الدولة، وأن لا نتصوَّر أن الأحداث التي تجري فيها إنما هي شأن داخلي لا علاقة لنا به، فهذا قد يكون صحيحًا في

أحوال مُعيَّنة، ولكن في أحوال أخرى قد تكون تلك الأحداث تمهيدًا لأحداث ربما سنراها تقع في بلداننا أو لأُمَّتنا، سواءٌ أكان في القريب العاجل أم على المستوى البعيد.

لذا، يلزم علينا أفرادًا -وعلى الأقل بوصفها مرحلة أولى- أن نعرف ما يجري في العالم من أحداث، وذلك من خلال متابعة تلك الأحداث في الصحف والمجلات و(الإنترنت) وشبكات التَّواصُل ومحطات الإذاعة والتلفاز، ثم بعد ذلك علينا أن لا نكتفي فقط بمعرفة الحدث المُجرَّد، وإنما علينا –بوصفها خطوة ثانية- أن نعرف -أو نحاول أن نعرف- المغزى من وقوع تلك الأحداث والمآلات التي يمكن أن تصل إليها.

مثلًا، إذا انقلبت إحدى الجماعات على الحكم في بلد ما، فإن علينا أن نعرف الكثير عن ذلك الانقلاب؛ علينا أولًا أن نعرف ما إذا كان الانقلاب سيُؤثِّر فينا إيجابًا أو سلبًا، فمثلًا علينا أن نعرف ما إذا كانت الجماعة التي تريد الاستيلاء على الحكم جماعة فاسدة أخلاقيًّا، أو أنها جماعة مُتعصِّبة دينيًّا أو لجنس مُعيَّن، أو تحمل كراهية للمسلمين والأُمَّة الإسلامية، أو قد تكون جماعة أفضل حالًا من الحكومة الحالية في تلك الدولة.

أيضًا، علينا أن نعرف مَن يدعم تلك الجماعة؛ هل تدعمها دولة أخرى أم تدعمها مُنظَّمة داخل تلك الدولة أو خارجها؟ وهل مَن يدعم تلك الجماعة -أو حتى الدَّعْم نفسه- يمكن أن يكون له أثر فينا بوصفنا أفرادًا أو أمةً إسلامية؟

إن تحليل الأحداث العالمية قد لا يتأتَّى لفرد بعينه، وإنما قد يتطلَّب إقامة مُؤسَّسات -أو على الأقل عملًا جماعيًّا- كأن يشترك مجموعة أشخاص مثلًا للاهتمام بقضية مُعيَّنة أو دولة مُعيَّنة أو بأخبارٍ من نمط مُعيَّن كالأخبار السياسية أو الاقتصادية أو الدينية أو غير ذلك.

كذلك، في الخطوة الثالثة علينا أن لا نكتفي فقط بمعرفة ما وراء الأحداث، وإنما يجب أن نتفاعل معها؛ فمثلًا لو عرفنا أن الجماعة التي انقلبت لها أهداف سياسية جيدة يمكن أن تخدم أُمَّتنا -على الأقل في وقتها الحاضر-، فما يمكننا فعله عندئذ هو الدِّعاية لتلك الجماعة، ومحاولة تبصير الشعب في تلك الدولة بأن عليه أن يُسانِد تلك الجماعة، وأن لا يهتمَّ بالشائعات التي -في الغالب- ما تُلبِسها الحكومات الحالية بكل مَن يحاول أن

يخالف سياستها أو ينقلب عليها، ووصمها بأنها جماعات ظالمة أو فاشلة أو خارجة عن القانون وغير ذلك.

أما الوسائل التي يمكننا استعمالها لتحقيق ما ذكرناه فهي عديدة ومُيسَّرة؛ كالكتابة في الصحف والمجلات التابعة لتلك الدولة إن أمكن ذلك، وإن تعذَّرت الكتابة في الصحف فعلينا الكتابة في مواقع (الإنترنت) أو شبكات التَّواصُل، كأن نذهب إلى مواقع التَّواصُل التابعة لأناس من تلك الدولة، ونشارك في الحوارات التي تجري فيها، وإن كانت تلك الدولة أجنبية لا نعرف لغتها فعلينا البحث عمَّن يعرف لغة تلك الدولة ونَثِق به، ثم نُوجِّهه إلى ترجمة المقالات التي نكتبها عما يجري في تلك الدولة، وبذلك يمكننا التحاور مع شعب تلك الدولة ومناصرتهم، فهذا من واجبنا تِجاهَهم، وهو حقٌّ لهم علينا.

كذلك، فإن هناك أحداثًا كثيرة تجري بين الدول مثل شنِّ الحروب أو الاعتداءات أو الاتِّفاقيات، وإذا علمنا بوقوع شيءٍ منها أو غيرها، كقيام التكتُّلات الاقتصادية مثلما حدث في أوروبا أو جنوب شرق آسيا، ففي هذه الأحوال علينا التعرُّف إلى طبيعتها ودورنا نحن المسلمين في التعامل معها، وعلينا أن نعرف خلفياتها وإيجابياتها وسَلبياتها، ومَن يدعمها ويناصرها، والخُطَط المُقتَرَحة لها، والمواقف التي نتوقَّع منها أن تقفها حيال قضايانا، سواءٌ أكان في القريب العاجل أم في المستقبل.

أيضًا، قد تقع أحداث ليست بالضرورة سياسية أو اقتصادية، وإنما قد تتعلَّق بالصِّحَّة، مثل وباء كورونا الذي نخر اقتصاديات الدول، وكشف عجائب قدرة الله في خلقه، وفي مثل تلك الظروف علينا أن نعرف طبيعة ذلك المرض، والمعلومات المُتوفِّرة عنه، وطبيعة المصابين به، وكيف يمكننا أن نُجنِّب أبناء الأُمَّة الإسلامية الإصابة به.

قد يُؤدِّي بنا البحث عن طبيعة ذلك المرض إلى التعرُّف إلى مَصْلٍ جديد لمرض آخر ينتشر في بلداننا، وعندئذٍ علينا أن نعرف كيفية الحصول على ذلك المَصْل، وكيفية علاج مرضانا به، وكيف يمكن مساعدتهم للبُرء منه.

أيضًا، قد تُنشَر دراسة عن وضع التعليم في دولة ما، وحينئذٍ علينا تحليل تلك الدراسة ومعرفة القضايا التي تتطرَّق إليها، والكيفية التي يمكننا الاستفادة منها في بلادنا،

وما إذا كانت ظروف التعليم عندنا مشابهة لما عليه تلك الدولة فنستفيد من الدراسة، أو نُكيِّف التعليم عندنا بما يتلاءم ونتائج تلك الدراسة، أو قد نكتشف أن الدراسة لا تعنينا بشيء أو ربما تضرُّ بمجتمعاتنا إن طبَّقنا ما جاء فيها.

خلاصة القول أنّ أُمَّتنا بحاجة إلى أن تكون على تواصل مستمر مع الأحداث التي تجري في العالم، تأخذ منها العِبَر والعظات، وتأخذ من الدراسات التي تُجرى ما هو مفيد لها، وتتحاشى ما يمكن أن يعود عليها وعلى شعوبها بالضَّرر.

إنَّ شعورنا بأننا جزءٌ من كِيان دولي، وأنَّ علينا نحوه واجبات كما نطالبه بحقوق، سيجعلنا على اتِّصال دائم بما يحدث في العالم، وبهذا نكون قد مَهَّدنا لأُمَّتنا للاستفادة من تلك الأحداث، ومن أبرز وسائل معرفة ما يجري في العالم من أحداث متابعة ما يُنشَر في وسائل الإعلام المختلفة وتحليله، كما سنُبيِّنه في الفصل القادم بإذن الله.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكُر بعض الأمثلة التي تُوضِّح أهمية التعرُّف إلى الأحداث العالمية والتفاعل معها.
- اذكُر الخطوات العملية التي علينا فعلها للتفاعل مع الأحداث العالمية.
- حاوِل مع بعض زملائك التركيز على إحدى القضايا الساخنة التي تثار في وسائل الإعلام، واجمعوا أكبر قدر من المعلومات عنها، ثم حاولوا تحليل تلك المعلومات والتعرُّف إلى حقائق عن تلك القضية قد تكون غائبة عن وسائل الإعلام أو تتجاهلها عمدًا.
- شارِك بعض زملائك في إعداد دليل بالمُنظَّمات والأحزاب السياسية في دول العالم المختلفة، وحاولوا تضمين ذلك الدليل وسائل الاتِّصال بالشخصيات البارزة، وخاصة ذات التوجُّه الموالي -أو على الأقل المُحايِد- لقضايا المسلمين، ثم صمِّموا موقعًا على شبكة (الإنترنت) يحتوي على ذلك الدليل، ويُوفِّر لمرتاديه خدمات أخرى، مثل منتدى للحوارات، أو قائمة بالدراسات والنَّشَرات المُتعلِّقة بهذا الموضوع.

الفصل الثالث

رَصْد ما يُنشَر في وسائل الإعلام وتحليله

واجب المسلمين تجاه أُمَّتهم يتعدَّى خدمة قضاياها الداخلية إلى متابعة ما يُكتَب ويُقال في وسائل الإعلام العالمية، وإن كان الأمر لا يعنينا ولا يعني أُمَّتنا، وفي بعض الأحيان قد لا تكفي جهودنا -أفرادًا- لإحراز تأثير في الطرف الآخر، وإنما نحتاج إلى دعمٍ من زملائنا وإخواننا، وفي أحيان أخرى قد نحتاج إلى تهييج الرأي العام الإسلامي -أو ربما العالمي- لمناصرة كاتب مُعيَّن أو مُنظَّمة أو جماعة بعينها.

فلو رأينا -مثلًا- أن هناك كاتبًا يتبنَّى منهج العدل والمساواة ورفع الظلم في القضايا التي تتعلَّق بدولته أو القضايا التي تحدث في العالم، فعلينا التعرُّف إليه، والتَّواصُل معه، ودعمه بنشر مقالاته، والثناء عليه، وشكره على ما يفعله، وقد يكون ذلك من خلال حساباته على شبكات التَّواصُل، أو حتى الاتِّصال به هاتفيًّا.

وبالمقابل، إن وجدنا كاتبًا يتبنَّى فكرًا مُنحرفًا، سواءٌ أكان فكرًا سياسيًّا أو أخلاقيًّا أو اقتصاديًّا، فعلينا مهاجمة ذلك الشخص -إن صحَّ التعبير-، أو على الأقل تحسيسه أن الفكر الذي يدعو إليه أو ينشره هو فكرٌ مُعْوَجٌّ، ويمكننا استعمال وسائل التَّواصُل الاجتماعي في التعليق على ما يكتب، أو نشر مقالات تُفنِّد ما يدعو إليه.

كذلك، علينا دعم الدراسات التي تنشرها المُنظَّمات والمُؤسَّسات العلمية والبحثية، وذلك إن تبيَّن لنا أن ما فيها سيخدم الأُمَّة الإسلامية، وليس بالضرورة أن تكون خدمتها من نواحٍ سياسية، وإنما نشرُ العلم الذي فيه صلاح البشرية هو -في حدِّ ذاته- نُصرة لنا ولأُمَّتنا، وديننا -كما نعلم- يحضُّ على العلم كما يحضُّ على فعل الخير بجميع صوره.

أما عن الكيفية التي تُعيننا على تهييج الرأي العام الإسلامي فيمكن تلخيصها كما يأتي:

علينا أولًا جمع أكبر عدد من أرقام الهواتف أو عناوين البريد الإلكتروني، مثلما يفعله اليهود في الولايات المتحدة وغيرها من الدول، إذ يرصدون كل ما يُكتَب ويُنشَر عن اليهود أو إسرائيل أو عن العرب والفلسطينيين، ثم بعد ذلك يناصرون ويؤيدون مَن هم مُوالون لهم ولدولتهم، ويهاجمون الطرف الآخر ويحاربونه.

هم يفعلون ذلك عن طريق المراسلات البريدية ووسائل التَّواصُل الاجتماعي، فعندهم مئات الآلاف من المشتركين، وعندما يريدون شنَّ حملة إعلامية على مُؤسَّسة مُعيَّنة أو شخص مُعيَّن يُشعِرون الأشخاص المشتركين عندهم بذلك، وفي بعض الأحيان يُوفِّرون لهم نماذج لرسائل الاحتجاج التي يرسلونها إلى المَعْنِيّين بالأمر، وتُؤدِّي تلك الحملات نتائج إيجابية باهرة لهم؛ فكثيرًا ما يعتذر الشخص أو المُؤسَّسة المُستَهدَفة من الحملة -في الغالب-، وذلك بنشر مقال يعتذرون فيه عن المقال الذي كانت فيه الإساءة حسب تصوُّرهم.

لذا، علينا نحن المسلمين فعل مثلَ الذي يفعله اليهود وغيرهم، فنُعِد مثلًا قوائم بحسابات التَّواصُل لذوي التأثير والنفوذ في المجالات المختلفة، فنُخصِّص مثلًا قائمة بمَن لهم علاقة بدعم القضية الفلسطينية، وقائمة ثانية لمناصرة العراق، وثالثة لمناصرة القضية الكشميرية، وأخرى لمناصرة أو متابعة ما يجري من أبحاث ودراسات عن مرض الإيدز، إضافةً إلى قوائم غيرها في أغراض ومجالات أخرى.

وعندما نرى من الضروري توجيه الرأي العام إلى مُناصرة قضية ما، فما علينا إلا أن نرسل إلى المشتركين في حساباتنا المَعْنِيَّة بتلك القضية، ونشرح لهم وجهة نظرنا، والخطوات التي نتصوَّرها ضرورية للتفاعل مع تلك القضية، وعلينا أن نكون واضحين مع متابعينا بأن لا نكتفي فقط بتزويدهم بالمعلومات عن تلك القضية، وإنما نطلب منهم التفاعل معها، وتهييج الرأي العام حولها في بلدانهم وتجمُّعاتهم.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اذكُر أمثلة لبعض الجوانب التي علينا التعرُّف إليها، والمُتعلِّقة بما يُنشَر في وسائل الإعلام في الدول الأخرى.
- كيف يمكننا الانتقال من مُجرَّد التعرُّف إلى ما يُكتَب أو يُنشَر في الدول الأخرى إلى التفاعل معه، ومحاولة تسخيره لخدمة أهداف أُمَّتنا؟
- ذُكِر في هذا الفصل واحدة من الوسائل المُقتَرَحة لإثارة الرأي العام الإسلامي تجاه القضايا التي تهمُّ المسلمين، وهي استعمال قوائم المتابعين لحساباتنا.
- تحدَّث عن إيجابيات وسَلبيات هذه الوسيلة، واذكر وسائل أخرى فاعلة يمكن استعمالها لمثل هذا الغرض.
- أَنشِئْ قائمة بأرقام التَّواصُل مع أهلك وزملائك، واستخدمها أولًا في تبادل المقالات والمعلومات المفيدة، ثم تدريجيًّا ابدأ باستعمالها لتوعيتهم بالقضايا والمواضيع التي تراها مُهِمَّة. اقترح على مَن هم في القائمة توسيع الدائرة لتشمل آخرين من معارف زملائك.
- اذكُر بعض الوسائل الأخرى التي يمكن استعمالها لتهييج الرأي العام الإسلامي والعالمي، وقارِن بين إيجابيات وسَلبيات كل منها.
- أنتَجَ الغرب العديد من الأفلام المسيئة إلى الإسلام وأمة الإسلام. شارك بعض رفاقك في إجراء دراسة حول هذه الأفلام؛ بحيث تشمل نبذة عن كل فيلم، والجوانب التي يتعرَّض فيه للإساءة إلى الإسلام والمسلمين، وموقف المسلمين من تلك الأفلام، وبعد إنهاء الدراسة انشروها على أحد مواقع (الإنترنت) أو شبكات التَّواصُل لِتَعُمَّ الفائدة.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- اتَّفِقْ مع بعض زملائك الذين يُجيدون إحدى اللغات الأجنبية لمتابعة ما يُنشَر في واحدة أو أكثر من الصحف الأجنبية المشهورة الناطقة بتلك اللغة، ولمدة شهر كامل، وخلال ذلك الشهر ارصدوا وحلِّلوا أيَّ مقالات تمسُّ الإسلام أو المسلمين، وبعد انقضاء الشهر اكتبوا مقالًا حول النتائج التي توصَّلتم إليها، ثم انشروا المقال في إحدى الصحف المَحَلِّية أو مواقع (الإنترنت) أو شبكات التَّواصُل.
- تطرَّقَ هذا الفصل لما يُنشَر في وسائل الإعلام الأجنبية فقط، مع أن بعض وسائل الإعلام العربية والإسلامية قد تكون أضرَس حربًا وأشنَع هجومًا على ما يتعلَّق بالإسلام والمسلمين. أَعِدَّ دراسة تتعرَّف من خلالها إلى بعض وسائل الإعلام في الدول الإسلامية التي تُشوِّهُ سُمعة الإسلام والمسلمين، بقصد أو بِلَا قصد، وناقِشْ مع بعض إخوانك ما يمكن فعله للتصدِّي لما يُنشَر في هذه الوسائل.

الفصل الرابع

دَعْمُ لجان الإغاثة والمُؤسَّسات الخيرية

من الأمور الأخرى التي يمكننا فعلها أن نكون على اتِّصال دائم بلجان الإغاثة والمُؤسَّسات الخيرية في الدول الأخرى، سواءٌ أكانت لجانًا ومُؤسَّسات إسلامية أم غير إسلامية، وقبل أن نتواصل مع أيِّ لجنة أو مُؤسَّسة خيرية، علينا أن نتحرَّى طبيعة عمل تلك اللِّجان والمُؤسَّسات، إذ إن بعضها -رغم تأديتها دورها الإنساني- لها مُخطَّطات وأهدافٌ أخرى، وقد تكون تلك المُخطَّطات والأهداف تُسيء إلى الإسلام والمسلمين.

إن علينا أولًا أن نتعرَّف عن قُرْب إلى تلك المُؤسَّسات، ثم نتخيَّر منها ما عُرِف بنزاهتها وجِدِّيتها ومُناصَرتها القضايا الإسلامية، إذ إن غالبية مُؤسَّسات الإغاثة لا تَدعمُ القضايا المُتعلِّقة بالمسلمين، ولذا علينا أن نتخيَّر أولًا المُؤسَّسات الإسلامية، وإنْ أردْنا أن نُوسِّع دائرة دعمنا، فعلينا أن نتخيَّر المُؤسَّسات النزيهة التي عُرِف عنها دعمها لقضايا المسلمين، ثم بعد ذلك المُؤسَّسات المُحايِدة، وهكذا.

وأما عن دورنا في دعم تلك المُؤسَّسات، فبالطبع يمكننا إنجاز أمور كثيرة؛ فمُؤسَّسات الإغاثة تحتاج أولًا إلى الدَّعْم المعنوي، وذلك عن طريق الدعاية والإعلان لها، وفتح مكاتب تمثيل لها في بلداننا، وتشجيع الناس على المشاركة في أنشطتها، والاستفادة من الخدمات التي تُقدِّمها.

كذلك، فهي بحاجة إلى الدَّعْم المادي وذلك بجمع التبرُّعات لها، وقد تكون موادَّ عينية، كالبطانيات والخيام والأحذية والمواد الغذائية المُعلَّبة التي يمكن لتلك المُؤسَّسات نقلها لبلدان أخرى، وقد تكون تبرُّعات مالية، وبعد جمع التبرُّعات والمواد العينية علينا أن نُوجِد طريقة لتوصيلها إلى المُؤسَّسة الخيرية أو لجنة الإغاثة.

يمكننا أيضًا المشاركة الفردية في تلك المُؤسَّسات، إذ إن كثيرًا منها لها فروع في كثيرٍ من الدول، وما يمكننا فعله هو التعرُّف إلى مكاتب تلك اللِّجان أو المُؤسَّسات، ثم الذهاب لزيارتها، ومَن ثَمَّ التعرُّف إلى المجالات التي يمكننا المساعدة فيها، فمثلًا يمكننا العمل في المكتب نفسه، أو الذهاب مع فرق الإغاثة التابعة لتلك المُؤسَّسات في فترات الإجازة السنوية مثلًا، ومساعدتهم على تقديم خدمات الإغاثة للبلدان الأخرى مثل فلسطين أو كشمير أو أفغانستان.

أيضًا، كثير من مُؤسَّسات الإغاثة لها برامج تُتيح للأفراد والمُؤسَّسات المشاركة في الأعمال الخيرية؛ كبرامج كفالة الأيتام، وإغاثة المنكوبين، وما يُسمَّى بالحقائب المدرسية، وهو أن يدفع الشخص مبلغًا من المال لتغطية نفقات أحد الطلاب في دولةٍ ما مثل فلسطين وأفغانستان، ثم تشتري المُؤسَّسة الحقيبة المدرسية لهذا الطالب مع مُستَلزمات الدراسة لشهر أو شهرين أو لسنة.

أما فيما يتعلَّق بكفالة الأيتام فإن الشخص يدفع مصاريف واحد أو أكثر من الأطفال الأيتام لمدة مُعيَّنة، أو لحين أن يبلغ الطفل سِنًّا مُعيَّنة، وتوصلُ المُؤسَّسة الخيرية تلك الكفالة إلى أسرة الطفل على شكل مبالغ نقدية أو مواد عينيَّة، وتراسل أيضًا الكفيل وتُطلِعه بأحوال الأطفال الذين يكفلهم.

هذه بعض الأمور التي من السَّهْل على كل شخص فعلها منفردًا، وهناك أعمال يمكن فعلها على مستوى الأسرة أو على مستوى المجتمع؛ كإقامة معرض أو حفل عشاء خيري أو غير ذلك، ويُرسَل ما يمكن تحصيله من عائدات تلك الفَعاليات لخدمة المُؤسَّسة الخيرية أو لجنة الإغاثة المراد مساعدتها.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- ما الضوابط التي علينا مراعاتها في اختيار مُؤسَّسات الإغاثة التي نريد التعامل معها؟
- اذكُر نماذج لأوجه المساعدة التي يمكننا تقديمها لمُؤسَّسات الإغاثة.
ما البرامج التي يمكن المشاركة بها مع مُؤسَّسات ولجان الإغاثة؟ اشرح كيف يمكنك تطبيق تلك البرامج في مجتمعك.
- ما الأنشطة والفَعاليات الأخرى التي يمكنك تنفيذها على مستوى الأسرة أو المجتمع، والتي من شأنها أن تُعين مُؤسَّسات الإغاثة على تسيير أمورها؟
- أَعِدَّ دراسة حول مُؤسَّسات الإغاثة المُنتشرة في القُطْر الذي تعيش فيه، وتعرَّف إلى طبيعة تلك المُؤسَّسات، واللِّجان المُتفرِّعة منها، والأنشطة التي تؤديها، وأوجه العَوْن التي يمكنك تقديمها لها.

الفصل الخامس

الدعوة إلى اللّه

أمرٌ مُهِمٌّ يلزمنا فعله على مستوى المجتمع أو القُطْر أو العالم وهو الدعوة إلى الله، وهي لها شِقَّان: دعوة المسلمين للتمسُّك بدينهم وتطبيقه في واقعهم، ودعوة غير المسلمين لتعريفهم بالإسلام ودعوتهم للدخول فيه، وقد تكون لدى كل واحد منا معرفة -ولو سطحية- بطرق دعوة المسلمين ووسائلها وأهدافها، ولكن قد يجهل الكثير منا كيفية دعوة غير المسلمين.

١ - وجوب الدعوة إلى اللّه وفضلها

هناك الكثير من الآياتِ والأحاديثِ التي تُبيِّن أهمية الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، وتُقرِّرُ وجوب تأديتها، ومن أهمِّ الآيات التي تنصّ على أهميتها وشرف فعلها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، فالآية تُقرِّرُ أنَّه ليس من عملٍ يُؤدِّيه المسلم أشرف -بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى وتأدية الفرائض- من الدعوة إلى الله.

والدعوة إلى الله هي سبيل الرسول -صلى الله عليه وسلم- والأنبياء من قبله، أي الطريق والمنهج الذي اتَّبعه -عليه الصلاة والسلام-، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أي: يا محمد، أخبر قومك أن كل مَن يدَّعي أنه مِن أتباعك فعليه أن يُمارِس الدعوة، وذلك يعني أنها لا تسقُط عن المُكلَّف إلا بعُذْرٍ شرعيّ.

وأما عن فضلها فالأحاديث في ذلك كثيرة، ومنها قوله -عليه الصلاة والسلام- لعليٍّ -رضي الله عنه-: ((**واللهِ لأن يُهدَى بِهُداكَ رجلٌ واحدٌ خيرٌ لَكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ**))[١]، ومنها قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**))[٢]، وماذا يفعل الداعية غير تعليم الناس الخير ودلالتهم عليه؟

٢- دعوة المسلمين

لا شكَّ أن كثيرًا من المسلمين يسمعون عن الدعوة، ويتلهَّفون للمشاركة فيها وفي خدمة الإسلام، ومع ذلك فغالبيتهم عاجزون عن تحقيق ذلك لقِلَّة الزاد وضعف التدريب، يقول الدكتور محمد موسى الشريف: «**وإذا نظرنا اليوم إلى تعطُّش الجمهور لما يُعرَض في القنوات الفضائية من بعض البرامج الناجحة، قرآنية كانت أو فكرية أو ثقافية، إذا نظرنا إلى هذا الأمر علمنا الحاجة الماسَّة إلى إلقاء برامج على الجمهور هي أمسُّ بحاجتهم و أقرب إلى و اقعهم وآمالهم**»[٣].

لذا، فنحن بحاجة إلى إنشاء مُؤسَّسات تُعنى بالتدريب الدَّعَوي، يتولَّى التدريب فيها العلماء والدعاة المعروفون الذين جمعوا إلى جانب العلم الحُنكةَ والتجربة الطويلة، ثم بعد تأسيسها يُطلَب من كل مَن يريد المشاركة في الدعوة حضور دورات في تلك المُؤسَّسات لكي يزداد علمه وتُصقَل مواهبه، فيخرج إلى المجتمع بفهمٍ ووَعْيٍ وتطبيقٍ ناضج.

(١) سنن أبي داود (حديث رقم: ٣٦٦١، ج٥، ص٥٠٢) من حديث سهل بن سعد -رضي الله عنه-.
(٢) سنن الترمذي (حديث رقم: ٢٦٨٥، ج٥، ص٥٠) من حديث أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه-.
(٣) محمد موسى الشريف، التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، ص٥٩.

٣- دعوة غير المسلمين

نعيش في كيان هذا العالم أسرةً واحدة، وخاصة مع انتشار وسائل التَّواصُل، وهو ما يُحتِّم علينا ضرورة التَّواصُل الدائم مع أفراده ومُؤسَّساته، وأن نكون على دراية وتفاعُل معَ ما يَجرِي فيه من أحداث، وكما نعلم فإن الأحداث التي تجري في دولٍ غير إسلامية أو تلك التي يفعلها مسلمون أو غير مسلمين تنتج عن تصوُّرات أولئك الأفراد عن حياتهم هم أو عن حياتنا نحن، ولذلك يمكننا تغيير ما يجري في العالم من أحداث من خلال تغيير قناعات أولئك الأفراد وتلك المُؤسَّسات، وهذا ما نعنيه بالدعوة في هذا السياق.

وكما نعلم، فإن من فرائض ديننا تبليغ رسالته الخالدة للعالم أجمع، وعلينا أن لا نُسوِّغ تقاعُسَنا عن أداء واجبنا بكون غير المسلمين يعرفون الإسلام، فإن «**الغرب** [والشرق] **لا يعرف حقيقة الإسلام؛ زعماؤهم وشعوبهم تجهل حقيقة الإسلام، إلا مَن تفرَّغ لدراسته من المُتخصِّصين المُستَشرِقين أو الأكاديميِّين الجامعيِّين، وهم قِلَّة من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يدرسوه من أصوله بقَدْر ما درسوه من خلال تاريخ غير دقيق وأحداث مُضْطَرِبَة، وربما خالط ذلك نفسيَّة حاقدة تُسيء التفسير وتبحث عن العورات، فإذا كان الغرب يتحمَّل بعض المسؤولية عن جهله بالإسلام، فإن المسلمين يتحمَّلون مسؤولية أكبر**»[١].

قد يكون الهدف الأساس من دعوة غير المسلمين إقناعهم للدخول في دين الله، ولكنه وإن لم يتحقَّق لنا ذلك فإننا قد نكسب شيئًا آخر وهو أن يتحوَّلوا من تصوُّراتهم ومعتقداتهم وتعاملاتهم المُعادية للمسلمين ليكونوا مُحايِدين، أو ربما مُناصِرين لنا ولقضايانا.

مثلًا، قد لا ننجح في إقناع غير المسلم بترك دينه والدخول في الإسلام، ولكن يمكننا تغيير فكره وجعله يُناصِر قضايا المسلمين، وعندما يصل ذلك الشخص إلى أحد المراكز الحسَّاسة والمرموقة في دولته، فتكون مناصرته قضايانا نصرًا عظيمًا لنا.

(١) عدنان علي رضا النحوي، (١٤٢٥هـ)، زُخْرف الحضارة الغربيّة، مقال في موقع (المسلم).

أما عن وسائل دعوة غير المسلمين، فقد أصبح (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل من الوسائل المُهِمَّة في هذا الجانب، وهناك وسائل أخرى عديدة مثل قنوات الإذاعة والتلفاز والصحف والمجلات، ولكن (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل يتميَّزان بكونهما في متناول معظم الناس، ويُوفِّران من سُبُل التَّواصُل والتعبير ما قد يكون مفقودًا في الوسائل الأخرى.

من هنا، علينا البَدْء بالتعرُّف إلى الوسائل المُتاحة في (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل التي يمكن أن تخدم دعوتنا لغير المسلمين، ومن ذلك -مثلًا- أن ننقل إليهم ما لدينا من تراث، وخاصةً ما يتعلَّق بتعريفهم بديننا ولغتنا وعاداتنا، فخيرٌ لنا ولهم أن ننقل إليهم ما عندنا بأسلوبنا نحن، من أن نراهم يتعرَّفون إلينا من أقلام مُستَشرِقيهم والحاقدين والمُغْرِضين، ويمكننا ذلك بترجمة الكتب العربية المناسبة لمخاطبة غير المسلمين، وتعريفهم بديننا وحضارتنا، ثم نتواصل مع المكتبات الموجودة على (الإنترنت)، وخاصة تلك المَعْنِيَّة ببيع الكتب باللغات المختلفة، ونسوّق من خلالها هذه الكتب المترجمة، وخاصة التي تتحدَّث عن ديننا وتاريخنا ولغتنا، ونَثِق بمحتوياتها وأهدافها.

وقد يكون من أبرز وسائل الدعوة عبر (الإنترنت) المشاركة في مواقع الحوارات والحسابات الخاصة ببعض مشاهير غير المسلمين المَعْنِيَّة بقضايا الدين أو السياسة، وعلينا قبل البَدْء بالكتابة فيها التعرُّف إلى طبيعتها وما يُكتَب فيها ومَن يكتب فيها؛ هل هم كُتَّاب معروفون أم مُجرَّد أفراد يأتي كل واحد منهم ويُعلِّق ثم يذهب؟ وهل هم في موضع المسؤولية أم إن أسلوبهم وفكرهم ليس له أثر؟ علينا أولًا تقييم الأسلوب والفكر الذي يحمله مَن يكتبون في تلك الحسابات، ثم بعد ذلك يمكننا البدء بالمشاركة بأسلوب حسنٍ لبقٍ جذَّاب لا يُنفِّر، وفي الوقت نفسه ينمُّ عن علم ودراية.

لا أدخل هنا في تفاصيل دعوة غير المسلمين، إذ يمكن الحصول عليها من الكتب والمحاضرات أو صفحات (الإنترنت) أو بسؤال المُختَصِّين في هذا المجال، ولكن المُهِمَّ أن نَعِي بعض الأمور التي علينا التزامها عندما نريد المشاركة في تلك المحاورات، ومن ذلك أن ندرك أن دخولنا في تلك الحسابات يُحتِّم علينا التزام القواعد والأنظمة والضوابط التي وضعها أصحابها لمرتاديها؛ ما يعني أن لا نسيء إلى أصحابها ولا إلى مَن يرتادها. يقول الشاعر:

إنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أخْلاقُنَا شَرَفًا أَنْ نَبْتَدِي بِالأذَى مَنْ لَيْسَ يُؤْذِينَا[١]

كذلك، علينا أن نلاحظ طبيعة كل حساب، فإذا كان مُخصَّصًا للحديث عن القضايا الدينية، ويريد من زواره أن يُبْدوا فقط آراءهم دون إساءة إلى أحد ولا نشر لأي أعمال أو جرائم ينفذها الآخرون ضدَّ المسلمين، فعلينا احترام تلك الضَّوابط، واحترام آراء مَن يكتبون أو يُعلِّقون، وأن نعلم أن تغيير فكر شخص ما لا يعني بالضرورة نَقْد ذلك الفكر أو نَقْد صاحبه.

علينا احترام الأشخاص الذين نتحاور معهم، واحترام أفكارهم، وأن نُبدي تقديرنا لما يكتبونه وإن كان فكرًا مُنحَرِفًا، ثم تدريجيًّا نصحِّح تلك الأفكار، وأما إذا هاجمناهم أو هاجمنا أفكارهم من أول وهلة فقد يُسبِّب ذلك نفورًا منهم أو من مرتادي ذلك الحساب، وربما تكون لذلك آثار سَلبية في المسلمين الآخرين الذين يشاركون بالكتابة أو التعليق في ذلك الحساب.

وأمرٌ آخر من الأهمية بمكان؛ وهو أن نعي الصورة المُنْطَبِعة في أذهان الآخرين عنا نحن المسلمين وعن دولنا وشعوبنا؛ فمعظم الغربيين -وأعتقد أن الأمر ينطبق تمامًا أيضًا على الشرقيين- لا يكترثون بنا وبأحوالنا، وإنما قد وقعوا «**فريسة سهلة في شِباك رغبات كُتَّاب وصُنَّاع الروايات والأفلام ووسائل الإعلام، التي رسمت صورة قاتمة للشرق** [أي نحن المسلمين] **عامة؛ فالشرقيُّ ذو نزوات مُفاجِئة غير مألوفة، كما أنه أسير الغضب الأعمى، فظٌّ غليظٌ قاسٍ، وهو قبل ذلك سادِرٌ في المَلَذَّات، أسيرٌ للشهوات، مُعربِدٌ بين القِيان والحِسان والألحان والكؤوس والنُّدْمان**»[٢].

وأما عالمنا الإسلامي -في نظر هؤلاء الغربيين- فهو «**موطن السِّحْر والخرافات والأوهام، وظلام المعابد، وتعاويذ الكُهَّان. وهو موطن النَّسْل الوفير والكوارث الطبيعية من الفيضانات والزلازل التي تحصد الألوف، وهو لا يعرف حُرِّية الأفراد، بل الظلم**

(١) البيت لصَفِيّ الدين الحِلّي (ت. ٧٥٢هـ/١٣٣٩م).
(٢) عبد الكريم بكار، عَصرنا والعيش في الزمان الصعب، ص١٥.

والجَوْروأكل الحقوق، والبلدان الشرقية التي أحرزت بعض التقدُّم التقني، أحرزته بأموال الغرب ومَنْهَجِيَّة الغرب وتقنية الغرب»[١].

هذه هي الصورة المُرتَسِمَة في أذهان معظم غير المسلمين عنا وعن بلداننا، ولذا علينا أن نكون على دراية بالأساليب النافعة لمُخاطبة الفئة التي نريد التأثير فيها، فما يصلُح لمخاطبة الأمريكان قد لا يصلُح لمخاطبة اليابانيين، وما يصلُح لمخاطبة طلاب الجامعة في دولة ما قد لا يصلُح لمخاطبة المُفكِّرين في تلك الدولة، ومن هنا وجب التعرُّف إلى طبيعة مَن نخاطب والمركز العلمي أو السياسي الذي يتبوَّؤه.

وعلينا كذلك أن نَعِي أن كل مجتمع من المجتمعات الغربية أو الشرقية له من الخُصوصيات ما يُحتِّم علينا مخاطبته بأسلوب يتناسب وتلك الخُصوصيات، فعندما نتخاطب مع تلك الشعوب علينا أن ننتقي العبارات التي -في ثقافتهم- تكون ذات أثر فعَّال في النفوس، وفي الوقت نفسه نتَّقي العبارات التي يمكن أن تُفهَم عندهم على أنها عبارات بذيئة أو تُثير التهكُّم والسُّخرية.

كذلك، علينا أن نَعِي القضايا التي يُثيرها الآخرون حول ديننا، وأن نعرف كيفية التحاور معهم حولها، ويجب أن لا نُركِّز على الجوانب التي تجعلنا في موقف الدِّفاع عن الإسلام وكأنه مُتَّهم، ونحاول تسويغ لماذا يأمر بكذا أو ينهى عن كذا، بل الأفضل أن نُظهِر وجهه المُشرِق من خلال إبراز الدَّوْر الذي أدّاه المسلمون في خدمة العالم والحضارة الإنسانية.

وعلينا أيضًا أن نعرف تفاصيل القضايا والشُّبُهات التي يثيرها غير المسلمين وخاصة المُستَشرِقين منهم، فقد نتعرَّض لبعض الأسئلة المُحرِجة من خلال محاوراتنا معهم، وهم سينظرون إلينا بعين الازدراء إنْ لم نستطِع الإجابة عنها، وخاصة أننا في نظرهم نُمثِّل الإسلام.

مُحصِّلة القول هي أنه قبل شروعنا في دعوة غير المسلمين، علينا التعرُّف إلى طبيعة مَن نخاطب، والأساليب الناجحة والمقبولة لمخاطبته، وأن ندرك أننا رسلٌ للإسلام وأُمَّة

(١) المرجع السابق، ص١٥.

الإسلام، ولذا يجب أن نُحسِن تمثيل ديننا وأُمَّتنا بما نقوله وما نكتبه وما نرسمه لغير المسلم من صورة عن الإسلام والمسلمين.

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- يمكن تقسيم الدعوة إلى الله إلى شطرَيْن رئيسَيْنِ. تكلَّم عن خصائص كلٍّ منهما وغاياتها.
- اذكُر بعض الضوابط التي سيقت في هذا الفصل للمشاركة في مواقع الحوارات وشبكات التَّواصُل التي يرتادها غير المسلمين.
- أَجْرِ دراسة لمواقع (الإنترنت) وشبكات التَّواصُل التي يمكن المشاركة فيها لدعوة غير المسلمين، وصنِّفها بحسب طبيعة مرتاديها (عامة الناس، مُتديِّنين، مُفكِّرين، أدباء، ...)، ووسائل المشاركة فيها (حوارات، مقالات، مراسلات، بحوث)، ثم تعرَّف إلى بعض الشخصيات المُهِمَّة التي تشارك فيها، وذلك من خلال أسماء المشاركين أو الأسلوب الذي يستعملونه في الكتابة أو في القيمة العلمية للمشاركات. تواصَلْ مع بعض الكُتَّاب المعروفين في القُطْر الذي تعيش فيه، وحاول إقناعهم بالمشاركة في المواقع والحسابات التي تختارها لممارسة الدعوة فيها، واعلم أنه قد يلزمك ترجمة المشاركات في تلك المواقع والحسابات للكُتَّاب الذين اتَّفقتَ معهم، وأيضًا ترجمة ما يكتبونه قبل نشره في تلك المواقع والحسابات.

الفصل السادس

الاهتمام بقضايا المسلمين المُعاصِرة

إن المسلم الواعي والداعية الناجح لا يكفيه أن يكون صالحًا في نفسه، بل عليه أيضًا أن يكون مُصلِحًا لغيره، ولذا فمن الأعمال التطوُّعية التي يمكننا إنجازها ما يتعلَّق بالاهتمام بقضايا المسلمين، ومن واجبنا حيالها ما يأتي[١]:

- تبصير الأُمَّة بالحقوق والواجبات، وتسليحها بالعلم والمعرفة، ونشر الثقافة الإسلاميَّة بين المسلمين والدعوة إليها، وتوعيتهم بما يجهلونه منها؛ فإنَّ أمَّة تعيش على الاهتراء الثقافي، والنِّسيان أو التَّناسي لعلمها وقِيَمها فضلًا عن التنكُّر لذلك، مصيرها محتوم بالفشل، وتكون بذلك قد حجزت لنفسها مقعدًا بين الأمم المُتخلِّفة، وابتعدت عمَّا من شأنه أن يرقى بفكرها وثقافتها.

- أن يكون لنا وقعٌ وأثرٌ فعَّال في إدارة الأزمات التي تمرُّ بها الأُمَّة الإسلاميَّة، وعلينا أن نستشعر وجودنا في مجتمع الأزمة، وأن نبذل قصارى جهدنا لِبَثِّ الرُّوح الفعَّالة؛ روح الأمل والعمل في قلوب الأُمَّة، ورفع المعنويات للجماهير المسلمة، التي أصيب بعضها بروح اليأس والقنوط.

- الوقوف بجانب الحقِّ، ومقاومة الظلم، ومصاولة الباطل، وأن نكون فاعلين في نصرة الحق، والمجاهرة بقوله، ولو على حساب أنفسنا، فمن العجب أن يكون أصحاب الباطل جريئين في قول باطلهم، وأهل الحقِّ ضعفاء بالجهر بحقِّهم، ولذا على كل واحد منا أن يحترم ذاته وعلمه، ولا يسمح أن يكون أداة طيِّعة بيد الآخرين.

- مُناصرة ثقافة المقاومة، والمجاهرة بأهميَّة مُواجهة المحتل الذي يضرب بأطنابه يومًا بعد يوم في ديار الإسلام، وفضح مُخطَّطاتهم، وتبيين سبيلهم الإجرامي، ومكافحة

(١) خباب الحمد، (١٤٢٧هـ)، دور المُثقَّف.. جهود لا ركود، مقال في موقع (المسلم)، مع بعض التصرُّف.

كيدهم، والمُجاهَدة لهم جهادًا كبيرًا، ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

إن قضايا المسلمين قد أصبحت من الكثرة بحيث يصعُب حصرها؛ فهناك قضايا سياسية وأخرى اجتماعية وثالثة ثقافية ورابعة صِحِّية، إلخ، وعلينا الاهتمام بها وإجراء الدراسات حولها، وأن نعمل جاهدين في توعية الناس بها من خلال ما نُجْريه من دراسات وبحوث ومحاضرات وندوات، وكذلك هناك مُخطَّطات تُجرى في العالم لنشر أفكار مُعيَّنة، أو للهيمنة على جانب مُعيَّن من جوانب حياة الأُمَّة، أو لتغيير نهج الناس وتصوُّراتهم ومواقفهم تجاه قضية ما، ولذا علينا أن نعرف تلك المُخطَّطات ونستقصي أبعادها، ثم نوعّي المسلمين بشأنها.

ففي الجانب السياسي قليلٌ من الناس مَن يعرف -مثلًا- ما يجري في كشمير، وما طبيعة تلك القضية، وكل ما نسمعه عنها في وسائل الإعلام أن الكشميريين اعتَدَوْا على الجيش الهندي أو قتلوا كذا أو أن الجيش الهندي قتل كذا من الكشميريين، ولا نعرف مَن هؤلاء الكشميريون! ولماذا يحاربون الجيش الهندي، ولماذا الجيش الهندي هناك، وهل كشمير تابعة للهند أم ماذا!

علينا، كذلك أن ندرك أن غيرنا يستفيدون من ماضيهم، ولذلك يَعُدُّون الأحداث التي مرَّ بها العالم في الماضي نبراسًا لهم ومدرسة؛ يستفيدون منها في التخطيط لحاضرهم ومستقبلهم، وعلينا أن نَحذُو حَذْوَهم فنُجري دراسات ومراجعات لما جرى في الماضي، فمَن يدري؟ فقد نفاجأ يومًا بأحداث تقع مشابهة لتلك التي وقعت في الماضي، وعندئذ نكون على بصيرة بأبعادها ووسائل توجيهها لتكون في صالحنا.

أيضًا، هناك قضايا أخرى كثيرة غير سياسية، وعلينا أن لا نقف مكتوفي الأيدي حيالها، وأن لا نكتفي بمشاهدة غيرنا وهم يُوجِّهونها إلى خدمة مصالحهم ومُخطَّطاتهم، فكم من قضايا في التعليم والثقافة والفكر والصِّحَّة والاجتماع والاقتصاد وغيرها التي لم

نسمع بها إلا بعد أن شاهدنا الشرق والغرب يُجري تجاربه لتطبيقها علينا! وهذا لا ينبغي لأُمَّة أراد الله أن يكون لها زِمام القيادة بين الأُمَم.

لقد مرَّت أُمَّتنا بفترات طويلة من التخلُّف عن ركب الحضارة، وحان الوقت لها أن تتصدَّر أُمَمَ الأرض، لا تبجُّحًا وعجرفة، ولكن بما تُقدِّمه للحضارة الإنسانية من إنتاجات مُتميِّزة في شتَّى الفنون، فلا ينبغي أن نعيش مُنغَلِقين على أنفسنا، بل علينا أن نتفاعل مع ما يجري في العالم، سواءٌ أكان ذا علاقة مباشرة بنا أم غير مباشرة، وعلينا أن نعيش في العالم الذي أرادنا الله -سبحانه- أن نعيش فيه ونحن نحمل همومه ونتعايش مع مشكلاته.

وإنَّ مِن حُسْن حظِّنا وحظِّ أُمَّتنا أننا نعيش اليوم في عالم أصبح على درجة من التقارب والشفافية؛ بحيث لا نحتاج إلى كبير عناء لمعرفة ما يجري بعيدًا عنا، وكل ما علينا هو المبادرة للعمل والعطاء، وسنجد أن كل ما استودعه الله في هذا الكون هو بين أيدينا وتحت تصرُّفنا، كما وعدنا الله -سبحانه- بذلك في مُحكَم كتابه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

أسئلة وأنشطة تطبيقية

- مثِّل لبعض قضايا المسلمين المعاصرة بمختلف جوانبها الدينية والسياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية والثقافية والفكرية والإعلامية والصِحِّية.
- وردت في هذا الفصل بعض الأعمال التي علينا الاهتمام بها للتفاعُل مع قضايانا المعاصرة. اذكُر أعمالًا غيرها تصبُّ في هذا السِّياق.
- اذكُر بعض المُخطَّطات والدسائس الدولية التي قد تنال الأمة من قريب أو بعيد، وتكلَّم عن بعض وسائل التصدِّي لها.
- اشرَح كيف يمكننا الاستفادة مما جرى لنا في الماضي من أحداث في معالجة قضايانا المعاصرة.

الباب الثامن

أدوات للمُتطوِّعين

الفصل الأول

تمويل المشاريع والفَعاليات التطوُّعية

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، و((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))[١].

هكذا علَّمنا الخالق -سبحانه وتعالى- في كتابه الكريم، وهكذا أخبرنا رسولنا الكريم -عليه الصلاة والسلام-، ومن أجل ذلك كان التكافل الاجتماعي أحد الأُسُس الرئيسة للمجتمع الإسلامي، ومن هنا تأتي أهمية الدور الذي تؤديه الجمعيات الأهلية الخيرية.

لكن الواقع يشير إلى أنه بالرغم من وجود آلاف الجمعيات الخيرية المُسجَّلة رسميًّا في الدول الإسلامية، إلا أن معظمها غير مسموح لها بجمع التبرُّعات لا من داخل الدولة ولا من خارجها، ومع موافقتنا لرفض الحكومات للتمويل الخارجي للجمعيات الأهلية، «**لكي لا تكون هناك ثغرات تَنْفُذ من خلالها بعض الجهات الخارجية التي قد تستغلَّ حاجة الجمعيات إلى الدَّعم المالي مما يُؤدِّي إلى نتائج سَلبية**»[٢]، ولما يمكن أن تَستَغِلَّه بعض الجمعيات لذلك التمويل في أغراض قد لا تعود بالنفع لا على البلد ولا على الشعب، غير أننا -رغم كل ذلك- نرى ضرورة استقلال الجمعيات الأهلية عن التمويل الرسمي.

إن التَّمويل الحكومي للجمعيات الخيرية قد يكون -في بعض الأحيان- المَنْفَذ الوحيد لانتشالها من التلاشي المُحتَّم، ولكن علينا أن لا ننسى أيضًا أن ذلك قد يفتح الباب للحكومات لِبَسْط أياديها عليها، ومن ثَم قد يُعوِّق مسيرتها ويُحجِّم أعمالها ومشاريعها.

إن الحلَّ[٣] هو البحث عن مُؤسَّسات وطنية راغبة في تمويل أنشطة الجمعيات التطوُّعية الأهلية، وتنظيم اجتماعات سنوية بين الجمعيات والمُؤسَّسات المُموِّلة لتقويم

(١) صحيح مسلم (حديث رقم: ٢٥٨٦، ج٤، ص١٩٩٩) من حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنه-.
(٢) ميشال شماس، (٢٠٠٦م)، الجمعيات الأهلية في سورية، مقال في موقع (الحوار المُتمدِّن).
(٣) خالد الغنامي، (٢٠٠٦م)، الجمعيات الأهلية والتمويل الذاتي، مقال في جريدة (الوطن) السعودية.

المشاريع الجاري تنفيذها، وفي حال عدم مشاركة المُؤسَّسات الحكومية والخاصة في تمويل المشاريع التطوُّعية، فعندها يلزم علينا البحث عن بدائل تمويلية لهذه الجمعيات.

وقد أشرنا في ثنايا الكتاب إلى العشرات من الأنشطة والأعمال التي يمكننا التطوُّع لتنفيذها، سواءٌ أكان على مستوى الفرد أم الأسرة أم المحيط الذي نعيش فيه أم القُطْر الذي ننتمي إليه أم العالم بأَسْرِه، ومعظم تلك الأعمال تحتاج إلى مال وجهد وتخطيط، وفي هذا الفصل سنحاول -بإذن الله- أن نُلخِّص للقارئ بعض الأنشطة والفَعاليات التي أشرنا إليها في المباحث السابقة التي يمكن الاستفادة منها لتمويل الأعمال التطوُّعية المختلفة.

١- الاستفادة من صناديق التبرُّعات داخل الأُسَر

أشرنا في الفصل الأول من الباب الرابع إلى أن من الجوانب التي تزيد فاعلية كل أسرة وترابط أبنائها إنشاء صندوق للتبرعات، وقد ذكرنا هناك أنه يمكن تصريف ما تتجمَّع في ذلك الصندوق من أموال لأعمال وأنشطة تخدم الأسرة، وكذلك يمكن صرف بعضها في أمور تعود بالنفع على المحيط الذي تعيش فيه الأسرة؛ كشراء مصاحف للمساجد أو كتب للمكتبات العامة، ويمكن أيضًا صرفها لمساعدة الأُسَر الفقيرة أو لغيرها من الأنشطة.

ورغم أن المبالغ التي عادة ما تتجمَّع في تلك الصناديق قد لا تفي باحتياجات المشاريع التي يُراد إقامتها في المجتمع، فإنها إذا انتشرت بين الأُسَر فإنها -بلا شك- سيكون لها دورٌ كبير في تمويل تلك المشاريع، ويمكن للمُؤسَّسات التطوُّعية جمع تلك الأموال من صناديق التبرُّعات الأُسَرية -طبعًا بموافقة أصحابها- وتوجيهها إلى إقامة مشاريع أكبر حجمًا وأعظم أثرًا من تلك التي يمكن للصناديق المُفْرَدة تغطيتها.

٢- الاستفادة من الأوقاف وأملاك بيت المال

ذكرتُ في الفصل الخامس من الباب الخامس أن هناك الكثير من الأوقاف والأملاك التابعة لبيت المال التي لا تكاد تخلو منها قرية أو مدينة ولكن معظمها مُهمَلة ولا تُدِرُّ إنتاجًا يُذكَر، وكذلك فإن الأوقاف في كثير من الدول الإسلامية قد صارت بأيدي الدولة، ورغم أن هذا قد يكون في مصلحة تلك الأوقاف، إذ إن بإمكان الوزارة المَعْنِيَّة بالأوقاف في كل دولة رعايتها وتفعيلها وتصريفها حسب شروط واقفيها، غير أنه –مع الأسف الشديد- أصبحت الوزارات تُصرِّف تلك الأوقاف وكأنها ملك للدولة، وفي كثير من الأحيان تسمح ببيعها أو تحويلها إلى وجهات أخرى.

لذا، فإنه من الضروري حصر تلك الأوقاف والأملاك والتعاون مع القائمين عليها -سواءٌ أكانوا من عامة الناس أم جهات حكومية- للاهتمام بها والوصول بها إلى مستوى الإنتاج، وكذلك لا بُدَّ من إقناع القائمين عليها لتصريفها حسب شروط واقفيها، فمثل هذه الأوقاف -لو وُجِد مَن يعتني بها- لكانت كفيلة بالوفاء ولو بجزء من احتياجات المشاريع والمُؤسَّسات العامة التي وُقِفت لأجلها، كالمساجد والمكتبات العامة وغيرها من المرافق.

٣- فرض رسوم على الفَعاليات المختلفة

من الأمور التي يمكن فعلها في أثناء تجمُّع الناس في المحاضرات والفَعاليات العامة مثل الإفطار الجماعي، الدعوة لبناء مسجد أو مدرسة أو غيرها من الأماكن الخدمِيَّة في المجتمع، ويمكن إقامة حملات خاصَّة أو مُصاحِبة لتلك الفَعاليات لجمع التبرُّعات، فمثلًا يمكن دعوة الناس لعشاء جماعي، وفي أثناء العشاء أو بعده يُحضّون على المشاركة بالتبرُّع، ويمكن دعوة شخص مُتمرِّس في جمع التبرُّعات لحثِّ الناس على التبرُّع بأسلوب مُؤثِّر وفعَّال.

ومن الوسائل الأخرى أن يُدعى الناس لفعالية مُعيَّنة مثل المهرجانات الإنشادية، وتُباع تذاكر لحضور تلك الفعالية، ثم تُصرف المبالغ المُتجمِّعة لصالح أحد المشاريع الخدمية المراد إقامتها.

٤- إقامة معارض لتمويل المشاريع الخيرية

يمكن بين حين وآخر إقامة معرض لبيع المشغولات اليدوية أو الأطباق الخيرية، بحيث يُخصَّص العائد منه لتمويل مشروع مُعيَّن، وغالبًا فهذه المعارض لا تُكلِّف شيئًا لإقامتها، إذ إن معظم القائمين عليها سيكونون مُتطوِّعين، والمُستَلزمات التي تحتاج إليها من طاولات وكراسي وغيرها قد تأتي أيضًا تطوُّعًا، والمواد التي تُعرَض وتُباع فيها عبارة عن تبرُّعات من أصحابها.

كذلك، يمكن إقامة معارض لبيع الكتب والحواسيب والهواتف والأجهزة الإلكترونية والأدوات والأجهزة المنزلية والأثاث المنزلي ومُستَلزمات التشجير والتُّحَف والعطور والهدايا، وقد تكون هذه المعارض لصالح مُؤسَّسات تجارية مقابل نسبة مُعيَّنة تحصل عليها المُؤسَّسة الخيرية التي ستتكفَّل بالترتيب للمعرض والدِّعاية له وتوفير احتياجاته، وقد تكون بترتيبات منها أو من بعض المُتطوِّعين.

٥- إنتاج مواد مطبوعة أو سمعيَّة أو مَرئِيَّة

يمكن للنَّشَرات والمواد المطبوعة أو السمعيَّة أو المَرْئِيَّة التي أشرتُ إليها في الفصل الرابع من الباب الخامس أن تُشكِّل رافدًا للمُؤسَّسات الخيرية، وذلك إما ببيعها بأسعار رمزية وإما بتأجير مساحات بداخلها للدِّعاية لمُؤسَّسات تجارية، ويجب مراعاة أن لا يطغى

العائد المالي على الثمرة المرجُوَّة من إنتاج تلك المواد، فلو تبيَّن أن تضمين تلك المواد دعايات تجارية قد يُخِلُّ بمصداقيتها أو جودتها أو إقبال الناس عليها فإنه يُترَك الجانب التجاري منها ويبقى الرزق على الله.

٦- إقامة دورات وورش عمل مدفوعة الثمن

ضمن الأنشطة التي أشرنا إليها في الفصل الرابع من الباب الخامس والهادفة إلى رفع مستوى الإنتاجية بين الناس إقامة دورات وورش عمل لتنمية قدرات الناس وإنتاجياتهم، وأشرنا هناك إلى أنه يمكن فرض رسوم على تلك الدورات وورش العمل لتغطية نفقاتها أو لتغطية احتياجات مشاريع خيرية أخرى.

ولتوفير أكبر قدر من عائدات تلك الدورات للأعمال الخيرية، يمكن للمتطوعين تقديم الدورات، ويمكن كذلك الحصول على الأجهزة والمواد اللازمة للدورة من خلال تبرُّعات يُقدِّمها أفراد أو مُؤسَّسات.

٧- فرض رسوم عُضْوية للنوادي المختلفة

يمكن جعل الانتساب إلى عُضْوية النوادي العلمية والثقافية والرياضية مقابل رسوم تُدفَع عند الاشتراك -وربما التجديد-، ويمكن للنوادي كذلك تقديم أنشطة مدفوعة الثمن كالدورات أو المُعَسْكَرات أو الرحلات، ويكون العائد منها لصالح النادي، ويمكن الاستفادة من عائدات العضويات والأنشطة لتغطية نفقات النوادي أو لتطويرها وتحسين أدائها.

٨- فرض رسوم على رياض الأطفال

رغم حرصنا على نشر رياض الأطفال في كل الأحياء، وتشجيع الناس على أخذ أطفالهم إليها، فإن ذلك لا يمنع من فرض رسوم رمزية على كل طفل أو أسرة لتلبية ولو جزءًا يسيرًا من احتياجات تلك الروضات، وقد أشرنا كذلك في الفصل الثاني من الباب الخامس إلى إمكان فرض مبلغ رمزي شهري على كل فرد من أهالي الحيّ أو القرية -وخاصة المُوظَّفين منهم- أو على كل أسرة لتغطية نفقات رياض الأطفال وغيرها من الأعمال التطوُّعية التي تخدم الحيّ أو القرية.

٩- إخراج ألبومات أو حقائب تعالج قضايا مُعيَّنة

يمكن جمع مواد مطبوعة أو سمعية أو مرئية تتحدَّث عن قضية مُعيَّنة، وإخراجها على شكل ألبوم أو حقيبة، ثم بيعها من خلال المكتبات أو المُؤسَّسات المُتخصِّصة لهذا الغرض، ومن الألبومات أو الحقائب التي يمكن إخراجها تلك التي تُعنى بالحجّ والعُمرة أو الزواج أو البَطالَة أو المهارات المختلفة.

١٠- تشجيع الناس على المشاركة في مشروع الصدقة الجارية

هناك من المُؤسَّسات الخيرية، كالمكتبات والنوادي، التي لا تخلو منها بلد، وأنشطتها -في الغالب- معروفة لدى معظم الناس، ولذا يحتاج القائمون عليها إلى فتح باب «الصدقة الجارية»، وذلك بتشجيع المُتبرِّعين على تحويل مبلغ شهري لصالح المكتبة أو النادي أو المُؤسَّسة الخيرية القائمة عليها، وقد صارت عملية إنشاء حوالات شهرية دائمة مُتوفِّرة في معظم تطبيقات البنوك.

١١ - استمتع وادَّخِر

هناك العديد ممَّن فتح الله عليهم باب الرزق حتى وصلوا إلى مراتب الأغنياء، ولكنهم –مع الأسف الشديد- لم يَرْعَوا حقَّ الله في المال الذي استأمنهم عليه، ولذا فإنك تراهم قد أوصلوا أنفسهم وأهليهم إلى مستويات من البذخ والإسراف لا يرتضيها الله -سبحانه وتعالى-.

وقد حذَّرنا -سبحانه- من هذا في كثير من الآيات، وأخبرنا أن تكذيب كثيرٍ من الأمم التي سبقتنا لرسلهم، وأيضًا دمارها، كان بسبب التَّرَف الذي انغمسوا فيه؛ فالله -سبحانه- يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤]، ويقول: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ويقول: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

من هنا، فإني أضع بين يدي القارئ هذا البرنامج الذي أسميته «استمتع وادَّخِر" ليكون -بإذن الله- وسيلة لتجنّب غضب الله، وعونًا على تذكُّر إخواننا الذين لا يجدون ما يأكلون أو يلبسون، وليكون سببًا لِتَحُلَّ البركة في المال والولد والعمر.

برنامج «استمتع وادَّخِر» يتيح لكما أخي وأختي أن تتنَّعما بما امتنَّ به المولى عليكما من فضله وكرمه، ولكن -في الوقت نفسه- تتذكَّران إخوانكما ممَّن ابتلاهم الله بالكُرَب والضائقات، وكل ما أقترحه عليكما هو أن تضعا جانبًا (أي تدَّخِراه عند الله) المبلغ نفسه الذي تُنفقانه على الوجبات والكماليات من الملابس والأجهزة والهواتف والرحلات السياحية وغيرها.

بمعنى آخر، عندما تشتهي النفس وجبة طعام أو ثوبًا جميلًا، ولا يستطيع الشخص مقاومتها، فلا أقلَّ من أن ينفق لإخوانه الفقراء والمحتاجين أو لأيّ عمل خيري مثل ما ينفقه على تلك الوجبة أو ذلك الثوب، وبذا يستطيع الاستمتاع بتلك الوجبة أو ذلك الثوب وفي الوقت نفسه يحصل -بإذن الله- على أجر الصدقة.

إذا طبّقنا هذا على أنفسنا في كل مرة نشتهي فيها شيئًا فيما لا ضرورة منه، فإننا سنُلاحِظ أننا سَنُقلِّل إنفاقاتنا، ليس لتوفير المال، ولكن لأن النفس والشيطان سيتدخَّلان لمحاولة منعنا من الإنفاق في سبيل الله، وذلك لما جَبَل الله عليه هذه النفس من حُبٍّ للمال، كما قال سبحانه: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠].

١٢- طرق تمويلية إبداعية

هناك العديد من الطرق الأخرى التي يمكن استعمالها لنوفر ولو جزءًا يسيرًا من المال، ويمكن استعمالها بجانب طريقة «**استمتع وادَّخِر**» التي شرحتها لك، ولكي تشعر بقيمة الاقتراحات التي سأسوقها لك بالنسبة إلى المُؤسَّسات الخيرية، وعائدها من الأجر والمثوبة عند الله، فإني أقترح تجميع المبالغ التي سنوفِّرها -ولو كانت يسيرة في نظرك- في صندوق، ويمكنك فتح ذلك الصندوق مرة في كل شهر، أو مرة واحدة في العام -كأن تكون في رمضان مثلًا-، ونوجِّه ما تجمَّع فيه لإحدى المُؤسَّسات الخيرية العاملة في مجتمعك أو بلدك، وهذه بعض الاقتراحات التي أسوقها هنا فقط كأمثلة وإلا فهناك كثير غيرها:

- تقليل المكالمات الهاتفية والرسائل القصيرة، وتوفير المال الذي عادة ما تنفقه في كل شهر على تلك الأمور لصالح صندوق التوفير، وإذا كنتَ لا تستطيع ذلك فلا أقلَّ من أن تدفع لصندوق التوفير المبلغ ذاته الذي تصرفه على هاتفك.

- صيام بعض أيام الاثنين والخميس من كل شهر وتوفير قيمة الطعام الذي عادة ما تتناوله لوَجْبَتَيِ الإفطار والغداء لصندوق التوفير، وبذلك تكسب -بإذن الله- الأجر والصِّحَّة معًا، فالصوم كما نعلم صِحَّة للبدن.

- تقليل استعمال سيارتك لتوفير استهلاك البنزين، ومن ثم استهلاك السيارة، على أن تدفع ما تُوفِّره لصندوق التوفير، ويمكنك مشاركة بعض زملائك في الذهاب إلى العمل أو الدراسة أو التسوُّق، وسيكون لهذا أيضًا إفادة للبيئة والمجتمع وهو تقليل العوادم والزِّحام والحوادث.

- توفير المبالغ التي تنفقها على الكماليات، فبعض المسلمين -هدانا الله وإياهم- مُولَعون باقتناء الموضات الجديدة من الأحذية والملابس والعطورات وغيرها، وتجد الواحد منهم- وخاصة النساء- لديه خزانات ممتلئة من الأحذية والملابس التي قد لا يستعملها إلا نادرًا، ولذا حاوِل المحافظة على أحذيتك وملابسك من الاتِّساخ والتَّلف، وبدلًا من تغييرها كل عدة أشهر فأطِل تلك المدة ليتوفَّر شيءٌ من المال كل عام، وأخلِص النية لله لتكسب أجرًا مضاعفًا عند الله.

كذلك، هناك بعض الأُسَر التي تصبغ منزلها أو تغيّر سياراتها أو أثاث منزلها كل عدة أعوام، وأمثال هؤلاء يمكنهم إطالة الفترة التي يغيرون فيها سياراتهم أو أثاث منزلهم لعام أو عامين، ثم يضعون الفارق في صندوق التوفير.

- توفير المبالغ التي عادة ما تنفقها الأسرة على الرحلات السنوية التي تخرج فيها إلى دول أجنبية؛ فحاول إقناع نفسك وأسرتك لتقليل هذه الرحلات أو تقليص مدتها أو اختيار دول أقل تكلفة، فيمكنكم مثلًا الذهاب إلى رحلة خارج بلدك كل عامين بدلًا من كل عام، ووفِّر قيمة التذاكر ومصاريف الرحلة لذلك العام إلى صندوق التوفير. كذلك، يمكنكم القيام برحلة كل عام أو برحلات متواصلة ولكن مع تغيير الوجهة؛ فبدلًا من أن تكون لدولة أخرى، فلماذا لا تكون في البلد نفسه الذي تعيشون فيه، وبهذا تستطيعون توفير الفارق في المصاريف لصندوق التوفير؟

- وفي صدد الحديث عن الرحلات، فهناك من الناس -وحتى غير المستقيمين منهم- مَن يذهب لأداء العمرة في العام أكثر من مرة، ولا ينكر أحد ما لتتابع العمرات من أثرٍ في إيمان الشخص واستقامته، ولكن علينا أيضًا أن نعلم أن هناك من الأعمال الخيرية التي قد تكون ألزم علينا أداؤها من العمرة، وفي الوقت نفسه نكسب منها الأجر العظيم، فالعمل الذي يعمُّ نفعه للناس خيرٌ من ذلك الذي يعود نفعه فقط على الشخص أو أسرته أو أفراد قليلين من الناس، ولذا حبَّذا لو اقتصر أمثال هؤلاء على عمرة واحدة كل عدة سنوات، ويُوجِّهون ما يتوفَّر من مبالغ إلى الأعمال الخيرية الأخرى.

الفصل الثاني

مَوارِدُ مَعْرِفِيَّة للمُتطوِّعين

في هذا الفصل سنلقي الضوء على بعض المراجع التي يمكن الاستفادة منها في جانب العمل التطوُّعي، مثل: الكتب والمحاضرات ومواقع (الإنترنت) المَعْنِيَّة بموضوع التطوُّع، وسيجد القارئ في نهاية الكتاب قائمة بالمراجع التي استفدنا منها في إعداد مادة هذا الكتاب، وهي -بلا شك- زادٌ مُهِمٌّ لكل راغب في التعمُّق في جانب التطوُّع والعمل الخيري.

وهدفنا من توفير هذه الموارد تشجيع الشباب والفتيات ليُشمِّروا عن ساعد الجِدِّ لمُعالجة قضايا التطوُّع بعُمْق وتوسُّع وعن علمٍ وبصيرة، وليحاولوا طَرْق جميع السُّبُل التي يمكن أن تُؤدِّي إلى إنجاح العملية التطوُّعية؛ سواءٌ أكان في مجتمعاتهم وبلدانهم، أم في العالم العربي والإسلامي عمومًا.

١ - إسهاماتي الشخصية

بحمد الله وفضله منَّ المولى -سبحانه- عليَّ بإسهامات لا بأس بها في مجال العمل التطوُّعي منذ أيام المرحلة الثانوية بين عامَيْ ١٩٨٠م – ١٩٨٣م وإلى يومنا هذا، وقد تمثَّلت تلك الإسهامات في المشاركات المُجْتَمَعِيَّة، سواءٌ أكانت بمَعِيَّة أصدقاء وزملاء، أم كانت من خلال بعض المُؤسَّسات الثقافية والمُجْتَمَعِيَّة مثل النوادي الرياضية الثقافية والفِرَق الرياضية الثقافية والمكتبات الأهلية والوقف وغيرها، وتمثَّلت كذلك في إلقاء العديد من المحاضرات والدروس التي تصبُّ إما مباشرة في مجال العمل التطوُّعي وإما في مجالات أخرى مثل التعليم والوقف والدعوة وغيرها، وتمثَّلت كذلك في إصدار الطبعة الأولى من

هذا الكتاب، إضافةً إلى كتب ومقالات أخرى تحتوي على أبواب وفصول مُتعلِّقة بموضوع العمل التطوُّعي، وفيما يأتي أذكر نُبذة عن هذه الإسهامات لعلَّ القارئ يستفيد بالرجوع إلى شيءٍ منها.

أ- محاضرات في العمل التطوُّعي

وفَّقني الله -عزَّ وجلَّ- لإلقاء خمس محاضرات تصبُّ مباشرة في موضوع العمل التطوُّعي، وجميعها منشورة على قناتي الخاصة في منصَّة اليوتيوب وفي موقعي الخاص (www.alhatali.com)، والمحاضرات هي:

م	عنوان المحاضرة	تاريخ المحاضرة	رابط المحاضرة
١	لَمحات سريعة في العمل التطوُّعي	٢٠١٢/٨/١٦م	https://www.youtube.com/watch?v=WehaDMCpPqY
٢	العمل التطوُّعي ودوره في بناء المجتمعات	٢٠١٥/١/١م	https://www.youtube.com/watch?v=oXXhcvfxIQ
٣	العمل التطوُّعي ودور المُعلِّم في الإسهام فيه	٢٠١٥/١٢/٦م	https://www.youtube.com/watch?v=HFSjGQ02HBk
٤	العمل التطوُّعي – حقائق وأرقام	٢٠١٦/٢/٥م	https://www.youtube.com/watch?v=cp60U-xXuM0
٥	قراءة وتحليل لكتابي العمل التطوُّعي	٢٠٢٠/١/٣١م	https://www.youtube.com/watch?v=mWWLSH8w6z0

ب- محاضرات أخرى

ألقيتُ أيضًا العديد من المحاضرات المُتعلِّقة بجوانب مختلفة في موضوع التطوُّع، وكلها أيضًا منشورة على منصَّة يوتيوب وعلى موقعي، وهي كالآتي:

م	عنوان المحاضرة	تاريخ المحاضرة	رابط المحاضرة
١	تحسين الأداء في التعليم	٢٠١٣/١٢/٢٩م	https://www.youtube.com/watch?v=KHQSxVWru-s

٢	الارتقاء بالتعليم – تجارب وخبرات	٢٠١٥/٥/٣١م	https://www.youtube.com/watch?v=wle2kCTo2Hs
٣	نماذج مُشرِّفة من الأوقاف في التاريخ الإسلامي	٢٠١٧/٦/٢م	https://www.youtube.com/watch?v=6gj9HjcpywI
٤	الوقف ودوره في انتعاش الاقتصاد	٢٠١٧/٦/٩م	https://www.youtube.com/watch?v=uf2FEw6WSGk
٥	الوقف الإسلامي بين المُبشّرات والتحدّيات	٢٠١٧/٦/٢٣م	https://www.youtube.com/watch?v=gZZJ6FFZ7l0
٦	كيف نربي أولادنا على عُلُوِّ الهِمَّة؟	٢٠١٧/١٢/١٤م	https://www.youtube.com/watch?v=wQmqr6emzj0
٧	المُخدِّرات الرقمية	٢٠١٨/٥/١٨م	https://www.youtube.com/watch?v=TtHYMAB9AAw
٨	ظاهرة الإسراف وآثارها الكارثية	٢٠١٨/٥/٢٥م	https://www.youtube.com/watch?v=sB-KTk8oPrE
٩	الوقف ودوره في انتعاش التعليم	٢٠١٨/٦/١م	https://www.youtube.com/watch?v=qhQ05PQIHyc
١٠	كيف تجعلينَ التميُّز همَّك الأول؟	٢٠١٩/١/١٣م	https://www.youtube.com/watch?v=1b-wk9QnkBE

ج- كتب ومقالات

العديد من الكتب والمقالات التي دوَّنُتها ترتبط بالعمل التطوُّعي ارتباطًا مباشرًا أو غير مباشر؛ فبعض الكتب غالبية مادتها تصبُّ في هذا الجانب، وبعضها يحوي فصولًا ترتبط بالعمل التطوُّعي ارتباطًا وثيقًا، وهناك بعض المقالات التي لها أيضًا ارتباط بمجالات التطوُّع العديدة، وفيما يأتي أذكر لَمَحات من هذه الكتب والارتباط بينها وبين العمل التطوُّعي ليسهُل على القارئ الرجوع إليها:

م	عنوان الكتاب / المقال	تاريخ الطباعة / النشر	المادة المُتعلِّقة بالعمل التطوُّعي
١	رواية «المهاجر"	١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م	مادة الرواية تُعالج قضايا مُجتمعية عديدة، وتَهدف للارتقاء بالفرد والمجتمع بأسلوبٍ روائيٍّ شائق
٢	كتاب «من أجلِك يا أُمَّتي"	١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م	يعالج الكتاب العديد من قضايا المُجتمع، ويقترح حلولًا إبداعية لإبدال الجوانب السَّلبية منها بسُلوكات وأخلاقيات ترتقي بالفرد والمجتمع، وكل ذلك بأسلوبٍ حواريٍّ ممتع
٣	كتاب «مِداد اليَراع"	١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م	يحوي الكتاب العديد من المقالات والمسرحيات والقصص الهادفة والمحاولات الشعرية التي تصبُّ في بناء الفرد والمجتمع، وتُعالج قضايا مُجتمعية

٤	كتاب «أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد"	١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م	غالبية مادة الكتاب تصبُّ في موضوع العمل التطوُّعي، وخاصة الفصل الأول (الزيادة في الإنتاجية)، الفصل الثاني (الزكوات والأوقاف والأضاحي)، الفصل الرابع (التخلُّص من الديون)، الفصل الثامن (التخلُّص من الأمراض الفتَّاكة)، الفصل التاسع (تخفيض حوادث السَّيْر والجرائم المختلفة)، الفصل الثالث عشر (التخلُّص من أُمَّهات الخبائث)، الفصل الرابع عشر (مظاهر البذخ والإسراف)
٥	كتاب «الذكريات"	١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م	يحوي فصل «المهارات والاهتمامات والعمل التطوُّعي" العديد من إسهاماتي خلال الأربعين السنة الماضية في خدمة المجتمع في العديد من الجوانب
٦	كتاب «الدعوة إلى الله بين بناء الفرد وإصلاح المجتمع"	قيد التأليف	رغم أن الكتاب يُركِّز على قضية الدعوة إلى الله، غير أن الغاية منها –كما هو واضحٌ من العنوان– هو في بناء أفراد صالحين مُصلحين يرتقون بأنفسهم ومُجتمعاتهم ليس فقط في الأمور الدينية وإنما كذلك في الأمور الحياتية

٢- كتب في العمل الخيري والتطوُّع

عندما شرعتُ في الطبعة الأولى من الكتاب كانت الكتب المطبوعة باللغة العربية التي تتحدَّث خصوصًا في مجال العمل الخيري والتطوُّع نادرة جدًّا، وأما الآن فإن ما يتوفَّر من البحوث والدراسات والكتب العربية المُهْتَمَّة بقضايا التطوُّع صار -بحمد الله- عديدًا، وأما الكتب المُتوفِّرة باللغات الأخرى -وخاصة الإنجليزية- فأظنُّها أكثر من أن تُحصى، وسأورد هنا -بإذن الله- قائمة ببعضها، ومن أراد البحث عن أخريات فمكتبات (الإنترنت) تَعِجُّ بها.

أ- كتب باللغة العربية

توجد العشرات من الكتب والدراسات باللغة العربية والمَعْنِيَّة بقضية التطوُّع والعمل الخيري، وفيما يأتي سرد لبعضِها، ولم يكن ذكر هذه الكتب لغرضٍ أو ميزة مُعيَّنة، وإنما فقط من باب التمثيل لما هو مُتاح في المكتبة العربية، وسأذكر النماذج من خلال مكتبة «نور» للكتب الإلِكترونية المجانية، ويمكن تحميل هذه الكتب والدراسات من مكتبات ومواقع أخرى.

١-**العمل التطوُّعي**: نادية سعيد.



يسعى الكتاب إلى أن يكون لَبِنة في بناء عمل اجتماعي تطوُّعي راشد، يستمدُّ عافيته وتألُّقه وفعاليته من خلال: العلم بأدوار العمل التطوُّعي، وأهميته، ورُوَّاده، ومجالاته، ومُعوِّقاته، ثم من خلال تفعيل القِيَم والمفاهيم الإسلامية الراقية في هذا المجال.

يمكن تحميل الكتاب من خلال الرابط الآتي:

https://www.noor-book.com/wtmjz4

٢-**العمل التطوُّعي**: جابر أحمد برزان.



يَعُدُّ هذا الكتاب موضوعَ العمل التطوُّعي عاملًا أساسيًّا في بناء المجتمع ونشر التماسك الاجتماعي بين المواطنين لأيِّ مجتمع، وأنه ممارسة إنسانية ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بكل معاني الخير والعمل الصالح عند كل الناس منذ أن خلق الله –تعالى- الأرض وما عليها من بشر وكائنات، وأنه قد أخذ أشكالًا عدة بدائية فرضتها الفطرة الإنسانية التي تجعل الناس يهبُّون لمساعدة بعضهم بعضًا لحاجة أفراد المجتمع إلى التكامل والتعاون.

الناشر: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، دار الجنادرية للنشر والتوزيع.

٣-**العمل التطوُّعي في السنة النبوية - دراسة موضوعية**: رندة محمد زينو.



الكتاب عبارة عن بحث علمي لنيل درجة الماجستير، قُدِّم إلى كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة.

يمكن تحميل الكتاب من خلال الرابط الآتي:

https://www.noor-book.com/yqu9fv

٤-**العمل التطوُّعي و أثره في الصِّحَّة النَّفسية**: سالم أحمد محسن البطاطي.



وريقات قليلة تناقش أثر فعل الخير والعمل التطوُّعي في صِحَّة الإنسان النَّفسية والرُّوحية.

يمكن تحميل الكتاب من خلال الرابط الآتي:

https://www.noor-book.com/hrq1pi

٥-**العمل التطوُّعي في خدمة المجتمع**: حسن موسى الصفار.



يُبيّن الكتاب أهمية العمل التطوُّعي، ومردوده الإيجابي على الفرد والمجتمع، وأسباب العزوف عن هذا العمل الخيِّر، ووضع العمل التطوُّعي في المجتمعات الإسلامية، ويعرض نموذجين من نماذج العمل التطوُّعي لهما أهمية كبيرة في خدمة المجتمع ورُقِيّه، وهما: كفالة الأيتام وكيف ينبغي التعامل معهم، ومَن هو المسؤول عن رعايتهم وكفالتهم، وما الواجب علينا لاحتواء هذه الفئة من الناس. وأما النُّمُوذج الثاني فيتعلَّق بتزويج العُزَّاب، وذلك لضمان نزاهة المجتمع وحصانته من الفساد، ويُبيّن مسؤولية المجتمع تجاه تحقيق هذا الأمر.

يمكن تحميل الكتاب من خلال الرابط الآتي:

https://www.saffar.org/?ext=1&act=media&code=books&f=79&d=1

٦-**العمل التطوُّعي بين الو اقع والمأمول**: منال محمد عباس.



الناشر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية - مصر.

٧-**دليل الأفكار للمُؤسَّسات التطوُّعية – مراكز الأحياء أنموذجًا**: رائد عبد العزيز المهيدب.



عبارة عن كتاب إلكتروني من ١٦٥ صفحة، يُلقي فيه مُؤلّفه الضَّوء على دور مراكز الأحياء في خدمة المجتمع، ويطرح العديد من الأفكار والمُقتَرَحات لتفعيلها والرُّقيّ بها.

يمكن تحميل الكتاب من خلال الرابط الآتي:

https://www.noor-book.com/ch8rja

٨-**عزوف الشباب عن العمل التطوُّعي في الجهات الخيرية بمنطقة الباحة من وجهة نظر القائمين عليها**: فايق سعيد علي الضرمان.



تستهدف هذه الدراسة البحث عن أسباب عزوف الشباب في منطقة الباحة بالمملكة العربية السعودية عن المشاركة في العمل التطوُّعي، وتُعطي بعض التوصيات المفيدة على ضوء النتائج التي توصَّلت إليها الدراسة.

يمكن تحميل الكتاب من خلال الرابط الآتي:

https://www.noor-book.com/x3yzrg

٩-**جدِّد شبابَك بالتطوُّع**: محمد هشام أبو القمبز.



كتاب إلكتروني صغير، ولكنه يُعطي مُلَخَّصًا لا بأس به عن التطوُّع ومفاهيمه ومُصطَلحاته والقضايا المُتعلِّقة به.

يمكن تحميل الكتاب من خلال الرابط الآتي:

https://www.noor-book.com/ihlr6m

١٠-**دور الشباب الجامعي في العمل التطوُّعي والمشاركة السياسية**: هناء حسني محمد النابلسي.



يتحدَّث الكتاب عن أهداف التطوُّع وفوائده للمجتمع، ودوافع التطوُّع ومُعوِّقاته، والأعمال التطوُّعية ومستوياتها، والسياسات الناجحة للعمل التطوُّعي، وأهمية الشباب والأدوار الاجتماعية المنوطة بهم، وتفعيل العمل التطوُّعي لدى الشباب الجامعي.

الناشر: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمَّان – الأردن.

ب- كتب باللغة الإنجليزية

يُوجَد باللغة الإنجليزية وغيرها من لغات العالم ما لا حصر له من الكتب والبحوث والدراسات المُتعلِّقة بالتطوُّع والعمل الخيري، ومن أراد الرجوع إلى شيءٍ منها فيمكنه الاستعانة بمُحرِّكات البحث.

٣- مواقع تهتمُّ بالعمل الخيري والتطوُّع

المواقع التي لها اهتمامات بموضوع العمل الخيري والتطوُّع كثيرة ومُتنوِّعة، غير أنها تتفاوت في قيمة محتوياتها؛ فهناك المواقع التي بها الكثير من البحوث والدراسات والمقالات، وبعضها لا يحوي سوى ساحات للتحاور حول مجالات العمل التطوُّعي، ونظرًا إلى كثرة هذه المواقع فسنُورد هنا فقط نماذج للمواقع التي تسنَّى لنا الاطِّلاع عليها.

أ- مو اقع عربية

- **الاتِّحاد العربي للتطوُّع**: أُسِّس هذا الموقع باسم «**عالم التطوُّع العربي**» (**http://www.arabvolunteering.org**)، ثم تغيَّر إلى «**الاتِّحاد العربي للتطوُّع**» (**http://www.arabvu.org**)، وهو يُعَدُّ مُنظَّمة دولية غير حكومية مُسجَّلة في مملكة البحرين، ويتكوَّن من الهيئات والمُنظَّمات المَعْنِيَّة بالتطوُّع في الدول العربية، ويضمُّ ١٧ مُنظَّمة عربية رائدة في المجال التطوُّعي والمجالات التنموية والإنسانية.

- **المَنَصَّة الوطنية للعمل التطوُّعي بالمملكة العربية السعودية**: تُعَدُّ هذه المَنَصَّة حاضنة العمل التطوُّعي في السعودية، وهي تُوفِّر بيئة آمنة تخدم وتُنظِّم العلاقة بين الجهات المُوفِّرة للفرص التطوُّعية والمُتطوِّعين في المملكة. موقع المنصَّة: (**https://nvg.gov.sa**).

- **قطر التطوُّعي**: كان هذا أيضًا قد أُسِّس باسم «**مركز قطر للعمل التطوُّعي**» (http://www.qcfva.org)، ثم تغيَّر إلى «**قطر التطوُّعي**» (https://voluntary.qa)، وهو يُعد المقرَّ الدائم والمُتكامِل لاحتضان الأنشطة والأعمال التطوُّعية التي تُساهم في تأسيس ثقافة العمل التطوُّعي في دولة قطر وتعزيزها، ويعمل على إقامة الشِّراكات لتشجيع العمل التطوُّعي بين الشباب والمُبادرات التطوُّعية ومُؤسَّسات المجتمع المدني والمُؤسَّسات الأكاديمية والقطاع الخاص ووسائط الإعلام لتحقيق فاعلية بنَّاءة تصقُل القدرات والكوادر الوطنية والمُؤسَّسية للعمل التطوُّعي.

- **مُدوَّنة مشاريعي**: تُعنى بتشجيع مرتاديها على تقديم أفكار ومشاريع تطوُّعية يمكن «سرقتها» فيما بعد من قِبَل آخرين، وتطبيقها على أرض الواقع. عنوان المُدوَّنة: (http://myschemes.wordpress.com).

- **منَصَّة هِمَم (بنك العمل التطوُّعي)**: أُطلِقت هذه المنَصَّة في يناير ٢٠١٩م لتكون أول حاضنة عربية للعمل التطوُّعي تُوفِّر بيئة آمنة تُنظِّم العلاقة بين الجهات المُوفِّرة للفرص التطوُّعية والمُتطوِّعين في العالم العربي، وتُزوِّد الأطرافَ بالأدوات والموارد اللازمة لتعزيز برامج المشاركة المُجْتَمَعِيَّة، والمنَصَّة مُنْبَثِقة عن اتِّحاد المُدرِّبين العرب الذي يعمل في نطاق مجلس الوحدة الاقتصادية العربية بجامعة الدول العربية. الموقع الرسمي للمنَصَّة: (https://hemamarab.com).

ب- مواقع باللغة الإنجليزية

فيما يأتي بعض المواقع باللغة الإنجليزية المَعْنِيَّة بالتطوُّع والعمل التطوُّعي، وهي لا تُحصى، ولكن سنذكر هنا بعض المواقع الرئيسة منها.

- موقع التطوُّع العالمي: (https://www.world-volunteer.com).
- مُتطوِّعون من أجل السلام: (https://www.vfp.org).
- التطوُّع في المملكة المتحدة: (https://www.volunteering.org.uk).
- التطوُّع في أستراليا: (https://www.volunteeringaustralia.org).
- التطوُّع في الولايات المتحدة الأمريكية: (https://www.voa.org).
- التطوُّع في كندا: (https://www.volunteer.ca).

٤- محاضرات في العمل الخيري والتطوُّع

توجد عشرات المحاضرات والمقاطع التي تتحدَّث عن العمل الخيري والتطوُّعي، وغالبية هذه مُتوفِّرة على منَصَّة يوتيوب، وسنذكر هنا بعضها من باب التمثيل فقط:

- ثقافة العمل الخيري، للدكتور عبد الكريم بكار:

https://www.youtube.com/watch?v=2GlzYUXfrNU

- برنامج رسائل الشيخ نبيل العوضي (العمل الخيري):

https://www.youtube.com/watch?v=vWWBaKxN16Y

- **سلسلة ثقافة العمل الخيري التطوُّعي**، للدكتور جفافلة نور الدين:

https://www.youtube.com/watch?v=2Gyy3qD-F8Y&list=PLrRCZ1vb63sibtLHGTcoYnLfARZRH7VX4

- **سلسلة إشارات على طريق العمل الخيري**، من إنتاج اتِّحاد الجمعيات المغاربية:

https://www.youtube.com/watch?v=8DBPsNeEe60&list=PLyHnHuIF7oON4O7si9EjkbmrkJCBMRl6

- **العمل التطوُّعي والأنشطة الطلابية، هل مُهِمَّة أم تضييع وقت؟**

https://www.youtube.com/watch?v=gMNXI8593L0

- **أهمية العمل التطوُّعي في المجتمع**، قناة الرسالة الفضائية:

https://www.youtube.com/watch?v=hcqfVnKgaas

المراجع

١- كتب

١- إبراهيم بن موسى بن أبي بكر، برهان الدين، الإسعاف في أحكام الأوقاف، الناشر: مطبعة هندية بشارع المهدي بالأزبكية بمصر المحمية، الطبعة: الثانية، ١٣٢٠هـ- ١٩٠٢م.

٢- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المُتَوَفَّى: ٥٩٧هـ)، التَّبْصِرة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المُتَوَفَّى: ٥٩٧هـ)، المُدْهِش، تحقيق: الدكتور مروان قباني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٤- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي (المُتَوَفَّى: ٢٨١هـ)، الرِّقَّة والبُكاء، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٥- ابن تيمية، تقيّ الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المُتَوَفَّى: ٧٢٨هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٦- ابن قيّم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (٦٩١هـ- ٧٥١هـ)، الفوائد، تحقيق: محمد عزير شمس، الناشر: دار عطاءات العلم، الرياض - المملكة العربية السعودية، ودار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٧- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المُتَوَفَّى: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٨- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المُتَوَفَّى: ٧١١هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٩- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، صحيح الإمام البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي (المُتَوَفَّى: ٢٩٢هـ)، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحِكَم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

١١- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (المُتَوَفَّى: ٥١٦هـ)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق - سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٢- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (المُتَوَفَّى: ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٣- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (المُتَوَفَّى: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، المحقق: أحمد محمد شاكر (جـ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٤- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (المُتَوَفَّى: ٤٢٩هـ)، فقه اللغة وسرُّ العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٥- الدارمي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي البُستي (المُتَوَفَّى: ٣٥٤هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان

الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مُؤسَّسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٦- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (المُتَوَفَّى: ٣٩٦ هـ)، الأعلام، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الخامسة عشر، مايو ٢٠٠٢م.

١٧- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (المُتَوَفَّى: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٨- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (المُتَوَفَّى: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ

١٩- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المُتَوَفَّى: ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٠- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (المُتَوَفَّى: ٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، الناشر: دار اقرأ، بيروت - لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢١- المَرْوَزِي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج (المُتَوَفَّى: ٢٩٤هـ)، مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي، الناشر: حديث أكاديمي، فيصل آباد - باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٢- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (المُتَوَفَّى: ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مُؤسَّسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٣- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المُتَوَفَّى: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٤- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المُتَوَفَّى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مُؤسَّسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٥- أسماء حسين ملكاوي، حالة العالم الإسلامي - أرقام ومؤشرات، كتاب إلكتروني مُتوفِّر على كثير من المكتبات الرقمية.

٢٦- ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة: شفيق أسعد فريد، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٧- حافظ إبراهيم بك، ديوان حافظ إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٧م.

٢٨- حسن محمد الرفاعي، (٢٠٠٦م)، وقف "العمل المؤقَّت" في الفقه الإسلامي، كتاب إلكتروني، يمكن تحميله من خلال الرابط الآتي:

https://iefpedia.com/arab/wp-content/uploads/2010/10/وقف-العمل-المؤقت-في-الفقه-الإسلامي-د-حسن-محمد-الرفاعي.pdf

٢٩- سيد قطب، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق، بيروت – لبنان، الطبعة: التاسعة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٣٠- شكيب أرسلان، لماذا تأخَّر المسلمون، ولماذا تقدَّم غيرهم، الناشر: دار ابن الجوزي، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

٣١- عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المُتَوَفَّى: ١٤٢٢هـ)، موارد الظمآن لدروس الزمان، الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤هـ

٣٢- عبد الكريم بكار، المشروع الحضاري: نحو فهمٍ جديد للواقع، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

٣٣- عبد الكريم بكار، حول التربية والتعليم، الناشر: دار القلم، دمشق – سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣٤- عبد الكريم بكار، عصرنا والعيش في الزمان الصعب، الناشر: دار القلم، دمشق – سوريا، الطبعة: الخامسة، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

٣٥- عبد الله بن مُصْلِح الثمالي، (بدون تاريخ)، وقف النقود - حكمه، تاريخه وأغراضه، أهميته المعاصرة، استثماره، كتاب إلكتروني يمكن الحصول عليه من العديد من المكتبات الإلِكترونية.

٣٦- عبد الهادي علي النجار، الإسلام والاقتصاد، سلسلة كتب عالم المعرفة (٦٣)، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس ١٩٨٣م.

٣٧- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، موطأ الإمام مالك - رواية أبي مصعب الزهري، تحقيق: بشار عواد معروف - محمود خليل، الناشر: مُؤسَّسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ

٣٨- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٩- محمد أحمد الراشد، صناعة الحياة، الناشر: دار المنطلق، دبي - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤٠- محمد بن صالح آل عبد الله، كيف تتحمَّس لقيام الليل؟، الناشر: مطبعة النرجس التجارية، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ

٤١- محمد سالم إنجيه، إحياء ثقافة التطوُّع وبذل الجهد، كتاب إلكتروني، يمكن تحميله من خلال الرابط الآتي:

https://hrdiscussion.com/downloadfile/676/1/1227475640

٤٢- محمد عمارة، الإسلام والسياسة، الناشر: مركز الراية للتنمية الفكرية، السعودية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤م - ٢٠٠٥م.

٤٣- محمد موسى الشريف، التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، الناشر: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٤- محمد هشام أبو القمبز، جدِّد شبابَك بالتطوُّع، كتاب إلكتروني مُتوفِّر على كثير من المكتبات الرقمية، ويمكن تحميله من خلال الرابط الآتي:

https://www.noor-book.com/ihlr6m

٤٥- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المُتَوَفَّى: ٢٦١هـ)، صحيح الإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٤٦- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م.

٤٧- نجاة محمد المرزوقي، الوقف المُبْتَكَر: أصالة المبدأ وضرورة الفكرة، الناشر: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

٤٨- وليد إبراهيم قصاب، فارس الأحلام القديمة، ديوان شعر، الناشر: دار الثقافة، الدوحة - قطر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤٩- يوسف القرضاوي، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها، الناشر: دار الشروق، القاهرة – مصر، الطبعة، الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥٠- يوسف إبراهيم يوسف، إنفاق العفو في الإسلام، سلسلة كتاب الأُمَّة (٣٦)، الدوحة – قطر، الطبعة: الأولى، ذو القعدة ١٤١٣هـ/مايو ١٩٩٣م.

٢- بحوث ودراسات

١- أبو النوف، (بدون تاريخ)، المُؤسَّسات التربوية في المجتمع، بحث مُقدَّم لكلية التربية (قسم التعليم الأساسي)، الجامعة الإسلامية بغزة، إشراف: الدكتور فايز شلدان.

٢- أحمد بن يوسف الدريويش، (١٤٢٠هـ)، الوقف: مشروعيته وأهميته الحضارية، بحث مُقدَّم إلى ندوة "مكانة الوقف و أثره في الدعوة والتنمية" المُنْعَقِدَة في مَكَّة المُكَرَّمة بتاريخ ١٨-١٩ شوال ١٤٢٠هـ.

٣- أحمد صالح سالم العمري وحسن محمد الرفاعي، (٢٠٢١م)، الابتكار في الوقف السياحي - وقف المُتاحف أُنموذجًا، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد: ١٣، الرقم: ٤، ص٣٧٣-٣٨٨، بتاريخ ٣١-١٢-٢٠٢١م.

٤- الأمم المُتَّحدة، (٢٠٠٢م)، السنة الدولية للمُتطوِّعين.. النتائج ومنظورات المستقبل، تقرير للأمم المُتَّحدة عن السنة الدولية للتطوُّع، رقم A/٥٧/٣٥٢، بتاريخ ٢٠٠٢/٩/٢٤م، على الرابط الآتي:

https://documents-dds-ny.un.org/doc/UNDOC/GEN/N02/537/04/PDF/N0253704.pdf?OpenElement

٥- الجازي بنت محمد بن فهد الشبيكي، (٢٠٠١م)، الجمعيات النسائية الخيرية والمساهمة في التنمية الاجتماعية، بحث مُقدَّم إلى جمعية الملك عبد العزيز الخيرية بالقصيم في أسبوعها الثقافي عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. يمكن تحميل البحث من خلال الرابط الآتي:

https://khair.ws/library/wp-content/uploads/books/700.doc

٦- الطيب لحيلح، (٢٠٠٧م)، دور مشروع الأُسَر المنتجة في مكافحة الفقر، دراسة تطبيقية على محافظة النهود في جمهورية السودان، مُقدَّمة إلى الملتقى الدولي المُنعقِد في جامعة البليدة أيام ١، ٢، ٣، يوليو ٢٠٠٧م.

٧- سامي عصر، (١٩٨٩م)، قضايا التطوُّع ونظام العمل في الجمعيات، بحث مُقدَّم إلى مؤتمر "التنظيمات الأهلية العربية – مشاركة، عطاء، إنماء"، القاهرة – مصر، ٣١ أكتوبر – ٣ نوفمبر ١٩٨٩م.

٨- شريف علي حماد، (٢٠٠٥م)، مستوى إدراك الشباب الجامعي الفلسطيني لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية الثقافية والانتماء، ورقة عمل مُقدَّمة إلى مؤتمر "الدعوة الإسلامية ومُتغيِّرات العصر"، الجامعة الإسلامية بغزة، ٧-٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، ١٦-١٧ أبريل ٢٠٠٥م.

٩- صالح حمد التويجري، (٢٠٠٢م)، تفعيل العمل التطوُّعي، بحث مُقدَّم إلى المؤتمر الدولي السابع: "إدارة المُؤسَّسات الأهلية والتطوُّعية في المجتمعات المعاصرة" الذي عُقِد في الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة بين ١٧-١٨ ديسمبر ٢٠٠٢م. يمكن تحميل الورقة من خلال الرابط الآتي:

http://saaid.org/Anshatah/dole/23.htm

١٠- صالح كامل، (١٩٩٣م)، دور الوقف في النُّمُو الاقتصادي، أبحاث ندوة "نحو دورٍ تنمويٍّ للوقف" أقامها مركز أبحاث الوقف والدراسات الاقتصادية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١١- صندوق النَّقْد العربي، (٢٠٠٩م)، التقرير الاقتصادي العربي المُوَحَّد ٢٠٠٨م، نُشِر بتاريخ ٢٠٠٩/٣/١٨م، على الرابط الآتي:

https://www.amf.org.ae/ar/publications/altqryr-alaqtsady-alrby-almwhd/altqryr-alaqtsady-alrby-almwhd-2008

١٢- فتيحة لمعاشي، (٢٠١٣م)، الوقف وتمويل التنمية البشرية على ضوء التجربتين الإسلامية والغربية، ورقة مُقدَّمة إلى "الملتقى الدولي الثاني حول المالية الإسلامية"، صفاقس – الجمهورية التونسية، خلال الفترة من ٢٧ إلى ٢٠١٣/٦/٢٩م، يمكن تحميلها من خلال الرابط الآتي:

https://iefpedia.com/arab/?p=34379

١٣- يحيى بن سيف صالح، (١٤٢٥هـ)، الدور الأمني لمراكز الأحياء، ورقة مُقدَّمة لندوة "المجتمع والأمن" المُنْعَقِدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من ٢/٢١ حتى ٢/٢٤ من عام ١٤٢٥هـ.

٣- مقالات

١- إبراهيم البيومي غانم، (٢٠٠١م)، البحث عن ثقافة التطوُّع في مجتمعاتنا، مقال في موقع (إسلام أون لاين) بتاريخ ٢٠٠١/١٠/٩م على الرابط الآتي:

http://www.islamonline.net/arabic/adam/2001/10/article4.shtml

٢- إبراهيم بن محمد الحقيل، (٢٠٠٧م)، محاربة اللغة العربية، مقال في موقع (الألوكة) بتاريخ ١٤٢٨/٣/٦هـ - ٢٠٠٧/٣/٢٥م على الرابط الآتي:

https://www.alukah.net/articles/1/539.aspx

٣- إبراهيم غانم، (٢٠٠١م)، مفهوم ثقافة التطوُّع وإشكاليَّتُه، مقال في مجلة (المجتمع) الكويتية، العدد ١٤٧٤، ص٦٦، نُشِر بتاريخ ١١ شعبان ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١/١٠/٢٧م، على الرابط الآتي:

https://archiveo.mugtama.com/index.php?task=document.viewdoc&id=1550

٤- إبراهيم ناصر النَّاصر، (١٤٢٢هـ)، العولمة: مقاومة واستثمار، مقال في مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، بريطانيا، العدد ١٦٧، ص١١٧-١٣١، رجب ١٤٢٢هـ، يمكن الاطِّلاع عليه على الرابط الآتي:

https://shamela.ws/book/1541/4069

٥- إسماعيل يوسف، (٢٠٢١م)، العرب يُنتِجون ١,١ بالمائة من الكتب عالميًّا.. لتراجُع القراءة أم لزيادة القمع، مقال في صحيفة (الاستقلال) المصرية، نُشِر بتاريخ ٢٠٢١/٧/١٥م على الرابط الآتي:

https://www.alestiklal.net/ar/view/9439/dep-news-1626112456

٦- أحمد أبو زيد، (٢٠٠٨م)، الأموال العربية المهاجرة.. عندما تُخاصِم أوطانَها، مقال في موقع "الألوكة"، نُشِر بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٢٤م، على الرابط الآتي:

https://www.alukah.net/articles/1/2276.aspx

٧- أسامة سعد الدين، (بدون تاريخ)، يوسف الكاظم: الاتِّحاد العربي للعمل التطوُّعي مبادرة قطرية خالصة، مقال في صحيفة (العربي الجديد)، كان الاطِّلاع عليه في ٢٠٢٣/٣/٢٩م، على الرابط الآتي:

https://www.alaraby.co.uk/society/يوسف-الكاظم-الاتِّحاد-العربي-للعمل-التطوُّعي-مبادرة-قطرية-خالصة

٨- أسماء الرويشد، (بدون تاريخ)، العمل التطوُّعي: رغبة أم ضرورة؟، مقال في موقع (آسية) (http://www.asyeh.com).

٩- أسماء ملكاوي، (٢٠٠٤م)، حالة العالم الإسلامي: أرقام ومؤشرات، مقال في موقع (الجزيرة) بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٣م، كان الاطِّلاع عليه في ٢٠٢٤/٢/١٠م من الرابط الآتي:

https://www.aljazeera.net/2004/10/03/حالة-العالم-الإسلامي-أرقام-ومؤشرات

١٠- الجمعية الكويتية لرعاية الأطفال في المستشفى KACCH، (بدون تاريخ)، الموقع الرسمي للجمعية، على الرابط الآتي:

https://www.kacch.org/language/ar/home-ar/

١١- الويكيبيديا العربية، (بدون تاريخ)، جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام، كان الاطِّلاع عليه في ٢٠٢٣/٣/٢٦م، على الرابط الآتي:

https://ar.wikipedia.org/wiki/جائزة_الملك_فيصل_العالمية_في_خدمة_الإسلام

١٢- الويكيبيديا العربية، (بدون تاريخ)، سليمان الراجحي، كان الاطِّلاع عليه في ٢٠٢٣/٣/٢٦م، على الرابط الآتي:

https://ar.wikipedia.org/wiki/سليمان_الراجحي

١٣- الويكيبيديا العربية، (بدون تاريخ)، عبد الرحمن السميط، كان الاطِّلاع عليه في بتاريخ ٢٠٢٣/٣/٢٦م، على الرابط الآتي:

https://ar.wikipedia.org/wiki/عبد_الرحمن_السميط

١٤- الويكيبيديا العربية، (بدون تاريخ)، محمد يونس، كان الاطِّلاع عليه في ٢٠٢٣/٣/٢٦م، على الرابط الآتي:

https://ar.wikipedia.org/wiki/محمد_يونس

١٥- برنارد لويس، (٢٠٠٩م)، العالم العربي في القرن الحادي والعشرين: هل أصبح حُرًّا أخيرًا؟، مقال في مجلة (العصر) الإلكترونية بتاريخ ٢٠٠٩/٣/٢٦م، على الرابط الآتي:

http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentid=10764

١٦- بشر محمد موفق، (٢٠٠٩م)، جامعة الأزهر تُنظِّم مؤتمر التنمية المستدامة في العالم الإسلامي، مقال في موقع "الموقع العالمي للاقتصاد الإسلامي" بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢٠م، على الرابط الآتي:

http://isegs.com/forum/showthread.php?t=3007

١٧- بلال عرابي، (٢٠٠١م)، دور العمل التطوُّعي في تنمية المجتمع، مقال في مجلة (النبأ)، العدد ٦٣، شعبان ١٤٢٢هـ/ نوفمبر ٢٠٠١م، نُشِر على شبكة النبأ المعلوماتية، على الرابط الآتي:

https://annabaa.org/arabic/annabaamagazine/16450

١٨- توفيق عسيران، (بدون تاريخ)، مهارات التحفيز على العمل التطوُّعي، مقال في موقع (صيد الفوائد)، على الرابط الآتي:

http://saaid.org/Anshatah/dole/39.htm

١٩- جريدة الخليج، (٢٠١٣م)، ١٨ دقيقة في اليوم متوسط إنتاجية العامل العربي، نُشِر بتاريخ ٢٠١٣/٥/١٠م، على الرابط الآتي:

http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/517f8e17-5ed9-4474-9333-4a85e7e4a12f

٢٠- جريدة الوطن القطرية، (٢٠١٦م)، إنتاجية العامل الأردني ضمن الأدنى عالميًّا، نُشِر بتاريخ ٢٠١٦/١٢/١١م، على الرابط الآتي:

http://www.al-watan.com/news-details/id/45041/d/20161211

٢١- جعفر محمد العيد، (بدون تاريخ)، دور المُؤسَّسات الأهلية في رفع مستوى العمل التطوُّعي، مقال في موقع "صيد الفوائد"، على الرابط الآتي:

http://saaid.org/Anshatah/dole/34.htm

٢٢- جمال الدين عطية، (١٩٨٧م)، قراءة معاصرة لفروض الكفاية، مجلة (المسلم المعاصر)، العدد ٤٩، السنة ١٣، محرم – صفر - ربيع الأول، ١٤٠٨هـ، ٢٩ سبتمبر ١٩٨٧م.

٢٣- حسن محمد الرفاعي، (٢٠٠٥م)، مدى إمكانية إلغاء مشكلة الفقر في العالم الإسلامي، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، عدد ٥٢٣، ص٢٧، السنة ٤٢، جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ / يوليو أغسطس ٢٠٠٥م. يمكن تحميل العدد من خلال الرابط الآتي:

https://www.muslim-library.com/arabic/مجلة-الوعي-العدد-478

٢٤- حمدي سليم، (٢٠٠٧م)، حزام الفقر.. هاجس الأمن، مقال في جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٠٣٢١، ١٣ صفر ١٤٢٨هـ- ٢ مارس ٢٠٠٧م، على الرابط الآتي:

https://archive.aawsat.com/details.asp?article=408655&issueno=10321

٢٥- خالد الغنامي، (٢٠٠٦م)، الجمعيات الأهلية والتمويل الذاتي، مقال في جريدة (الوطن) السعودية بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ الموافق ١٥ مايو ٢٠٠٦م، العدد ٢٠٥٤، يمكن الاطِّلاع على المقال عبر الرابط الآتي:

https://libral.org/vb/showthread.php?t=11984

٢٦- خالد أبو بكر، (٢٠٠٣م)، تطوُّع الشباب.. شجرة يرويها الانتماء، مقال في موقع (إسلام أون لاين) بتاريخ ٢٠٠٣/٦/٢٣م، يمكن الرابط الآتي:

https://shakirycharity.org/indexA.php?id=149&newsid=311

٢٧- خباب الحمد، (١٤٢٧/١٠/١٧هـ)، دور المُثقَّف.. جهود لا ركود، مقال في موقع (المسلم)، على الروابط الآتية:

الحلقة الأولى:

https://almoslim.net/node/83605

الحلقة الثانية:

https://almoslim.net/node/83610

٢٨- رجب الدمنهوري، (بدون تاريخ)، عبد الرحمن السميط.. خادم فقراء إفريقيا، مقال في موقع (إسلام أون لاين)، كان الاطِّلاع عليه في ٢٠٢٣/٣/٢٦م، على الرابط الآتي:

https://islamonline.net/archive/عبد-الرحمن-السميط-خادم-فقراء-أفريقيا

٢٩- زاهر بن حارث المحروقي، (٢٠١٠م)، جمعية الاستقامة وإنجازات لا تُحصى، مقال في موقع مجلة (الفلق) بتاريخ ٢٠١٠/٤/١م، على الرابط الآتي:

https://www.alfalq.com/?p=575

٣٠- صالح عبد الله، (١٩٩٩م)، جولة في عقل النحوي، نقلًا عن جريدة (العرب اليوم)، عمَّان - الأردن، العدد ٨٥١، السنة الثالثة، ١٤٢٠/٦/٦هـ الموافق ١٩٩٩/٩/١٦م، على الرابط الآتي:

http://www.alnahwi.com/portal/default.asp?action=article&ID=282

٣١- صحيفة المدى المصرية، (٢٠١٤م)، خبراء: مُعدَّل إنتاج المُوظَّف ١٧ دقيقة في اليوم من أصل ٨ ساعات!، العدد ٣٢٠٦، نُشِر بتاريخ ٢٠١٤/١١/١م، على الرابط الآتي:

https://almadapaper.net/view.php?cat=115294

٣٢- صحيفة الوطن الكويتية الإلكترونية، السميط.. رحيل رجل بأمة، نُشِر بتاريخ ٢٠١٣/٨/١٥م، كان الاطِّلاع عليه في ٢٠٢٣/٣/٢٦م، على الرابط الآتي:

https://alwatan.kuwait.tt/articledetails.aspx?id=297694

٣٣- عبد الرحمن الباني، (٢٠٠٨م)، ضرورة التأليف بالعربية في العلوم التجريبية والتقنية، مقال في موقع (الألوكة)، نُشِر بتاريخ ١٤٢٩/١٢/٢٩هـ - ٢٠٠٨/١٢/٢٨م، على الرابط الآتي:

https://www.alukah.net/articles/1/4662.aspx

٣٤- عبد الرحمن تيشوري، (٢٠٠٦م)، لماذا لا ندرس البَطالَة المُقنَّعة في القطاع العام؟، مقال في موقع (الحوار المُتمدِّن)، نُشِر بتاريخ ٢٠٠٦/٤/١١م، على الرابط الآتي:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=61899

٣٥- عدنان علي رضا النحوي، (بدون تاريخ)، اللغة العربية أمانة ومسؤولية، مقال موقع (لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن)، على الرابط الآتي:

http://www.alnahwi.com/portal/default.asp?action=article&ID=830

٣٦- عدنان علي رضا النحوي، (١٤٢٥هـ)، زُخْرف الحضارة الغربيّة، مقال في موقع (المسلم)، نُشِر بتاريخ ١٤٢٥/٨/٥هـ، على الرابط الآتي:

http://almoslim.net/node/82407

٣٧- عدنان علي رضا النحوي، (بدون تاريخ)، لغتي الجميلة، قصيدة في موقع (لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن)، على الرابط الآتي:

https://www.alnahwi.com/portal/default.asp?action=article&ID=831

٣٨- عدنان علي رضا النحوي، (١٤٢٥هـ)، مشروع الشرق الأوسط الكبير، مقال في موقع (المسلم)، نُشِرت بتاريخ ١٤٢٥/٢/٢٧هـ، على الرابط الآتي:

http://almoslim.net/node/82304

٣٩- عصام عبد اللطيف الفليج، (٢٠١٦م)، د. عبد الرحمن السميط.. أسطورة تتكلَّم، مقال في جريدة (الوطن) الكويتية، نُشِر بتاريخ ٢٠١٦/٣/٤م، نسخة محفوظة منه على الرابط الآتي:

https://web.archive.org/web/20160304195923/http://alwatan.kuwait.tt/articledetails.aspx?Id=159898

٤٠- علي القحطاني، (٢٠٠٣م)، دراسة حكومية حديثة: ارتفاع نسبة البَطالَة في السعودية إلى ٣١,٧٪، مقال في جريدة (الوطن) السعودية، نُشِر بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٤م.

٤١- علي عيسى الوباري، (بدون تاريخ)، الوسائل الاجتماعية لاستقطاب المُتطوّعين، مقال في موقع (أطفال الخليج)، كان الاطِّلاع عليه في ٢٠٢٣/٣/٢٦م على الرابط الآتي:

http://www.gulfkids.com/ar/index.php?action=show_art&ArtCat=21&id=181

٤٢- فهد الزهراني، (٢٠٠٨م)، إحصاءات تطوُّعية، مقال في موقع (عالم التطوُّع العربي)، نُشِر بتاريخ ٢٠٠٨/٢/٤م، على الرابط الآتي:

http://www.arabvolunteering.org/corner/avt10196.html

٤٣- قناة الجزيرة، (٢٠٠٥م)، ثقافة العمل التطوُّعي لدى الجمعيات الخيرية النسائية، حلقة من برنامج "للنساء فقط"، بُثَّت بتاريخ ٢٠٠٥/١/٢٨م، على الرابط الآتي:

https://aja.me/pfujc

٤٤- قناة الجزيرة، (٢٠١٢م)، عبد الرحمن السميط.. مساعدة الفقراء ونشر الإسلام، برنامج زيارة خاصة، كان بثُّه بتاريخ ٢٠١٢/٢/١٤م، على الرابط الآتي:

https://aja.me/kbcwj

٤٥- مجدي سعيد، (١٩٩٩م)، تجربة مصرف الفقراء في بنجلاديش، مقال في موقع (إسلام أون لاين)، نُشِر بتاريخ ١٩٩٩/١٠/١م، على الرابط الآتي:

https://islamonline.net/archive/تجربة-مصرف-الفقراء-في-بنجلاديش

٤٦- مجدي سعيد، (بدون تاريخ)، محمد يونس.. لو كان الفقر رجلًا لقتلته، مقال في موقع (عُشَّاق الله)، كان الاطِّلاع عليه في ٢٠٢٤/٢/١٢م، على الرابط الآتي:

https://ushaaqallah.com/a/11725

٤٧- محمد الكاسي، (٢٠٠٥م)، نحو يوم عربي لرعايتهم: الأيتام واللقطاء.. من يرعاهم؟، حوار نُشِر في موقع (إسلام أون لاين) بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢٤م.

٤٨- محمد حسان الطيان، (٢٠٠٨م)، العربية لغة العلم، مقال في موقع (الألوكة)، نُشِر بتاريخ ١٤٢٩/٣/١١هـ - ٢٠٠٨/٣/١٩م على الرابط الآتي:

https://www.alukah.net/articles/1/2238.aspx

٤٩- محمد عبد القادر الفقي، (٢٠٠٩م)، دور الوقف الإسلامي في التنمية وحماية البيئة، مقال في مجلة (الوعي الإسلامي، العدد ٥٢٢، نُشِر بتاريخ ٢٠٠٩/٢/٧م، ويمكن تحميل العدد من خلال الرابط الآتي:

https://www.muslim-library.com/arabic/مجلة-الوعي-العدد-522

٥٠- مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة، (بدون تاريخ)، الوقف المُبْتَكَر، على الرابط الآتي:

https://mbrgcec.ae/ar/innovative-endowment

٥١- موقع أخبار الأمم المتحدة، (٢٠٢٢م)، تقرير: منطقة الدول العربية الآن هي الأسوأ أداء على الصعيد العالمي من حيث نمو الإنتاجية، نُشِر بتاريخ ٢٠٢٢/٣/٢٩م، على الرابط الآتي:

https://news.un.org/ar/story/2022/03/1097542

٥٢- موقع السَّبْلة العمانية، (٢٠٠٩م)، جمعية الاستقامة الخيرية الإسلامية العالمية، نُشِر بتاريخ ٢٠٠٩/٧/٢٠م، على الرابط الآتي:

https://www.s-oman.net/avb/showthread.php?t=490106

٥٣- موقع إسلام ويب، (٢٠٠٣م)، دور المسجد في بناء الشباب، نُشِر بتاريخ ٢٠٠٣/١٢/٢٤م، وكان الاطِّلاع عليه في ٢٠٢٣/٣/٢٦م، على الرابط الآتي:

https://www.islamweb.net/ar/article/53284/الشباب-بناء-في-المسجد-دور

٥٤- موقع جنة السعودية، الرحلات العائلية، (٢٠٠٧م)، نُشِر بتاريخ ٢٠٠٧/٩/٢١م، على الرابط الآتي:

http://jna1.com/vb/showthread.php?s=f897ec829f865a91efbf16b519ffb769&t=1465

٥٥- ميشال شماس، (٢٠٠٦م)، الجمعيات الأهلية في سورية، مقال في موقع (الحوار المُتَمَدِّن)، نُشِر بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢٧م، على الرابط الآتي:

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=76695

٥٦- نوري بشير مبارك، (٢٠٠٠م)، نظرات في العمل التطوُّعي، مقال في مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، بريطانيا، العدد ١٥٧، ص١٢٧-١٢٨، رمضان ١٤٢١هـ / ديسمبر ٢٠٠٠م، يمكن الاطِّلاع عليه على الرابط الآتي:

https://shamela.ws/book/1541/3724

٥٧- وكالة الأنباء الأردنية، (٢٠٠٨م)، الطباع يدعو العرب لطرح أدوات مالية جديدة، مقال في موقع (معلومات مباشر)، نُشِر بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٢٠م، على الرابط الآتي:

http://www.mubasher.info/ase/news/newsdetails.aspx?newsid=261605&src=g

٥٨- Associated Press, (١٣/١٠/٢٠٠٦), Yunus wins peace Nobel for anti-poverty efforts، كان الاطِّلاع عليه في ٢٠٢٣/٣/٢٦م، نسخة محفوظة منه على الرابط الآتي:

https://web.archive.org/web/20121124074153/http://www.msnbc.msn.com/id/15246216/

٥٩- Forbes Middle East, (٢١/٣/٢٠١٨), Top ١٠ Billionaires in their Golden Years، كان الاطِّلاع عليه في ٢٠٢٣/٣/٢٦م، نسخة محفوظة منه على الرابط الآتي:

https://web.archive.org/web/20180302164545/https://www.forbesmiddleeast.com/en/list/top-10-billionaires-in-their-golden-years/item/7/

٦٠- The Nobel Prize Organization, The Nobel Prize for ٢٠٠٦، كان الاطِّلاع عليه في ٢٠٢٣/٣/٢٦م، على الرابط الآتي:

https://www.nobelprize.org/prizes/peace/2006/press-release/